



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر  
عليه السلام

www.Ghaemiyeh.com  
www.Ghaemiyeh.org  
www.Ghaemiyeh.net  
www.Ghaemiyeh.ir

الغنية الكبرى

في

دعوى السفارة

نويسنده: شيخ محمد سند

جلد (۱-۲)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# دعوى السفاره فى الغيبه الكبرى (٢)

كاتب:

محمد السند

نشرت فى الطباعة:

محين

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
١٣	دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى
١٣	اشارة
١٣	الجزء (١)
١٣	مقدمة المركز ...: ص: ٥
١٤	تمهيد ... ص: ٧
١٤	اشارة
١٤	الغيبة الصغرى والنيابة الخاصة ...: ص: ٧
١٥	خطورة النيابة الخاصة ...: ص: ٨
١٥	المدعون للسفارة مع باقى الأئمة (عليهم السلام ...): ص: ١٠
١٦	الضرورة على انقطاع السفارة ...: ص: ١١
١٦	التشرف باللقاء والنيابة ...: ص: ١١
١٧	محدودية صلاحية النيابة ...: ص: ١٣
١٧	الانقطاع ومعنى الغيبة ...: ص: ١٣
١٧	عقيدة الانتظار ...: ص: ١٤
١٨	التفقه فى الدين اعتصام من الضلال ...: ص: ١٥
١٩	نماذج قرآنية فى القدرة التكوينية لرواد الضلال ...: ص: ١٨
٢١	مفهوم العدالة يقرب إلى العصمة المكتسبة وذريعة التأويل ...: ص: ٢٣
٢٢	تنوع البحث ... ص: ٢٧
٢٤	الفصل الأول: فى الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة ... ص: ٣٣
٣١	الفصل الثانى فى كون انقطاع النائب الخاص للإمام (ع) عقيدة من ضروريات مذهب الإمامية الإثنى عشرية ... ص: ٥٥
٣١	اشارة
٣١	الأمر الأول معنى النيابة لغة ... ص: ٥٥

- ٣٢ ..... الأمر الثاني كلمات علماء الطائفة ... ص: ٥٦
- ٤٢ ..... الأمر الثالث النيابة العامة للفقهاء ... ص: ٨٣
- ٤٥ ..... الأمر الرابع منابع الشريعة ... ص: ٩٣
- ٥٢ ..... الأمر الخامس الرؤيا ليست مصدراً للتشريع ... ص: ١١١
- ٥٢ ..... اشارة
- ٥٥ ..... جواب شبهة من رأى فى منامه فقد رأى ... ص: ١٢٢
- ٦١ ..... الأمر السادس نبذة من أحوال النواب الأربعة فى الغيبة الصغرى ... ص: ١٣٨
- ٦٧ ..... الأمر السابع ذكر المذمومين الذين ادعوا البابية لعنهم الله ... ص: ١٥٤
- ٦٧ ..... اشارة
- ٦٨ ..... أولهم: المعروف بالشريعة ... ص: ١٥٤
- ٦٨ ..... ومنهم: محمد بن نصير النميرى ... ص: ١٥٥
- ٦٨ ..... ومنهم: أحمد بن هلال الكرخى ... ص: ١٥٦
- ٦٩ ..... ومنهم: أبو طاهر محمد بن على بن بلال ... ص: ١٥٦
- ٦٩ ..... ومنهم: الحسين بن منصور الحلاج ... ص: ١٥٨
- ٧٠ ..... ومنهم ابن أبى العزاقى ... ص: ١٦٠
- ٧٢ ..... نسخة التوقيع الخارج فى لعنه ... ص: ١٦٥
- ٧٣ ..... التوقيع ... ص: ١٦٦
- ٧٣ ..... ذكر أمر أبى بكر البغدادى ... ص: ١٦٧
- ٧٥ ..... الأمر الثامن ثواب الثبات والتمسك بالدين فى الغيبة الكبرى وشدة المحنة ... ص: ١٧١
- ٧٨ ..... الأمر التاسع تفسير الكتاب الوارد من الناحية المقدسة على الشيخ المفيد وتشرف عدة من أساطين الفقه والعلم بلقائه (ع ... ص: ١٧٩
- ٨١ ..... الأمر العاشر من هم الأبدال والأوتاد ... ص: ١٨٨
- ٨٥ ..... الفصل الثالث فى الفرق التى انحرفت عن الطائفة الإمامية وكيفية انحرافها ... ص: ٢٠١
- ٨٥ ..... اشارة
- ٨٥ ..... (الغلاة ...): ص: ٢٠١

- ومنها (الخطابية ...): ص: ٢٠٢ ..... ٨٥
- ومنها (الحارثية ...): ص: ٢٠٤ ..... ٨٦
- ومنها (المنصورية ...): ص: ٢٠٥ ..... ٨٧
- ومنها (أصحاب السرى ...): ص: ٢٠٦ ..... ٨٧
- ومنها (البيانية ...): ص: ٢٠٦ ..... ٨٧
- ومنها (أصحاب حمزة بن عمارة الزبيدي البربري ...): ص: ٢٠٨ ..... ٨٨
- ومنها (المغيرية ...): ص: ٢٠٩ ..... ٨٨
- ومنها (أصحاب بزيع بن موسى الحائك ...): ص: ٢٠٩ ..... ٨٨
- ومنها (البشيرية ...): ص: ٢١٠ ..... ٨٩
- ومنها (أصحاب معمر بن خيثم ...): ص: ٢١٢ ..... ٨٩
- الفصل الرابع في تاريخ البابية في إيران ... ص: ٢٣١ ..... ٩٦
- الخاتمة ... ص: ٢٥٩ ..... ١٠٦
- إشارة ..... ١٠٦
- الأمر الأول في خروج الدجال ... ص: ٢٥٩ ..... ١٠٦
- الأمر الثاني: في علامات ظهور الحجة (ع) وعدة أصحابه ... ص: ٢٦١ ..... ١٠٧
- الأمر الثالث: في مدح العلم وذم الجهل ... ص: ٢٦٥ ..... ١٠٩
- الجزء (٢) ..... ١١٠
- الفصل الأول: العقول والخواطر ... ص: ٢٧٣ ..... ١١٠
- عبادة العقل ... ص: ٢٧٣ ..... ١١٠
- مرتبة ومساحة حجية العقل ... ص: ٢٧٧ ..... ١١١
- الخواطر ومسؤولية بناء الذات ... ص: ٢٨٢ ..... ١١٣
- فلسفة استعراض الماضي ... ص: ٢٨٤ ..... ١١٤
- الفصل الثاني: منظومة المعارف الدينية ... ص: ٢٩١ ..... ١١٦
- إشارة ..... ١١٦

- المحور الأول: الدين ...: ص: ٢٩١ ..... ١١٦
- اشارة ..... ١١٦
- موالاة أهل البيت (عليهم السلام) من الدين ...: ص: ٢٩٥ ..... ١١٨
- المحور الثاني: الملة ...: ص: ٢٩٧ ..... ١١٨
- المحور الثالث: الشريعة ...: ص: ٢٩٨ ..... ١١٩
- المحور الرابع: المنهاج ...: ص: ٢٩٨ ..... ١١٩
- المحور الخامس: الطريقة ...: ص: ٢٩٩ ..... ١١٩
- المحور السادس: الحكمة ...: ص: ٢٩٩ ..... ١١٩
- اشارة ..... ١١٩
- مساحات التشريع ...: ص: ٢٩٩ ..... ١١٩
- بعض شبه العلمانية ...: ص: ٣٠٢ ..... ١٢٠
- الفصل الثالث: فتنة البصيرة ...: ص: ٣٠٧ ..... ١٢٢
- فتنة البصيرة أشد الفتن ...: ص: ٣٠٧ ..... ١٢٢
- تفاوت البصائر ...: ص: ٣٠٩ ..... ١٢٣
- اليهود وفتنة العجل ...: ص: ٣١١ ..... ١٢٣
- الحكمة من فتن البصائر ...: ص: ٣١٤ ..... ١٢٤
- النصارى وفتنة قتل عيسى (ع) ...: ص: ٣١٦ ..... ١٢٥
- الفتنة محك البصيرة ...: ص: ٣١٩ ..... ١٢٦
- التوسل بالنبي وآله من الاختبارات فى البصيرة ...: ص: ٣٢٠ ..... ١٢٧
- تعدد الرؤى والأنظار ينمى البصيرة ...: ص: ٣٢٢ ..... ١٢٨
- تنوع الآيات امتحان للبصائر ...: ص: ٣٢٣ ..... ١٢٨
- أصحاب الكساء ركن المهدوية ...: ص: ٣٢٥ ..... ١٢٩
- طريق تخطى فتن البصائر ...: ص: ٣٢٦ ..... ١٣٠
- حقيقة التباس الحجج ...: ص: ٣٢٨ ..... ١٣٠



- ١٣١ ..... ٣٢٨: ص: ...: ص: ٣٢٨ ..... اتباع بقية الأنبياء في زمن سيد الرسل ضلال
- ١٣١ ..... ٣٢٩- ص: ...: ص: ٣٢٩ ..... جميع الأنبياء على دين الخاتم ...: ص: ٣٢٩
- ١٣٢ ..... ٣٣٥: ص: ...: ص: ٣٣٥ ..... الفصل الرابع: حقيقة ومراتب الحجج ...: ص: ٣٣٥
- ١٣٢ ..... ٣٣٥: ص: ...: ص: ٣٣٥ ..... حقيقة معرفة الحجج ...: ص: ٣٣٥
- ١٣٣ ..... ٣٣٦: ص: ...: ص: ٣٣٦ ..... معنى المتشابه ...: ص: ٣٣٦
- ١٣٣ ..... ٣٣٧: ص: ...: ص: ٣٣٧ ..... الحس يقين وطن ...: ص: ٣٣٧
- ١٣٤ ..... ٣٣٨: ص: ...: ص: ٣٣٨ ..... لا تقاطع ولا إقصاء في الحجج ...: ص: ٣٣٨
- ١٣٥ ..... ٣٤١: ص: ...: ص: ٣٤١ ..... حجية الفقهاء في دولة الظهور ...: ص: ٣٤١
- ١٣٦ ..... ٣٤٥: ص: ...: ص: ٣٤٥ ..... امومة بديهيات العقل في المعرفة ...: ص: ٣٤٥
- ١٣٨ ..... ٣٥٠: ص: ...: ص: ٣٥٠ ..... أنواع الحجج مفتاح البصائر ...: ص: ٣٥٠
- ١٣٩ ..... ٣٥١: ص: ...: ص: ٣٥١ ..... مراتب الحجج ...: ص: ٣٥١
- ١٤٤ ..... ٣٦٥: ص: ...: ص: ٣٦٥ ..... تراتب حجية الأئمة ...: ص: ٣٦٥
- ١٤٦ ..... ٣٧٣: ص: ...: ص: ٣٧٣ ..... الفصل الخامس: القواعد الرقابية في المعرفة ...: ص: ٣٧٣
- ١٤٦ ..... اشارة ..... اشارة
- ١٤٦ ..... ٣٧٣: ص: ...: ص: ٣٧٣ ..... بديهيات العقل أولى القواعد ...: ص: ٣٧٣
- ١٤٧ ..... ٣٧٥: ص: ...: ص: ٣٧٥ ..... ضروريات دين الله ثاني القواعد ...: ص: ٣٧٥
- ١٤٧ ..... ٣٧٧: ص: ...: ص: ٣٧٧ ..... سنن الأنبياء ثالث القواعد ...: ص: ٣٧٧
- ١٤٩ ..... ٣٨٢: ص: ...: ص: ٣٨٢ ..... مواقف الزهراء (ع) رابع القواعد الرقابية ...: ص: ٣٨٢
- ١٥٢ ..... ٣٨٨: ص: ...: ص: ٣٨٨ ..... منهج الأئمة خامس القواعد الرقابية ...: ص: ٣٨٨
- ١٥٣ ..... ٣٩١: ص: ...: ص: ٣٩١ ..... الواقع والاستكشاف في الحجج ...: ص: ٣٩١
- ١٥٤ ..... ٣٩٣: ص: ...: ص: ٣٩٣ ..... أهمية الحورات العلمية الدينية ...: ص: ٣٩٣
- ١٥٥ ..... ٣٩٥: ص: ...: ص: ٣٩٥ ..... بين البصيرة والتمرد ...: ص: ٣٩٥
- ١٥٥ ..... ٣٩٦: ص: ...: ص: ٣٩٦ ..... الغلو والتقشير تعريف آخر ...: ص: ٣٩٦
- ١٥٧ ..... ٤٠١: ص: ...: ص: ٤٠١ ..... القواعد الرقابية وحفظ ثقافة أهل البيت (عليهم السلام) ...: ص: ٤٠١

- ١٥٨ ..... القواعد الرقابية والشلمغانى والعبرتائى ...: ص: ٤٠٦
- ١٥٩ ..... بواعث الانحراف ...: ص: ٤٠٩
- ١٦٢ ..... الفصل السادس: النيابة الخاصة ...: ص: ٤١٩
- ١٦٢ ..... أصحاب السر ...: ص: ٤١٩
- ١٦٤ ..... التأويل مع الظاهر لا الضرورى ...: ص: ٤٢٤
- ١٦٤ ..... تطابق الشريعة ظاهراً وباطناً ...: ص: ٤٢٤
- ١٦٦ ..... سقوط الحجية ...: ص: ٤٢٧
- ١٦٦ ..... إمكانية الانحراف والنايب الخاص ...: ص: ٤٢٩
- ١٦٧ ..... السفير والنايب قد يفقد حجيته ...: ص: ٤٣١
- ١٦٨ ..... دعوة للتوازن ...: ص: ٤٣٤
- ١٦٩ ..... ضرورة الدراسات العقائدية ...: ص: ٤٣٥
- ١٦٩ ..... الدليل الإثباتى للنيابة الخاصة ...: ص: ٤٣٧
- ١٧٠ ..... خطورة السفارة ودليلها ...: ص: ٤٣٩
- ١٧١ ..... انضباط قنوات الحجية للغيب ...: ص: ٤٤١
- ١٧٣ ..... شبهات عنكبوتية واهية ...: ص: ٤٤٥
- ١٧٤ ..... فى عصر المهديين الاثنى عشر ...: ص: ٤٤٧
- ١٧٥ ..... الفصل السابع: حقيقة النيابة الخاصة والسفارة ...: ص: ٤٥٥
- ١٧٥ ..... أدلة انقطاع النيابة الخاصة والسفارة ...: ص: ٤٥٥
- ١٧٧ ..... ضابطة صارمة علامة لعصر الظهور ...: ص: ٤٥٩
- ١٧٨ ..... منابع الشريعة ...: ص: ٤٦٢
- ١٧٩ ..... عدم حجية تلقى غير المعصوم ...: ص: ٤٦٤
- ١٨٠ ..... افتراق الريب عن الفحص العلمى ...: ص: ٤٦٦
- ١٨٠ ..... رفع اليد عن أدلة اليقين مقابل توهمات ...: ص: ٤٦٧
- ١٨١ ..... عدم حجية إلهام أو رؤية غير المعصوم ...: ص: ٤٦٨

- ١٨١ ..... الارتباط بالغيب نبوة أم إمامة أم للكل ...: ص: ٤٦٩
- ١٨٥ ..... تفاوت درجات الصدق ...: ص: ٤٧٩
- ١٨٥ ..... ضعف ومحدودية الإدراك القلبي لغير المعصوم ...: ص: ٤٨٠
- ١٨٦ ..... كشف المعصوم القرآن والسنة ...: ص: ٤٨١
- ١٨٦ ..... سبب اختلاف المعصوم في التلقى مع غيره ...: ص: ٤٨٢
- ١٨٦ ..... العدالة تغاير العصمة ...: ص: ٤٨٣
- ١٨٧ ..... العلوم الغربية المكتسبة ووهم إعجازها ...: ص: ٤٨٥
- ١٨٨ ..... توصية روايات الظهور بخطورة الدجل ...: ص: ٤٨٦
- ١٨٨ ..... التشرف برؤية الإمام المهدي (ع) لا يعنى الحجية ...: ص: ٤٨٨
- ١٨٩ ..... رياضات النفس وفعل الأعاجيب ...: ص: ٤٨٩
- ١٩٠ ..... حدود النيابة الخاصة والسفارة ...: ص: ٤٩٣
- ١٩١ ..... ثبات فقه مدرسة أهل البيت ومصادره ...: ص: ٤٩٣
- ١٩١ ..... ضرورة الموازين في قراءة الدين ...: ص: ٤٩٥
- ١٩٢ ..... كفر مدعى السفارة ...: ص: ٤٩٧
- ١٩٣ ..... عناوين دعوى السفارة ...: ص: ٥٠٠
- ١٩٤ ..... حركات ونهضات رايات سنة الظهور ...: ص: ٥٠٣
- ١٩٥ ..... الخلط بين أحوال الرجعة وما قبل الظهور ...: ص: ٥٠٥
- ١٩٥ ..... حقيقة السفارة والنيابة الخاصة ...: ص: ٥٠٥
- ١٩٧ ..... الفصل الثامن: مفهوم الغيبة بين الافراط والتفريط ...: ص: ٥١٣
- ١٩٧ ..... الافراط والتفريط في الغيبة ...: ص: ٥١٣
- ٢٠٠ ..... حقيقة الغيبة والظهور ...: ص: ٥١٩
- ٢٠١ ..... شواهد التصدي للإمامة الفعلية ...: ص: ٥٢٣
- ٢٠٣ ..... الغيبة والتقية وقمة النشاط ...: ص: ٥٢٨
- ٢٠٤ ..... لولا إدارة الإمام لشؤون الحياة على الأرض لساخت ...: ص: ٥٣٠

- ٢٠٤ ..... ٥٣١: ص: جهاز تدبير الإمام ...
- ٢٠٦ ..... ٥٣٥: ص: معنى أعمق للغيبة ...
- ٢٠٧ ..... ٥٤١: ص: الفصل التاسع: التوقيت والظهور ...
- ٢٠٧ ..... ٥٤١: ص: كيف ننصر الإمام المهدي (ع ...)
- ٢١٢ ..... ٥٥٤: ص: التوقيت والتفاؤل ...
- ٢١٤ ..... ٥٥٩: ص: مصادر التحقيق ...
- ٢١٧ ..... تعريف مركز القائمية باصفهان للتمريرات الكمبيوترية

## دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى

## إشارة

- سرشناسه : سند، محمد، - ١٣٤٠
- عنوان و نام پديد آور : دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى / تاليف محمد السند
- وضيعة و يراست : [ويراست ؟]
- مشخصات نشر : موسسه المحيين للطباعة و النشر، ١٤٢٥ق. = ٢٠٠٤م. = ١٣٨٣.
- مشخصات ظاهري : ط، ص ٢١٤
- شابك : ٩٦٤-٧١٠٣-٦٢-X
- وضيعة فهرست نويسى : فهرست نويسى قبلى
- يادداشت : چاپ قبلى: مكتبه الداورى، ١٤١١ق. = ١٣٦٩
- يادداشت : عربى
- يادداشت : چاپ ششم
- يادداشت : كتابنامه به صورت زيرونويس
- موضوع : محمد بن حسن (عج)، امام دوازدهم، ٢٥٥ق. - - نيابت
- موضوع : محمد بن حسن (عج)، امام دوازدهم، ٢٥٥ق. - - رويت
- رده بندي كنگره : BP٢٢٤/٤/س ٧د٩ ١٣٨٣
- رده بندي ديويى : ٢٩٧/٤٦٢
- شماره كتابشناسى ملي : ٨٣-٣٥٣٢٧

## الجزء (١)

## مقدمة المركز ...: ص: ٥

بسم الله الرحمن الرحيم  
 اللَّهُمَّ كُنْ لَوْلِيَّكَ الْحَجِيَّةَ بْنِ الْحَسَنِ صِيَمَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيًّا وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا وَدَلِيلًا وَعَيْنًا  
 حَتَّى تُسَكِّنَهُ أَرْضَكَ طَوْعًا وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا.

دأب مركز الدراسات التخصصية فى الإمام المهدي (ع) ومنذ تأسيسه بعد سقوط النظام فى النجف الأشرف على وضع اللبنة الأولى لتأصيل الفكر المهدوي وتعميق ثقافته الانتظار بين أبناء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) فى العراق وخارجه وذلك من خلال الأطر العامة والخطط المعرفية التى وضعها منهاجاً يسير على خطاه، وكان من جملة هذه البرامج هى إقامة دورات علمية تخصصية تهتم ببيان الجوانب المعرفية فى الثقافة المهدوية وذلك باستضافة الشخصيات العلمائية وفضلاء الحوزة العلمية وأساتذتها ممن تشهد لهم الساحة العلمية بطول الباع وعمق النظر والإحاطة المستوعبة فى مختلف جانب قضية الإمام (ع) وكان ممن تشرف المركز بدعوته سماحة الفقيه المحقق الشيخ محمد السند (دام عزه) حيث عقد المركز لسماحته دورة تخصصية حضرها العشرات من طلبة الحوزة العلمية وذلك فى شهر صفر سنة (١٤٢٧ هـ) فى النجف الأشرف فى جامع الهندي ولما كانت الحاجة ماسة والساحة العلمية بحاجة إلى أمثال

هذه البحوث القيمة التأصيلية في الفكر الشيعي وذلك لوجود الشبهات الفكرية في القضايا العقيدية بشكل عام وقضية عقيدة الإمام المهدي (ع) بشكل خاص قامت لجنة التحقيق في المركز وبجهود مباركة لكل من الإخوة الفضلاء سماحة الشيخ حازم الحدراوى دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٦

وسماحة الشيخ حميد الوائلى بتحرير الدرس وتقييم النص وربط الأبحاث وتوحيدها وتخريج المصادر والتعليق على الكثير من البحوث لبيان إيضاح أو تأييد فكرة ودعم معلومة أو غير ذلك مما له دخل في شمولية البحث واستيعابه وعرضه بأسلوب يحصل أكثر قدر ممكن من الفائدة العلمية. وأسمناه (دعوى السفارة في الغيبة الكبرى الجزء الثاني) كما ارتأى المركز بعد استحصال موافقة المؤلف طباعة الجزء الأول من دعوى السفارة مع الجزء الثاني باعتبار وحدة الموضوع فيهما وأن أحدهما مكمل للآخر فقامت اللجنة الموقرة بإعادة تحقيق الجزء الأول وإخراج مصادر الروايات والأحاديث وتصحيح الأخطاء المطبعية وغيرها من الأمور الفنية. فكان نتاج هذا الجهد المشكور أن خرج هذا الكتاب بجزئيه الأول والثاني بمثل هذه الحلة القشبية، راجين من الله تعالى القبول والتوفيق ومن صاحب الأمر (ع) الرعاية والرضا.

مدير المركز

السيد محمد القبانجى

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٧

## تمهيد ... ص: ٧

### إشارة

#### تمهيد

الحمد لله باعث الرسل، وجاعل الخلفاء لكي لا تخلو الأرض من حجة الله بالغة على الناس، والصلاة والسلام على سيد المرسلين للناس كافة، رحمة للعالمين، المبشر بأن المهدي من ذريته من نسل البتول المطهرة، وعلى آله الأوصياء حجج الله على الخلق. وبعد.. فإن نجوم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، لا يغيب منهم نجم إلى الدار الآخرة إلا ويطلع آخر، حتى انتهى الأمر إلى بقية الله في الأرضين، صاحب الأمر المهدي الحجة ابن الحسن العسكري، الذي يملؤها قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وقد وقعت المشيئة الإلهية أن يكون هذا العلم المنصوب، والعلم المصبوب، والغوث، والرحمة الواسعة في ستار الخفاء، والحجاب المسدول عن التعرّف على شخصه وهويته من قبل معسكر الظالمين والمستكبرين، يمارس مهامه ودوره المرسوم من قبل البارئ تعالى، وهو صاحب ليلة القدر في عصورنا هذه.

## الغيبة الصغرى والنيابة الخاصة ... ص: ٧

لقد هيأ البارئ عز اسمه المؤمنين لغيبة ولته (ع) الطويلة المتمادية قروناً بغيبة صغرى قد نصب فيها نواباً وسفراء له أربعة، أولهم: عثمان بن سعيد العمري، والثاني: ابنه محمد بن عثمان العمري، والثالث:

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٨

الحسين بن روح النوبختي، والرابع: على بن محمد السمرى، ابتدأت من عام وفاة الإمام أبي محمد الحسن بن على العسكري (٨/ربيع الأول ٢٦٠هـ) إلى (١٥/شعبان/ ٣٢٩هـ) تاريخ وفاة السمرى، فطاولت ما يزيد على ٦٩ عاماً، وكانت لهؤلاء الأربعة مكانة خاصة، ونيابة خاصة يلتقون من خلالها مع الإمام (ع)، ويوصلون أوامره وتوجيهاته إلى الطائفة الناجية وعلمائها.

وهذه النيابة الخاصة لم تعدها على الصعيد الرسمى والعلنى الطائفة قبل ذلك مع الأئمة السابقين (عليهم السلام)، وإن كان لديهم وكلاء ونواب خاصون، إلا أن هذه النيابة الخاصة للأربعة كانت تمتاز بصلاحيات خاصة للنائب تتصل بشؤون غيبية نظير ما لأصحاب القائم (ع) -ال- (٣١٣) فى عصر الظهور من صلاحيات غيبية، ومقامات معنوية فائقة، ويكفى فى الإشارة إلى ذلك تسميتها بالسفارة.

### خطورة النيابة الخاصة ... ص: ٨

وبالنظر لخطورة هذا الموقع السامى فقد كانت الطائفة وعلماؤها يقومون بامتحان هؤلاء الأربعة بنحو مستمر، مع أن الإمام العسكرى (ع) قد نصّ لدى وجهاء الطائفة وعلماؤها على نيابة العمري وابنه عن الناحية المقدسة (ع)، كما ذكر ذلك الشيخ الطوسى فى كتابه الغيبة (١)، وهذا المنطق ليس غريباً عند أتباع أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، حيث إن المسار الدينى لديهم قائم على الدليل والبرهان والبيّنات، بدءاً من ضرورة المعجزة على نبوة الأنبياء، وعلى إمامة الأئمة، مضافاً إلى النصوص دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٩

الإلهية الواردة من كل نبي سابق على النبي اللاحق، ومن سيد الأنبياء على سيد الأوصياء وولده، ومن الإمام السابق على الإمام اللاحق، ويتصل بخطورة مقام النيابة الخاصة ملاحظة ظاهرة فقهية لدى علمائنا المعاصرين للغيبة الصغرى، ولأوائل الغيبة الكبرى، وهو اللعن والبراءة من المدعين الكاذبين، والطردهم عن الطائفة، وهذا الموقف تبعاً لما صدر من التوقيعات من الناحية المقدسة حول بعضهم. وفى هذا السياق أيضاً ما يلاحظ فى زيارة قبورهم التى رواها الشيخ فى التهذيب: «جتتك مخلصاً بتوحيد الله وموالاة أوليائه، والبراءة من أعدائهم ومن الذين خلفوك يا حجة المولى، وبك إليهم توجهي، وبهم إلى الله توسلي» (١).

ونظير هذا المفاد ما ذكره الشيخ فى الغيبة فى باب ذكر المذمومين الذين ادعوا البايعة والسفارة كذباً وافتراءً.. قال: (ومنهم أحمد بن هلال الكرخي، قال أبو على بن همام: كان أحمد بن هلال من أصحاب أبي محمد، فاجتمعت الشيعة على وكاله أبي جعفر محمد بن عثمان بنص الحسن (ع) فى حياته، ولما مضى الحسن (ع) قالت الشيعة الجماعة له: ألا تقبل أمر أبي جعفر محمد بن عثمان وترجع إليه، وقد نصّ عليه الإمام المفترض الطاعة؟ فقال لهم: لم أسمعه ينصّ عليه بالوكاله، وليس أنكر أباه يعنى عثمان بن سعيد، فأما أن أقطع أن أبا جعفر وكيل صاحب الزمان، فلا أجسر عليه، فقالوا: قد سمعنا غيرك، فقال: أنتم وما سمعتم، ووقف على أبي جعفر، فلعنوه وتبرأوا منه. ثم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٠

ظهر التوقيع على يد أبي القاسم بن روح بلعنه والبراءة منه فى جملة من لعن (١).

فإن لعن وبراءة الطائفة من ابن هلال بمجرد إنكاره لسفارة النائب الثانى يدلُّ على خطورة مقام النيابة الخاصة المسماة بالسفارة فى مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، ومما يعزز كونه مقاماً معنوياً خاصاً ما ورد فى زيارتهم التى تقدمت: «أشهد أن الله اختصك بنوره حتى عاينت الشخص فأدبت عنه وأدبت إليه» (٢).

ولذلك يشاهد من المدعين الكذابين لهذا المقام فى الغيبة الصغرى أنهم تمخروا وتبهرجوا بادعاء مقامات غيبية باطله، وشؤون ملكوتية زائفة، والملفت لنظر الباحث المتتبع أن مقالات هؤلاء المدعين للنيابة كذباً فى القرن الثالث وبداية الرابع، تبناها فى القرون اللاحقة كثير من فرق الصوفية ورواد التصوف، سواء على صعيد نظريات التصوف النظرى والتصوف العملى، أو على صعيد التأويلات الخيالية الوهمية البعيدة عن الحقائق الغيبية، فى مجال المعارف والآداب والسنن (٣).

### المدعون للسفارة مع باقى الأئمة (عليهم السلام) ... ص: ١٠

ويشاهد أيضاً أن هؤلاء المدعين للسفارة لم يقتصر على ادعائها مع الحجة المهدي (ع)، بل ادعوا أيضاً مع أرواح الأئمة السابقين

(عليهم السلام)، وبعبارة

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١١

أخرى: أن مقام ومنصب السفارة حيث كان معناه وساطة معنوية بين الناحية المقدسة (ع) وبين الناس، تمادوا في ادعائها معنوية مع بقية الأئمة الماضين (عليهم السلام)، وهذا يقرّر أن تحديد إطار معنى النيابة الخاصة والسفارة أنها وساطة معنوية، وتمثيل رسمي بين أي معصوم (ع) وبين الناس.

### الضرورة على انقطاع السفارة ...: ص: ١١

وقد قامت الضرورة لدى الطائفة الإمامية على انقطاعها بعد الغيبة الصغرى بعد النائب الرابع على بن محمد السمرى، حيث ورد التوقيع من الناحية المقدسة على يده: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا على بن محمد السمرى، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك، ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية (التامة)، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله (عز وجل)، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي شيعتى من يدعى المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفينى والصيحة فهو كاذب مفتر، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم» (١)». إذ المراد بالمشاهدة هي الوساطة والتمثيل والاتصال الرسمي بالناحية المقدسة؛ لأنها ذكرت في سياق قوله (ع): «لا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية».

### التشرف باللقاء والنيابة ...: ص: ١١

ويحصل الخلط بين تشرف جملة من علماء الطائفة، كالسيد ابن طاووس والعلامة بحر العلوم، وغيرهم من الصالحين الأتقياء، كما ذكر ذلك كل من

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٢

الكلينى في (أصول الكافي)، والصدوق في (كمال الدين)، والطوسى في (الغيبة) والنورى في (جنته المأوى في من رأى الحجة الكبرى)، وبين ضرورة انقطاع السفارة والوساطة والتمثيل الرسمي بين الطائفة وبين الناحية المقدسة، أى انقطاع التأديبه منه إلى الناس، والتأديبه من الناس إليه، أى لا يوجد شخص له صلاحية أن يؤدى إلى الحجة (ع) رسائل الناس وأسئلتهم، ولا أن يؤدى من الحجة (ع) كلامه إلى الناس، فليس هناك من له صلاحية هذه الموقعية من الوساطة والتمثيل الرسمي تحت أى عنوان كان، وتحت أى اسم، لا سفير ولا وسيط ولا نائب خاص، ولا يلتقى بالحجة، ولا على ارتباط به، ولا يحظى برؤيته، فيوصل الرسائل له، ولا غيرها من العناوين التى يتقّمصها الكثير من الدجالين وذوى النصب والحيلة والأراجيف، طلباً الرئاسة الباطلة الطامعين فى حطام الدنيا، فلا صلة بين ظاهرة التشرف بلقاء الحجة (ع)، وبين صلاحية الوساطة وصلاحية الارتباط، فإن التشرف ليس له أى اعتبار شرعى للآخرين كطريق إلى البايه وغيرها من المسميات، ولا يتصف بأى سمة من معانى الحجية للآخرين، كباب ارتباط بالناحية المقدسة، فالتشرف ليس له أى أثر شرعى يترتب عليه عند الآخرين، كما أن الذى يتشرف به (ع) فى الغيبة ينبغى أن لا يغلب على ظنه وخياله أن يخصص بتشريع غير ما هو عليه ظاهر الشرع المحمّدى عند الطائفة الإمامية، كما قال هو (ع) وآباؤه ما مضمونه: ما وافق كتاب الله تعالى وسنة نبيه (ص) فقد قلناه، وما لم يوافق كتاب الله وسنة نبيه (ص) فلم نقله (١)».

وكما أرجع هو (ع) فى كثير من التوقيعات الصادرة منه فى فترة الغيبة الصغرى، أرجع الرواه فى أسئلتهم إلى ما روى عن المعصومين (عليهم السلام) من آباءه مما هو مودع فى أصول ونسخ وكتب رواه الحديث لدى الطائفة الإمامية.

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٣



## محدودية صلاحية النيابة ...: ص: ١٣

إنّ هذا الحدّ والميزان ليس خاصاً بمن يتشرفّ باللقاء فقط. بل هو يسرى على النواب الأربعة في فترة الغيبة الصغرى أيضاً، فقد روى الشيخ في كتاب الغيبة «(١)» أن النائب الثالث الحسين بن روح النوبختي جمع ما رواه عن رواة الأصحاب عن الأئمة الماضين (عليهم السلام)، فعرض الكتاب على علماء ومحدّثي قم، فصحّحو ما فيه عدا موضع واحد تبهوه على الخلل فيه، وهو ما رواه في حدّ زكاة الفطرة.

فليس دأبه (ع) أن يظهر تأويل الكتاب قبل ظهوره (ع) على يد أحد، سواء في الغيبة الصغرى أو الكبرى، بل هذا مدّخر ومؤجل إلى ظهوره، كما هو مفاد التوقعات في الغيبة الصغرى الصادرة عنه (ع)، ومفاد الروايات المستفيضة عن النبي (ص) وعن الأئمة (عليهم السلام) من آباءه، أنه يحيى الكتاب ويقيمه بعد ظهوره، وكذلك سُنّة النبي (ص) ودارس حكم النبيين.

## الانقطاع ومعنى الغيبة ...: ص: ١٣

ولا يظنّ ظانّ أنّ معنى هذه العقيدة الضرورية عند الطائفة الإمامية من انقطاع الاتصال الرسمي المعتبر بالحجة (ع) يعنى جمود الحجّة بن الحسن (ع) عن مهامه ودوره في قيادة البشرية ومواصلة مهامه الرسالية، وأنه (ع) ناء في أقاصى البلاد لا يتصدى للأمر تاركاً الجبل على الغارب بينما يعث بالأمر قوى الطغيان البشرى، بل لو ترك التصدى للأمر يوماً واحداً لساخت الأرض فساداً بأهلها، ولوقعت الحروب والبلايا في الأصدّة المختلفة على البشرية، كما قال (ع) في

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٤

التوقيع الشريف: «فإننا نحيط علماً بأننا نكم، ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم.. إننا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء، واصطلمكم الأعداء» «(١)»، بل هو (ع) يدبّر ويدير أمور البشرية جميعاً عبر أساليب خفية وأدوات غيبية منتظمة تحت الستار، لكن المقرر لتلك الإدارة أن لا تظهر إلى السطح والعلن في عصر الغيبة قبل ظهوره (ع)، وأيّ مدّع في العلن والعلانية يدّعى الاتصال به والارتباط معه (ع)، فهو دجل والأعيب واحتيال للتغريير بالسّدج من الناس، فالغيبة والانقطاع لا تعنى انعدام حضوره (ع)، في الساحة الاجتماعية والسياسية البشرية، بل تعنى انقطاع الاتصال من طرفنا ومن قبلنا باتجاهه (ع) لا انقطاعه هو (ع) عن التصرف في أمورنا وأمور البشرية وفي المجتمعات المختلفة، كما قال تعالى: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً»، «(٢)» أي يحول أمام الفساد في الأرض وسفك الدماء.

## عقيدة الانتظار ...: ص: ١٤

لا- ريب أن عقيدة انقطاع النيابة والسفارة في الغيبة الكبرى لا- تعنى الانقطاع القلبي والمعنوي عنه (ع)، بل اللازم على المؤمن دوام قراءة الزيارات المختلفة الواردة في الروايات التي يزار بها هو (ع)، والإكثار من الدعاء بالفرج، والقيام بالوظائف الشرعية في فضاء وجو الاعتقاد بإمامة المهدي (ع)، والتولي له، والتبرؤ من خصومه ومناوئيه ومنكريه، ومعايشة هذا الاعتقاد

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٥

والأمل بظهوره الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وأنه (ع) ولي الأمر كله، وبقية الله التي يقيم تعالى بها الحجّة والهداية. ولأجل ذلك فإن عقيدة الطائفة الإمامية في صلاحية المرجعية للفقهاء، هي كونها نيابية عنه (ع) نيابة لا بالخصوص، يستمد منها المجتهد والفقهاء الأحكام من الكتاب وسُنّة النبي (ص) وأهل بيته (عليهم السلام) عبر الروايات والأحاديث المروية عنهم (عليهم السلام)، كما يستمد بعض الصلاحيات للتصدي لبعض الأمور من المأذونية من قبله (ع) في التوقيع الشريف: «أما الحوادث الواقعة،

فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا» (١)».

### التفقه في الدين اعتصام من الضلال ... ص: ١٥

قال تعالى: فَلَوْ لَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (٢)».

وقال الإمام موسى بن جعفر (ع): «تفقهوا في دين الله، فإن الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسبب إلى المنازل الرفيعة والرتب الجليّة في الدين والدنيا، وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب، ومن لم يتفقه في دينه لم يرض الله له عملاً» (٣)».

وقال (ع): «اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنا» (٤)».

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٦

وقال أبو عبد الله (ع): «تفقهوا في الدين، فإنه من لم يتفقه في الدين فهو أعرابي» (١)».

وفي حديث آخر: «لم ينظر الله إليه يوم القيامة، ولم يذك له عملاً» (٢)».

وفي صحيح أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله (ع): «لوددت لو أن أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا» (٣)».

وروى بشير الدهان عنه (ع): «لا خير فيمن لا يتفقه من أصحابنا. يا بشير، إن الرجل منهم إذا لم يستغن بفقهه احتاج إليهم، فإذا احتاج إليهم أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم» (٤)».

وقال (ع): «الرواية لحديثنا يشدُّ به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد» (٥)».

وقال (ع): «إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين» (٦)».

وفي حديث آخر: «الكمال كل الكمال التفقه في الدين، والصبر على النائبة، وتقدير المعيشة» (٧)».

وفي آخر أيضاً: «كمال الدين طلب العلم والعمل به» (٨)».

وفي حديث قال (ع): «ألا لا خير في عبادة لا فقه فيها» (٩)».

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٧

وقال (ع): «ما من أحد يموت أحبُّ إلى إبليس من موت فقيه» (١)».

فمفاد هذه الأحاديث الشريفة أنّ الذي يدعى الوصول إلى المقامات الروحية عبر الرياضات النفسية والاستعداد النفسى أو نحو ذلك، مهما كان متنسكاً وأنه طوى الأوراد والأذكار والرياضات والختم في دورات عديدة وأربعينيات كثيرة، إذا لم يتفقه في الدين والشريعة فهو أعرابي لا يزكى الله تعالى له عملاً، كيف وهو لم يتعرف على حدود الله، ومواطن رضاه، وموارد سخطه، إذ أنه ليس بنبي ولا رسول، فمن لا يتقيد بحدود الشريعة كيف يتصور أنه على قرب منه تعالى، ومن ثم كان الفقيه وهو المبين والموضح لحدود الشريعة من الكتاب والسنة أبغض شيء لإبليس؛ لأنه بيان حدود الشريعة تفشل خطط وحيل إبليس وشبكات تسويلاته الروحية؛ ولأنّ التقيّد بالشريعة هو ميزان الاستقامة، وأن مرمى ومطمع إبليس في غوايته لكثير من الفرق والجماعات التي تتقمص السلك الروحي وتدعى الارتباط بمناجع الغيب، هو فسخ تلك الجماعات عن الالتزام بحدود الشريعة بارتكاب المحرمات والتنصل عن أداء الواجبات شيئاً فشيئاً، وبالتالي إغراؤها في الانسلاخ عن دين خاتم الأنبياء (ص).

ومن هنا كان الفقه والتفقه يوضح معالم الدين وحدود الشريعة وحدود الطريق إلى الله تعالى وتمايزه عن حدود الطريق إلى الغواية والضلال، كما أن الفقه يقف سداً منيعاً أمام التأويلات الباطلة الضالّة لنصوص القرآن والحديث، فإن تلك الجماعات تعتمد ضمن وسائلها الإقناعية لجذب الناس إلى مسيرها على تأويلات لنصوص الدين لا

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٨

تستند إلى ميزان وضابطة سوى الدعاوى وميول الأهواء وادعاء المقامات الغيبية والارتباط بالغيب كى تنطلى على أفراد الجماعة، أن كل ما يقولونه هو إلهام غيبى وإيحاء لى لا يقبل النقاش والمسألة، وهو فوق الاستدلال والبحث والنقد..

### نماذج قرآنية فى القدرة التكوينية لرواد الضلال ... ص: ١٨

على سبيل النبهة لا الاستقصاء:

منها: إبليس اللعين، فإنه كما يصفه القرآن الكريم بالتمكين الذى أعطاه الله له: يا بى آدَمَ لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون (١)

وقال تعالى: واسيتفزز من اسيتطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً (٢)

وقال تعالى: ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (٣)

، وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم (٤)

وقال تعالى: ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقض له شيطاناً فهو له قرين (٥)

وقال تعالى: وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل (٦)

، وغيرها من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٩

الآيات التى تتحدث عن المكنة والقدرة التى أعطها البارى تعالى لإبليس من التأثير على نفوس بنى آدم إلا المخلصين، وهى درجة من الملكوت لم ترق إليها القوى العظمى للدول البشرية عبر التاريخ إلى يومنا الحاضر، هذا مضافاً إلى تسخيره لمرده الشياطين والعفاريت جنوداً له ليسترقوا السمع ويراقبوا جمع البشرية من لدن آدم (ع) إلى يوم الوعد المعلوم.

ويبين أمير المؤمنين (ع) أن هذه المكنة والقدرة لم تعط لإبليس اللعين جزافاً واعتباطاً، قال (ع): «فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهد وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة، لا يدرى أمن سنى الدنيا أم من سنى الآخرة، عن كبر ساعته واحدة. فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته؟ كلا» (١).

فهذه الستة آلاف سنة التى لا يدرى أنها من سنى الأرض أو من سنى السماء التى عبد الله تعالى فيها، هى التى أوجبت الجزاء له بهذا التمكين، فهو قد ارتاض هذه المدّة ومضى حقاً فى الرياضة الروحية لكن ابتغى بها نتيجة بخسه، وهى التمكين فى دار الدنيا من سلطان الملكوت النازل، وهو فى الآخرة من الأخرين.

ومنها: العفريت من الشياطين، قال تعالى: قال يا أيها الملأ أئكم يأتيني بعزسيها قبل أن يأتوني مسلمين\* قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين\* قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي (٢)

، فيبين تعالى أن القدرة التى تمكّن منها العفريت نظير المكنة التى كانت

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٠

لدى آصف بن برخيا وصى النبى سليمان (ع) صاحب علم من الكتاب فى بعض جهاتها، وإن كانت دونها بعض الشىء، مع أن العفريت هو من الشياطين المسخرين للنبي سليمان (ع)، وهذه القدرة لم تكن سحراً وتخيلاً، بل قدرة حقيقية تتجلى بأن يأتى فى بضع دقائق بعرش ملكة سبأ من اليمن إلى فلسطين.

ومنها: بلعم بن باعورا، قال تعالى: **وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ \* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** (١)

والآية التى أوتيتها بلعم بن باعورا هى حرف من الاسم الأعظم، كما وردت بذلك الروايات، والاسم الأعظم ليس قولاً باللسان يصوت، بل هو الروح الأعظم، وإعطاء حرف منه يعنى الارتباط الروحى بدرجة من التأييد منه، ومع كل ذلك لم تكن نفس بلعم بن باعورا وشهوتها قد خدمت، بل تغلبت فى النهاية عليه، وأرادت تسخير هذا الارتباط الروحى بالاسم الأعظم تحت إمرتها، فكانت العاقبة أن انسلخت نفس بلعم عن هذا الارتباط والتأييد، فرغم القدرة التكوينية والمقام الذى وصل إليه، إلا أن ذلك لم يضمن عدم وقوعه فى الخطأ والمعصية، ولم يمنعه من الشطط والخطل.

ومن ثم قال جملة من المحققين من أهل المعرفة من الإمامية أن الشطط والسطحات التى تصيب وتعتور وتعرض على أهل الرياضات

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢١

الروحية دالة وكاشفة عن عدم سيطرتهم على جبل النفس وأنانية الذات، ففروعيتها بدل أن تموت تزداد قوة بقوة الرياضات الخاطئة أو غير المتقيدة بالشريعة، فالطريقة تكون بدون الشريعة طريقة شيطانية بدل أن تكون رحمانية، ومن ثم كان الفقه أمان من الزيغ والضلال لأصحاب الرياضات الروحية، كما هو أمان لبقية شرائح الأمة عن الانحراف، وهو من معانى أن التمسك بالثقلين أمان عن ضلال الأمة.

وفى الحقيقة أن دفائن طبقات النفس على تركيب غامض، فتجتمع ظواهر من الصفات الفضيلية العالية مع هذه الرذائل ذوات السوء الشديد، وإلى ذلك يشير ما رواه فى الاحتجاج عن الرضا (ع)، قال: قال على بن الحسين (ع): «إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه، وتماوت فى منطقته، وتخاضع فى حركاته، فرويداً لا- يغرّنكم، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب المحارم منها؛ لضعف نيته ومهانتها، وجبن قلبه، فنصب الدين فخاً لها، فهو لا- يزال يختل الناس بظاهره، فإن تمكّن من حرام اقتحمه، وإذا وجدتموه يعف عن المال الحرام فرويداً لا- يغرّنكم، فإن شهوات الخلق مختلفة، فما أكثر من ينبو عن المال الحرام، وإن كثر، ويحمل نفسه على شواء قبيحها فيأتى منها محرماً، فإذا وجدتموه يعف عن ذلك فرويداً لا يغرّنكم حتى تنظروا ما عقده عقله، فما أكثر من ترك ذلك أجمع، ثم لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسده بجعله أكثر مما يصلحه بعقله، وإذا وجدتم عقله متيناً فرويداً لا يغرّنكم حتى تنظروا أمع هواه يكون عقله، أو يكون مع عقله على هواه، وكيف محبته للرياسات الباطلة وزهده فيها، فإن فى الناس من خسر

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٢

الدنيا والآخرة بترك الدنيا للدنيا، ويرى أن لذة الرئاسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة حتى إذا قيل له: اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبس المهاد، فهو يخطب خبط عشواء ويقوده أول باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمدّه ربه بعد طلبه لما لا يقدر عليه فى طغيانه، فهو يحلّ ما حرّم الله، ويحرّم ما أحلّ الله، لا يبالي بما فات من دينه إذا سلمت له رئاسته التى قد يتقى من أجلها، فأولئك الذين غضب الله عليهم وأعدّ لهم عذاباً مهيناً... إلى أن قال: «ولكن الرجل كل الرجل، نعم الرجل، هو الذى جعل هواه تبعاً لأمر الله، وقواه مبذولة فى رضا الله، يرى الذل مع الحق أقرب إلى عزّ الأبد من العزّ فى الباطل، ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضررائها يؤدّيه إلى دوام النعيم فى دار لا تبيد ولا تنفد، وإن كثير ما يلحقه من سررائها إن اتبع هواه

يؤديه إلى عذاب لا انقطاع له ولا يزول، فذلكم الرجل نعم الرجل، فتمسكوا به، وبسئنته فاقتدوا، وإلى ربكم به فتوسلوا، فإنه لا ترد له دعوة، ولا تخب له طلبه» (١)». .

فمن ذلك ينبغى الالتفات إلى أن الرياضات الروحية تكسب النفس قدرات خارقة، كطى الأرض، وقراءة الضمير، والترائى فى منام الآخرين، والتصرف فى تلك الرؤى، وقراءة الأعمال الماضية أو المستقبلية، وغيرها من قدرات النفس التى قد يطلق عليها علماء الروح والنفس الجدد المحذثون: قوة التخاطر، والجللاء البصرى والسمعى، والتنويم المغناطيسى، وغيرها من قدرات وحركات الروح والاتصال مع

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٣

أرواح الموتى، وأنه لتحكى أفعال خارقة عن مرتاضى الهند أو فرق الصوفية المختلفة فى الصين وشرق آسيا وغيرها من المناطق، إلا أن كل ذلك ليس علامة النجاة ورضا الرب تعالى، فإن موطن ذلك التقوى والطاعة له تعالى.

### مفهوم العدالة يقرب إلى العصمة المكتسبة وذريعة التأويل ...: ص: ٢٣

ومن الأغاليط التى يرددها مدعو المقامات والمنازل الروحية، هو تفسير العدالة التى هى ملكة الاجتناب عن المعاصى فى السلوك العملى، بأن هذه الماهية هى عصمة مكتسبة، فيقلب عنوان العدالة إلى العصمة، وحيث لا يمكنهم دعوى أنها لدنية بنصب من الشريعة، يختلقون لها مخرجاً كونها مكتسبة وأن العصمة قابلة للاكتساب، وليس بالضرورة أن تكون وهبية لدنية منه تعالى، وأن العصمة وإن كانت شرطاً فى المعصومين الأربعة عشر (النبي (ص) وأهل بيته (عليهم السلام))، إلا أن ذلك لا يعنى حصرها فيهم، بل هى عامة قابلة للتحقق فى نوع البشر بالاكتساب، وأن العصمة الاكسابية يكفى فيها العصمة فى العمل وإن لم تكن عصمة فى العلم، أى يكفى فيها العصمة العملية دون أن تكون عصمة علمية، إلى غير ذلك من الإطارات التى يصيغونها قوالب لا تنطلى إلا على السذج وعلى قليلي البضاعة العلمية.

مع أنه لو فرض اجتناب شخص عن المعاصى من لدن بلوغه إلى مماته فليس ذلك يخرج عن حدّ العدالة، ويتجاوز به إلى حدّ العصمة، وأى فرق بين الماهيتين والمعنيين حينئذٍ، ثم أنه كيف يعقل انفكاك العصمة العملية عن العلمية، وهل يعقل لمن يضل الطريق أن تكون له

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٤

عصمة يمتنع عليه الخطأ فى العمل، مع أن علماء الإمامية فى علم الكلام قد أشبعوا البحث فى أن العصمة العملية وليدة العصمة العلمية، والعصمة تعنى امتناع صدور المعصية من المعصوم وقوعاً، وإن لم تكن ممتنعاً منه إمكاناً، وهذا بخلاف العدالة، فإنه وإن اجتنب المعاصى طيلة حياته إلا أنه لا يمتنع منه وقوع وصدور المعصية.

هذا مع أن العصمة تلازم الحجية الرسمية على الآخرين، فكيف يكون الشخص معصوماً ولا يكون حجة بذاته على الآخرين وينصّ الشرع الحنيف على لزوم أتباعه.

ومن هذه الدعوى يتطور الحال عند مدعى المنازل الروحية إلى دعاوى أكثر فأكثر، ويتطور بهم الحال إلى مزلق يخالفون بها الضرورات الشرعية تحت ذريعة التأويل الذى يفتحون بابه تغطية لتلك المخالفات، كما حصل ذلك لكل الفرق التى انحرفت عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

روى الكشى بسنده عن الصادق قوله (ع): «قوم يزعمون أنى لهم إمام، ما أنا لهم إمام، ما لهم لعنهم الله كلما سترت ستراً هتكوه، هتك الله ستورهم، أقول كذا، يقولون إنما يعنى كذا، إنما أنا إمام من أطاعنى» (١)».

وروى عنه (ع) (٢) أنه قال عن أبى الخطاب الذى انحرف بعد أن كان من أصحاب السرّ كبلعم بن باعورا، حين دخل ومعه سبعون

رجلاً: «ألا أخبركم بفضائل المسلم»، فلا أحسب أصغرهم إلّا قال: بلى جُعلت فداك، فقلت: «من فضائل المسلم أن يقال: فلان قارئ لكتاب الله (عزوجل)، وفلان ذو حظّ من ورع، وفلان يجتهد فى عبادته لرَبّه، فهذه من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٥

فضائل المسلم، ما لكم وللرياسات، إنما المسلمون رأس واحد، إيتاكم والرجال، فإن للرجال مهلكة، فإن أبى يقول: إن شيطاناً يقال له المذهب يأتى فى كل صورة، إلّا أنه لا يأتى فى صورة نبي ولا وصى نبي، ولا أحسب إلّا وقد تراءى لصاحبكم، فاحذروه، فبلغنى أنهم قتلوا معه فأبعدهم الله وأسحقهم إنّه لا يهلك على الله إلّا هالك».

محمد السند (١١/ ذى القعدة/ ١٤٢٤ هـ -)

يوم ميلاد الإمام الرضا (ع)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٧

### تنوع البحث ... ص: ٢٧

الحمد لله الذى يهدى من يشاء ويضلّ من يشاء وله الحجّة البالغة، والصلاة والسلام على محمد خاتم أنبيائه وسيد رسله الذى أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وعلى آله الأوصياء الهداء وخاتمهم المهدي المنتظر الذى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

وبعد، فقد قال جلّ وعلا: أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (١)

«يفتنون كما يفتن الذهب ويخلصون كما يخلص الذهب» (٢) كما قال الكاظم (ع)، «ولا بدّ للناس من أن يمتحصوا ويميزوا ويغربلوا، وسيخرج من الغربال خلق كثير» (٣)، كما جاء عن الصادق (ع).

وعن الباقر (ع) أنه قال: «لتمحصنّ يا شيعة آل محمد تمحيص الكحل فى العين، وإن صاحب العين يدرى متى يقع الكحل فى عينه ولا يعلم متى يخرج منها، وكذلك يصبح الرجل على شريعة من أمرنا ويمسى وقد خرج منها، ويمسى على شريعة من أمرنا، ويصبح وقد خرج

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٨

منها» (١). وفى خبر آخر: «والله لتمحصنّ، والله لتطيرن يميناً وشمالاً حتى لا يبقى منكم إلّا كل امرئ أخذ الله ميثاقه، وكتب الإيمان فى قلبه وأيده بروح منه». وفى رواية أخرى عنهم (عليهم السلام): «حتى لا يبقى منكم على هذا الأمر إلّا الأندر فالأندر» (٢). وفى رواية: «ولا يكون الذى تمدون إليه أعناقكم (وهو ظهور الحجّة (ع)) حتى يشقى من شقى ويسعد من سعد» (٣).

وإن من تلك الفتن العمياء هى توالى المدعين للنيابة الخاصة (الوساطة) والسفارة فى الغيبة الكبرى بأساليب وأشكال مختلفة وتسميات متعدّدة يموهون بها على مختلف أصناف الناس. فتارة تحت غطاء التشرف والفوز بلقاء الحجّة، وأخرى التظاهر بالتقى والورع والوصول إلى مقام الأبدال والأوتاد، وثالثة الرؤيا فى المنام، ورابعة السحر والشعبذة وإظهاره كمعجزة وكرامة، وخامسة المكاتبه و...

ومن ثمّ انتظم البحث فى هذه الصفحات بعدد تلك الشبهة (٤)، تنبيهاً على زيفها وإبانة لزيغها وإلّا فانقطاع السفارة فى الغيبة الكبرى كالنار على المنار وكالشمس فى رابعة النهار، حتى أن الشيخ أب القاسم جعفر بن محمد بن قولويه (٥) قال: (إنّ عندنا (أى الطائفة الإمامية) أن كل من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٩

ادعى الأمر (أى السفارة) بعد السمرى (١) (آخر النواب الأربعة فى الغيبة الصغرى) فهو كافر منمّس (محتال) ضال مضل (٢)،



- فلولا التلبيس بالأفئعة المتلوّنة والالتواء بالطرق المعوجّة لما كانت حاجة للخوض فى ذلك. ومنوال الجزء الأوّل من الكتاب كما يلى:
- الفصل الأوّل: فى الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة.
- الفصل الثانى: فى كون انقطاع النائب الخاص للإمام الحجة (ع) عقيدة من ضروريات الإمامية الإثنى عشرية، وفيه عشرة أمور:
- الأمر الأوّل: معنى النيابة.
- الأمر الثانى: كلمات علماء الطائفة رضوان الله عليهم.
- الأمر الثالث: النيابة العامة للفقهاء.
- الأمر الرابع: منابع الشريعة.
- الأمر الخامس: الرؤيا ليست مصدرًا للتشريع.
- الأمر السادس: نبذة من أحوال النواب الأربعة (رض) فى الغيبة الصغرى.
- الأمر السابع: ذكر المذمومين الذين ادّعوا البايئة («٣») لعنهم الله.
- الأمر الثامن: ثواب الثبات والتمسك بالدين فى الغيبة الكبرى وشدة المحنة.
- دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٣٠
- الأمر التاسع: تفسير الكتاب الوارد من الناحية المقدسة على الشيخ المفيد وتشرف عدّة من أساطين الفقه والعلم بلقائه (ع).
- الأمر العاشر: من هم الأبدال والأوتاد؟
- الفصل الثالث: فى الفرق التى انحرفت عن الطائفة الإمامية وكيفيه ذلك.
- الفصل الرابع: فى تاريخ البايئة فى إيران.
- الخاتمة: وفيها ثلاثة أمور:
- الأمر الأوّل: فى خروج الدجال.
- الأمر الثانى: ظهور الحجة (ع) وأصحابه.
- الأمر الثالث: فى ذم الجهل ومدح العلم.
- هذا ما وسع المجال لسطره وبالله التوفيق.
- أما الجزء الثانى فهو كما يلى:
- الفصل الأوّل: العقول والخواطر.
- الفصل الثانى: منظومة المعارف الدينية.
- الفصل الثالث: فتنة البصيرة.
- الفصل الرابع: حقيقة ومراتب الحجج.
- الفصل الخامس: القواعد الرقابية فى المعرفة.
- الفصل السادس: النيابة الخاصة.
- الفصل السابع: حقيقة النيابة الخاصة والسفارة.
- الفصل الثامن: مفهوم الغيبة بين الافراط والتفريط.
- الفصل التاسع: التوقيت والظهور.
- \*\*\*
- دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٣٣

## الفصل الأول: في الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة ... ص: ٣٣

لما كان طريق إثبات النبوة هي المعجزة التي هي من قبل الله تعالى وهي تفترق عن السحر كان من اللازم معرفة كل منهما بنحو عميق ودقيق، كي لا يلتبس الأمر ويعلم المحق من المبطل والصادق من الكاذب، سأل ابن السكيت، الرضا (ع) بعدما بين له علل وجه معجزات الأنبياء: فما الحجج على الخلق اليوم؟ فقال (ع): «العقل تعرف به الصادق على الله فتصدقه والكاذب على الله فتكذبه»، فقال ابن السكيت: هذا والله الجواب ((١)).

وسأل أبو بصير، الصادق (ع): لأي علمة أعطى الله (عز وجل) أنبياءه ورسله وأعطاكم المعجزة؟ فقال: «ليكون دليلاً على صدق من أتى به والمعجزة علامة لله لا يعطيها إلا أنبياءه ورسله وحججه ليعرف به صدق الصادق من كذب الكاذب» ((٢)).

قال المحقق الطوسي ((٣)) في التجريد: (وطريق معرفة صدقه (النبي (ص)) ظهور المعجزة على يده وهو ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفى ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى) ((٤)).

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٣٤

وقال العلامة الحلّي ((١)) في شرحه للتجريد في ذيل العبارة: (الثبوت والنفى سواء في الإعجاز فإنه لا فرق بين قلب العصا حية وبين منع القادر عن رفع أضعف الأشياء، وشرطنا خرق العادة لأن فعل المعتاد ونفيه لا يدل على الصادق، وقلنا: مع مطابقة الدعوى لأن من يدعى النبوة ويسند معجزته إلى إبراء الأعمى فيحصل له الصمم مع عدم براء الأعمى لا يكون صادقاً.

ولا بد في المعجزة من شروط أحدها: أن يعجز عن مثله أو عما يقاربه الأمة المبعوث إليها. الثاني: أن يكون من قبل الله تعالى أو بأمره. الثالث: أن يحدث عقيب دعوى المدعى للنبوة أو جارياً مجرى ذلك ونعني بالجارى مجرى ذلك أن يظهر دعوى النبي في زمانه ...

((٢)) الخامس: أن يكون خارقاً للعادة ((٣)).

وقال المحقق الطوسي في التجريد أيضاً: (المسألة الخامسة في الكرامات: وقصة مريم وغيرها تعطى جواز ظهورها [أي المعجزة] على الصالحين) ((٤))، وقال العلامة الحلّي في شرحه للعبارة: (استدل المصنف (رض) بقصة مريم، فإنها تدل على ظهور معجزات عليها وغيرها مثل قصة آصف وكالأخبار المتواترة المنقولة عن علي وغيره من الأئمة (عليهم السلام)).

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٣٥

وقال المحقق الطوسي بعد ذلك: (ولا يلزم خروجه عن الإعجاز ولا النفور ولا عدم التميز ولا إبطال دلالاته ولا العمومية).

وقال العلامة في شرحه: (إن المعجزة مع الدعوى مختص بالنبى (ص) فإذا ظهرت المعجزة على شخص فإما أن يدعى النبوة أو لا، فإن ادّعاها علمنا صدقه إذ إظهار المعجزة على يد الكاذب قبيح عقلاً، وإن لم يدع النبوة لم يحكم بنبوته، فالحاصل أن المعجزة لا تدل على النبوة ابتداءً، بل تدل على صدق الدعوى فإن تضمنت الدعوى النبوة دلت المعجزة على تصديق المدعى في دعواه ولا يلزم إظهار المعجزة على كل صادق إذ نحن إنما نجوز إظهارها على مدعى النبوة أو الصالح إكراماً لهما وتعظيماً وذلك لا يحصل لكل مخبر بصدق وإن امتياز النبي (ص) يحصل بالمعجزة واقتران دعوى النبوة، وهذا شيء يختص به دون غيره ولا يلزم مشاركة غيره له في المعجز مشاركة له في كل شيء، وكما لا يلزم الإهانة وانحطاط مرتبة الإعجاز مع ظهور المعجز على جماعة من الأنبياء كذا لا يلزم الإهانة مع ظهوره على الصالحين) ((١)).

وقال المحقق القمي (رض) ((٢)) في رسالته أصول الدين: (الإمام يعرف بالمعجزة فكل من ادعى الإمامة وأتى بالمعجزة فإنما تدل على صدقه مثل ما مضى في بعث النبوة) ((٣)).

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٣٦

وقال العلامة الحلّي في كتاب أنوار الملكوت ما حاصله: (المعجز أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، والتقييد بخارق للعادق لتمييز



المعجز عن غيره، وهذا القيد يُكتفى به عن التقييد بعدم المعارضة ليمتيز به عن السحر والشعبذة إذ السحر والشعبذة ليس بخارق للعادة وإن كانت خفية على أكثر الناس. وقيدنا الخارق للعادة بالاقتران بالتحدى ليمتيز المعجز عن الكرامات) (١١)).

وقال الحكيم المتبحر محمّد مهدي النراقي (٢) فى كتابه (أنيس الموحدين): (كل من ادعى النبوة أو الإمامة وصدر منه أمر خارق فهو صاحب كرامة) (٣)، ثم قال: (والفرق بين المعجزة والسحر والشعبذة هو أن السحر والشعبذة من الأمور العادية، ولكن أسبابهما تخفى على أكثر الناس، وهذا بخلاف المعجزة فهى ليست من الأمور العادية ولا يوجد لها سبب مطلقاً) (٤).

وتوضيح الكلام فى هذا المقام، أن الأمور العادية التى جرت عادة الله تعالى على وقوعها على قسمين: الأول: ما سببه ظاهر وهو يحصل إما من أسباب أرضية مثل تأثير بعض الأغذية والأدوية، وصيرورة النطفة إنساناً ونحو ذلك من الأسباب الأرضية التى تتفق، وإما تحصل من أسباب سماوية مثل الحرارة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٣٧

الحاصلة من الشمس، وإما تحصل من تركب الأسباب مثل تأثير الدواء المتناول فى جو هوائى خاص، ومثل تأثير الدعاء المكتوب فى وقت خاص، أو الذى يقرأ فى وقت خاص، وهذه كلها من الأمور التى جرت عادة الله تعالى على وقوعها بأسباب متوفرة ومتهيئة لأكثر الناس.

الثانى: هى التى تحصل أيضاً إما من أسباب أرضية أو سماوية أو كليهما، ولكن أسبابها مخفية على أكثر الناس، مثل السحر والشعبذة والطلسمات وعلم الحيل، والنيرنجات، وحيث إن لها أسباباً فالتعلم والتعليم حاصل فيها، أى إن كل من يعلم تلك العلوم يمكن له أن يعلمها غيره، بخلاف المعجزة، التى ليس لها سبب مطلقاً، لأنه من المعلوم أن شق القمر مثلاً لم يقع بسبب وحيلة ما، بل هو عطية إلهية يعطيها الله تبارك وتعالى لمن يشاء، ومن ذلك لا يستطيع صاحب المعجزة أن يعلمها غيره حيث إنه ليس لها علّة غير إرادة الله تعالى، فالتعليم فى المعجزة لا مجال له.

إذاً اتضح أن المعجزة خارقة للعادة.

وأما السحر والكهانة (١١) والشعبذة فليست بخارقة للعادة، بل هى أمور عادية أسبابها تخفى على أكثر الناس.

والتمييز بين المعجزة والسحر والشعبذة على من له عرفة من المعارف والعلوم فى نهاية السهولة حيث إنه يتمكن من العلم بأن الأمر له سبب أم لا، وأرباب السحر أسرع معرفة لذلك من بقية المتعلمين، ولذلك أول من آمن بالنبي موسى (ع) هم السحرة. ولكن هذا الفرق

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٣٨

يشكل على عامة الناس الاهتداء إليه فعليهم بمتابعة العلماء كى يشرق نور الحقيقة فى قلوبهم.

نعم، هنالك فرق آخر بين صاحب المعجزة والساحر يمكن لعامة الناس معرفته وهو أن صاحب المعجزة مهما طلب منه (١١) أمر خارق للعادة للاحتجاج به فإنه قادر على إظهاره مثلما طلب جماعة من المعاندين من نبينا (ص) كثيراً من الأمور الخارقة للعادة فأظهرها لهم، وكذلك بقية الأنبياء (عليهم السلام).

وهذا بخلاف الساحر، فإن عمله منحصر فى فعل خاص قد تعلمه، وإذا طلب منه أمر خارق للعادة آخر فإنه يعجز عن ذلك، ومن ذلك لم ير ولم يسمع أن ساحراً كان يأتى بكل ما يطلب منه.

أقول: فتحصّل مما تقدّم من كلمات الأعلام أن المعجزة أمر خارق للعادة يأتى بها من يدعى النبوة أو الإمامة إثباتاً لصدقه، وأن معجزات الأنبياء تتحدّى البشرية على مرّ العصور إلى يوم القيامة بأن يأتوا بمثلها، فأخرج النبي صالح (ع) للناقة من الجبل بانشقاقه تعجز البشرية مهما تطوّرت علومهم عن ذلك، وكذلك قلب العصا حية تسعى لتتقم سحر وإفك كل ساحر من النبي موسى (ع)، وكذلك إحياء الموتى وإبراء الأعمى والأكمه والأبرص من النبي عيسى (ع)، وكذلك شق القمر والقرآن الخالد لنبينا الأعظم (ص).

إذاً لا- بدّ من ادّعاء، وأمر خارق للعادة، كى يتحقق معنى المعجزة، ومن هنا يتضح أن كرامات أولياء الله الصالحين لا تسمى معجزة، لأنهم لا يدعون

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٣٩

لأنفسهم شيئاً، ولو ادعوا ما ليس لهم لما أعطاهم الله تلك الكرامات، وهذه السّيئة من الله تعالى حكمه بالغه كى لا تبطل حججه على عباده، ويتم الاحتجاج عليهم بعث الرسل وقيامه الأوصياء خلفاء الرسل.

قال العلامة الطباطبائى «(١)» فى تفسيره عند الكلام حول قدرة الأنبياء والأولياء: (الناس فى جهل بمقام ربهم وغفلة عن معنى إحاطته وهيمته، فهم مع ما تهديهم الفطرة الإنسانية إلى وجوده وأحدثه يسوقهم الابتلاء بعالم المادة والطبيعة والتوغل فى الأحكام والقوانين الطبيعية ثم السنن والنواميس الاجتماعية والأنس بالكثرة واللينونة إلى قياس العالم الربوبى بما ألفوا من عالم المادة، فإله سبحانه عندهم مع خلقه كجبار من جبابرة البشر مع عبيده ورعيته... لكن البراهين اليقينية تقتضى بفساد ذلك كله، فإنها تحكم بسريان الفقر والحاجة إلى الموجودات الممكنة فى ذواتها وآثار ذواتها وإذا كانت الحاجة إليه تعالى فى مقام الذات استحالة الاستقلال عنه والانزاعل منه على الإطلاق، إذ لو فرض استقلال لشيء عنه تعالى فى وجوده أو شيء من آثار وجوده بأى وجه فرض فى حدوث أو بقاء استغنى عنه من تلك الجهة وهو محال.

فكل ممكن غير مستقل فى شيء من ذاته وآثار ذاته، والله سبحانه هو الذى يستقل فى ذاته وهو الغنى الذى لا يفتقر فى شيء ولا يفقد شيئاً من الوجود وكمال الوجود كالحياء والقدرة والعلم فلا حد له يتحدد به...

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٤٠

وعلى ما تقدم كل ما للممكن من الوجود والحياء والقدرة والعلم متعلق الوجود به تعالى غير مستقل منه بوجه، والاستقلال يبطل الحاجة الإمكانية ولا فرق فيه بين الكثير والقليل كما عرفت، هذا من جهة العقل.

وأما من جهة النقل فالكتاب الإلهى وإن كان ناطقاً باختصاص بعض الصفات والأفعال به تعالى كالعلم بالمغيبات والإحياء والإماتة والخلق كما فى كثير من الآيات ولكنها جميعها مفسرة بآيات أخر كقوله: عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا\* إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ «(١)»، قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ «(٢)»، وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي «(٣)»، وانضمام الآيات إلى الآيات لا يدع شكاً فى أن المراد بالآيات النافية اختصاص هذه الأمور به تعالى بنحو الأصالة والاستقلال والمراد بالآيات المثبتة إمكان تحققها فى غيره تعالى بنحو التبعية وعدم الاستقلال.

فمن أثبت شيئاً من العلم الممكن أو القدرة الغيبية أعنى العلم من غير طريق الفكر والقدرة من غير مجراها العادى الطبيعى لغيره تعالى من أنبيائه وأوليائه كما وقع كثيراً فى الأخبار والآثار ونفى معه الأصالة والاستقلال بأن يكون العلم والقدرة مثلاً له تعالى وإنما ظهر ما ظهر منه بالتوسط ووقع ما وقع منه بإفاضة وجوده فلا حرج عليه، ومن أثبت شيئاً من ذلك على نحو الأصالة والاستقلال طبق ما يشتهه الفهم العامى وإن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٤١

أسنده إلى الله سبحانه وفيض رحمته لم يخل من غلو وكان مشمولاً لمثل قوله تعالى: لَا تَعْلُوا فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ «(١)».

وقال فى تفسيره فى ذيل قوله تعالى: وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ «(٢)»: (إن الآية بسياقها تتعرض لشأن آخر من شؤون اليهود وهو تداول السحر بينهم وأنهم كانوا يستندون فى أصله إلى قصة معروفة أو قصتين... أن اليهود كما يذكره عنهم القرآن أهل تحريف وتغيير فى المعارف والحقائق فلا- يؤمنون ولا- يؤمن من أمرهم أن يأتوا بالقصص التاريخية

محرّفه مغيرة على ما هو دأبهم في المعارف يميلون كل حين إلى ما يناسبه من منافعهم في القول والفعل.

وفيما يلوح من الآية أن اليهود كانوا يتناولون بينهم السحر وينسبونه إلى سليمان زعمًا منهم أن سليمان (ع) إنما ملك الملك وسخر الجن والإنس والوحش والطير وأتى بغرائب الأمور وخوارقها بالسحر الذي هو بعض ما في أيديهم وينسبون بعضه الآخر إلى الملكين بابل هاروت وماروت.

فردّ عليهم القرآن بأن سليمان (ع) لم يكن يعمل بالسحر، كيف والسحر كفر بالله وتصرف في الكون على خلاف ما وضع الله العادة عليه وأظهره على خيال الموجودات الحية وحواسها؟ ولم يكفر سليمان (ع) وهو نبي معصوم وهو قوله تعالى: وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٤٢

يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ (١١)، وقوله تعالى: وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ (٢).

فسليمان (ع) أعلى كعباً وأقدس ساحه من أن ينسب إليه السحر والكفر وقد استعظم الله قدره في مواضع من كلامه في عدّه من السور المكيّة النازلة قبل هذه السورة... إلى أن قال:

وفيها أنه كان عبداً صالحاً نبياً مرسلًا آتاه الله العلم والحكمة وهب له من الملك ما لا ينبغي لأحد من بعده فلم يكن بساحر، بل هو من القصص الخرافية والأساطير التي وضعتها الشياطين وتلوها وقرأوها على أوليائهم من الإنس وكفروا بإضلالهم الناس بتعليم السحر وردّ عليهم القرآن في الملكين بابل هاروت وماروت بأنه وإن نزل عليهما ذلك ولا ضير في ذلك لأنه فتنه وامتحان إلهي كما ألهم قلوب بني آدم وجوه الشر والفساد فتنه وامتحاناً وهو من القدر، فهما وإن أنزل عليهما السحر إلّا أنهما ما كانا يعلمان من أحد إلّا ويقولان له: إنما نحن فتنه فلا تكفر باستعمال ما تتعلمه من السحر في غير مورده كإبطال السحر والكشف عن بغى أهله وهم مع ذلك يتعلمون منهما ما يفسدون به أصلح ما وضعه الله في الطبيعة والعادة... إلى أن قال: لأن العقل لا يرتاب في أن السحر أشأم منابع الفساد في الاجتماع الإنساني (٣).

وفي تفسير العياشي والقمي في قوله تعالى: وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٤٣

الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ (١١)، عن الإمام الباقر (ع) في حديث: «فلما هلك سليمان وضع إبليس السحر وكتبه في كتاب ثم طواه وكتب على ظهره: هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود ذخائر كنوز العلم من أراد كذا وكذا فليعمل كذا وكذا، ثم دفنه تحت سريره ثم استتاره لهم فقرأه فقال الكافرون: ما كان يغلبنا سليمان إلّا بهذا، وقال المؤمنون: بل هو عبد الله ونييه، فقال الله جلّ ذكره: وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ» (٢... ٢).

(وإسناد الوضع والكتابة والقراءة إلى إبليس لا ينافي استنادها إلى سائر الشياطين من الجن والإنس لانتهاه الشر كله إليه، وانتشاره منه لعنه الله إلى أوليائه بالوحي والوسوسة وذلك شائع في لسان الأخبار) (٣).

ثم قال (رض) تحت عنوان (بحث فلسفي): (من المعلوم وقوع أفعال خارقة للعادة الجارية للمشاهدة والنقل، فقلما يوجد منّا من لم يشاهد شيئاً من خوارق الأفعال أو لم ينقل إليه شيء من ذلك قليل أو كثير إلّا أن البحث الدقيق في كثير منها يبين رجوعها إلى الأسباب الطبيعية العادية، فكثير من هذه الأفعال الخارقة يتقوى بها أصحابها بالاعتقاد والتمرين كأكل السموم وحمل الأثقال والمشى على جبل ممدود في الهواء إلى غير ذلك، وكثير منها تتكى على أسباب طبيعية مخفية على الناس مجهولة لهم كمن يدخل النار ولا يحترق بها من جهة طلاية الطلق ببدنه أو يكتب كتاباً لا خط عليه ولا يقرأه إلّا صاحبه وإنما كتب بمائع لا يظهر إلّا عرض لكتاب على النار إلى غير ذلك.

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٤٤

وكثير منها يحصل بحركات سريعة تخفى على الحس لسرعتها فلا يرى الحس إلا أنه وقع من غير سبب طبيعى كالخوارق التى يأتى بها أصحاب الشعبة فهذه كلها مستندة إلى أسباب عادية مخفية على حسنا أو غير مقدورة لنا، لكن بعض هذه الخوارق لا يحلل إلى الأسباب الطبيعية الجارية على العادة كالأخبار عن بعض المغيبات، وخاصة ما يقع منها فى المستقبل وأعمال الحب والبغض والعقد والحل والتنويم والتمريض وعقد النوم والإحضر والتحريرات بالإرادة مما يقع من أرباب الرياضات وهى أمور غير قابلة للإنكار، شاهدنا بعضاً منها ونقل إلينا بعض آخر نقلًا لا يطعن فيه، وهو ذا يوجد اليوم من أصحابها بالهند وإيران والغرب جماعة يشاهد منهم أنواع من هذه الخوارق.

والتأمل التام فى طرق الرياضات المعطية لهذه الخوارق والتجارب العملية فى أعمالهم وإرادتهم يوجب القول بأنها مستندة إلى قوة الإرادة والإيمان بالتأثير على تشنت أنواعها، فالإرادة تابعة للعلم والإذعان السابق عليه، فربما توجد على إطلاقها وربما توجد عند وجود شرائط خاصة ككتابة شىء خاص بمداد خاص فى مكان خاص فى بعض أعمال الحب والبغض أو نصب المرآة حيال وجه طفل خاص عند إحضار الروح أو قراءة عوذة خاصة إلى غير ذلك فجميع ذلك شرائط لحصول الإرادة الفاعلة.

فالعالم إذا تم علماً قاطعاً أعطى للحواس مشاهدة ما قطع به ويمكنك أن تختبر صحة ذلك بأن تلقن نفسك أن شيئاً كذا أو شخصاً كذا حاضر عندك تشاهده بحاستك ثم تخيله بحيث لا تشك فيه ولا تلتفت إلى عدمه ولا إلى شىء غيره فإنك تجده أمامك على ما تريد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٤٥

وربما توجد فى الآثار معالجة بعض الأطباء الأمراض المهلكة بتلقين الصحة على المريض، وإذا كان الأمر على هذا فلو قويت الإرادة أمكنها أن تؤثر فى غير الإنسان المرید نظير ما تجده فى نفس الإنسان المرید إما من غير شرط وقيد أو مع شىء من الشرائط. ويتبين بما مرّ أمور: أحدها: أن الملاك فى التأثير تحقق العلم الجازم من صاحب خرق العادة وأما مطابقتها هذا العلم للخارج فغير لازم كما كان يعتقد أصحاب تسخير الكواكب من الأرواح المتعلقة بالأجرام الفلكية ويمكن أن يكون من هذا القبيل الملائكة والشياطين الذى يستخرج أصحاب الدعوات والعزائم أسماءهم ويدعون بها على طرق خاصة عندهم، وكذلك ما يعتقد أصحاب إحضار الأرواح من حضور الروح فلا دليل لهم على أزيد من حضورها فى خيالهم أو حواسهم دون الخارج وإلا لراه كل من حضر عندهم وللكل حس طبيعى.

وبه تنحل شبهة أخرى فى إحضار روح من هو حى فى حال اليقظة مشغول بأمره من غير أن يشعر به والواحد من الإنسان ليس له إلا روح واحدة، وبه تنحل أيضاً شبهة وهى أن الروح جوهر مجرد لا نسبة له إلى زمان ومكان دون زمان ومكان، وبه تنحل أيضاً شبهة أخرى ثالثة وهى أن الروح الواحدة ربما تحضر عند أحد بغير الصورة التى تحضر بها عند آخر، وبه تنحل شبهة رابعة وهى أن الأرواح ربما تكذب عند الإحضار فى أخبارها وربما يكذب بعضها بعضاً. فالجواب عن الجميع: أن الروح إنما تحضر فى مشاعر الشخص المحضر لا فى الخارج منها على حد ما نحس بالأشياء المادية الطبيعية.

ثانيها: أن صاحب هذه الإرادة المؤثرة ربما يعتمد فى إرادته على

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٤٦

قوة نفسه وثبات أنيته كغالب أصحاب الرياضات فى إراداتهم فتكون لا محالة محدودة القوة مقيدة الأثر عند المرید وفى الخارج، وربما يعتمد فيه على ربه كالأنبياء والأولياء من أصحاب العبودية لله وأرباب اليقين بالله فهم لا يريدون شيئاً إلا لربهم وبربهم وهذه إرادة ظاهرة لا استقلال للنفس التى تطلع هذه الإرادة منها بوجه ولم تتلّون بشىء من ألوان الميول النفسانية ولا اتكاء لها إلا على الحق فهى إرادة ربانية غير محدودة ولا مقيدة والقسم الثانى إن أثرت فى مقام التحدى كغالب ما ينقل من الأنبياء سميت آية معجزة وإن تحققت فى غير مقام التحدى سميت كرامة أو استجابة دعوة إن كانت مع دعاء، والقسم الأول إن كان بالاستخبار والاستنصار من جن

أو روح أو نحوه سَمَى كهانة وإن كان بدعوة أو عزيمة أو رقية أو نحو ذلك سَمَى سحراً.

ثالثها: إن الأمر حيث كان دائراً مدار الإرادة فى قوتها وهى على مراتب من القوة والضعف أمكن أن يبطل بعضها أثر البعض كتقابل السحر والمعجزة أو أن لا- يؤثر بعض النفوس فى بعض إذا كانت مختلفة فى مراتب القوة وهو مشهود فى أعمال التنويم والإحضار) (١١).

ثم قال (رض) تحت عنوان (بحث علمى): (العلوم الباحثة عن غرائب التأثير كثير والقول الكلى فى تقسيمها وضبطها عسيرة جداً، وأعرف ما هو متداول بين أهلها ما نذكره:

منها: السيمياء وهو العلم الباحث عن تمزيج القوى الإرادية مع القوى الخاصة المادية للحصول على غرائب التصرف فى الأمور الطبيعية دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٤٧

ومنه التصرف فى الخيال المسمى بسحر العيون، وهذا الفن من أصدق مصاديق السحر.

ومنها: الليمياء وهو العلم الباحث عن كيفية التأثيرات الإرادية باتصالها بالأرواح القوية العالية كالأرواح الموكلة بالكواكب والحوادث وغير ذلك بتسخيرها أو باتصالها واستمدادها من الجن بتسخيرهم وهو فن التسخيرات.

ومنها: الهيمياء وهو العلم الباحث عن تركيب قوى العالم العلوى مع العناصر السفلية للحصول على عجائب التأثير وهو الطلسمات فإن للكواكب العلوية والأوضاع السماوية ارتباطات مع الحوادث المادية كما أن العناصر والمركبات وكيفياتها الطبيعية كذلك، فلو ركبت الأشكال السماوية المناسبة لحدثة من الحوادث كموت فلان وحياة فلان وبقاء فلان مثلاً مع الصورة المادية المناسبة أنتج ذلك الحصول على المراد وهذا معنى الطلسم.

ومنها: الريمياء وهو العلم الباحث عن استخدام القوى المادية للحصول على آثارها بحيث يظهر للحس أنها آثار خارقة بنحو من الأنحاء وهو الشعبذة، وهذه الفنون الأربعة مع فن خامس يتلوها وهو الكيمياء الباحث عن كيفية تبديل صور العناصر بعضها إلى بعض كانت تسمى عندهم بالعلوم الخمسة الخفية.

قال شيخنا البهائى: أحسن الكتب المصنفة التى فى هذه الفنون كتاب رأيته ببلدة هرات اسمه (كله سر) وقد ركب اسمه من أوائل أسماء هذه العلوم الكيمياء والليمياء والهيمياء والريمياء، انتهى ملخص كلامه. ومن الكتب المعتمدة فيها خلاصة كتب بليناس ورسائل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٤٨

الخسر وشاهى والذخيرة الإسكندرية والسر المكتوم للرازى والتسخيرات للسكاكى وأعمال الكواكب السبعة للحكيم طمطم الهندى. ومن العلوم الملحقة بما مرّ علم الأعداد والأوقاف وهو الباحث عن ارتباطات الأعداد والحروف للمطالب ووضع العدد أو الحروف المناسبة للمطلوب فى جداول مثلثة أو مربعة أو غير ذلك على ترتيب مخصوص.

ومنها: الخافية وهو تكسير حروف المطلوب أو ما يناسب المطلوب من الأسماء واستخراج أسماء الملائكة والشياطين الموكلة بالمطلوب والدعوة بالعزائم المؤلفة منها للنيل على المطلوب، ومن الكتب المعتمدة فيها عندهم كتب الشيخ أبى العباس التونى والسيد حسين الأخطاى وغيرهما.

ومن الفنون الملحقة بها الدائرة اليوم التنويم المغناطيسى وإحضار الأرواح وهما كما مرّ من تأثير الإرادة والتصرف فى الخيال، وقد ألف فيها كتب ورسائل كثيرة واشتهار أمرها يغنى عن الإشارة إليها ههنا والغرض مما ذكرنا على طوله إيضاح انطباق ما ينطبق منها على السحر أو الكهانة (١١)، انتهى كلامه.

أقول: والغرض من هذا التطويل فى النقل التنبيه على مدى وكثرة العلوم الغريبة الباحثة حول الأفعال التى بظاهاها خارقة للعادة ولكنها فى الحقيقة عادية لمن مارس وتعلم تلك العلوم أو تلك الرياضات الباعثة على تقوية الإرادة وتأثيرها وأن لهذه الأفعال أسباباً عادية

ولكنها خفية على أكثر الناس فيتوهم الجاهل أنها معاجز أو كرامات لصاحب تلك الأفعال والأمور.

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٤٩

وفي هذا العصر قد خصصت الجامعات والمعاهد العلمية الحديثة كليات وتخصصات مرتبطة بهذه العلوم كالتنويم المغناطيسي وعلم التنجيم وإحضار الأرواح والتبؤ والإخبار بالمغيبات المستقبلية الأرضية ونحو ذلك كثير ومن أراد الإطلاع فليراجع النشرات الدورية الصادرة من مختلف الجامعات الأكاديمية في البلدان المختلفة.

وفي الختام لهذا الفصل نتعرض لما قاله المحقق السيد الخوئي (رض) في الإعجاز وفرقه مع السحر والشعبذة ونحوها قال: (وهو في الاصطلاح أن يأتي المدعى لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه) (١). أقول: ولا يخفى أن التعميم في التعريف لكل منصب إلهي أتقن مما تقدم من التعريفات حيث لا ينحصر إظهار الفعل الخارق بمدعى النبوة والإمامة بل يعتم النواب والسفراء للإمام المعصوم (ع) كما نصّ على ذلك الشيخ المفيد (٢) في أوائل المقالات قال: (القول في ظهور المعجزات على المنصوبين من الخاصة والسفراء ... إلى أن قال:

أقول: إن ذلك جائز لا يمنع منه عقل وسنة ولا كتاب) (٣)، انتهى كلامه رفع مقامه.

ونصّ على ذلك السيد المرتضى في كتاب (الذخيرة) في فصل

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٥٠

عقده لذلك بعد الفصول التي ذكرها في معجزات الأنبياء وسيأتي ذكر بعض ما ظهر على أيديهم من الكرامات.

وقال السيد الخوئي (رض) تنمة لما سبق: (وإنما يكون المعجز شاهداً على صدق ذلك المدعى إذا أمكن أن يكون صادقاً في تلك الدعوى وأما إذا امتنع صدقه في دعواه بحكم العقل أو بحكم النقل الثابت عن نبي أو إمام معلوم العصمة فلا يكون ذلك شاهداً على الصدق ولا يسمى معجزاً في الاصطلاح وإن عجز البشر عن أمثاله).

مثال الأول: ما إذا ادعى أحد النبوة بعد نبي الإسلام، فإن هذه الدعوى كاذبة قطعاً بحكم العقل المقطوع بثبوتها الوارد عن نبي الإسلام وعن خلفائه المعصومين بأن نبوته خاتمة النبوات وإذا كانت الدعوى باطلة قطعاً، فماذا يفيد الشاهد إذا أقامه المدعى؟ ولا يجب على الله جلّ شأنه أن يبطل ذلك بعد حكم العقل باستحالة دعواه أو شهادة النقل بطلانها) (١).

أقول: تقييد دعوى صاحب الأمر أو الفعل الخارق للعادة بكون دعواه مما يحتمل صدقها عقلاً ونقلاً، أي لا يقوم دليل عقلي أو نقلي قطعياً على كذبه قد يوهّم أن الأمر الخارق للعادة ليس شاهداً قطعياً على الصدق وبالتالي لا تكون المعجزة شاهداً على الصدق، ولكن هذا الوهم فاسد فإن المراد أن قيام الدليل العقلي أو النقل القطعي كاشف عن عدم كون هذا الأمر خارقاً للعادة ومن قبل الله (عز وجل) ودليل على كون هذا الأمر خارقاً للعادة صورةً وظاهراً لا واقعاً أي إنه مخفي سببه لا أنه يعجز عنه البشر أجمع بل من يطلع على سببه يتمكن من ذلك.

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٥١

وقال (رض): (وليست من الإعجاز المصطلح عليه ما يظهره الساحر والمشعوذ أو العالم ببعض العلوم النظرية الدقيقة وإن أتى بشيء يعجز عنه غيره ولا- يجب على الله إبطاله إذا علم استناده في عمله إلى أمر طبيعي من سحر أو شعبذة أو نحو ذلك، وإن ادعى ذلك الشخص منصباً إلهياً وقد أتى بذلك الفعل شاهداً على صدقه فإن العلوم النظرية الدقيقة لها قواعد معلومة عند أهلها وتلك القواعد لا بدّ من أن توصل إلى نتائجها وإن احتاجت إلى دقّة في التطبيق وعلى هذا القياس تخرج غرائب علم الطب المنوطة بطبائع الأشياء وإن كانت خفية على عامة الناس بل وإن كانت خفية على الأطباء أنفسهم وليس من القبيح أن يختص الله أحداً من خلقه بمعرفة شيء من تلك الأشياء وإن كانت دقيقة وبعيدة عن متناول أيدي عامة الناس، ولكن القبيح أن يغري الجاهل بجهله وأن يجري المعجز على يد الكاذب فيضل الناس عن طريق الهدى) (١).



أقول: فبعد وضوح الموارد التي لا بد أن يبطلها الله تعالى والموارد التي ليست كذلك فلا يتوقع ذو الذهن الساذج أن كل مورد يقصر ذهنه ولم يبطله الله تعالى فهو معجز، بل عليه التحرى بنفسه أو بتوسط ذوى الخبرة والإطلاع كما مرّ في كلام الحكيم النراقى (رض) ((٢)).

وتابع السيد الخوئى قائلاً: (تكليف عامه البشر واجب على الله سبحانه وتعالى وهذا الحكم قطعى قد ثبت بالبراهين الصحيحة والأدلة العقلية الواضحة فإنهم محتاجون إلى التكليف فى طريق تكاملهم وحصولهم على السعادة الكبرى والتجارة الرابعة فإذا لم يكلفهم الله سبحانه فإما أن يكون ذلك لعدم علمه بحاجتهم إلى التكليف وهذا جهل يتنزه عنه الحق تعالى وإما لأن الله أراد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٥٢

حجبهم عن الوصول إلى كمالاتهم وهذا بخل يستحيل على الجواد المطلق، وإما لأنه أراد تكليفهم فلم يمكنه ذلك وهو عجز يمنع على القادر المطلق، وإذن فلا بد من تكليف البشر ومن الضرورى أن التكليف يحتاج إلى مبلغ من نوع البشر يوففهم على خفى التكليف وجليه: لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ((١)) ((٢)).

ومن الضرورى أيضاً أن السفارة الإلهية من المناصب العظيمة التي يكثر لها المدعون ويرغب فى الحصول عليها الراغبون، ونتيجة هذا أن يشبه الصادق بالكاذب ويختلط المضل بالهادى.

وإذن فلا بد لمدعى السفارة أن يقيم شاهداً واضحاً يدل على صدقه فى الدعوى وأمانته فى التبليغ، ولا يكون هذا الشاهد من الأفعال العادية التي يمكن غيره أن يأتي بنظيرها فينحصر الطريق بما يخرق نواميس الطبيعة.

وإنما يكون الإعجاز دليلاً على صدق المدعى، لأن المعجز فيه خرق للنواتيس الطبيعية، فلا يمكن أن يقع من أحد إلا بعناية الله تعالى وإقدار منه، فلو كان مدعى النبوة كاذباً فى دعواه كان إقداره على المعجز من قبل الله تعالى إغراءً بالجهل وإشارة بالباطل، وذلك محال على الحكيم تعالى... وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى فى كتابه الكريم: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ \* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ((٣)).

\*\*\*

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٥٥

## الفصل الثانى فى كون انقطاع النائب الخاص للإمام (ع) عقيدة من ضروريات مذهب الإمامية الإثنى عشرية ... ص: ٥٥

### إشارة

ونذكر فيه أموراً:

### الأمر الأول معنى النيابة لغة ... ص: ٥٥

ففى مجمع البحرين للطريحي: (ناب فلان عنى قام مقامى، وناب الوكيل عنى فى كذا ينوب نيابة فهو نائب) ((١))، ومثله فى تاج العروس ((٢)). ومن هنا عرف الفقهاء الوكالة بالنيابة أو الإستنابة والغالب فى استعمال النيابة هو فيما كان مورد النيابة محدوداً ومقتيداً أى إن النائب ينوب عن المنوب عنه فى متعلق محدود معين، وأما إذا كان المورد غير محدود وذا شؤون عديدة فذلك نحو من إعطاء الولاية من المنوب عنه إلى النائب، فيقال: ولّاه أو نصبه والياً فى كذا، وإذا اتسعت الدائرة أكثر من ذلك فيقال: استخلاف وقد جعل خليفة.

وعلى أيّة حال فى موارد النيابة والوكالة المتعلق يكون محدوداً ومعيناً.

\*\*\*

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٥٦

**الأمر الثاني كلمات علماء الطائفة ... ص: ٥٦**

قال بعض الحكماء: إنه لا يستدل على الضروري وإنما يتب عليه، فما ظاهره استدلال إنما هو تنبيه، إذ بمجرد التنبيه يحصل الالتفات إلى ضرورته، وهكذا ما نحن فيه وهو انقطاع النائب الخاص للإمام الحجة (ع) عند الإمامية، فما نسطره من كلمات العلماء الأعلام ووجوه الطائفة الإثني عشرية إنما هو تنبيه على التسالم والضرورة عندهم.

وليعلم أن معنى النائب الخاص هو استنابة الإمام (ع) شخصاً بخصوصه في شيء معين كما في قول الإمام الحسن العسكري (ع): «العمري (عثمان بن سعيد) وابنه (محمد) ثقتان فما أذيا إليك عنى فعنى يؤديان، وما قال لك فعنى يقولان، فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان» (١) ومعنى النائب العام والمرجع الديني هو استنابة الإمام (ع) كل من توفرت فيه صفات معينة في أمر معين كما في قول الصادق (ع): «من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً» (٢)، وهو تنصيب للفقهاء العارفين بالأحكام عن طريق روايات الأئمة (عليهم السلام) أن يقضوا بين الناس.

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٥٧

وكذلك قول الحجة المنتظر (ع) في رواية الطبرسي في كتابه الاحتجاج: «فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا كلهم، فإن من ركب من القبائح والفواحش مراكب علماء العامة فلا تقبلوا منهم عناً شيئاً، ولا كرامة» (١)، وهو تنصيب للفقهاء العدول كمرجع ديني لبيان الأحكام الشرعية وتعلم الشيعة ذلك منهم وسيأتي تفصيل ذلك.

ومجمله أن النيابة الخاصة في المقام هي استنابة الإمام (ع) شخصاً لإيصال أقواله وأوامره للشيعة وأخذ الحقوق الشرعية كالخمس والزكاة، ولذا أطلق لفظ السفير على النواب الأربعة وهم: عثمان بن سعيد العمري، ومحمد ابنه، والحسين بن روح النوبختي، وعلى بن محمد السمرى في الغيبة الصغرى (٣٢٩ ٢٦٠ هـ-)، حيث إن الأربعة كان عملهم كالوسيط بين الإمام (ع) والشيعة، ويقرب من هذا المعنى استعمال لفظ السفير في يومنا هذا على ممثلي الدولة في البلدان المختلفة. وذلك يطلق على هذا النحو من النيابة السفارة. وأما النيابة العامة فهي استنابة الإمام (ع) كل من وجدت فيه صفات كما مر لمنصب القضاء والإفتاء ونحو ذلك مما سيأتي بالأخذ والاستنباط من كتاب الله العزيز والروايات المأثورة عن الأئمة (عليهم السلام)، أي لا بالأخذ المباشر منه (ع) لوقوع الغيبة الكبرى حتى يظهر ويخرج بإذن الله تعالى وذلك حين تقع علامات الظهور كالصيحة من السماء والخسف بالبيداء وخروج السفيناني وقتل النفس الزكية بمكة.

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٥٨

ولنذكر كلمات العلماء الذين هم أمناء الأئمة (عليهم السلام) على الحلال والحرام والفرائض والسنن:

قال الشيخ أبو القاسم بن محمد بن قولويه صاحب كتاب (كامل الزيارات) أستاذ الشيخ المفيد في الفقه والذي قال النجاشي فيه: كلما يوصف به الناس من جميل وفقه فهو فوقه: (إن عندنا أي الطائفة الإمامية الشيعة أن كل من ادعى الأمر أي السفارة والباب بعد السمرى آخر النواب الأربعة في الغيبة الصغرى فهو كافر منتمس محتال ضال مضل) (١).

قال الشيخ سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي الذي قال عنه النجاشي (٢): «يكنى أبا القاسم جليل القدر واسع الأخبار شيخ هذه الطائفة وفقهها ووجهها في كتاب (المقالات والفرق) (٣):»

(فنحن متمسكون بإمامة الحسن بن علي (ع) مقرّون بوفاته موقنون مؤمنون بأن له خلفاً من صلبه متديّنون بذلك وأنه الإمام من بعد



أبيه الحسن بن على وأنه فى هذه الحالة مستتر خائف مغمور مأمور بذلك حتى يأذن الله (عزوجل) له فيظهر ويعلن أمره، كظهور من مضى من آباءه إذ الأمر لله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء وأمر بما يريد من ظهور وخفاء ونطق وصموت كما أمر رسوله (ص) فى حال نبوته بترك إظهار أمره والسكوت والإخفاء من أعدائه والاستتار وترك إظهار النبوة التى هى أجل وأعظم وأشهر من الإمامة، فلم يزل كذلك سنين إلى أن أمره

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٥٩

بإعلان ذلك وعند الوقت الذى قدره تبارك وتعالى فصارع بأمره وأظهر الدعوة لقومه.

ثم بعد الإعلان بالرسالة وإقامة الدلائل المعجزة والبراهين الواضحة اللازمة بها الحجّة وبعد ... قريش وسائر الخلق من عرب وعجم وما لقي من الشدة ولقيه أصحابه من المؤمنين أمرهم بالهجرة إلى الحبشة، وأقام هو مع قومه حتى توفى أبو طالب فخاف على نفسه وبقية أصحابه، فأمره الله عند ذلك بالهجرة إلى المدينة المنورة وأمره بالاختفاء فى الغار والاستتار من العدو، فاستتر أياماً خائفاً مطلوباً حتى أذن الله له وأمره بالخروج.

وكيف بالغريب الوحيد الشريد الطريد المطلوب الموتور بأبيه وجدّه هنا مع القوم المشهور من أمير المؤمنين على المنبر: «لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة. إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً. لئلا تبطل حجج الله وبيناته» (١) وبذلك جاءت الأخبار الصحيحة المشهورة عن الأئمة.

وليس على العباد أن يبحثوا عن أمور الله ويقفوا أثر ما لا - علم لهم به ويطلبوا إظهاره فستره الله عليهم وغيبه عنهم قال الله (عزوجل) لرسوله: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» (٢) فليس يجوز لمؤمن ولا مؤمنة طلب ما ستر الله ولا البحث عن اسمه وموضعه ولا السؤال عن أمره ومكانه حتى يؤمروا بذلك، إذ هو (ع) غائب خائف مغمور مستور بستر الله متبع لأمره (عزوجل) ولأمر آباءه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٦٠

بل البحث عن أمره وطلب مكانه والسؤال عن حاله وأمره محرّم لا يحل ولا يسع، لأن فى طلب ذلك وإظهاره ما ستره الله عنا وكشفه وإعلان أمره والتنويه باسمه معصية الله والعون على سفك دمه (ع) ودماء شيعته وانتهاك حرمة أعاذ الله من ذلك كل مؤمن ومؤمنة برحمته وفى ستر أمره والسكوت عن ذكره حقها، وصيانتها سلامة ديننا والانتهاج إلى أمر الله وأمر أئمتنا وطاعتهم، وفقنا الله وجميع المؤمنين لطاعته ومرضاته بمنه ورأفته.

ولا - يجوز لنا ولا - لأحد من الخلق أن يختار إماماً برأيه ومعقوله واستدلّاه، وكيف يجوز هذا وقد حظه الله جلّ وتعالى على رسله وأبيائه وجميع خلقه، فقال فى كتابه إذ لم يجعل الاختيار إليهم فى شىء من ذلك: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ» (١)، وقال: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» (٢)، وإنما اختيار الحجج والأئمة إلى الله (عزوجل) وإقامتهم إليه فهو يقيمهم ويختارهم ويخفيهم، وإذا شاء يقيمهم فيظهرهم ويعلن أمرهم إذا أراد ويستتره إذا شاء فلا يبيده، لأنه تبارك وتعالى أعلم بتدبيره فى خلقه وأعرف بمصلحتهم، والإمام أعلم بأمر نفسه وزمانه وحوادث أمور الله منا ... إلى أن قال:

فهذه سبيل الإمامة وهذا المنهاج الواضح والغرض الواجب اللازم الذى لم يزل عليه الإجماع من الشيعة الإمامية المهتدية رحمة الله عليها، وعلى ذلك كان إجماعنا إلى يوم مضى الحسن بن على رضوان الله عليه).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٦١

وقال أبو محمّد الحسن بن موسى النوبختى المتكلم الفيلسوف من أكابر الطائفة وعظماء سلالة بنى النوبخت فى كتابه (فرق الشيعة) (١): «(فنحن مستسلمون بالماضى (العسكرى) وإمامته مقرّون بوفاته معترفون بأن له خلفاً قائماً من صلبه وأن خلفه هو الإمام من بعده حتى يظهر ويعلن أمره كما ظهر وعلن أمر من مضى قبله من آباءه ... إلى أن قال:

وبه جاءت الأخبار الصحيحة عن الأئمة الماضين، لأنه ليس للعباد أن يبحثوا عن أمور الله ويقفوا بلا علم ويطلبوا آثار ما ستر عنهم... وقد رويت أخبار كثيرة أن القائم تخفى عن الناس ولادته ويخمل ذكره ولا يعرف... إلى أن قال: فهذا سبيل الإمامة والمنهاج الواضح اللاحظ الذي لم تزل الشيعة الإمامية الصحيحة التشيع عليه).

وقال الشيخ المفيد في كتاب (الإرشاد) في باب ذكر القائم وتاريخ مولده ودلائل إمامته (٢): (وكان الخبر بغيبته ثابتاً قبل وجوده، وبدولته مستفيضاً قبل غيبته، وهو صاحب السيف من أئمة الهدى (عليهم السلام) والقائم بالحق المنتظر لدولة الإيمان، وله قبل قيامه غيبتان إحداهما أطول من الأخرى، كما جاءت بذلك الأخبار.

فأما القصرى منهما منذ وقت مولده إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وعدم السفراء بالوفاء. وأما الطولى فهي بعد الأولى وفي آخرها يقوم بالسيف، قال الله (عز وجل): وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٦٢

الْوَارِثِينَ \* وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (١)، وقال جل اسمه: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (٢)، وقال رسول الله (ص): «لن تنقضى الأيام والليالي حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً» (٣).

وقال (رض) في الرسائل الخمس التي ألفتها في الغيبة في الرسالة الثانية (٤): (فإن قال: إذا كان الإمام عندكم غائباً ومكانه مجهولاً فكيف يصنع المسترشد، وعلى ماذا يعتمد الممتحن فيما ينزل به من حادث لا يعرف له حكماً وإلى من يرجع المتنازعون لاسيما والإمام إنما نصب لما وصفناه؟ قيل له: هذا السؤال مستأنف لا نسبه له بما تقدم ولا صلة بينه وبينه وقد مضى السؤال الأول في معنى الخبر وفرض المعرفة.

وجوابه على انتظام ونحن نجيب عن هذا المستأنف بموجب لا يخل بمعنى التمام وبالله التوفيق فنقول: إنما الإمام نصب لأشياء كثيرة، أحدها: الفصل بين المختلفين.

الثاني: بيان الحكم للمسترشدين. ولم ينصب لهذين دون غيرهما من مصالح الدنيا والدين، غير أنه إنما يجب عليه القيام فيما نصب له مع التمكن من ذلك والاختيار وليس يجب عليه شيء لا يستطيعه، ولا يلزمه فعل الإيثار مع الاضطرار، ولم يؤت الإمام في التقيّة من قبل الله (عز وجل) ولا

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٦٣

من جهة نفسه وأوليائه المؤمنين، وإنما أتى ذلك من قبل الظالمين الذين أباحوا دمه ونفوا نسبه وأنكروا حقه وحملوا الجمهور على عداوته ومناصبه القائلين بإمامته، وكانت البلية فيما تتضيق من الأحكام وتتعلّل من الحدود ويفوت من الصلاح متعلقة بالظالمين، وإمام الأنام برىء منها وجميع المؤمنين.

فأما الممتحن بحادث يحتاج إلى علم الحكم فيه فقد وجب عليه أن يرجع ذلك إلى العلماء من شيعة الإمام وليعلم ذلك من جهتهم مما استودعوه من أئمة الهدى المتقدمين، وإن عدم ذلك والعياذ بالله ولم يكن فيه حكم منصوص على حال فيعلم أنه على حكم العقل، لأنه لو أراد الله أن يتعبّد فيه بحكم سمعي لفعل ذلك ولو فعله لسهل السبيل إليه.

وكذلك القول في المتنازعين يجب عليهم ردّ ما اختلفوا فيه إلى الكتاب والسنة عن رسول الله (ص) من جهة خلفائه الراشدين من عترته الطاهرين ويستغنوا في معرفة ذلك بعلماء الشيعة وفقهائهم، وإن كان والعياذ بالله لم يوجد فيما اختلفوا فيه نصّ على حكم سمعي فيعلم أن ذلك مما كان في العقول مثل أن من غضب إنساناً شيئاً فعلياً رده بعينه إن كانت عينه قائمة فإن لم تكن عينه قائمة كان عليه تعويضه بمثله وإن لم يوجد له، مثل: كان له أن يرضى خصمه بما تزول معه ظلامته، فإن لم يستطع ذلك أو لم يفعله مختاراً

كان فى ذمته إلى يوم القيامة، فإن كان جان جنى على غيره جناية لا يمكن تلافيتها كانت فى ذمته وكان المجنى عليه ممتحناً بالصبر إلى أن ينصفه الله تعالى يوم الحساب، فإن كان الحادث مما لا يعلم بالسمع إباحته من حضره فإنه على الإباحة إلا أن يقوم دليل سمعى على حضره.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٦٤

وهذا الذى وصفناه إنما جاز للمكلف الاعتماد عليه والرجوع إليه عند الضرورة بفقد الإمام المرشد، ولو كان الإمام حاضراً ما وسعه غير الردّ والعمل على قوله، وهذا قول خصومنا كافة: إن على الناس فى نوازلهم بعد النبى (ص) أن يجتهدوا فيها عند فقدهم النصّ عليها، ولا يجوز لهم الاجتهاد واستعمال الرأى بحضرة النبى (ص).

فإن قال: فإذا كانت عبادتكم تتم بما وصفتموه مع غيبة الإمام فقد استغنيتم عن الإمام.

قيل له: ليس الأمر كما ظننت فى ذلك، لأن الحاجة إلى الشىء وقد تكون قائمة مع فقد ما يسدها، ولولا ذلك ما كان الفقير محتاجاً إلى المال مع فقد، ولا المريض محتاجاً إلى الدواء وإن بعد وجوده، والجاهل محتاجاً إلى العلم وإن عدم الطريق إليه، والمتحير إلى الدليل وإن لم يظفر به.

ولو لزمنا ما ادّعىتموه وتوهمتموه للزم جميع المسلمين أن يقولوا: إن الناس كانوا فى غيبة النبى (ص) للهجرة وفى الغار مستغنين عنه، وكذلك حالهم فى وقت استتاره بشعب أبى طالب (ع)، وكان قوم موسى (ع) أغنياء عنه فى حال غيبته عنهم لميقات ربه، وكذلك أصحاب يونس (ع) أغنياء عنه لما ذهب مغضباً والتقمه الحوت وهو مليم، وهذا مما لا يذهب إليه مسلم ولا ملئ فيعلم بذلك بطلان ما ظنّه الخصوم وتوهموه على الظنّ والرجوم وبالله التوفيق).

وقال طيب الله رمسه فى الرسالة الرابعة فى الغيبة (١١): (المهدى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٦٥

الذى يظهر الله به الحق، ويبيد بسيفه الضلال، وكان المعلوم أنه لا يقوم بالسيف إلا مع وجود الأنصار واجتماع الحفدة والأعوان، ولم يكن أنصاره (ع) عند وجوده متهيين إلى هذا الوقت موجودين، ولا على نصرته مجتمعين، ولا كان فى الأرض من شيعته طراً من يصلح للجهد وإن كان يصلحون لنقل الآثار وحفظ الأحكام والدعاء له بحصول التمكّن من ذلك إلى الله (عزوجل) لزمته التقية ووجوب فرضها عليه كما فرضت على آبائه (عليهم السلام)، لأنه لو ظهر بغير أعوان لألقى نفسه بيده إلى التهلكة، ولو أبدى شخصه للأعداء لم يألوا جهداً فى إيقاع الضرر به واستئصال شيعته وإراقة دمايهم على الاستحلال، فيكون ذلك أعظم للفساد فى الدين والدنيا).

وقال الشيخ الصدوق (١١) رضوان الله تعالى عليه فى كتابه (إكمال الدين وإتمام النعمة) فى الباب الثانى والأربعين ما روى فى ميلاد القائم (ع) (٢): بسنده إلى غياث بن أسيد قال: ولد الخلف المهدى (ع) يوم الجمعة، وأمه ريحانة ويقال لها: نرجس، ويقال لها: صقيل، ويقال: سوسن، إلا أنه قيل لسبب الحمل: صقيل، وكان مولده (ع) لثمان خلون من شعبان سنة ست وخمسين ومائتين، ووكيله عثمان بن سعيد، فلما مات عثمان أوصى إلى ابنه أبى جعفر محمّد بن عثمان، وأوصى أبو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٦٦

جعفر إلى أبى القاسم الحسين بن روح، وأوصى أبو القاسم إلى أبى الحسن على بن محمّد السمرى (رض)، قال: فلما حضرت السمرى الوفاة سئل أن يوصى فقال: لله أمر هو بالغه، فالغيبة التامة هى التى وقعت بعد مضى السمرى (رض).

وقال رفع الله درجته فى أعلى عليين فى الكتاب المزبور فى الباب الخامس والأربعين فى ذكر التوقيعات (١١): (حدّثنا أبو محمّد الحسن بن محمّد المكتّب (٢)، قال: كنت بمدينة السلام فى السنة التى توفى فيها الشيخ على بن محمّد السمرى قدس الله روحه فحضرته قبل وفاته بأيام، فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا على بن محمّد السمرى، أعظم الله أجر إخوانك

فيك فإنك ميت ما بينك وبين سته أيام، فاجمع أمرك، ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة الثانية فلا ظهور إلا بعد إذن الله (عزوجل)، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلب وامتلاء الأرض جوراً.  
وسياتى شيعتى من يدعى المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفينى والصيحة فهو كاذب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم».

قال: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو وجود بنفسه، فقيل له: من وصيتك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه، ومضى (رض)، فهذا آخر كلام سمع منه).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٦٧

وقال عطر الله مرقدته فى مقدمته كتابه المزبور: (إن الذى دعانى إلى تأليف كتابى هذا: أنى لما قضيت وطرى من زيارة على بن موسى الرضا صلوات الله عليه رجعت إلى نيسابور وأقمت بها فوجدت أكثر المختلفين إلى من الشيعة قد حيرتهم الغيبة ودخلت عليهم فى أمر القائم (ع) الشبهة وعدلوا عن طريق التسليم إلى الآراء والمقاييس، فجعلت أبذل مجهودى فى إرشادهم إلى الحق وردهم إلى الصواب بالأخبار الوارد فى ذلك عن النبى والأئمة صلوات الله عليهم).

وقال الشيخ الطوسى ((١)) فى كتاب الغيبة ((٢)): (ذكر أمر أبى الحسن على بن محمد السمرى بعد الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح (رض) وانقطاع الاعلام به وهم الأبواب: أخبرنى جماعة عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه، (قال): قال: حدّثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق، عن الحسن بن على بن زكريا بمدينة السلام، قال: حدّثنا أبو عبد الله محمد بن خليلان، قال: حدّثنى أبى، عن جدّه عتاب من ولد عتاب بن أسيد، (قال): ولد الخلف المهدي صلوات الله عليه يوم الجمعة وأمه ريحانه، ويقال لها: نرجس، ويقال: صقيل، ويقال لها: سوسن، إلا أنه قيل بسبب الحمل: صقيل.

وكان مولده لثمان خلون من شعبان سنة ست وخمسين ومائتين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٦٨

ووكليه عثمان بن سعيد أوصى إلى أبى جعفر محمد بن عثمان، وأوصى أبو جعفر إلى أبى القاسم الحسين بن روح (رض)، وأوصى أبو القاسم إلى أبى الحسن على بن محمد السمرى (رض)، فلما حضرت السمرى الوفاة سئل أن يوصى فقال: (لله أمر هو بالغه)، فالغيبة التامة هى التى وقعت بعد مضى السمرى (رض).

(وأخبرنى) محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد)، والحسين بن عبيد الله (الغضائرى) ((١))، عن أبى عبد الله محمد بن أحمد الصفوانى ((٢))، قال: أوصى الشيخ أبو القاسم (رض) إلى أبى الحسن على بن محمد السمرى (رض) فقام بما كان إلى أبى القاسم، فلما حضرت الوفاة حضرت الشيعة عنده وسألته عن الموكل بعده ولمن يقوم مقامه، فلم يظهر شيئاً من ذلك، وذكر أنه لم يؤمر بأن يوصى إلى أحد بعده فى هذا الشأن.

(وأخبرنى) جماعة، عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه، قال: حدّثنا أبو الحسن صالح بن شعيب الطالقانى فى ذى القعدة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، قال: حدّثنا أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن مخلد، قال: حضرت بغداد عند المشايخ (رح) فقال الشيخ أبو الحسن على بن محمد السمرى (رض) ابتداء منه: (رحم الله على بن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٦٩

الحسين بن بابويه القمى)، قال: فكتب المشايخ تاريخ ذلك اليوم، فورد الخبر أنه توفى فى ذلك اليوم، ومضى أبو الحسن السمرى (رض) بعد ذلك فى النصف من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة.

(وأخبرنا) جماعة، عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه، قال: حدّثنى أبو محمد الحسن بن أحمد المكتب ((١))، قال: كنت بمدينة السلام فى السنة التى توفى فيها الشيخ أبو الحسن على بن محمد السمرى (رض) فحضرت قبل وفاته بأيام، فأخرج إلى

الناس توقيعاً نسخته:

«بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمرى، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك، ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتى لشيعتى من يدعى المشاهدة، ألا- فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفينى والصيحة فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

(قال): فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يوجد بنفسه، فقيل له: من وصيك من بعدك؟ فقال: (لله أمر هو بالغه) وقضى، فهذا آخر كلام سمع منه رضى الله عنه وأرضاه.

(وأخبرنى) الحسين بن إبراهيم، عن أبى العباس بن نوح عن أبى نصر هبة الله بن محمد الكاتب، أن قبر أبى الحسن السمرى (رض) فى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٧٠

الشارع المعروف بشارع الخنجى من ريع باب المحول قريب من شاطئ نهر أبى عتاب ((١))، وذكر أنه مات (رض) فى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة). انتهى كلام الشيخ الطوسى فى كتابه (الغيبة).

وقال الشيخ الأجل ابن أبى زينت محمد بن إبراهيم النعمانى من أعلام القرن الرابع، والتلميذ الخصى بالشىخ الكلينى صاحب كتاب (الكافى)، قال فى كتابه الغيبة فى فصول ما روى فى غيبة الإمام المنتظر (ع) ((٢)): (هذه الروايات التى قد جاءت متواترة تشهد بصحة الغيبة وباختفاء العلم والمراد بالعلم الحجة للعالم، وهى مشتملة على أمر الأئمة (عليهم السلام) للشيعه بأن يكونوا فيها على ما كانوا عليه ولا- يزولون ولا- ينتقلون، بل يثبتون ولا يتحولون ويكونون متوقعين لما وعدوا به، وهم معذورون فى أن لا يروا حجتهم وإمام زمانهم فى أيام الغيبة، وضيق عليهم فى كل عصر وزمان قبله أن لا يعرفوه بعينه واسمه ونسبه، ومحذور عليهم الفحص والكشف عن صاحب الغيبة والمطالبة باسمه أو موضعه أو غيابه أو الإشادة بذكره، فضلاً عن المطالبة بمعانيته، وقال لنا: إياكم والتنويه، وكونوا على ما أنتم عليه، وإياكم والشك، فأهل الجهل الذين لا علم لهم بما أتى عن الصادقين (ع) من هذه الروايات الواردة للغيبة وصاحبها يطالبون بالإرشاد إلى شخصه والدلالة على موضعه، ويقترحون إظهاره لهم، وينكرون غيبته، لأنهم بمعزل عن العلم وأهل المعرفة، مسلمون لما امرؤا به، ممتثلون له، صابرون على ما ندبوا إلى الصبر عليه، وقد أوقفهم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٧١

العلم والفقهاء مواقف الرضا عن الله والتصديق لأولياء الله والامثال والانتهاه عمياً نهوا عنه، حذرون ما حذر الله فى كتابه من مخالفة رسول الله (ص) والأئمة الذين هم فى وجوب الطاعة بمنزلته لقوله: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ((١))، ولقوله: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ((٢))، ولقوله: وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّما عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ((٣)).

وفى قوله فى الحديث الرابع من هذا الفصل حديث عبد الله بن سنان: «كيف أنتم إذا صرتم فى حال لا ترون فيها إمام هدى ولا علماً يرى»، دلالة على ما جرى وشهادة بما حدث من أمر السفراء الذين كانوا بين الإمام (ع) وبين الشيعة من ارتفاع أعيانهم وانقطاع نظامهم، لأن السفير بين الإمام فى حال غيبته وبين شيعته هو العلم، فلما تمت المحنة على الخلق ارتفعت الأعلام ولا ترى حتى يظهر صاحب الحق (ع) ووقعت الحيرة التى ذكرت وآذنا بها أولياء الله. وصحَّ أمر الغيبة الثانية التى يأتى شرحها وتأويلها فيما يأتى من الأحاديث بعد هذا الفصل، نسأل الله أن يزيدنا بصيرة وهدى ويوفقنا لما يرضيه برحمته).

ثم إنه قدس الله لطيفه روى فى الفصل اللاحق عدّة أحاديث فى أن للقائم (ع) غيبتين نذكر نبذة منها: قال بعد ذكر سنده إلى إبراهيم بن عمر اليمانى، قال: سمعت أبا جعفر (الباقر) (ع) يقول: «إن لصاحب هذا الأمر غيبتين»، وسمعته يقول: «لا يقوم القائم ولأحد فى

عنه بيعه».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٧٢

وروى بسنده إلى أبى بصير قال: قلت لأبى عبد الله (الصادق) (ع): كان أبو جعفر (ع) يقول: «للقائم آل محمد غيبتان، إحداهما أطول من الأخرى»، فقال: «نعم، ولا يكون ذلك حتى يختلف سيف بنى فلان، وتضيق الحلقة، ويظهر السفينى، ويشد البلاء، ويشمل الناس موت وقتل يلجأون فيه إلى حرم الله وحرم رسوله (ص)».

وروى بسنده إلى المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «إن لصاحب هذا الأمر غيبتين، يرجع فى إحداهما إلى أهله، والأخرى يقال: هلك، فى أى وادٍ سلك؟»، قلت: كيف نضغ إذا كان ذلك؟ قال: «إن ادعى مدع فاسأله عن تلك العظام التى يجيب فيها مثله».

ثم قال الشيخ النعمانى (١): «هذه الأحاديث التى يذكر فيها أن للقائم (ع) غيبتين أحاديث قد صححت عندنا بحمد الله وأوضح الله قول الأئمة (عليهم السلام) وأظهر برهان صدقهم فيها، فأما الغيبة الأولى فهى الغيبة التى كانت السفراء فيها بين الإمام (ع) وبين الخلق قياماً منصوبين ظاهرين موجودى الأشخاص والأعيان يخرج على أيديهم غوامض العلم وعويص الحكم والأجوبة عن كل ما كان يسأل عنه من المعضلات والمشكلات وهى الغيبة القصيرة التى انقضت أيامها وتصرمت مدتها، والغيبة الثانية هى التى ارتفع فيها أشخاص السفراء والوسائط للأمر الذى يريده الله تعالى والتدبير الذى يمضيه فى الخلق، ولوقوع التمحيص والامتحان والبلبل والغربة والتصفية على من يدعى هذا الأمر، كما قال

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٧٣

الله تعالى: ما كان الله ليذّر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب (١)، وهذا زمان قد حضر جعلنا الله فيه من الثابتين على الحق وممن لا يخرج فى غربال الفتنة، فهذا معنى قولنا: (له غيبتان)، ونحن فى الأخيرة نسأل الله أن يقرب فرج أوليائه منها ويجعلنا فى حيز خيره وجملة التابعين لصفوته).

وروى (رض) فى الباب الرابع عشر فى العلامات التى تكون قبل قيامه (ع) (٢) بسنده عن أبى عبد الله (ع) أنه قال: «لا يقوم القائم حتى يقوم اثنا عشر رجلاً كلهم يجمع على قول أنهم قد رأوه فيكذبهم».

وقال الشيخ العلامة زين المحمدين محمد بن القتال النيسابورى (٣) الشهيد فى سنة (٥٠٨ هـ) فى كتابه (روضه الواعظين) (٤): (وروى أنه ولد يوم الجمعة لثمان خلون من شعبان سنة سبع وخمسين ومائتين قبل وفاة أبيه بستين وسبعة أشهر والأول هو المعتمد (أى سنة خمس وخمسين)، وبابه عثمان بن سعيد، فلما مات عثمان أوصى إلى ابنه أبى جعفر محمد بن عثمان، وأوصى أبو جعفر إلى أبى القاسم الحسين بن روح، وأوصى أبو القاسم إلى أبى الحسن على بن محمد السمرى، فلما حضرت السمرى الوفاة سئل أن يوصى، فقال: إن الله بالغ أمره، وقد انتظر (ع) لدولة الحق).

وقال الشيخ أمين الإسلام (٥) أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٧٤

(رض) فى كتابه (إعلام الورى بأعلام الهدى) (١) عند ذكره الدلائل على إمامة الإمام الثانى عشر (ع) فى الباب الثالث، وبعد ذكره لرواية أبى بصير التى تقدم ذكرها وفيها الأخبار بالغيبتين قال: (فانظر كيف قد حصلت الغيبتان لصاحب الأمر على حسب ما تضمنت الأخبار السابقة لوجوده عن آباءه وجدوده).

أما غيبته الصغرى منهما فهى التى كان فيها سفرؤه موجودين وأبوابه معروفين لا تختلف الإمامية القائلون بإمامة الحسن بن على فيهم، فمنهم (٢): أبو هاشم داود بن القاسم الجعفرى، ومحمّد بن على بن بلال، وأبو عمرو عثمان بن سعيد السمان (العمرى)، وابنه أبو جعفر محمّد بن عثمان، وعمر الأهوازي، وأحمد بن إسحاق، وأبو محمّد الوجنانى، وإبراهيم بن مهزيار، ومحمّد بن إبراهيم، فى



جماعة أخرى ربما يأتى ذكرهم عند الحاجة إليهم فى الرواية عنهم.

وكانت مدة هذه الغيبة أربعاً وسبعين سنة، وكان أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري أباً لأبيه وجدّه («٣») من قبل وثقة لهما، ثم تولى الباقية من قبله وظهرت المعجزات على يده ولما مضى لسبيله قام ابنه أبو محمّد مقامه بنصّه عليه، ومضى على منهاج أبيه فى آخر جمادى الآخرة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٧٥

من سنة أربع أو خمس وثلاثمائة وقام مقامه أبو القاسم الحسين بن روح من بنى نوبخت بنصّ أبى جعفر محمّد بن عثمان عليه وأقامه مقام نفسه ومات فى شعبان سنة ست وعشرين وثلاثمائة وقام مقامه أبو الحسن على بن محمّد السمرى بنصّ أبى القاسم عليه وتوفى لنصف من شعبان سنة ثمان وعشرون وثلاثمائة).

ثم ذكر رواية أبى محمّد الحسن بن أحمد المكتّب التى سبق ذكرها والتى فيها وقوع الغيبة التامة وانقطاع السفراء وكذب من يدعى المشاهدة أى السفارة والنيابة حتّى يظهر بعلامات الصيحة وخروج السفينانى، ثم قال: (ثم حصلت الغيبة الطولى التى نحن فى أزمانها والفرج يكون فى آخرها بمشيئة الله تعالى) («١»).

وقال فى الباب الخامس فى حل الشبهات فى غيبته (ع) («٢»): (فإن قالوا: الحق مع غيبة الإمام كيف يدرك؟ فإن قلت: يدرك ولا يوصل إليه فقد جعلتم الناس فى حيرة وضلال مع الغيبة، وإن قلت: يدرك الحق من جهة الأدلّة المنصوص بها عليه فقد صرّحتم بالاستغناء عن الإمام بهذه الأدلّة، وهذا يخالف مذهبكم.

الجواب: إن الحق على ضربين: عقلى وسمعى، فالعقلى يدرك ولا يؤثر فيه وجود الإمام ولا فقده، والسمعى عليه أدلّة منصوبة من أقوال النبى (ص) ونصوصه وأقوال الأئمّة الصادقين (عليهم السلام) قد بينوا ذلك وأوضحوه غير أن ذلك وإن كان على ما قلناه فالحاجة إلى الإمام مع

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٧٦

ذلك ثابتة، لأن جهة الحاجة مستمرة فى كل عصر وعلى كل حال هى كونه لطفاً لنا فى الفعل الواجب العقلى من الإنصاف والعدل واجتناب الظلم والبغى، وهذا مما لا يقوم غيره مقامه فيه).

وقال الشيخ أبو منصور أحمد بن على بن أبى طالب الطبرسى وهو من الأعلام فى القرن الخامس فى كتاب (الاحتجاج) («١»): (وأما الأبواب المرضيون والسفراء الممدوحون فى زمان الغيبة فأؤلّهم: الشيخ الموثوق به أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري نصّب به أوّل أبو الحسن على بن محمّد العسكري ثم ابنه أبو محمّد الحسن، فتولّى القيام بأمرهما حال حياتهما (ع)، ثم بعد ذلك قام بأمر صاحب الزمان (ع) وكان توقيعاته وجواب المسائل تخرج على يده.

فلما مضى لسبيله قام ابنه أبو جعفر محمّد بن عثمان مقامه وناب منابه فى جميع ذلك، فلما مضى هو قام أبو القاسم حسين بن روح من بنى نوبخت، فلما مضى هو قام مقامه أبو الحسن على بن محمّد السمرى.

ولم يبق أحد منهم بذلك إلّا بنصّ عليه من قبل صاحب الأمر (ع) ونصب صاحبه الذى تقدّم عليه ولم تقبل الشيعة قولهم إلّا بعد ظهور آية معجزة على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر (ع) تدلّ على صدق مقالتهم وصحة بايئتهم، فلما حان سفر أبى الحسن السمرى من الدنيا وقرب أجله، قيل له: إلى من توصى؟ فأخرج إليهم توقيعاً نسخته) ... ثم ذكر التوقيع الذى مرّ ذكره.

وقال العلامة الحلى (رض) فى كتاب (الرجال) («٢») فى ترجمة محمّد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٧٧

بن عثمان العمري: (يكنّى أبا جعفر وأبوه أبا عمرو جميعاً وكيلان من جهة صاحب الزمان (ع) ولهما منزلة عظيمة جليّة عند الطائفة... إلى أن قال:

وقال عند موته: امرت أن أوصى إلى أبي القاسم بن روح وأوصى إليه، وأوصى أبو القاسم بن روح إلى أبي الحسن علي بن محمد السمرى، فلما حضرت السمرى الوفاة سئل أن يوصى، فقال: لله أمر هو بالغه، والغيبة الثانية هي التي وقعت بعد السمرى).

وذكر ابن داود الحلبي في كتاب (الرجال) (١١) عين ذلك بألفاظه في الترجمة المذكورة.

وقال الخواجه نصير الدين الطوسي في كتاب (تجريد الاعتقاد) في المقصد الخامس في الإمامة (٢): (المسألة الأولى في أن نصب الإمام واجب على الله تعالى. و... وانحصار اللطف فيه معلوم للعقلاء ووجوده لطف وتصرفه لطف آخر وعدمه منّا).

وشرح العلامة الحلبي (رض) العبارة بقوله: (لطف الإمامة يتم بأمر منها: ما يجب على الله تعالى وهو خلق الإمام وتمكينه بالتصرف والعلم والنص عليه باسمه ونسبه، وهذا قد فعله الله تعالى، ومنها: ما يجب على الإمام وهو تحمله للإمامة وقبوله وهذا قد فعله الإمام، ومنها: ما يجب على الرعية وهو مساعدته والنصرة له وقبول أوامره وامثال قوله، وهذا لم يفعله الرعية فكان منع اللطف الكامل منهم لا من الله تعالى ولا من الإمام) (٣).

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٧٨

وقال العلامة المجلسي رفع الله درجته في (شرح كتاب الكافي) في ذيل الأحاديث المتعرضة لوقوع الغيبتين قال: (واعلم أنه كان له (ع) غيبتان أولهما: الصغرى، وهي زمان وفاة أبي محمد العسكري (ع) وهو ثمان ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين إلى وقت وفاة رابع السفراء أبي الحسن علي بن محمد السمرى وهو النصف من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة فتكون قريباً من سبعين. والعجب من الشيخ الطبرسي والسيد ابن طاووس أنهما وافقا في التاريخ الأول وقالوا في وفاة السمرى توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ومع ذلك ذكرا أن مدة الغيبة الصغرى أربع وسبعون ولعلهما عدا ابتداء الغيبة من ولادته (ع).

وأما سفراؤه (ع) فأولهم أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري فلما توفي (رض) نصّ على ابنه أبي جعفر محمد بن عثمان فقام مقامه وهو الثاني من السفراء وتوفي (رض) سنة أربع وثلاثمائة، وقيل: خمس وثلاثمائة وكان يتولّى هذا الأمر نحو من خمسين سنة، فلما دنت وفاته أقام أبا القاسم الحسين بن روح النوبختي مقامه وتوفي أبو القاسم قدس الله روحه في شعبان سنة ست وعشرين وثلاثمائة، فلما دنت وفاته نصّ على أبي الحسن علي بن محمد السمرى، فلما حضرت السمرى (رض) الوفاة سئل أن يوصى، فقال: لله أمر هو بالغه، ومات روح الله روحه في النصف من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، كل ذلك ذكره الشيخ (١١).

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٧٩

وقال الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد (١)

(وكان الخبر بغيبته ثابتاً قبل وجوده وبدولته مستفيضاً قبل غيبته وهو صاحب السيف من أئمة الهدى (عليهم السلام) والقائم الحق المنتظر لدولة الإيمان وله قبل قيامه غيبتان إحداهما أطول من الأخرى كما جاءت بذلك الأخبار، فأما القصرى فمنذ وقت ولادته إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وعدم السفراء بالوفاة، وأما الطولي فهي بعد الأولى وفي آخرها يقوم بالسيف).

وروى الصدوق في كمال الدين (٢) قال: كان مولده صلوات الله عليه لثمان ليال خلون من شعبان سنة ست وخمسين ومائتين، ووكله عثمان بن سعيد (رض)، فلما مات عثمان أوصى إلى ابنه أبي جعفر محمد بن عثمان، وأوصى أبو جعفر إلى أبي القاسم الحسين بن روح، وأوصى أبو القاسم إلى أبي الحسن علي بن محمد السمرى (رض)، فلما حضرت السمرى (رض) الوفاة سئل أن يوصى، فقال: لله أمر هو بالغه، فالغيبة التامة هي التي وقعت بعد مضي السمرى (رض).

وقال السيد عبد الله الشير (٣) في كتابه (حق اليقين في معرفة أصول الدين) في المقصد الثالث من أحوال الغائب المستتر (ع): (في بعض معجزاته وأحوال سفرائه: قال الطبرسي (رض) في الاحتجاج: أما الأبواب المرضيون،... وذكر كل ما تقدم ذكره عن الطبرسي في كتاب الاحتجاج).

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٨٠



ومن وضوح انقطاع السفارة وانقطاع النائب المباشر المتصل بالحجة (ع) أخذ علماء العامة بالتشيع على الشيعة بأنكم تستدلون على ضرورة وجود المعصوم لهداية الأنام ولتدبير الأمور وإقامة العدل والقسط فكيف تناقضون ذلك بالالتزام بالغيبة والاستتار والانقطاع، ولكن علماء الإمامية لم يتركوا لهذه الأوهام مجالاً وأخذوا بالجواب عنها، وقد تقدّم طرفاً من ذلك فى الكلمات التى نقلناها وأن الحرمان من ظهور المعصوم وتصرفه وتدبيره سببه راجع إلى الرعية والمكلفين من الخذلان وعدم الوقوف إلى جانب الحق والعدل، وأنه حين يكتمل نصاب الأنصار والأعوان يكتب الله تعالى فرجه الشريف.

ومن شاء مراجعة هذه السجلات بين علماء الفريقين فليسرح النظر فى ما ألفه علماء الإمامية من الكتب باسم الغيبة أو التى تبحث عن حياة الحجة (ع)، وكل ذلك مما يتبّه على كون انقطاع النائب الخاص والسفير من ضروريات المذهب حتى عرفه علماء أهل الشّيئة ولنذكر بعض كلماتهم، وعلى القارئ مراجعة البقية فى مظانها إن شاء الاطلاع عليها.

قال الشهرستانى (١١) فى كتاب (الملل والنحل) (٢): (ومن العجب! أنهم قالوا: الغيبة قد امتدت مائتين ونيفاً وخمسين سنة، وصاحبنا قال: إن خرج القائم وقد طعن فى الأربعين فليس بصاحبكم. ولسنا ندرى كيف تنقضى مائتان ونيف وخمسون سنة فى أربعين سنة، وإذا سئل القوم عن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٨١

مدّة الغيبة كيف تتصور؟ قالوا: أليس الخضر وإلياس (ع) يعيشان فى الدنيا من آلاف السنين لا يحتاجان إلى طعام وشراب، فلم لا يجوز ذلك فى واحد من آل البيت؟ قيل لهم: ومع اختلافكم هذا كيف يصحّ لكم دعوى الغيبة؟ ثم الخضر (ع) ليس مكلفاً بضمان جماعة، والإمام عندكم ضامن مكلف بالهداية والعدل، والجماعة مكلفون بالاعتداء به والاستئنان بشيئته، ومن لا يرى كيف يقتدى به؟، انتهى كلامه.

ولا- يخفى تخبطه وتحريفه فى النقل كعادته فى كتابه، إذ قول الشيعة عن أئمتهم (عليهم السلام): إن القائم (ع) حين يظهر يكون فى سنّ الشيوخ وشاب المنظر حتى أن الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة فلا يصيبه الهرم بمرور الليالى والأيام، وليس ذلك من قدرة الله تعالى بعيد.

وأما الجواب عن إشكاله الآخر فقد تقدّم، وقد ذكرت فى الروايات فوائد وجوده وانتفاع الناس منه فى غيبته، منها: أن قلوب المؤمنين مثبتة به فهم بها عاملون، وأنه كالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب، وأن المعصوم (ع) أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، وبه يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، وبه ينزل الغيث، وتنتشر الرحمة، وتخرج بركات الأرض، ولولا وجوده على الأرض لساخت بأهلها، ولولاه لم يعبد الله.

وقال الخواجه كلان (١١) فى كتابه (ينابيع المودة) (٢) عن كتاب (المحجّة فيما نزل فى القائم الحجة) فى قوله تعالى: وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٨٢

يَرْجِعُونَ (١١): عن ثابت الثمالى، عن على بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه على بن أبى طالب (عليهم السلام)، قال: «فينا نزلت هذه الآية وجعل الله الإمامة فى عقب الحسين إلى يوم القيامة، وأن للقائم مئتا غيبتين إحداهما أطول من الأخرى، فلا يثبت على إمامته إلّا من قوى يقينه وصحت معرفته»، انتهى كلامه.

وقد عرفت سابقاً أن الغيبة الصغرى إشارة إلى مدّة النواب الأربعة والكبرى إلى الغيبة التامة وانقطاع النواب والسفراء.

وقال علاء الدين المشهور بالمتقى الهندى (٢) فى كتاب (البرهان فى علامات مهدي آخر الزمان) فى الباب الثانى عشر (٣): (عن أبى عبد الله الحسين بن على (ع)، قال: «لصاحب هذا الأمر يعنى المهدي (ع) غيبتان إحداهما تطول حتى يقول بعضهم: مات، وبعضهم: ذهب... الحديث»، انتهى كلامه.

ومضمون هذه الرواية موجود في الروايات التي وردت بطرقنا، ومن الواضح أن قول البعض المشار إليه في الرواية بأنه (ع) مات أو ذهب أو في أيّ وادٍ سلك؟ أو هللك كما في الروايات الأخرى، لا يكون إلّا بعد انقطاع النائب الخاص والسفير للحجة (ع) وشدة الامتحان بالغيبة التامة.

أقول: هذا غيظ من فيض من كلمات علماء الإمامية، وتركنا الأكثر مخافة التطويل والملال، وكلّها على كون انقطاع النيابة الخاصة من معتقدات المذهب وضرورياته.

\*\*\*

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٨٣

### الأمر الثالث النيابة العامة للفقهاء ... ص: ٨٣

قد عرفت انقطاع النيابة الخاصة والسفارة، ولكن ليس ذلك يعني بقاء المؤمنين والمكلفين في حيرة من أمرهم، بل قد نصّب الأئمة (عليهم السلام) وإمام زماننا (ع) لهم من يرجعون إليه في كل ما ينزل بهم من الحوادث والوقائع، وفي تعلم الأحكام الشرعية وفصل الخصومات واستيفاء الحقوق وغيرها من حاجاتهم الدينية.

وهو الفقيه الجامع لشرائط معيّنة، كالعلم بالأحكام الشرعية من الكتاب والسنة وهي الروايات المعتبرة المأثورة عن المعصومين (عليهم السلام)، وكالعدالة، والتقوى، وغيرها من الشروط.

فقد قال الصادق (ع): «من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإنني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما استخف بحكم الله وعلينا ردّاً، والراد علينا كالراد على الله، وهو على حدّ الشرك بالله» (١).

وقال (ع): «اجعلوا بينكم رجلاً قد عرف حلالنا وحرامنا فإنني قد

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٨٤

جعلته عليكم قاضياً وإياكم أن يخاصم بعضكم بعضاً إلى السلطان الجائر» (١).

وروى الشيخ الصدوق في كتاب (إكمال الدين وإتمام النعمة) (٢) عن محمد بن محمد بن عصام، عن محمد بن يعقوب (الشيخ الكليني)، عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمد بن عثمان العمري (النائب الثاني في الغيبة الصغرى) أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت علي فوراً التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان (ع): «أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك»، ... إلى أن قال: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم. وأما محمد بن عثمان العمري فرضى الله عنه وعن أبيه من قبل فإنه ثقّتي، وكتابه كتابي».

وروى هذا الحديث الشيخ الطوسي في كتاب (الغيبة) (٣) عن جماعة عن جعفر بن محمد بن قولويه (صاحب كتاب كامل الزيارات وأستاذ الشيخ المفيد الذي قال المفيد عنه: أفقه أهل زمانه) وأبو غالب الرازي (من أحفاد زرارة بن أعين ومن شيوخ الطائفة الأجلّاء) وغيرهم كلهم عن محمد بن يعقوب (الشيخ الكليني)، ورواه أيضاً الشيخ الطبرسي في كتاب الاحتجاج.

وروى الطبرسي في كتاب (الاحتجاج) (٤) عن الحجّة (ع): «أما

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٨٥

من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه، وذلك لا يكون إلّا بعض فقهاء الشيعة لا كلّهم، فإن من ركب من القبائح والفواحش مراكب علماء العامة فلا تقبلوا منهم عنّا شيئاً، ولا كرامة».

وروى الكشي في كتاب (الرجال) (١) بسنده عن إسماعيل بن جابر عن أبي عبد الله (الصادق) (ع) قال: قال رسول الله (ص): «يحمل

هذا الدين فى كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين، وتحريف الغالين، وانتحال الجاهلين، كما ينفى الكير خبث الحديد». وروى بسنده إلى أحمد بن ماهويه قال: كتبت إليه يعنى أبا الحسن الثالث (الهادى) (ع)، أسأله عمّن أخذ معالم دينى وكتب أخوه أيضاً بذلك فكتب إليهما: «فهمت ما ذكرتما، فاصمدا فى دينكما على كل مسن فى حننا، وكل كثير القدم فى أمرنا فإنهما كافو كما إنشاء الله تعالى» (٢)». (٢).

وروى الطبرسى فى كتاب (الاحتجاج) (٣) عن أبى جعفر الباقر (ع) أنه قال: «فحن القرى التى بارك الله فيها، وذلك قول الله (عزوجل)، فمن أقرّ بفضلنا حيث أمرهم بأن يأتونا فقال: وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا (٤) (٤) أى: جعلنا بينهم وبين شيعتهم القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة، والقرى الظاهرة الرسل، والنقله عنّا إلى شيعتنا وفقهاء شيعتنا إلى دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٨٦

شيعتنا، وقوله تعالى: وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ (١) فالسير مثل للعلم سير به ليالى وأياماً، مثل لما يسير من العلم فى الليالى والأيام عنّا إليهم فى الحلال والحرام والفرائض والأحكام، آمنين فيها إذا أخذوا منه، آمنين من الشك والضلال والنقله من الحرام إلى الحلال، لأنهم أخذوا العلم ممن وجب لهم أخذهم إيّاه عنهم بالمعرفة» ... الحديث.

وروى البرقى فى كتاب (المحاسن) (٢) عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن يحيى بن عمران الحلبي، عن عبد الله بن مسكان، عن أبى بصير (٣)، قال: قلت لأبى عبد الله الصادق (ع): رأيت الراد على هذا الأمر كالراد عليكم؟ فقال: «يا أبا محمّد من ردّ عليك هذا الأمر فهو كالراد على رسول الله (ص)».

هذا مع أن بيان الأحكام الشرعية وجوبه على الفقيه كان منذ صدر الشريعة قال تعالى: فَلَوْ لَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلَتُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (٤)، فأوجب على الطائفة المتفقهة فى الدين الإنذار، كما أوجب على غيرهم من عامة الناس قبول قولهم فى بيان الأحكام الشرعية، وهو استفاد من الآية الشريفة، حيث إن حذر الناس بعد الإنذار مطلوب وراجح بدلالة الآية، ولا يترتب الحذر إلّا عند وجوب قبول ما أنذروا به.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٨٧

ولهذا كانت طوائف تلو الأخرى تنهال على الرسول (ص) ثم على الأئمة المعصومين (عليهم السلام) من بعده للتفقه ومعرفة الفرائض والسنن والآداب وأركان العقيدة والإيمان.

ثم تذهب الطوائف وتشر وتبين ذلك لعامة الناس، وهذا مما يقتضيه طبيعة النظام البشرى، حيث إنه ليس من الممكن عادةً أن ينهال كل المكلفين والناس بأجمعهم على الرسول (ص) وعلى المعصومين (عليهم السلام) بالسؤال عن معالم الدين، فهذا الممشى والسلوك عند العقلاء دأبوا عليه وأقرّه الشرع المقدس فى نشر الأحكام.

وقد روى عبد المؤمن الأنصارى عن أبى عبد الله (الصادق) (ع): «قول الله (عزوجل): فَلَوْ لَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلَتُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١)» فأمرهم أن ينفروا إلى رسول الله (ص) فيتعلموا ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلموهم» (٢ ... ٢) الحديث.

وروى النجاشى فى كتابه (الرجال) (٣) عن الباقر (ع) أنه قال لأبان بن تغلب وهو أحد الفقهاء من تلامذته: «اجلس فى مسجد المدينة وافت الناس، فإنّى أحبّ أن يرى فى شيعتى مثلك».

وسأل عبد العزيز بن المهتدى الرضا (ع) قال: قلت: لا- أكاد أصل إليك أسألك عن كل ما أحتاج إليه من معالم دينى، أفيونس بن عبد الرحمن ثقة أخذ منه ما أحتاج إليه من معالم دينى؟ فقال: «نعم» (٤).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٨٨

وكذلك سأل على بن المسيب الهمداني قال: قلت للرضا (ع): شقّتى بعيدة ولست أصل إليك فى كل وقت فمن أخذ معالم دينى؟

قال: «من زكريا بن آدم القمى المأمون على الدين والدنيا» (١)».

وسأل عبد الله بن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله (الصادق) (ع): إنه ليس كل ساعة ألقاك ولا يمكن القدوم ويجيء الرجل من أصحابنا فيسألنى وليس عندي كل ما يسألنى عنه، فقال: «ما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفى فإنه سمع من أبي وكان عنده وجيهاً» (٢)».

وسأل شعيب العرقوفى قال: قلت لأبي عبد الله (ع): ربما احتجنا أن نسأل عن الشيء فمن نسأل؟ قال: «عليك بالأسدى يعنى أبا بصير» (٣)».

والأخبار المشتملة على إرجاع الناس إلى تلامذتهم (عليهم السلام) كثيرة، ومن هنا حث الأئمة المعصومون (عليهم السلام) على التفقه فى الدين وحفظ الروايات المأثورة عنهم وبينوا فضل ذلك.

فقد روى الصدوق قال: قال على (ع): قال رسول الله (ص): «اللهم ارحم خلفائى» ثلاثاً، قيل: يا رسول الله ومن خلفائك؟ قال: «الذين يأتون بعدى يروون حديثى وسنتى» (٤)».

وروى الكشى عن جميل بن دراج قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «بشر المخبتين بالجنة: بريد بن معاوية العجلي، وأبو بصير ليث بن البختري المرادى، ومحمد بن مسلم، وزرارة،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٨٩

أربعة نجباء أمناء الله على حلاله وحرامه ولولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندرست» (١)».

وروى عن أبي بصير أن أبا عبد الله (الصادق) (ع) قال له فى حديث: «لولا زرارة ونظراؤه لظنن أن أحاديث أبي (ع) ستذهب» (٢)». وفى رواية أخرى عن الصادق (ع) قال: «أحب الناس إلى أحياء وأمواتاً أربعة: بريد بن معاوية العجلي، وزرارة، ومحمد بن مسلم، والأحوال، وهم أحب الناس إلى أحياء وأمواتاً» (٣)، وهؤلاء الأربعة كانوا من أفقه أصحابه وأصحاب الباقر (ع). وروى سليمان بن خالد عن الصادق (ع) أنه قال: «ما أجد أحداً أحبى ذكرنا وأحاديث أبي (ع) إلّا زرارة، وأبو بصير ليث المرادى، ومحمد بن مسلم، وبُريد بن معاوية العجلي، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا، هؤلاء حفاظ الدين وأمناء أبي (ع) على حلال الله وحرامه وهم السابقون إلينا فى الدنيا والسابقون فى الآخرة» (٤)».

وروى جميل بن دراج عن الصادق (ع) أنه ذكر أقواماً وقال: «كان أبي (ع) اتتمنهم على حلال الله وحرامه وكانوا عيبه» (٥)، علمه، وكذلك اليوم هم عندي مستودع سرى وأصحاب أبي حقاً، إذا أراد الله بأهل الأرض سوءاً صرف بهم عنهم سوء، هم نجوم شيعتى أحياء

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٩٠

وأمواتاً هم الذين أحيوا ذكر أبي (ع)، بهم يكشف الله كل بدعة، ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين وتأويل الغالين» ثم بكى، فقلت: من هم؟ فقال: «من عليهم صلوات الله وعليهم رحمته أحياء وأمواتاً: بريد العجلي، وأبو بصير، وزرارة، ومحمد بن مسلم» (١)». وعن الصادق (ع) قال: «اعرفوا منازل الرجال منا على قدر رواياتهم عنا» (٢)».

وعنه (ع) قال: قال رسول الله (ص): «طلب العلم فريضة على كل مسلم، ألا إن الله يحب بغاء العلم» (٣)».

وعنه (ع) قال: «عليكم بالتفقه فى دين الله ولا تكونوا أعراباً» (٤)، فإنه من لم يتفقه فى دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة، ولم يزك له عملاً» (٥)».

وقال (ع): «لوددت أن أصحابى ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا» (٦)».

وقال (ع): «إن العلماء ورثة الأنبياء، وذاك أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه، فإن فينا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٩١

أهل البيت فى كل عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين» (١)». «

وقال الصادق (ع): «إذا أراد الله بعبد خيراً ففقهه فى الدين» (٢)».

وعن الباقر (ع) قال: «من علم باب هدى فله مثل أجر من عمل به ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً، ومن علم باب ضلال كان عليه مثل أوزار من عمل به ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيئاً» (٣)».

وقال الصادق (ع): «احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها» (٤)»، وقال للمفضل بن عمر: «اكتب وبث علمك فى إخوانك فإن مت فأورث كتبك بنيك فإنه يأتى على الناس زمان هرج لا يأنسون إلّا بكتبهم» (٥)».

والأحاديث فى هذا المجال كثيرة جداً لا يسع المقام ذكرها.

والسرّ فى هذا الحثّ الشديد هو أن الفقهاء حصون الإسلام يدفعون عنه بدع الباطل ودعواته وكذب المفترين كما تقدّم فى الروايات.

وقال الكاظم (ع): «إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة وبقاع الأرض التى كان يعبد الله عليها وأبواب السماء التى كان يصعد فيها بأعماله وتلّم فى الإسلام تلمة لا يسدها شىء، لأن المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها» (٦)».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٩٢

وقال الصادق (ع): «ما من أحد يموت من المؤمنين أحبّ إلى إبليس من موت فقيه» (١)».

وقال (ع): «إن أبى كان يقول: إن الله (عزوجل) لا يقبض العلم بعدما يهبطه، ولكن يموت العالم فيذهب بما يعلم، فتليهم الجفأة» (٢)».

فيضلون ويضلون، ولا خير فى شىء ليس له أصل» (٣)».

\*\*\*

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٩٣

### الأمر الرابع منابع الشريعة ... ص: ٩٣

إن منابع الشريعة هما الكتاب العزيز والسنة المطهرة من أقوال وأفعال الرسول (ص) وأقوال الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وأفعالهم وتقريراتهم، وقال الكاظم (ع) لهشام بن الحكم فى الوصية المعروفة: «يا هشام إن الله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، وأما الباطنة فالعقول» (١)».

وقال الصادق (ع) لعبد الله بن سنان: «حجة الله على العباد النبى، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل» (٢)».

وفى حديث طويل للصادق (ع) حيث بين فيه أن بالعقل مبدأ الأمور وقوتها وعمارتها وبه عرف الله وصفاته الكمالية وبه عرفت الكمالات، قيل له: فهل يكفى العباد بالعقل دون غيره؟ قال: «إن العاقل لدلالة عقله الذى جعله الله قوامه وزينته وهدايته علم أن الله هو الحق وأنه هو ربه، وعلم أن لخالقه محبة وأن له كراهية وأن له طاعة وأن له معصية، فلم يجد عقله يدلّه على ذلك، وعلم أنه لا يوصل إليه إلّا بالعلم والأدب وأنه لا ينتفع بعقله إن لم يصب بعلمه، فوجب على العاقل طلب العلم والأدب الذى لا قوام له إلّا به» (٣)».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٩٤

وقد روى السنيّة والشيعة بالطرق المستفيضة المتواترة حديث الثقلين عن رسول الله (ص) أنه قال: «إنى تارك فىكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبداً، كتاب الله وعترتى أهل بيتى ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما».

وقد رواه عن النبى (ص) أكثر من ثلاثين صحابياً وما لا يقل عن مائتى عالم من كبار علماء السنة بألفاظ مختلفة فى كتبهم (١)» فضلاً عن الشيعة.

وروى الشيخ الصدوق فى (معانى الأخبار) (٢)» عن الباقر (ع) قال: «خطب أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) بالكوفة بعد منصرفه

من النهروان، وبلغه أن معاوية يسبه ويلعنه ويقتل أصحابه، فبعد حمد الله والثناء عليه قال (ع): يا أيها الناس إنه بلغنى ما بلغنى وإنى أرانى قد اقترب أجلى، وكأنى بكم وقد جهلتم أمرى، وإنى تارك فيكم ما تركه رسول الله (ص) كتاب الله وعترتى، وهى عتره الهادى إلى النجاة خاتم الأنبياء وسيد النجباء والنبى المصطفى.

وقال الصادق (ع): «الله تبارك وتعالى أنزل فى القرآن تبيان كل شىء، حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا انزل فى القرآن، إلّا وقد أنزله الله فيه» (٣).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٩٥

وقال (ع): «ما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلّا وله حدّ كحدّ الدار، فما كان من الطريق فهو من الطريق، وما كان من الدار فهو من الدار، حتى أرس الخدش فما سواه والجلدة ونصف الجلدة» (١).

وقال: «ما من شىء إلّا وفيه كتاب أو سنة» (٢).

وقال زين العابدين (ع): «إن أفضل الأعمال عند الله ما عمل بالسنة وإن قل» (٣).

وقال الباقر (ع): «كل من تعدى السنة زد إلى السنة» (٤).

(٤).

وقال الصادق (ع): «من خالف كتاب الله وسنة محمد (ص) فقد كفر» (٥).

وعن الباقر (ع) عن آبائه عن أمير المؤمنين (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (ص): «لا قول إلّا بعمل، ولا قول ولا عمل إلّا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلّا بإصابة السنة» (٦).

وقال (ع): «من دان الله بغير سماع من صادق أزمه الله التيه يوم القيامة» (٧)، أى من تدىن وعمل بحكم بغير المأثور من المعصوم جعل الله حاله يوم القيامة وهو يوم الفرع الأكبر فى تيه، مع كونه ذلك اليوم فى أشد الحاجة إلى الأمان والقرار، أو أن التيه كناية عن الضلال وعاقبة السوء.

وفى الرسالة المشهورة للإمام الصادق (ع) إلى أصحابه والتى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٩٦

أمرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها فكانوا يضعونها فى مساجد بيوتهم فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها، والتى رواها الكلينى (رض) فى كتاب (الروضه من الكافى) (١) بطرق معتبرة نذكر موضعاً منها مما يهتّم الكلام فى المقام.

قال (ع): «أيتها العصابة المرحومة المفلحة، إن الله أتمّ لكم ما آتاكم من الخير، واعلموا أنه ليس من علم الله ولا من أمره أن يأخذ أحد من خلق الله فى دينه بهوى ولا رأى ولا مقاييس، قد أنزل الله القرآن وجعل فيه تبيان كل شىء، وجعل للقرآن ولتعلم القرآن أهلاً، لا يسع أهل علم القرآن الذين آتاهم الله علمه أن يأخذوا فيه بهوى ولا رأى ولا مقاييس، أغناهم الله عن ذلك بما آتاهم من علمه وخصّ بهم به ووضعه عندهم كرامة من الله أكرمهم بها، وهم أهل الذكر الذين أمر الله هذه الأمة بسؤالهم، وهم الذين من سألهم وقد سبق فى علم الله أن يصدقهم ويتبع أثرهم أرشدهم وأعطوه من علم القرآن ما يهتدى به إلى الله بإذنه وإلى جميع سبل الحق.

وهم الذين لا يرغب عنهم وعن مسألتهم وعن علمهم الذى أكرمهم الله به وجعله عندهم إلّا من سبق عليه فى علم الله الشقاء فى أصل الخلق تحت الأظلة» (٢) فأولئك الذين يرغبون عن سؤال أهل الذكر والذين آتاهم الله علم القرآن ووضعه عندهم وأمر بسؤالهم، وأولئك الذين يأخذون بأهوائهم وآرائهم ومقاييسهم حتى دخلهم الشيطان،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٩٧

لأنهم جعلوا أهل الإيمان فى علم القرآن عند الله كافرين، وجعلوا أهل الضلالة فى علم القرآن عند الله مؤمنين، وحتى جعلوا ما أحلّ الله فى كثير من الأمر حراماً، وجعلوا ما حرّم الله فى كثير من الأمر حلالاً، فذلك أصل ثمرة أهوائهم، وقد عهد إليهم رسول الله (ص)



قبل موته، فقالوا: نحن بعد ما قبض الله (عز وجل) رسوله (ص) يسعنا أن نأخذ بما اجتمع عليه رأى الناس بعدما قبض الله (عز وجل) رسوله (ص) وبعد عهده الذى عهده إلينا وأمرنا به مخالفاً لله ولرسوله (ص).

فما أحد أجزأ على الله ولا أبين ضلالة ممن أخذ بذلك وزعم أن ذلك يسعه، والله إن الله على خلقه أن يطيعوه ويتبعوا أمره فى حياة محمد (ص) وبعد موته، هل يستطيع أولئك أعداء الله أن يزعموا أن أحداً ممن أسلم مع محمد (ص) أخذ بقوله ورأيه ومقاييسه؟ فإن قال: نعم، فقد كذب على الله وضلَّ ضلالاً بعيداً، وإن قال: لا، لم يكن لأحد أن يأخذ برأيه وهواه ومقاييسه فقد أقرَّ بالحجة على نفسه، وهو ممن زعم أن الله يطاع ويتبع أمره بعد قبض الرسول (ص)، وقد قال الله وقوله الحق: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١) وذلك لتعلموا أن الله يطاع ويتبع أمره فى حياة محمد (ص) وبعد قبض الله محمداً (ص)، وكما لم يكن لأحد من الناس مع محمد (ص) أن يأخذ بهواه ولا رأيه ولا مقاييسه خلافاً لأمر محمد (ص) فكذلك لم يكن لأحد من الناس بعد محمد (ص) أن يأخذ بهواه ولا رأيه ولا مقاييسه... .

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٩٨

إلى أن قال (ع): «أيتها العصابة الحافظ الله لهم أمرهم عليكم بآثار الرسول (ص) وآله وسنته وآثار الأئمة الهداة من أهل بيت رسول الله (ص) من بعده وسنتهم، فإنه من أخذ بذلك فقد اهتدى، ومن ترك ذلك ورغب عنه ضلَّ لأنهم هم الذين أمر الله بطاعتهم وولايتهم، وقد قال أبونا رسول الله (ص): المداومة على العمل فى اتباع الآثار والسنن وإن قلَّ أرضى الله وأنفع عنده فى العاقبة من الاجتهاد فى البدع واتباع الأهواء، إلا أن اتباعت الأهواء واتباع البدع بغير هدى من الله ضلال وكل ضلالة بدعة وكل بدعة فى النار، ولن ينال شيء من الخير عند الله إلا بطاعته والصبر والرضا، لأن الصبر والرضا من طاعة الله...»

إلى أن قال (ع): «فإن من لم يجعل الله من أهل صفة الحق فأولئك هم شياطين الإنس والجن، وإن لشياطين الإنس حيلة ومكرًا وخداع ووسوسة بعضهم إلى بعض يريدون إن استطاعوا أن يردوا أهل الحق عمَّا أكرمهم الله به من النظر فى دين الله الذى لم يجعل الله شياطين الإنس من أهله إرادة أن يستوى أعداء الله وأهل الحق فى الشكِّ والإنكار والتكذيب فيكونون سواء كما وصف الله تعالى فى كتاب من قوله: وَذُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً (١)»، ثم نهى الله أهل النصر بالحق أن يتخذوا من أعداء الله ولياً ولا نصيراً، فلا يهولنكم ولا يردنكم عن النصر بالحق الذى خصكم الله به من حيلة شياطين الإنس ومكرهم من أموركم...»

إلى أن قال: «هذا أدبنا أدب الله، فخذوا به وتفهموه واعقلوه، ولا تنبذوه وراء ظهوركم.»

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٩٩

وروى الكليني فى كتاب (الكافى) فى أبواب الحجَّة باب الغيبة (١) بسنده عن أمير المؤمنين (ع): «اللهم إنه لا بد لك من حجج فى أرضك، حجَّة بعد حجَّة على خلقك، يهدونهم إلى دينك، ويعلمونهم علمك، كى لا يتفرق أتباع أوليائك، ظاهر غير مطاع، أو مكتتم يترقب، إن غاب عن الناس شخصهم فى حال هدنتهم فلم يغب عنهم قديم ماثوث علمهم، وآدابهم فى قلوب المؤمنين مثبتة، فهم بها عاملون.»

ويقول (ع) فى هذه الخطبة فى موضع آخر: «فيمن هذا؟ ولهذا يارز (٢) العلم إذا لم يوجد له حملة يحفظونه ويروونه كما سمعوه من العلماء ويصدقون عليهم فيه، اللهم فإنى لأعلم أن العلم لا يارز كله ولا ينقطع مواده، وإنك لا تخلى أرضك من حجَّة لك على خلقك ظاهر ليس بالمطاع، أو خائف مغمور كيلا تبطل حجتك ولا يضل أولياؤك بعد إذ هديتهم بل أين هم؟ وكم هم؟ أولئك الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً.»

وفى كلامه (ع) إشارة إلى غيبة الحجَّة (ع)، حيث قال: «أو مكتتم مترقب إن غاب عن الناس» والاكتمام إشارة إلى عدم نصب الحجَّة الغائب النائب الخاص فى غيبته وهى الطولى الكبرى، وأشار (ع) بقوله: «إن غاب عن الناس شخصهم فى حال هدنتهم فلم يغب عنهم قديم ماثوث علمهم، وآدابهم فى قلوب المؤمنين مثبتة فهم بها عاملون» إلى الوظيفة فى الغيبة الكبرى، وهى الرجوع إلى أحاديث

الأئمة الحجج (عليهم السلام) المثبتة فى كتب المؤمنين الرواة منذ قديم أيام الأئمة (عليهم السلام)، وأن هذه الأحاديث المأثورة عنهم هى علم الأئمة وآدابهم، وهى منبع الدين والشريعة والهداية.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٠٠

وأشار (ع) بقوله: «ولهذا يأرز العلم إذا لم يوجد له حمله يحفظونه ويروونه كما سمعوه من العلماء ويصدقون عليهم فيه» إلى أن العلم بالشريعة بين الناس يذهب ويقط بذهاب الفقهاء والحفاظ والرواة عن الأئمة (عليهم السلام)، وهذا وجه قول الصادق (ع) الذى سبق حول زرارة ومحمد بن مسلم وأبى بصير وبُريد.

وروى الصدوق فى كتابه (إكمال الدين) (١) بسنده عن الصادق (ع)، عن آبائه (عليهم السلام) فى وصية النبى (ص) لعلى (ع) قال: «يا على، أعجب الناس إيماناً وأعظمهم يقيناً قوم يكونون فى آخر الزمان لم يلحقوا بالنبى (ص)، وحجب عنهم الحجة، فأمنوا بسواد على بياض».

وروى الكشى فى كتاب (الرجال) (٢) بسنده إلى أبى هاشم الجعفرى (داود بن القاسم من ذرية جعفر الطيار رضوان الله تعالى عليه) قال: أدخلت كتاب يوم وليلة الذى ألفه يونس عبد الرحمن (وهو من أصحاب الرضا (ع) وكان من أفقه أصحابه) على أبى الحسن العسكرى (ع) فنظر فيه وتصفحه كله، ثم قال: «هذا دينى ودين آبائى كله وهو الحق كله».

وروى الكلينى بسنده عن محمد بن الحسن بن أبى خالد شينو له قال: قلت لأبى جعفر الثانى (الجواد) (ع): جعلت فداك، إن مشايخنا رووا عن أبى جعفر (الباقى) وأبى عبد الله (الصادق) (ع) وكانت التقيئة شديدة فكنتموا كتبهم فلم ترو عنهم، فلما ماتوا صارت تلك الكتب إلينا، فقال: «حدّثوا بها فإنها حق» (٣).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٠١

وروى الشيخ الجليل الأقدم ابن شعبة الحرانى فى كتابه (تحف العقول) (١) عن الكاظم (ع) أنه كان لأبى يوسف (تلميذ أبى حنيفة وقاضى العباسيين) معه كلام فى مجلس الرشيد، فقال الرشيد بعد كلام طويل لموسى بن جعفر (ع): بحق آبائك لما اختصرت كلمات جامعة لما تجارباناه (٢)، فقال: «نعم»، وأتى بدواة وقرطاس فكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، جميع أمور الأديان أربعة: أمر لا اختلاف فيه وهو إجماع الأئمة على الضرورة التى يضطرون إليها، والأخبار المجمع عليها وهو الغاية المعروض عليها كل شبهة والمستنبط منها كل حادثة وأمر يحتمل الشك والإنكار فسيبيله استيضاح أهله لمتنحليه بحجة من كتاب الله مجمع على تأويلها وسنة مجمع عليها لا اختلاف فيها، أو قياس تعرف العقول عدله ولا تسع خاصة الأئمة وعامتها الشك فيه والإنكار له، وهذان الأمران من أمر التوحيد فما دونه، وأرش الخدش فما فوقه، فهذا المعروض الذى يعرض عليه أمر الدين، فما ثبت لك برهانه اصطفيته، وما غمض عليك صوابه نفيته.

فمن أورد واحدة من هذه الثلاث فهى الحجة البالغة التى بينها الله ورسوله (ص) فى قوله لنبيه: قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٣) تبلغ الحجة البالغة الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلم العالم بعلمه، لأن الله عدل لا يجوز يحتج على خلقه بما يعلمون يدعوهم إلى ما يعرفون لا إلى ما يجهلون وينكرون».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٠٢

ومضمون كتاب الكاظم (ع) هو مضمون ما تقدّم فى بداية هذا الأمر الرابع عن الصادق (ع) من أن العقل وإن كان حجة يدرك به التوحيد وصفات الخالق والكمالات وحسن العدل وقبح الظلم وإحالة اجتماع النقيضين ونحوها، ولكن لا يكتفى به فى معرفة مرضى الله ومعاصيه وأوامره ونواهيته، بل لا بدّ من العلم وهو الكتاب العزيز والسنة المطهرة للنبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، فهذه هى الحجج الثلاث المشار إليها فى قوله (ع): «فمن أورد واحدة من هذه الثلاث وهى الحجة البالغة».

كما أن المشار إليه بقوله (ع): «وهذان الأمران من أمر التوحيد فما دونه، وأرش الخدش فما فوقه، فهذا المعروض الذى يعرض عليه



أمر الدين» هو ما تقدم فى صدر كلامه (ع) من إجماع الأئمة على الضرورة والأخبار المجمع عليها أو الأمر الذى لا اختلاف فيه والذى فيه الشكّ سواء كان من الأصول أو الفروع، والمراد من العرض هو ملاحظة الأمر المشكوك سواء فى أصول الدين أو فروعها ومقارنته مع الضروريات والسنة القطعية والمستفيضة عنهم (عليهم السلام)، فما وافقها اصطفى وارضى، وما نافاها أنكر ونفى. وهذه ضابطة وردت بها أحاديث مستفيضة كما فى قول الباقر (ع): «الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام فى الهلكة، إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه» (١)».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٠٣

وقال الصادق (ع): «إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله (ص)، وإلا فالذى جاءكم به أولى به» (١)»، وقال: «كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف» (٢)».

وقال الرضا (ع): «إن الله حرم حراماً وأحلّ حلالاً وفرض فرائض، فما جاء فى تحليل ما حرم الله أو فى تحريم ما أحلّ الله أو دفع فريضة فى كتاب الله رسمها بين قائم بلا ناسخ نسخ ذلك فذلك ما لا يسع الأخذ به، لأن رسول الله (ص) لم يكن ليحرم ما أحلّ الله ولا ليغير فرائض الله وأحكامه، كان فى ذلك كله متبعاً مسلماً مؤدياً عن الله، وذلك قول الله: «إِن تَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ» (٣)، فكان (ع) متبعاً لله مؤدياً عن الله ما أمره به من تبليغ الرسالة، ... إلى أن قال: «إننا لا نرخص فيما لم يرخص فيه رسول الله (ص)، ولا نأمر بخلاف ما أمر به رسول الله (ص)، ... إلى أن قال: «فإنما أن نستحلّ ما حرم رسول الله (ص)، أو نحرم ما استحلّ رسول الله (ص)، فلا يكون ذلك أبداً، لأننا تابعون لرسول الله (ص)، مسلمون له كما كان رسول الله (ص) تابعاً لأمر ربه مسلماً له، وقال الله (عز وجل): ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» (٤)» (٥)».

وقال الصادق (ع): «حلال محمّد (ص) حلال أبداً إلى يوم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٠٤

القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة، لا يكون غيره، ولا يجيء غيره» (١)»، وقال: «قال على: ما أحد ابتدع بدعة إلا ترك بها سنة» (٢)».

وفى نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (ع) فى كتابه إلى مالك الأشتر قال: «وارد إلى الله ورسوله ما يظلمك من الخطوب ويشتهب عليك من الأمور، فقد قال الله سبحانه لقوم أحبّ إرشادهم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» (٣) فالردّ إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والردّ إلى الرسول الأخذ بسنّته الجامعة غير المتفرقة» (٤)».

وفى (تفسير العياشى) (٥)» عن سدير قال: قال أبو جعفر الباقر وأبو عبد الله (الصادق) (ع): «لا يصدق علينا إلا ما وافق كتاب الله وسنّته نيّبه (ص)».

وقد تقدّم قول الحجّة (ع): «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا» (٦)» وهى الأحاديث المعتمدة المأثورة عن آباءه المعصومين (عليهم السلام) وعنه فى الغيبة الصغرى.

وقد تكرر إرجاع الحجّة (ع) فى التوقيعات الصادرة فى الغيبة الصغرى إلى الروايات المأثورة عن آباءه (عليهم السلام) المدونة فى الكتب المشهورة بين الطائفة، وفى الكتاب (٧)» لمحمّد بن عبد الله بن جعفر

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٠٥

الحميرى (١)» إلى الحجّة (ع) بتوسط النواب الأربعة سأله عن المصلّى إذا قام من التشهد الأوّل إلى الركعة الثالثة هل يجب عليه أن يكبر؟ فإن بعض أصحابنا قال: (لا يجب عليه التكبير، ويجزئه أن يقول: بحول الله وقوته أقوم وأقعد)؟

الجواب توقيع الحجّة (ع): «إن فيه حديثين: أما أحدهما: فإنه إذا انتقل من حالة إلى حالة أخرى فعليه التكبير، وأما الآخر: فإنه روى أنه إذا رفع رأسه من السجدة الثانية فكبر ثم جلس ثم قام فليس عليه فى القيام بعد القعود تكبير، وكذلك فى التشهد الأوّل يجرى هذا

المجرى، وبأيهما أخذت من جهة التسليم كان صواباً» (٢)».

فأرجع (ع) السائل وهو محمد بن عبد الله الحميرى إلى الحدِيثين المرويين عن آباءه (عليهم السلام)، ثم أكد على السائل الأخذ بأى واحد منهما والعمل به من باب التسليم والرد فى كل ما ينوبه إلى الأحاديث المنقولة عنهم (عليهم السلام).

وسأل الحميرى أيضاً فى ضمن المسائل التى فى كتابه: وروى فى ثواب القرآن فى الفرائض وغيرها أن العالم (هو لقب للإمام الكاظم (ع)) (٣) قال: «عجباً لمن لم يقرأ فى صلاته: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (٤)» كيف تقبل صلاته؟».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٠٦

وروى: «ما زكت صلاة من لم يقرأ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ».

وروى: «أن من قرأ فى فرائضه: الهَمْزة أعطى من الثواب قدر الدنيا»، فهل يجوز أن يقرأ: الهَمْزة ويدع هذه السور التى ذكرناها مع ما قد روى أنه لا تقبل صلاة ولا تزكوا إلاً بهما؟.

التوقيع: «الثواب فى السور على ما قد روى وإذا ترك سورة مما فيها الثواب وقرأ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ و إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ لِفَضْلِهِمَا أعطى ثواب ما قرأ وثواب السور التى ترك ويجوز أن يقرأ غير هاتين السورتين وتكون صلاته تامة، ولكن يكون قد ترك الفضل» (١)».

وسأل عن التوجه للصلاة أن يقول: على ملّة إبراهيم ودين محمد (ص) فإن بعض أصحابنا ذكر أنه إذا قال: على دين محمد فقد أبدع لأننا لم نجد فى شىء من كتب الصلاة خلا حديثاً فى كتاب القاسم بن محمد عن جدّه عن الحسن بن راشد أن الصادق (ع) قال للحسين (أى بن راشد): «كيف تتوجه؟»، فقال: أقول: لبيك وسعديك، فقال له الصادق (ع): «ليس عن هذا أسألك، كيف تقول وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً؟»، قال الحسن: أقول، فقال الصادق (ع): «إذا قلت ذلك فقل: على ملّة إبراهيم ودين محمد ومنهاج على بن أبى طالب والإتّمام بآل محمد، حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين».

فأجاب (ع): «التوجه كلّهُ ليس بفريضة، والسنة المؤكّدة فيه التى هى كالإجماع الذى لا خلاف فيه: وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً على ملّة إبراهيم ودين محمد وهدى أمير المؤمنين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٠٧

وما أنا من المشركين إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وأنا من المسلمين، اللهم اجعلنى من المسلمين، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ثم اقرأ الحمد». قال الفقيه الذى لا يشكّ فى علمه: «إن الدين لمحمد والهداية لعلى أمير المؤمنين لأنها له (ص) وفى عقبه باقية إلى يوم القيامة، فمن كان كذلك فهو من المهتدين، ومن شكّ فلا دين له، ونعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى» (١)».

وسأل عن سجدة الشكر بعد الفريضة: فإن بعض أصحابنا ذكر أنها (بدعة) فهل يجوز أن يسجدها الرجل بعد الفريضة؟ وإن جاز ففى صلاة المغرب هى بعد الفريضة أو بعد الأربع ركعات النافلة؟

فأجاب (ع): «سجدة الشكر من أئمة السنن وأوجبها ولم يقل: إن هذه السجدة بدعة إلا من أراد أن يحدث بدعة فى دين الله، فأما الخبر المروى فيها بعد صلاة المغرب والاختلاف فى أنها بعد الثلاث أو بعد الأربع، فإن فضل الدعاء والتسبيح بعد الفرائض على الدعاء بعقيب النوافل كفضل الفرائض على النوافل، والسجدة دعاء وتسبيح، فالأفضل أن تكون بعد الفرائض، فإن جعل بعد النوافل أيضاً جاز» (٢)».

وكتب إليه (ع) أيضاً فى سنة (٣٠٨ هـ-) كتاباً سأله فيه عن مسائل أخرى سأل: إن قبلنا مشايخ وعجائز يصومون رجياً منذ ثلاثين سنة وأكثر ويصلون بشعبان وشهر رمضان. وروى لهم بعض أصحابنا: أن صومه معصية؟

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٠٨

فأجاب (ع): «قال الفقيه: يصوم منه أياماً إلى خمسة عشر يوماً إلا أن يصومه عن الثلاثة الأيام الفائتة، للحديث: إن نعم شهر القضاء

رجب».

وسأل عن الركعتين الأخرتين قد كثرت فيها الروايات فبعض يروى: أن قراءة الحمد وحدها أفضل، وبعض يروى: أن التسييح فيهما أفضل. فالفضل لأيهما لنستعمله؟ فأجاب (ع): «قد نسخت قراءة أم الكتاب فى هاتين الركعتين التسييح، والذى نسخ التسييح قول العالم (ع): كل صلاة لا قراءة فيها فهو خداج إلّا للعليل أو يكثر عليه السهو فيتخوف بطلان الصلاة عليه».

وسأل: عن الرجل يعرض له الحاجة مما لا يدرى أن يفعلها أم لا، يأخذ خاتمين فيكتب فى أحدهما: (نعم أفعّل) وفى الآخر: (لا تفعل) فيستخير الله مراراً ثم يرى فيهما، فيخرج أحدهما فيعمل بما يخرج، فهل يجوز ذلك أم لا؟ والعامل به والتارك له هو مثل الاستخارة أم هو سوى ذلك؟

فأجاب (ع): «الذى سنّه العالم ((١)) (ع) فى هذه الاستخارة بالرقاع والصلاة».

وسأل عن الرجل ينوى إخراج شىء من ماله وأن يدفعه إلى رجل من إخوانه ثم يجد فى أقربائه محتاجاً يصرف ذلك عمّن نواه له أو إلى قرابته؟

فأجاب: «يصرفه إلى أدناهما وأقربهما من مذهبه فإن ذهب إلى قول العالم (ع): لا يقبل الله الصدقة وذو رحم محتاج، فليقسم بين القرابة وبين الذى نوى حتى يكون قد أخذ بالفضل كله» ((٢)).

أقول: فكل هذا الإرجاع من الحجة (ع) لأحاديث آبائه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٠٩

المعصومين (عليهم السلام) مع أنه معصوم أيضاً وقوله كقولهم حجة على العباد ليس إلّا لتعليم الشيعة على الرجوع إلى الأحاديث المأثورة عن آبائه (عليهم السلام) فى الغيبة الكبرى.

والأئمة الإثنا عشر كلهم نور واحد ومشكاة واحدة، قال هشام بن سالم وهو من أجلاء أصحاب الصادق (ع)، وكذلك قال حماد بن عثمان وغيره قالوا: سمعنا أبا عبد الله (ع) يقول: «حديثى حديث أبى، وحديث أبى حديث جدّى، وحديث جدّى حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول (ص)، وحديث رسول الله (ص) قول الله (عز وجل) ((١))».

وقال جابر الجعفى (وهو من حوارى الباقر (ع)): قلت لأبى جعفر (ع): إذا حدّثتنى بحديث فأسنده لى، فقال: «حدّثنى أبى، عن جدّى، عن رسول الله (ص)، عن جبرئيل، عن الله تبارك وتعالى، وكلّ ما حدّثتك بهذا الإسناد، وقال: يا جابر لحديث واحد تأخذه عن صادق ((٢))» خير لك من الدنيا وما فيها» ((٣)).

وروى الكلينى عن الصادق (ع) أنه قال: «ليس يخرج شىء من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١١٠

عند الله (عز وجل) حتى يبدأ برسول الله (ص)، ثم بأمر المؤمنين (ع)، ثم بواحد بعد واحد، لكيلا يكون آخرنا أعلم من أولنا» ((١)).

وروى الكلينى عن الحكم بن أبى نعيم قال: أتيت أبا جعفر (الباقر) (ع) وهو بالمدينة فقلت له: علىّ نذر بين الركن والمقام إن أنا لقيتك أن لا أخرج من المدينة حتى أعلم أنك قائم آل محمّد أم لا؟ فلم يجبنى بشىء، فأقمت ثلاثين يوماً، ثم استقبلنى فى طريق فقال: «يا حكم وإنك لهنا بعد»، فقلت: نعم، إنى أخبرتك بما جعلت الله علىّ فلم تأمرنى ولم تنهنى عن شىء ولم تجبنى بشىء، فقال: «بكر علىّ غدوة المنزل»، فغدوت عليه، فقال (ع): «سل عن حاجتك؟»، فقلت: إنى جعلت الله علىّ نذراً وصياماً وصدقة بين الركن والمقام إن أنا لقيتك أن لا أخرج من المدينة حتى أعلم أنك قائم آل محمّد أم لا؟ فإن كنت أنت رابطتك، وإن لم تكن أنت، سرت فى الأرض فطلبت المعاش، فقال: «يا حكم كلنا قائم بأمر الله»، قلت: فأنت المهدي؟ قال: «كلنا نهدى إلى الله»، قلت: فأنت صاحب السيف؟ قال: «كلنا صاحب السيف ووارث السيف»، قلت: فأنت الذى تقتل أعداء الله ويعزّ بك أولياء الله ويظهر بك دين الله؟

فقال: «يا حكم كيف أكون أنا وقد بلغت خمساً وأربعين سنة؟ وإن صاحب هذا الأمر أقرب عهداً باللبن منى وأخف على ظهر الدابة» (٢)». (٢)

\*\*\*

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١١١

**الأمر الخامس الرؤيا ليست مصدراً للتشريع ... ص: ١١١**

### إشارة

إن الرؤيا بعنوان الوحي النبوى ليست مصدراً للتشريع إلا للأنبياء والرسل خاصة.

قال تعالى: قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ (١)».

وروى السيد البحرانى فى تفسيره عن الصدوق بسنده عن الحسن بن على بن فضال، قال: سألت أبا الحسن على بن موسى الرضا (ع) عن معنى قول النبى (ص): «أنا ابن الذبيحين»؟ قال: «يعنى إسماعيل بن إبراهيم (ع) وعبد الله بن عبد المطلب، أما إسماعيل فهو الغلام الحليم الذى بشر الله تعالى به إبراهيم (ع) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ وَلَمْ يَقُلْ لَهُ: يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا رَأَيْتَ» (٢ ... ٢) الحديث.

وبهذا المضمون عدّة روايات.

وقال تعالى: بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً (٣)».

أى يريد كل واحد من هؤلاء الذين لم يؤمنوا أن يكون

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١١٢

رسولاً يوحى إليه أو لعله تفسير لقوله تعالى: وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا\* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا\* أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ قِيَلًا\* أَوْ يُكُونَ لَكَ يَبْتُ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَزْفَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيَاكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (١)».

وروى الكلينى بسنده عن زرارة قال: سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله (عز وجل): وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٢)» ما الرسول وما النبى؟ قال: «النبى الذى يرى فى منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الذى يسمع الصوت ويرى فى المنام ويعاين الملك»، قلت: الإمام ما منزلته؟ قال: «يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك»، ثم تلا هذه الآية: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ (٣)» (٤)».

وروى أيضاً بسنده عن الحسن بن العباس المعروفى أنه كتب إلى الرضا (ع): جعلت فداك أخبرنى ما الفرق بين الرسول والنبى والإمام؟ قال: فكتب أو قال: «الفرق بين الرسول والنبى والإمام أن الرسول الذى ينزل عليه جبرئيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي، وربما رأى فى منامه نحو رؤيا إبراهيم (ع)، والنبى ربما سمع الكلام وربما رأى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١١٣

الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذى يسمع الكلام ولا يرى الشخص» (١)».

وبهذا المضمون عدّة روايات أخرى.

وروى المجلسى عن أمالى الشيخ الطوسى بسنده عن أمير المؤمنين (ع) قال: «رؤيا الأنبياء وحي» (٢)».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١١٤

وروى الكليني بسنده عن ابن أذينة عن أبي عبد الله (الصادق) (ع) قال: قال: «ما تروى هذه الناصبة؟»، فقلت: جعلت فداك فيما ذا؟ فقال: «فى أذانهم وركوعهم وسجودهم»، فقلت: إنهم يقولون: إن أبى بن كعب رآه فى النوم، فقال: «كذبوا فإن دين الله (عزوجل) أعز من أن يرى فى النوم» قال: فقال له سدیر السیرفى: جعلت فداك فأحدث لنا من ذلك ذكراً، فقال أبو عبد الله (ع): «إن الله (عزوجل) لمّا عرج بنبیه (ص) إلى سماواته السبع» («... ١») الحديث، ثم ذكر (ع) تفصیل ذلك.

وقال العلامة المجلسى (رض): قد ورد بأسانید صحیحة عن الصادق (ع) فى حدیث الأذان أن «دين الله تبارك وتعالى أعز من أن يرى فى النوم» وقال: المراد أنه لا یثبت أصل شرعیة الأحكام بالنوم بل إنما هی بالوحى الجلى («٢»).

وقد اتضح أن المقصود من أن الرؤیا لیست مصدرراً للشریعة إلاّ للأنبیاء خاصة أن الرؤیا المشتملة على الأمر والنهى هی أحد أقسام الوحى الإلهى للأنبیاء، ومن المعلوم أنه مخصوص بمن ینبى من الله (عزوجل).

أما الرؤیا الصادقة المشتملة على حکایة وقائع مستقبلية أى التى يكون مضمونها الأخبار بخلاف الرؤیا الأولى التى يكون مضمونها الإنشاء التشريعى الإلهى فهذه أيضاً تحصل للأنبیاء والرسل وهى تكون صادقة دائماً لديهم.

قال تعالى: إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١١٥

وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ \* قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِأَيْدِيكُمْ عَلَى الْآيَةِ، وَهَذِهِ التَّى فِيهَا التَّأْوِيلُ وَالتَّعْبِيرُ.

قال تعالى على لسان يعقوب (ع) مخاطباً يوسف (ع): وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رُبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ («٢»).

وقال تعالى: وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ («٣»)، وقال: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الَّحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ. («٤»)

حيث رأى النبى (ص) ذلك عام الحديبية وهى سنة الست من الهجرة وصدقت العام الذى بعده.

هذا وقد بحث علماء الكلام (وهو العلم الباحث عن أصول العقائد) عن طريق معرفة النبى أنه مبعوث واطمئنانه بذلك وعن كيفية العصمة فى الوحى وتلقيه ومجمل الأدلة العقلية فى ذلك هى بعينها الأدلة الدالة على ضرورة بعث الله (عزوجل) الرسل والأنبياء لهداية عباده فهى على ضرورة تأييد الأنبياء وحفظهم وعصمتهم وفى نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: «وقد قرن الله به (ص) من لدن إن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره» («١»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١١٦

واستفاضت الروايات بأنه (ص) لم يزل مؤيداً بروح القدس يكلمه ويسمع صوته ويرى الرؤيا الصادقة حتى بعثه الله نبياً ورسولاً.

وقد سأل أصحاب الأئمة عن ذلك، فعن زرارة بن أعين قال: قلت لأبى عبد الله (ع): كيف لم يخف رسول الله (ص) فيما يأتيه من قبل الله أن يكون مما يتزغ به الشيطان؟ فقال: «إن الله إذا اتخذ عبداً رسولاً أنزل عليه السكينة والوقار، فكان الذى يأتيه من قبل الله مثل ما يراه بعينه» («١»).

وروى الكليني بسنده عن بريد أنه سأل أبا جعفر (الباقر) وأبا عبد الله الصادق (ع) قال: قلت: فما الرسول والنبى والمحدث؟ قال: «الرسول الذى يظهر له الملك فيكلمه، والنبى هو الذى يرى فى منامه، وربما اجتمعت النبوة والرسالة لواحد، والمحدث الذى يسمع الصوت ولا يرى الصورة»، قال: قلت: أصلحك الله كيف يعلم أن الذى رأى فى النوم حق وأنه من الملك؟ قال: «يوفق حتى يعرفه، لقد ختم الله بكتابتكم الكتب، وختم بنبيتكم الأنبياء» («٢»).

وروى عن محمد بن هارون، عن أبى عبد الله (ع) قال: «ما علم رسول الله أن جبرئيل من عند الله إلاّ بالتوفيق» («٣»).

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ («٤»). فالوحى إنزال حق ومعصوم، وفى تلقى الرسول إياه حق ومعصوم، وقال

عز من قائل: وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَبْغَى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ («٥»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١١٧

إذا تتهبت إلى مجمل ما سبق يتضح لك أن غير المعصوم من سائر الناس ليس له أى حظ من الرؤيا من النحو الأول وهى ما يكون فيها إنشاء أى أوامر ونواهى إلهية ونحوها من الأحكام الشرعية، وإن توهم ذلك متوهم فليستين بأن ذلك من الشياطين وقد أشار القرآن الكريم إلى عدّه من أفعال الشياطين.

فمنها: الهمز كما فى قوله تعالى: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ («١»).

ومنها: النزول على الأفلاك (أى الكذاب المفترى) الآثم كما فى قوله تعالى: هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ \* نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ («٢»).

ومنها: الاستهواء كما فى قوله تعالى: كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ («٣»).

ومنها: النزغ كما فى قوله تعالى: وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ («٤»).

ومنها: المس كما فى قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا («٥»).

ومنها: الأرز كما فى قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزًّا («٦»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١١٨

ومنها: الإلقاء كما فى قوله تعالى: لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ («١»).

ومنها: الإيحاء كما فى قوله تعالى: إِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ («٢»)، وغير ذلك من الآيات.

وعن الباقر (ع) قال: «لما ترون من بعثه الله (عزوجل) للشقاء على أهل الضلالة من أجناد الشياطين وأرواحهم أكثر مما ترون مع خليفه الله الذى بعثه للعدل والصواب للملائكة»، قيل: يا أبا جعفر، وكيف يكون شىء أكثر من الملائكة؟ قال: «كما يشاء الله (عزوجل)». قال السائل: يا أبا جعفر إنى لو حدثت بعض أصحابنا الشيعة بهذا الحديث لأنكروه، قال: «كيف ينكرونه؟»، قال: يقولون: إن الملائكة أكثر من الشياطين. قال: «صدقت افهم عنى ما أقول لك: إنه ليس من يوم ولا ليلة إلا وجميع الجن والشياطين تزور أئمة الضلالة، وتزور أئمة الهدى عددهم من الملائكة، حتى إذا أتت ليلة القدر فيهبط فيها من الملائكة إلى ولى الأمر قىض الله (عزوجل) من الشياطين بعددهم، ثم زاروا ولى الضلالة فأتوه بالإفك والكذب حتى لعله يصبح فيقول: رأيت كذا وكذا، فلو سئل ولى الأمر عن ذلك لقال: رأيت شيطاناً أخبرك بكذا وكذا حتى يفسر له تفسيراً ويعلمه الضلالة التى هو عليها» («٣»).

والهمز كالعصر، والنزغ الجذب للشىء من مقره، والمس

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١١٩

كاللمس، والأز كالهز، وهذه الأفعال توردها الشياطين فى القلوب بتوسط الخواطر والواردات والميول والتجاذب النفسى.

وعن كتاب (مجالس الصدوق) («١») بسنده عن أبى بصير، عن أبى جعفر (ع) قال: سمعته يقول: «إن لإبليس شيطاناً يقال له: (هزغ) يملأ المشرق والمغرب فى كل ليلة يأتى الناس فى المنام، ولهذا يرى الأضغاث».

نعم، الرؤيا من القسم الثانى وهى المتضمنة للأخبار والحكاية عن الوقائع المستقبلية، فلغير المعصوم حظ يسير منها بحسب تقواه وصدق حديثه ولسانه وصفاء قلبه، فعن الصدوق (على بن بابويه) بسند عن الكاظم عن أبيه عن آباءه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (ص): «الرؤيا ثلاثة: بشرى من الله، وتحزين من الشياطين، والذى يحدث به الإنسان نفسه فيراه فى منامه» («٢»)، وقال (ص): «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان» («٣»).

ولا تخفى دلالة الرواية على أن الرؤيا الصادقة التى هى نصيب غير المعصوم هى ما تكون بشرى، أى حاكية ومخبرة، أى من القسم



الثانى لا الأول، وهى المتضمنة للإنشاء والتشريع.

ومثل ذلك مفاد الرواية عن الباقر (ع)، عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال: أتى رجل من أهل البادية رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله أخبرنى عن قول الله: الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ \* لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿٤﴾، فقال رسول الله (ص): «أما قوله: لَهُمُ الْبُشْرَى فِي

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٢٠

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فهى الرؤيا الحسنه ترى للمؤمن فيبشّر بها فى دنياه، وأما قوله: وَفِي الْآخِرَةِ فَإِنَهَا بَشْرَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ عند الموت إن الله غفر لك ولمن يحملك إلى قبرك» (١).

وروى الكلينى بسنده عن أبى الحسن (ع) قال: «إن الأحلام لم تكن فى ما مضى فى أول الخلق وإنما حدثت»، فقلت: وما العلة فى ذلك؟ فقال: «إن الله عزّ ذكره بعث رسولاً إلى أهل زمانه فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته، فقالوا: إن فعلنا ذلك فما لنا؟ فوالله ما أنت بأكثرنا مالاً ولا بأعزنا عشيرة، فقال: إن أطعتمونى أدخلكم الله الجنة وإن عصيتمونى أدخلكم الله إلى النار. فقالوا: وما الجنة وما النار؟ فوصف لهم ذلك فقالوا: متى نصير إلى ذلك؟ فقال: إذا تمّم. فقالوا: لقد رأينا أمواتنا صاروا عظاماً ورفاتاً، فزادوا له تكذيباً وبه استخفافاً، فأحدث الله (عزوجل) فيهم الأحلام، فأتوه فأخبروه بما رأوا وما أنكروا من ذلك. فقال: إن الله عزّ ذكره أراد أن يحتجّ عليكم بهذا، هكذا تكون أرواحكم إذا تمّم، وإن بليت أبدانكم تصير الأرواح إلى عقاب حتى تبعث الأبدان» (٢).

وإذا عرفت أن الرؤيا التى هى من نحو الأخبار على ثلاثة أقسام: صادقه، وكاذبه، وتخيلات، يتضح لك عدم دوام الصدق فيها ففى كتاب (التوحيد) (٣) للمفضل بن عمر الجعفى قال له الإمام الصادق (ع): «فكر يا مفضل فى الأحلام كيف دُبر الأمر فيها، فمزج صادقها بكاذبها، فإنها لو كانت كلّها تصدق لكان الناس كلّهم أنبياء، ولو كانت كلّها تكذب

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٢١

لم يكن فيها منفعة، بل كانت فضلاً لا معنى له، فصارت تصدق أحياناً فينتفع بها الناس فى مصلحه يهتدى لها، أو مضرة يتحذر منها، وتكذب كثيراً لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد».

وعن كتاب (بصائر الدرجات) (١) فى قصة الحسن بن عبد الله الرافقى (الواقفى) الزاهد العابد، حيث كان يلقاه السلطان فيستقبله بالكلام الصعب يعظه ويأمره بالمعروف، وكان يحتمله لصلاحه، فلم يزل حاله حتى اهتدى للمعرفة على يد الإمام الكاظم (ع) فى لقاءات متعددة، وكان يرى الرؤيا الحسنه وترى له، ثم انقطعت عنه الرؤيا، فرأى ليلة أبا عبد الله (ع) فيما يرى النائم فشكى إليه انقطاع الرؤيا، فقال: «لا تغتم فإن المؤمن إذا رسخ فى الإيمان رفع عنه الرؤيا».

ولعل ذلك مراد ما حكاه الشيخ المفيد قال: (وقد كان شيخى (رض) قال لى: إن كل من كثر علمه واتسع فهمه قلت مناماته) (٢).

وعن كتاب (ثواب الأعمال) (٣) للصدوق (رض) بسنده عن هشام بن أحمد، وعبد الله ابن مسكان، ومحمد بن مروان، عن أبى عبد الله (ع) قال: «ثلاثة يعدّون يوم القيامة: من صور صورة من الحيوان حتى ينفخ فيها وليس بنافخ فيها، والذى يكذب فى منامه يعدّ حتى يعقد بين شعيرتين وليس بعاقدهما، والمستمع من قوم وهم له كارهون يصبّ فى أذنيه الإنك وهو الأسرب (الرصاص)».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٢٢

### جواب شبهة من رآنى فى منامه فقد رآنى ... ص: ١٢٢

«وبعد هذا كله لعل قائلاً يقول: أليس قد روى عن رسول الله (ص) أنه قال: «من رآنى فى منامه فقد رآنى لأن الشيطان لا يتمثل فى صورتى ولا فى صورة أحد من أوصيائى ولا فى صورة أحد من شيعتهم» (١) وحينئذ كانت رؤيا الرسول (ص) أو أحد أوصيائه صادقة لا محالة، وهى لا يفرق فيها بين أن تكون من القسم الأول وهى ما كان فيها أمر ونهى، أو من القسم الثانى وهى الأخبار عن ما



يستقبل من الأمور.

وهذه المقالة وَهْمٌ فاسد لجهات عدّة:

الأولى: أن أكثر ما روى عن الرسول (ص): «من رآنى فى منامه فقد رآنى» فهو بطرق العامة لا بطرق الخاصة الإمامية، وأما ما روى بطريق الخاصة فالمرحوم العلامة المجلسى على سعة باعه وتوغله فى الرواية لم يذكر فى كتاب البحار، فى باب رؤية النبى (ص) والأوصياء (عليهم السلام) إلّا رواية واحدة بهذا المضمون، ثم ذكر أنه روى المخالفون (أهل السنّة) ذلك بأسانيد عندهم، ولذا قال السيد المرتضى عندما سئل عن هذا الخبر: (هذا خبر واحد ضعيف من أضعف أخبار الآحاد، ولا معوّل على مثل ذلك) («٢»).

وهى ليست على درجة من الاعتبار، وبعبارة أخرى أن حجية الرواية يشترط فيها أمور منها ما يتعلق بالسند والطريق وهو الأشخاص الذين ينقل كل منهم عن الآخر حتى يصل إلى المعصوم (ع)، فإنهم لا بدّ أن يكونوا عدولاً أو ثقافتاً قد اطمئن إلى صدق لهجتهم، فلا يقبل من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٢٣

غير العادل والثقة، قال تعالى: إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ («١»)، وكذلك مجهول الحال فإنه لا يمكن الاعتماد عليه فى النقل والحديث.

الثانية: أن هذه المسألة وهى كون الرؤيا مصدراً لاستقاء أحكام الشريعة من سلك مسائل الأصول الاعتقادية فكيف يعوّل فيها على خبر واحد ظنى، إذ لا بدّ فيها من اليقين والقطع، ولذلك قال العلامة المجلسى تغمّده الله برحمته: (أن الظاهر إن هذا من مسائل الأصول، ولا بدّ فيه من العلم، ولا يثبت بأخبار الآحاد المفيدة للظن) («٢»).

الثالثة: لو فرضنا اعتبار طريق الرواية وفرضنا إمكان إثبات مثل هذه المسألة بخبر واحد ظنى فإن ذلك يتم لو كنّا نحن والرواية على تقدير صحة هذه الاستفادة من معنى الرواية، وأما مع ما تقدّم من الآيات القرآنية والسنة المستفيضة المتواترة معنى فى أن الرؤيا المتضمنة للأمر والنهى من خصائص الأنبياء والمرسلين فلا يمكن الاعتماد على هذه الاستفادة من الرواية ولا برفع اليد عن الدليل القطعى بخبر واحد، ولا يوسوس فى ذلك إلّا من ليس يتحرّج فى دينه ومن لا يركن إلى أوليات عقله وفطرته.

الرابعة: توجد روايتان معتبرتتان بل أكثر تدلّ بالخصوص على عدم صحة أن من رآهم فى المنام مطلقاً ودوماً فقد رآهم (عليهم السلام)، فقد روى الشيخ الجليل الكشى فى كتابه (معرفة الرجال) («٣») عن جبريل بن أحمد أنه حدّثه محمّد بن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٢٤

عيسى (العبيدى القطينى)، عن على بن الحكم، عن حمّاد بن عثمان، عن زرارة، قال: قال أبو عبد الله (الصادق) (ع): «أخبرنى عن حمزة («١») أيزعم أن أبى آتبه؟»، قلت: نعم. قال: «كذب والله ما يأتبه إلّا المتكوّن، إن إبليس سلّط شيطاناً يقال له: المتكوّن يأتى الناس فى أى صورة شاء، إن شاء فى صورة صغيرة وإن شاء فى صورة كبيرة، ولا والله ما يستطيع أن يجىء فى صورة أبى (ع)».

وروى عن سعد بن عبد الله الأشعرى قال: حدّثنى أحمد (بن عيسى الأشعرى)، عن أبيه، والحسين بن سعيد (الأهوازى)، عن ابن أبى عمير، عن محمّد بن عمر بن أذينة، عن بُريد بن معاوية العجلي، وبطريق آخر عن سعد بن عبد الله، قال: حدّثنى محمّد بن عيسى (العبيدى)، عن يونس بن عبد الرحمن، ومحمّد بن أبى عمير، عن محمّد بن عمر بن أذينة، عن بُريد بن معاوية العجلي، قال: كان حمزة بن عمارة الزبيدى (البربرى) لعنه الله يقول لأصحابه أن أبا جعفر (الباقر) (ع) يأتينى فى كل ليلة ولا يزال إنسان يزعم أنه قد رآه فقدّر لى أنى لقيت أبا جعفر (ع) فحدّثته بما يقول حمزة، فقال: «كذب، عليه لعنة الله ما يقدر الشيطان أن يتمثل فى صورة نبى ولا وصى نبى» («٢»).

وهاتان الروايتان وإن كان يحتمل منهما الرؤية فى اليقظة، ولكن ذلك لا يחדش فى المطلوب وهو عدم دوام المطابقة بين ما يعتقد الرأى سواء فى المنام أو اليقظة أنه قد رأى الأئمة مع الواقع والحقيقة، وذلك لتبليس وخداع الشيطان للرائى وتشكّل الشيطان (الذى

يسمى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٢٥

المتكّون) بصور مختلفة يغرى الرائي أن تلك الصور هم الأئمة (عليهم السلام)، مع أن تلك الصور ليست بصورهم (عليهم السلام)، لأنه لا يستطيع التمثّل والتشكّل بصورهم (عليهم السلام)، وستأتى فى الفصل اللاحق نقل عدّة روايات بهذا المضمون. الخامسة: لو رفعنا اليد فرضاً عن ما سبق فإنما يتبع ما يرى فى الشىء الذى علم من الشريعة المقدسة صحته، أى كان المرئى موافقاً لظاهر الشريعة لا ما كان مخالفاً لها، وذلك لكون منشأً ودليل حجّية الرؤية هى هذه الرواية التى هى واصل لنا من الشريعة، فكيف تعارض الشريعة، وهل يمكن للفرع أن يستأصل ويبيد الأصل.

قال الكراجكى فى كتابه (كنز الفوائد) («١»): (وجدت لشيخنا المفيد (رض) فى بعض كتبه: أن الكلام فى باب رؤيا المنامات عزيز، وتهاون أهل النظر به شديد، والبليّة بذلك عظيمة، وصدق القول فيه أصل جليل ... إلى أن قال: وأما رؤية الإنسان للنبي (ص) أو لأحد الأئمة (عليهم السلام) فى المنام فإن ذلك عندى على ثلاثة أقسام: قسم أقطع على صحته، وقسم أقطع على بطلانه، وقسم أجوّز فيه الصحة والبطلان فلا أقطع فيه على حال. فأما الذى أقطع على صحته فهو كل منام رأى فيه النبي (ص) أو أحد الأئمة (عليهم السلام) وهو الفاعل لطاعة أو أمر بها، وناه عن معصية أو مبيّن لقبحها، وقائل لحق أو داع إليه، وزاجر عن باطل أو دام لمن هو عليه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٢٦

وأما الذى أقطع على بطلانه فهو كل ما كان ضد ذلك، لعلنا أن النبي (ص) والإمام (ع) صاحباً حق، وصاحب الحق بعيد عن الباطل. وأما الذى أجوّز فيه الصحة والبطلان فهو المنام الذى يرى فيه النبي والإمام (ع) وليس هو أمراً ولا ناهياً ولا على حال يختص بالديانات («١») مثل أن يراه راكباً أو ماشياً أو جالساً ونحو ذلك.

وأما الخبر الذى يروى عن النبي (ص) من قوله: «من رأى فقد رآنى، فإن الشيطان لا يتشبه بى» فإنه إذا كان المراد به المنام يحمل على التخصيص دون أن يكون فى كل حال، ويكون المراد به القسم الأول من الثلاثة الأقسام، لأن الشيطان لا يتشبه بالنبي (ص) فى شىء من الحق والطاعات ... إلى أن قال:

وجميع هذه الروايات أخبار آحاد، فإن سلمت فعلى هذا المنهاج، وقد كان شيخى يقول:

إذا جاز من بشر أن يدعى فى اليقظة أنه إله كفرعون ومن جرى مجراه مع قلبه حيلة البشر وزوال اللبس فى اليقظة فما المانع من أن يدعى إبليس عند النائم بوسوسة له أنه نبي؟ مع تمكّن إبليس مما لا يتمكن منه البشر وكثرة اللبس المعترض فى المنام.

ومما يوضح لك أن من المنامات التى يتخيل للإنسان أنه قد رأى فيها رسول الله والأئمة منها ما هو حق ومنها ما هو باطل إنك ترى الشيعة يقول: رأيت فى المنام رسول الله (ص) ومعه أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) وهو يأمرنى بالاعتداء به دون غيره، ويعلمنى أنه خليفته من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٢٧

بعده وأن أبا بكر وعمر وعثمان ظالموه وأعداؤه وينهاني عن موالاتهم ويأمرنى بالبراءة منهم ونحو ذلك مما يختص بمذهب الشيعة، ثم يرى الناصبي يقول: رأيت رسول الله فى النوم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وهو يأمرنى بمحبتهم وينهاني عن بغضهم ويعلمنى أنهم أصحابه فى الدنيا والآخرة، وأنهم معه فى الجنة ونحو ذلك مما يختص بمذهب الناصبية، فنعلم لا محالة أن أحد المنامين حق والآخر باطل فأولى الأشياء أن يكون الحق منهما ما ثبت الدليل فى اليقظة على صحة ما تضمنه، والباطل ما أوضحت الحجة عن فساده وبطلانه، وليس يمكن الشيعة أن يقول للناصبي: إنك كذبت فى قولك إنك رأيت رسول الله (ص)، لأنه يقدر أن يقول له مثل هذا بعينه.

وقد شاهدنا ناصبياً يتشيع وأخبرنا فى حال تشيعه بأنه يرى منامات بالضد مما كان يراه حال نصبه، فبان بذلك أن أحد المنامين باطل، وأنه من نتيجة حديث النفس أو من وسوسة إبليس ونحو ذلك، وأن المنام الصحيح هو لطف من الله تعالى بعبده على المعنى المتقدم وصفه.

وقولنا فى المنام الصحيح: إن الإنسان رأى فى نومه النبى (ص) إنما معناه أنه كأن قد رآه، وليس المراد به التحقق فى اتصال شعاع بصره بجسد النبى (ص)، وأى بصر يدرك به فى حال نومه؟ وإنما هى معانى تصورت، وفى نفسه تخيل له فيها أمر لطف الله تعالى له به قام مقام العلم، وليس هذا بمناف للخبر الذى روى من قوله: «من رآنى فقد رآنى»، لأن معناه: فكأنما رآنى، وليس يغلط فى هذا المكان إلّا من ليس له من عقله اعتباراً).

ولهذا بحث الكثير فى علم ما اصطلاح عليه ب- (العرفان) عن الفارق

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٢٨

بين الإلهام الرحمانى والإلهام الشيطانى، وبين الكشف الحقيقى والكشف الكاذب غير الحقيقى، وبين الواردات الرحمانية والملكية والواردات القلبية الشيطانية والجنية.

فقد ذكر الشارح القيصرى فى شرحه على (فصوص الحكم) لابن العربى فى الفصل السادس والسابع من الفصول التى ذكرها فى المقدمة، قال: (وكما أن النوم ينقسم بأضغاث أحلام وغيرها كذلك ما يرى فى اليقظة ينقسم إلى أمور حقيقية محضة واقعة فى نفس الأمر وإلى أمور خيالية صرفة لا حقيقة لها شيطانية، وقد يخلطها الشيطان بيسير من الأمور الحقيقية ليضل الرائي، لذلك يحتاج السالك إلى مرشد يرشده وينجيه من المهالك والأول إما أن يتعلّق بالحوادث أو لا).

فإن كان متعلقاً بها فعند وقوعها كما شاهدتها أو على سبيل التعبير وعدم وقوعها حصل التمييز بينهما وبين الخيالية الصرفة وعبور الحقيقة عن صورتها الأصلية إنما هو للمناسبات التى بين الصور الظاهرة هى فيها وبين الحقيقة، ولظهورها فيها أسباب كلّها راجعة إلى أحوال الرائي وتفصيله يؤدى إلى التطويل.

وأما إذا لم يكن كذلك (أى الرؤيا غير الأخبارية بالمستقبليات) فللفرق بينها وبين الخيالية الصرفة موازين يعرفها أرباب الذوق والشهود بحسب مكاشفاتهم، كما أن للحكماء ميزاناً يفرّق بين الصواب والخطأ وهو المنطق.

منها: ما هو ميزان عام، وهو القرآن والحديث المنبئ كل منهما على الكشف التام المحمّدى (ص).

ومنها: ما هو خاص، وهو ما يتعلق بحال كل منهم القابض عليه من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٢٩

الاسم الحاكم والصفة العالية عليه، وسنومى فى الفصل التالى (أى السابع) بعض ما يعرف به إجمالاً («١»).

أقول: فترى أن الميزان عندهم لكون ما يرد على القلب وما ينكشف له سواء بالرؤية فى المنام أو فى اليقظة أو بغير الرؤية من الإلهام القلبي وغيره الميزان بين الحق والحقيقى منه وبين الباطل والشيطانى والخيالى الذى لا واقعية له هو القرآن الكريم والسنة المطهرة.

وقد برهن الشارح القيصرى على ذلك بحسب مصطلح علم العرفان بقوله فى الفصل السابع:

(ولمّا كان من الكشف الصورى والمعنوى على حسب استعداد السالك ومناسبات روحه وتوجّه سرّه إلى كل من أنواع الكشف، وكانت الاستعدادات متفاوتة والمناسبات متكررة صارت مقامات الكشف متفاوتة بحيث لا يكاد ينضبط، وأصحّ المكاشفات وأتمّها إنما يحصل لمن يكون مزاجه الروحاني أقرب إلى الاعتدال التام كأرواح الأنبياء والأكمل من الأولياء صلوات الله عليهم) («٢»).

ولذا تقرر عندهم أن كل كشف فهو يعرض على كشف الأنبياء والرسل (عليهم السلام)، فإن وافقه فيعلم صحته وإلّا فيعلم فساده، وأن الكشف المعصوم من الباطل هو كشف الأنبياء المتجلّى فى الكتب السماوية التى يبعثون بها، وكذلك أقوالهم وأفعالهم.

وذكر أيضاً السيد حيدر بن على الحسينى الأملى والذى وصفه

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٣٠

القاضي التستري (في مجالس المؤمنين) بالعارف المحقق الأوحى من أصحابنا الإمامية المتألهين (١) (في كتابه جامع الأسرار ومنبع الأنوار) (٢):

(وأما الإلهام العام فيكون بسبب وغير سبب، ويكون حقيقياً وغير حقيقى، فالذى يكون بالسبب ويكون حقيقياً فهو بتسوية النفس وتحليلتها وتهذيبها بالأخلاق المرضية والأوصاف الحميدة موافقاً للشرع ومطابقاً للإسلام لقوله تعالى: وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٣) والذى يكون بغير السبب ويكون غير حقيقى فهو يكون لخواص النفوس واقتضاء الولادة والبلدان كما يحصل للبراهمة والكشايش (القساوسة) والرهبان.

والتمييز بين هذين الإلهامين محتاج إلى ميزان إلهى ومحك ربانى، وهو نظر الكامل المحقق والإمام المعصوم والنبي المرسل المطلع على بواطن الأشياء على ما هي عليه واستعدادات الموجودات وحقائقها، ولهذا احتجنا بعد الأنبياء والرسل (عليهم السلام) إلى الإمام والمرشد لقوله تعالى: فَسَبِّحُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤)، لأن كل واحد ليس له قوة التمييز بين الإلهامين الحقيقى وغير الحقيقى، وبين الخاطر الإلهى والخطر الشيطانى، وغير ذلك. والذكر هو القرآن أو النبى، وأهله هم أهل بيته من الأئمة المعصومين المطلعين على أسرار القرآن وحقائقه ودقائقه، ولقوله

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٣١

تعالى أيضاً تأكيداً لهذا المعنى: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ (١)، أى إلى أهل الله تعالى وأهل رسوله، والآيات الدالة على متابعة الكامل والمرشد الذى هو الإمام المعصوم أو العلماء الورثة من خلفائهم كثيرة فارجع إليها لأن هذا ليس موضعها. فراجع ونقول: وإن تحققت عرفت أيضاً أن الخواطر التى قسّموها إلى أربعة أقسام: إلهى، وملكى، وشيطانى، ونفسانى كان سببه ذلك، أى عدم العلم بالإلهامين المذكورين، أعنى الحقيقى وغير الحقيقى، لأنها كلّها من أقسام الإلهام وتوابعه).

ونقل المتقى الهندى صاحب كنز العمال فى كتابه (البرهان فى علامات مهدي آخر الزمان) (٢) عن الشيخ الحسن الشاذلى المالكى رئيس الطريقة الشاذلية (الصوفية) أنه قال: (إن الله تعالى ضمن العصمة فى جانب الكتاب والسنة، ولم يضمنها فى جانب الكشف والإلهام).

ونقل عن أبى القاسم القشيري النيشابورى الأشعري الشافعى (الصوفى المفسر المحدث الفقيه العارف) أنه قال: (لا ينبغي للمريد أن يعتقد فى المشايخ العصمة من الخطأ والزلل).

هذا وقد عقد الشيخ الكلينى فى أصوله تحت عنوان: أن للقلب أذنين ينفث فيهما الملك والشيطان، وروى عن الصادق (ع):

«ما من قلب إلّا وله أذنان على إحداهما ملك مرشد وعلى الأخرى شيطان مفتن هذا يأمره وهذا يزجره، الشيطان يأمره بالمعاصى

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٣٢

والملك يزجره عنها وهو قول الله (عزوجل): عَنِ اليمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ \* مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١) (٢).

وقال (ع): «ما من مؤمن إلّا ولقلبه أذنان فى جوفه أذن ينفث فيهما الوسواس الخناس وأذن ينفث فيهما الملك فيؤيد الله المؤمن بالملك فذلك قوله: وَأَيَّدُهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ (٣) (٤).

و (سأل) السيد مهنا بن سنان العلامة الحلى (رض) عن مفاد هذه الرواية وأنه لو فرض أن الرؤية متضمنة للأمر بالشىء أو النهى عن شىء، فهل يتمثل ذلك الأمر ويجتنب المنهى أم لا، سيما إذا كان خلاف ظاهر الشريعة؟

(فأجابه) نور الله ضريحه: (أما ما يخالف الظاهر فلا ينبغى المصير إليه، وأما ما يوافق الظاهر فالأولى المتابعة من غير وجوب، ورؤيته (ص) لا يعطى وجوب الاتباع فى المنام) (٥).

الخامسة: ما هو مفاد الرواية ودلالاتها؟ فقد تعددت الآراء فى ذلك:

أما حكى عن الفيض الكاشاني أن معنى الرواية هو من رآني أي تحقق وتيقن من رؤية صورتي، لأنه قد رآه في اليقظة. فقد رآه تحقيقاً وحقيقةً لأن الشيطان لا يتمثل بصورته (ص).

وحينئذ يكون مفاد الحديث مخصوص بمن شهد زمانه (ص) أو

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٣٣

أحد الأئمة في ظهورهم (عليهم السلام) أو من عرف أوصافهم (عليهم السلام) وشمائهم المنقولة في الكتب بدقّة.

وهذا الإلحاق والتتمّة من بعض المتأخرين، ويشهد له التعليل في الرواية، لأن الشيطان لا يتمثل في صورتي ولا في صورة أحد من أوصيائي، فإن ذلك يعني حصر الرؤية بصورهم المختصة بهم (عليهم السلام)، وهي التي كانوا عليها في حياتهم من شمائلهم الخاصة بهم.

ب ما أفاده السيد المرتضى في كتاب (الغرر والدرر) (١) وهو: «من رآني في اليقظة فقد رآني على الحقيقة، لأن الشيطان لا يتمثل بي لليقظان»، فقد قيل: إن الشياطين ربما تمثّلت بصورة البشر، وهذا التشبيه أشبه بظاهر ألفاظ الخبر، لأنه قال: «من رآني فقد رآني»، فأثبت غيره رأياً له ونفسه مرئية، وفي النوم لا رائي له في الحقيقة ولا مرئي وإنما ذلك في اليقظة، ولو حملناه على النوم لكان تقدير الكلام من اعتقد أنه يراني في منامه، وإن كان غير راء له على الحقيقة فهو في الحكم كأنه قد رآني، وهذا عدول عن ظاهر لفظ الخبر وتبديل لصيغته) انتهى.

أقول: ما أفاده السيد يفهم من الكلام المتقدم للشيخ المفيد، ولكن هذا المفاد ينسجم مع بعض الروايات المنقولة بطرق العامة، حيث لم يقيد فيها الرؤية بكونها في المنام.

ج أن المراد هو الزيارة بالزاي المنقوطة المعجمة، إذ في كتاب عيون الشيخ الصدوق (٢) وهي الرواية التي نقلها العلامة المجلسي في

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٣٤

كتاب البحار (١) ونقلها أيضاً عن مجالس (أمالى) (٢) الصدوق: «من زارني في منامه فقد رآني» بالزاي المعجمة، نعم في (الأمالى) بالراء غير المعجمة، وحينئذ يكون المعنى أن الزيارة في المنام تعدل الزيارة في اليقظة في الثواب، ويمكن أن تقرب هذه النسخة بأن الكلام في ابتداء الرواية كان حول ثواب زيارة الإمام الرضا (ع).

ولكن نسخة الراء غير المعجمة أنسب بمجموع الرواية.

د أن المراد هو بيان فضيلة هذه الرؤية والتشرف بهم (عليهم السلام) وصدق ما يخبرون به في المنام إذا رآهم النائم بصورهم الخاصة بهم، ويشهد ذلك مورد الرواية التي بطرقنا والروايات التي بطرق العامة، فإن الاستشهاد بـ «من رآني في منامه فقد رآني لأن الشيطان لا يتمثل في صورة أحد من أوصيائي» في الرواية وقع للإستدلال بصدق ما أخبر به النائم في الرؤيا من قبلهم (عليهم السلام). ثم ليتبته إلى أن الأمر والنهي في الرؤية (تارة) يكون كتشريع حكم كلى وأنه لا يختص بالنائم بل لسائر المكلفين، فهذا ليس إلّا وحى يختص به الأنبياء.

(وتارة) يكون أمر جزئي شخصي للنائم خاصة لمرة واحدة فقط مثل: ابن مسجداً، أو تصدق بكذا من مالك، ونحو ذلك. فهذا الذي تقدّم أنه إن وافق الشريعة فلا حرج في المتابعة من دون وجوب شرعي كما أفاده العلامة الحلّي (رض) وجزم بصحة (الرؤية) الشيخ المفيد، وإن عارض وخالف الشريعة فلا ينبغي المصير إليه، كما عبّر بذلك العلامة الحلّي، وقطع بطلانه الشيخ المفيد.

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٣٥

ولنختم هذا الأمر برواية عن الإمام الصادق (ع) أخرجها المجلسي عن كتاب (مصباح الشريعة) (١) قال:

«إن الله (عزوجل) مكن أنبياءه من خزائن لطفه وكرمه ورحمته، وعلمهم من مخزون علمه، وأفردهم من جميع الخلائق لنفسه، فلا يشبه

أخلاقهم وأحوالهم أحد من الخلائق أجمعين، إذ جعلهم وسائل سائر الخلق إليه، وجعل حبهم وطاعتهم سبب رضاه، وخلافهم وإنكارهم سبب سخطه، وأمر كل قوم باتباع ملة رسولهم، ثم أبى أن يقبل طاعة أحد إلا بطاعتهم ومعرفة حقهم وحرمتهم ووقارهم وتعظيمهم وجاههم عند الله، فعظم جميع أنبياء الله. ولا تنزلهم بمنزلة أحد من دونهم، ولا تتصرف بعقلك فى مقاماتهم وأحوالهم وأخلاقهم إلا ببيان محكم من عند الله وإجماع أهل البصائر بدلائل تتحقق بها فضائلهم ومراتبهم، وأنى بالوصول إلى حقيقة ما لهم عند الله؟ وإن قابلت أقوالهم وأفعالهم بمن دونهم من الناس أجمعين فقد أسأت صحبتهم وأنكرت معرفتهم وجهلت خصوصيتهم بالله، وسقطت عن درجة حقيقة الإيمان والمعرفة، فإياك ثم إياك».

وليعلم أن من خواص النبى (ص) والأوصياء أنهم تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، ووردت بذلك الروايات المستفيضة.

كما وللسيد المرتضى رفع الله درجته تحقيقاً فى المقام يكون نهاية للمطاف قال فى كتاب (الغرر والدرر) (٢):

(إعلم أن النائم غير كامل العقل، لأن النوم ضرب من السهو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٣٦

والسهو ينفى العلوم، ولهذا يعتقد النائم الاعتقادات الباطلة لنقصان عقله وفقد علومه، وجميع المنامات إنما هى اعتقادات يتبدئها النائم فى نفسه، ولا يجوز أن تكون من فعل غيره فيه، لأن من عداه من المحدثين سواء كانوا بشراً أو ملائكة أو جنأ أجسام والجسم لا يقدر أن يفعل فى غيره اعتقاداً ابتداءً بل ولا شيئاً من الأجناس على هذا الوجه، وإنما يفعل ذلك فى نفسه على سبيل الابتداء وإنما قلنا: إنه لا يفعل فى غيره جنس الاعتقادات متولداً، لأن الذى يعدى الفعل من محل القدرة إلى غيرها من الأسباب إنما هو الاعتمادات، وليس جنس الاعتمادات ما يولد الاعتقادات، ولهذا لو اعتمد أحدنا على قلب غيره الدهر الطويل ما تولد فيه شىء من الاعتقادات، وقد بين ذلك وشرح فى مواضع كثيرة، والقديم تعالى هو القادر أن يفعل فى قلوبنا ابتداءً من غير سبب أجناس الاعتقادات.

ولا يجوز أن يفعل فى قلب النائم اعتقاداً، لأن أكثر اعتقادات النائم جهل، ويتأول الشىء على خلاف ما هو به، لأنه يعتقد أنه يرى ويمشى وأنه راكب وعلى صفات كثيرة، وكل ذلك على خلاف ما هو به، وهو تعالى لا يفعل الجهل، فلم يبق إلا أن الاعتقادات كلها من جهة النائم، وقد ذكر فى المقالات أن المعروف [بصالح قبه] كان يذهب إلى ما يراه النائم فى منامه على الحقيقة، وهذا جهل منه يضاهى جهل السوفسطائية، لأن النائم يرى أن رأسه مقطوع وأنه قد مات وأنه قد صعد إلى السماء ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك كله، وإذا جاز عند صالح هذا أن يعتقد اليقظان فى السراب أنه ماء وفى المردى (خشبة يدفع بها

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٣٧

الملاح السفينة) إذا كان فى الماء أنه مكسور وهو على الحقيقة صحيح لضرب من الشبهة واللبس، فألا جاز ذلك فى النائم وهو من الكمال أبعد ومن النقص أقرب)، انتهى كلامه.

وللحكماء والفلاسفة تحقيقات حول أقسام الرؤية بلحاظ عالم الخيال والعقل والقوة والواهمة وغير ذلك لا يسع المقام لها.

وفى الروايات الماثورة عن أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ما يهتدى به إلى كثير من أبحاث المقام.

\*\*\*

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٣٨

### الأمر السادس نبذة من أحوال النواب الأربعة فى الغيبة الصغرى ... ص: ١٣٨

قال الصدوق: حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني (رض)، قال: كنت عند الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح (رض) مع جماعة فيهم على بن عيسى القصرى، فقام إليه رجل فقال له: إننى أريد أن أسألك عن شىء؟ فقال له: سل عما بدا لك. فقال الرجل: أخبرنى عن الحسين بن على (ع) أهو ولى الله؟ قال: نعم.



قال: أخبرنى عن قاتله أهو عدو الله؟ قال: نعم، قال الرجل: فهل يجوز أن يسلم الله (عزوجل) عدوه على وليه؟ فقال له أبو القاسم الحسين بن روح (قدس الله روحه): أفهم عنى ما أقول لك، اعلم أن الله (عزوجل) لا يخاطب الناس بمشاهدة العيان ولا يشافهمهم بالكلام، ولكنه (جل جلاله) يبعث إليهم رسلاً من أجناسهم وأصنافهم بشراً مثلهم، ولو بعث إليهم رسلاً من غير صنفهم لنفروا عنهم ولم يقبلوا منهم، فلما جاؤوهم وكانوا من جنسهم يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق قالوا لهم: أنتم بشر مثلنا ولا نقبل منكم حتى تأتوننا بشيء نعجز أن نأتى بمثله فعلم أنكم مخصوصون دوننا بما لا نقدر عليه، فجعل الله (عزوجل) لهم المعجزات التى يعجز الخلق عنها.

فمنهم من جاء بالطوفان بعد الإنذار والأعدار، فغرق جميع من طغى وتمرد.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٣٩

ومنهم من ألقى فى النار فكانت برداً وسلاماً.

ومنهم من أخرج من الحجر الصلد ناقه وأجرى من ضرعها لبناً.

ومنهم من فلق له البحر وفجر له من الحجر العيون، وجعل له العصا اليابسة ثعباناً تلقف ما يأفكون.

ومنهم من أبرأ الأكمه والأبرص وأحى الموتى بإذن الله، وأنبأهم بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم.

ومنهم من انشق له القمر، وكلمته البهائم مثل البعير والذئب، وغير ذلك.

فلما أتوا بمثل ذلك وعجز الخلق عن أمرهم، وعن أن يأتوا بمثله كان من تقدير الله (عزوجل) ولطفه وحكمته أن جعل أنبياءه (عليهم السلام) مع هذه القدرة والمعجزة فى حالة غالبين وأخرى مغلوبين وفى حال قاهرين وفى أخرى مقهورين، ولو جعلهم الله (عزوجل) فى جميع أحوالهم غالبين وقاهرين ولم يبتلهم ولم يمتحنهم لاتخذهم الناس آلهة من دون الله (عزوجل)، ولما عرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والاختبار.

ولكنه (عزوجل) جعل أحوالهم فى ذلك كأحوال غيرهم، ليكونوا فى حال المحنة والبلاء صابرين، وفى حال العافية والظهور على الأعداء شاكرين، ويكونوا فى جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولا متجبرين.

وليعلم العباد أن لهم (عليهم السلام) إلهاً هو خالقهم ومدبرهم فيعبدهو ويطيعوا رسله، وتكون حجة الله ثابتة على من تجاوز الحد فيهم وادعى لهم الربوبية، أو عاند أو خالف وعصى ووجد بما أتت به الرسل والأنبياء (عليهم السلام)، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ (١١).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٤٠

قال محمّد بن إبراهيم بن إسحاق (رض)، فعادت إلى الشيخ أبى القاسم بن روح (رض) من الغد وأنا أقول فى نفسى: أترأه ذكر ما ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه؟ فابتدأنى فقال لى: يا محمّد بن إبراهيم لأن آخر من السماء فتخطفنى الطير أو تهوى بى الريح فى مكان سحيق أحبب إليّ من أن أقول فى دين الله (عزوجل) برأى أو من عند نفسى، بل ذلك عن الأصل ومسموع عن الحجة صلوات الله عليه وسلامه (١١).

قال الشيخ الطوسى: أخبرنى الحسين بن عبيد الله (أستاذة)، عن أبى الحسن محمّد بن داود القمى، قال: حدثنى سلامة بن محمّد قال: أنفذ الشيخ الحسين بن روح (رض) كتاب التآديب إلى قم وكتب إلى جماعة الفقهاء بها، وقال لهم: انظروا فى هذا الكتاب وانظروا فيه شيء يخالفكم؟ فكتبوا إليه أنه كله صحيح وما فيه شيء يخالف إلّا قوله: الصاع فى الفطرة نصف صاع من طعام والطعام عندنا مثل الشعير من كل واحد صاع (٢).

وقال الشيخ الصدوق: أخبرنا محمّد بن على بن متيل، قال: كانت امرأة يقال لها زينب من أهل (آبء) وكانت امرأة محمّد بن عبدل الأبي معها ثلاثمائة دينار، فصارت إلى عمى جعفر بن محمّد بن متيل وقالت: أحب أن أسلم هذا المال من يدى إلى يد أبى القاسم بن



روح، قال: فأنفدنى معها أترجم عنها، فلتما دخلت على أبى القاسم (رض) أقبل يكلمها بلسان أبى فصيح، فقال لها: (زينب! جونا، خويزدا، كويذا، جون

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٤١

استه) (١١). ومعناه كيف أنت؟ وكيف كنت؟ وما خبر صبيانك؟ قال: فاستغنت عن الترجمة وسلّمت المال ورجعت (٢).

وقال الشيخ الطوسى: أخبرنى الحسين بن إبراهيم، عن أيوب بن نوح، عن أبى نصر هبة الله بن محمد ابن بنت أم كلثوم بنت أبى جعفر محمّد بن عثمان العمري (النائب الثانى فى الغيبة الصغرى)، قال: حدّثنى أمّ كلثوم بنت أبى جعفر (رض)، قالت: كان أبو القاسم الحسين بن روح (رض) وكيلاً لأبى جعفر (رض) سنين كثيرة ينظر له فى أملاكه ويلقى بأسراره الرؤساء من الشيعة، وكان خصيصاً به حتى أنه كان يحدثه بما يجرى بينه وبين جواريه لقربه منه وانسه.

قالت: وكان يدفع إليه فى كل شهر ثلاثين ديناراً رزقاً له، غير ما يصل إليه من الوزراء والرؤساء من الشيعة مثل آل الفرات وغيرهم لجاهه ولموضعه وجلاله محلّه عندهم، فحصل فى أنفس الشيعة محصلاً جليلاً لمعرفةم باختصاص أبى إياه وتوثيقه عندهم ونشر فضله ودينه وما كان يحتمله من هذا الأمر، فمهدت له الحال فى طول حياة أبى إلى أن انتهت الوصية إليه بالنصّ عليه.

فلم يختلف فى أمره ولم يشكّ فيه أحد إلا جاهل بأمر أبى أولاً، مع ما لست أعلم أن أحداً من الشيعة شكّ فيه، وقد سمعت هذا من غير واحد من بنى نوبخت (رح) مثل أبى الحسن بن كبرياء وغيره (٣).

وبنو النوبخت هو البيت الذى ينتمى إليه النائب الثالث فى الغيبة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٤٢

الصغرى، وهو أبو القاسم الحسين بن روح النوبختى (رضوان الله تعالى عليه)، وهذا البيت خرج منه العلماء فى الفنون المختلفة سيما علم الكلام، فقد تصدّر هذا البيت رئاسة هذا العلم فى الشيعة سنين طويلة، وكذلك فى علم النجوم والعلوم الأخرى.

وقال الطوسى: أخبرنى جماعة عن أبى عبد الله الحسين بن على بن بابويه القمى (أخى الصدوق محمّد بن على بن بابويه وكلا الأخوين ولدا بدعاء الإمام العسكرى (ع) وأبوهما كان وكيلاً له)، قال: حدّثنى جماعة من أهل قم منهم عمران الصفار، وقريبه علوية الصفار، والحسين بن أحمد بن على بن أحمد بن إدريس (رح)، قالوا: حضرنا بغداد فى السنة التى توفى فيها أبو على بن الحسين بن موسى بن بابويه وكان أبو الحسن على بن محمّد السمرى (رض) (وهو النائب الرابع فى الغيبة الصغرى) يسألنا كل قريب عن خبر على بن الحسين، فنقول: قد ورد الكتاب باستقلاله، حتى كان اليوم الذى قبض فيه فسألنا عنه، فذكرنا له مثل ذلك، فقال: آجرم الله فى على بن الحسين، فقد قبض فى هذه الساعة، (قالوا): فأثبتنا تاريخ الساعة واليوم والشهر، فلما كان بعد سبعة عشر يوماً أو ثمانية عشر يوماً ورد الخبر أنه قبض فى تلك الساعة التى ذكرها الشيخ أبو الحسن (السمرى) (رض) (١).

ورواه أيضاً عن جماعة، عن أبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه (الصدوق)، قال: حدّثنا أبو الحسن صالح بن شعيب الطالقانى فى ذى القعدة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، قال: حدّثنا أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن مخلد، قال: حضرت بغداد عند المشايخ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٤٣

(رح) (وجهاء وعلماء الطائفة) فقال الشيخ أبو الحسن على بن محمّد السمرى (رض) ابتداءً منه: رحم الله على بن الحسين بن بابويه القمى، (قال): فكتب المشايخ تاريخ ذلك اليوم فورد الخبر أنه توفى فى ذلك اليوم، ومضى أبو الحسن السمرى (رض) فى النصف من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة (١).

وروى الصدوق بسنده عن أحمد الداودى قال: كنت عند أبى القاسم الحسين بن روح (قدس الله روحه)، فسأله رجل ما معنى قول العباس للنبي (ص): (إن عمك أبا طالب قد أسلم بحساب الجمل وعقد بيده ثلاثة وستين)، فقال: عنى بذلك إله أحد جواد. وتفسير

ذلك أن الألف واحد، واللام ثلاثون، والهاء والألف واحد، والحاء ثمانية، والذال أربعة، والجيم ثلاثة، والواو ستة، والألف واحد، والذال أربعة، فذلك ثلاثة وستون («٢»).

وقال الصدوق: حدّثنا الحسين بن على بن محمّد القمى المعروف بأبى على البغدادي قال: كنت ببخارى فدفعت إلى المعروف بابن جاوشبر عشرة سبائك ذهباً وأمرنى أن أسلمها بمدينة السلام إلى الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح (قدس الله روحه) فحملتها معي، فلمّا بلغت آمويه («٣») ضاعت منى سبيكة من تلك السبائك ولم أعلم بذلك حتى دخلت مدينة السلام.

فأخرجت السبائك لأسلمها فوجدتها قد نقصت واحدة، فاشترت

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٤٤

سبيكة مكانها بوزنها وأضفتها إلى التسع السبائك، ثم دخلت على الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح (قدس الله روحه) ووضعت السبائك بين يديه.

فقال لى: خذ تلك السبيكة التى اشتريتها وأشار إليها بيده وقال: إن السبيكة التى ضيعتها قد وصلت إلينا وهو ذا هى، ثم أخرج إلى تلك السبيكة التى كانت ضاعت منى بآمويه فنظرت إليها فعرفتها.

قال الحسين بن على بن محمّد المعروف بأبى البغدادي: ورأيت تلك السنة بمدينة السلام امرأة فسألتنى عن وكيل مولانا (ع) من هو؟ فأخبرها بعض القميين أنه أبو القاسم الحسين بن روح وأشار إليها، فدخلت عليه وأنا عنده، فقالت له: أيها الشيخ أى شىء معى؟ فقال: ما معك فألقيه فى الدجلة، ثم اثني حتى أخبرك.

قال: فذهبت المرأة وحملت ما كان معها فألقته فى الدجلة، ثم رجعت ودخلت إلى أبى القاسم الروحى (قدس الله روحه)، فقال أبو القاسم لمملوكه له: أخرجى إلى الحوق، فأخرجت إليه حقه، فقال للمرأة: هذه الحقة التى كانت معك ورميت بها فى الدجلة أخبرك بما فيها أو تخبرينى؟ فقالت له: بل أخبرنى أنت، فقال: فى هذه الحقة زوج سوار ذهب وحلقة كبيرة فيها جوهرة وحلقتان صغيرتان فيهما جوهرة وخاتمان أحدهما فيروزج والآخر عقيق، فكان الأمر كما ذكر لم يغادر منه شيئاً.

ثم فتح الحقة فعرض على ما فيها، فنظرت إليه فقالت: هذا الذى حملته بعينه ورميت به فى الدجلة، فغشى على وعلى المرأة فرحاً بما شاهدناه من صدق الدلالة، ثم قال الحسين لى بعدما حدّثنى بهذا الحديث: أشهد عند الله (عزوجل) يوم القيامة بما حدّثت به أنه كما ذكرته لم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٤٥

أزد فيه ولم أنقص منه، وحلف بالأئمة الإثنى عشر (صلوات الله عليهم) لقد صدق فيما حدّثت به وما زاد فيه وما نقص منه («١»).

وروى الشيخ الطوسى عن مشايخه، عن أبى الحسن على بن محمّد الدلال القمى قال: دخلت على أبى جعفر محمّد بن عثمان (النائب الثانى) (رض) يوماً لأسلم عليه، فوجدته وبين يديه ساجه ونقاش ينقش عليها ويكتب آياً من القرآن وأسماء الأئمة (عليهم السلام) على حواشيتها، فقلت له: يا سيدى، ما هذه الساجه؟ فقال لى: هذه لقبرى تكون فيه اوضع عليها (أو قال: اسند إليها) وقد عرفت منه، وأنا فى كل يوم أنزل فيه فأقرأ جزءاً من القرآن فيه فأصعد.

وأظنه (قال): فأخذ بيدي وأرانيه، فإذا كان يوم كذا من شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا صرت إلى الله (عزوجل) ودفنت فيه وهذه الساجه معى، فلمّا خرجت من عنده أثبت ما ذكره، ولم أزل مترقباً به ذلك، فما تأخر الأمر حتى اعتل أبو جعفر فمات فى اليوم الذى ذكره من الشهر الذى قاله من السنة التى ذكرها ودفن فيه («٢»).

وروى بسنده عن محمّد بن على بن الأَسود القمى أن أبا جعفر العمرى (رض) حفر لنفسه قبراً وسواه بالساج فسألته عن ذلك فقال: للناس أسباب. وسألته عن ذلك فقال: قد امرت أن أجمع أمرى فمات بعد ذلك بشهرين (رضى الله عنه وأرضاه) («٣»).

وقال الشيخ الطوسى: وأخبرنا عن أبى محمّد هارون بن موسى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٤٦

(شيخ الطائفة فى زمانه)، قال: أخبرنى أبو على محمد بن همام (أشهر من أن يعرف) (رضى الله عنه وأرضاه) أن أبا جعفر محمد بن عثمان العمرى (قدس الله روحه) جمعنا قبل موته وكنا وجوه الشيعة وشيوخها فقال لنا: إن حدث على حدث الموت فالأمر إلى أبى القاسم الحسين بن روح النوبختى، فقد امرت أن أجعله فى موضعى بعدى، فارجعوا إليه وعولوا فى أموركم عليه ((١)).  
وروى أيضاً بسنده إلى أبى إبراهيم جعفر بن أحمد النوبختى (قال): قال لى أبو أحمد ابن إبراهيم، وعمى أبو جعفر عبد الله بن إبراهيم، وجماعة من أهلنا يعنى بنى نوبخت:

أن أبا جعفر العمرى لما اشتدت حاله اجتمع جماعة من وجوه الشيعة، منهم أبو على بن همام، وأبو عبد الله بن محمد الكاتب، وأبو عبد الله الباقطانى، وأبو سهل إسماعيل بن على النوبختى، وأبو عبد الله بن الوجناء وغيرهم من الوجوه والأكابر، فدخلوا على أبى جعفر (رض) فقالوا له: إن حدث أمر فمن يكون مكانك؟ فقال لهم: هذا أبو القاسم الحسين بن روح النوبختى القائم مقامى والسفير بينكم وبين صاحب الأمر (ع) والوكيل والثقة الأمين، فارجعوا إليه فى أموركم، وعولوا عليه فى مهماتكم فبذلك امرت وقد بلغت ((٢)).  
وقال الشيخ (قال ابن نوح): أخبرنى أبو نصر هبة الله ابن بنت أم كلثوم بنت أبى جعفر، (قال): كان لأبى جعفر العمرى محمد بن عثمان دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٤٧

العمرى كتب مصنفة فى الفقه مما سمعها من أبى محمد الحسن (العسكرى) (ع) ومن الصاحب (ع) ومن أبىه عثمان بن سعيد عن أبى محمد وعن أبىه على بن محمد (عليهم السلام) فيها كتب ترجمتها كتب الأشربة ذكرت الكبيرة أم كلثوم بنت أبى جعفر (رض) أنها وصلت إلى أبى القاسم الحسين بن روح (رض) عند الوصية إليه كانت فى يده.

(قال أبو نصر): وأظنها قالت: وصلت بعد ذلك إلى أبى الحسن السمرى (رضى الله عنه وأرضاه) ((١)).

وقال (قال أبو العباس): وأخبرنى هبة الله بن محمد بن بنت أم كلثوم بنت أبى جعفر العمرى (رض) عن شيوخه قالوا: لم تزل الشيعة مقيمة على عدالة عثمان بن سعيد ومحمد بن عثمان (رحمهما الله تعالى) إلى أن توفى أبو عمرو عثمان بن سعيد (رحمه الله تعالى)، وغسله ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان وتولى القيام به وجعل الأمر كله مردوداً إليه، والشيعة مجتمعة على عدالته وثقته وأمانته لما تقدم له من النص عليه بالأمانة والعدالة والأمر بالرجوع إليه فى حياة الحسن (العسكرى) (ع) وبعد موته فى حياة أبىه عثمان بن سعيد لا يختلف فى عدالته ولا يرتاب بأمانته.

والتوقعات تخرج على يده إلى الشيعة فى المهمات طول حياته بالخط الذى كانت تخرج فى حياة أبىه عثمان لا يعرف الشيعة فى هذا الأمر غيره ولا يرجع إلى أحد سواه، وقد نقلت عنه دلائل كثيرة ومعجزات الإمام ظهرت على يده وأمور أخبرهم بها عنه زادتهم فى هذا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٤٨

الأمر بصيرة، وهى مشهورة عند الشيعة، وقد قدمنا طرفاً منها فلا نطول بإعادتها فإن ذلك كفاية للمنصف إن شاء الله تعالى ((١)).  
وقال الشيخ الطوسى فى كتاب (الغيبة) ((٢)): فأما السفراء الممدوحون فى زمان الغيبة فأولهم: من نصبه أبو الحسن على بن محمد (الهادى) العسكرى، وأبو محمد الحسن بن على بن محمد ابنه (عليهم السلام) وهو الشيخ الموثوق به أبو عمر عثمان بن سعيد العمرى وكان أسدياً... إلى أن قال:

فأخبرنى جماعة، عن أبى محمد هارون بن موسى، عن أبى على محمد بن همام الإسكافى، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميرى، قال: حدثنا أحمد بن إسحاق بن سعد القمى ((٣))، قال: دخلت على أبى الحسن على بن محمد (الهادى) صلوات الله عليه فى يوم من الأيام فقلت: يا سيدى أنا أغيب وأشهد ولا يتهدى لى الوصول إليك إذا شهدت فى كل وقت فقول من نقبل وأمر من نمثل؟ فقال لى (صلوات الله عليه): «هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعنى يقوله، وما أداه إليكم فعنى يؤديه».

فلما مضى أبو الحسن (الهادى) (ع) وصلت إلى أبي محمّد ابنه الحسن العسكرى (ع) مثل قولى لأبيه، فقال لى: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضى وثقتى فى المحيا والممات، فما قاله لكم فعنى يقوله، وما أدّى إليكم فعنى يؤدّيه».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٤٩

(قال أبو محمّد هارون): قال أبو على: قال أبو العباس الحميرى: فكنا كثيراً ما نتذاكر هذا القول ونتواصف جلاله محل أبي عمرو. وروى بسنده إلى محمّد بن إسماعيل، وعلى بن عبد الله الحسينان، قالوا: دخلنا على أبي محمّد الحسن (ع) بسر من رأى وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته، حتى دخل عليه بدر خادمه فقال: يا مولاي بالباب قوم شعث غبر، فقال لهم: هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن... (فى حديث طويل يسوقانه) إلى أن ينتهى، إلى أن قال الحسن (العسكرى) (ع) ليدر: «فامض فائتتا بعثمان بن سعيد العمري».

فما لبنا إلا يسيراً حتى دخل عثمان فقال له سيدنا أبو محمّد (ع): «امض يا عثمان فإنك الوكيل والثقة المأمون على مال الله، واقبض من هؤلاء نفر اليمنيين ما حملوه من المال»، (... ثم ساق الحديث) إلى أن قالوا: ثم قلنا بأجمعنا: يا سيدنا، والله إن عثمان لمن خيار شيعتك، ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك وأنه وكيلك وثقتك على مال الله تعالى، قال: «نعم واشهدوا على أن عثمان بن سعيد العمري وكيلى وأن ابنه محمّداً وكيلى ابني مهديكم» (١).

وروى بسنده عن جماعة من الشيعة منهم محمّد بن معاوية بن حكيم، والحسن بن أيوب بن نوح (فى خبر طويل مشهور) قالوا جميعاً: اجتمعنا إلى أبي محمّد الحسن بن على (العسكرى) (ع) نسأله عن الحجّة من بعده وفى مجلسه (ع) أربعون رجلاً، فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمري فقال له: يا بن رسول الله، اريد أن أسألك عن أمر

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٥٠

أنت أعلم به منى، فقال له: «اجلس يا عثمان»، فقام مغضباً ليخرج فقال: «لا يخرجنّ أحد»، فلم يخرج منا أحد، إلى أن كان بعد ساعته فصاح (ع) بعثمان، فقام على قدميه فقال: «أخبركم بما جئتم؟»، قالوا: نعم يا بن رسول الله، (قال): «جئتم تسألونى عن الحجّة من بعدى»، قالوا: نعم. فإذا غلام كأنه قطع من قمر أشبه الناس بأبى محمّد (ع)، فقال: «هذا إمامكم من بعدى وخليفتى عليكم أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدى فتهلكوا فى أديانكم، ألا وأنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر، فاقبلوا من عثمان ما يقوله، وانتهوا إلى أمره واقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه» (... ١) (فى حديث طويل).

وقال (وأخبرنا جماعة)، عن أبى القاسم جعفر بن محمّد قولويه، وأبى غالب الزرارى، وأبى محمّد التلعكبرى، كلهم عن محمّد بن يعقوب الكلينى (رحمه الله تعالى)، عن محمّد بن عبد الله، ومحمّد بن يحيى عن عبد الله بن جعفر الحميرى (٢).

قال: اجتمعت أنا والشيخ أبو عمرو عند أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري القمى، فغمزنى أحمد أن أسأله عن الخلف، فقلت له: يا أبا عمر إنى اريد أن أسألك وما أنا بشاكّ فيما اريد أن أسألك عنه، فإن اعتقداى ودينى أن الأرض لا تخلو من حجّة إلا إذا كان قبل يوم القيامة بأربعين يوماً، فإذا كان ذلك رفعت الحجّة واغلق باب التوبة فلم يكن ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً، فأولئك أشرار من خلق الله (عزوجل)، وهم الذين تقوم عليهم القيامة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٥١

ولكن أحببت أن أزداد يقيناً، فإن إبراهيم (ع) سأله أن يريه كيف يحيى الموتى فقال: أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى (١).

وقد أخبرنا أحمد بن إسحاق أبو على عن أبى الحسن (ع) قال: سألته فقلت له: لمن أعامل وعمّن آخذ وقول من أقبل؟ فقال له: «العمري ثقته فما أدّى إليك فعنى يؤدّى وما قال لك فعنى يقول فاسمع له وأطع فإنه الثقة المأمون».

(قال): وأخبرنى أبو على أنه سأله أبا محمّد الحسن بن على عن مثل ذلك، فقال له: «العمري وابنه ثقتان، فما أدّى إليك فعنى يؤدّيان، وما قال لك فعنى يقولان، فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان»، فهذا قول إمامين قد مضيا فيك.

(قال): فخرّ أبو عمرو ساجداً وبكى ثم قال: سل، فقلت له: أنت رأيت الخلف من أبى محمّد (ع)؟ فقال: إى والله ورقبته مثل ذا وأوماً بيديه، فقلت له: فبقيت واحدة، فقال لى: هات هات، فالاسم؟ قال: محرّم عليكم أن تسألوا عن ذلك، ولا أقول هذا من عندى، وليس لى أن احلل واحرم ولكن عنه (ع) فإن الأمر عند السلطان أن أبا محمّداً (ع) مضى ولم يخلف ولداً وقسم ميراثه وأخذه من لا حقّ له وصبر على ذلك، وهو ذا عياله يجولون، وليس أحد يجسر أن يتعرف إليهم أو ينيلهم شيئاً، وإذا وقع الاسم وقع الطلب، فاتقوا الله وأمسكوا عن ذلك ((٢)).

وروى عن جماعة، عن الصدوق، عن ابن هارون الفامى، عن محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميرى، عن أبى قال: خرج التوقيع إلى دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٥٢

الشيخ أبى جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد العمري (قدس الله روحه) فى التعزیه بأبيه (رض) وفى فصل من الكتاب: «إنا لله وإنا إليه راجعون، تسليماً لأمره، ورضاءً بقضائه، عاش أبوك سعيداً ومات حميداً فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه (ع)، فلم يزل مجتهداً فى أمرهم ساعياً فيما يقربه إلى الله (عزوجل) وإليهم، نصر الله وجهه وأقاله عترته...» وفى فصل آخر: «أجزل الله لك الثواب وأحسن لك العزاء رزيت ورزينا وأوحشك فراقه وأوحشنا فسرّه الله فى منقلبه، كان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولداً مثلك يخلفه من بعده ويقوم مقامه بأمره ويترحم عليه. وأقول: الحمد لله، فإن الأنفس طيبة بمكانك، وما جعله الله (عزوجل) فيك وعندك أعانك الله وقواك وعضدك ووفّقك وكان لك ولياً وحافظاً وراعياً وكافياً» ((١)).

أقول: هذا طرف يسير مما ورد فى النواب الأربعة فى الغيبة الصغرى (٣٢٩٠ ٢٦٠ هـ-)، ومنه تتنبه لمراد الشيخ الطوسى حيث يقول: (وقد نقلت عنه (أى النائب الثانى) دلائل كثيرة ومعجزات الإمام ظهرت على يده وأمور أخبرهم بها عنه زادتهم (أى زادت الشيعة) فى هذا الأمر بصيرة وهى مشهورة عند الشيعة) ((٢)).

ولمراد الشيخ الطبرسى حيث يقول:

(ولم يقم أحد منهم (أى من الأربعة) إلّا بنص من قبل صاحب

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٥٣

الأمر (ع) ونصب صاحبه الذى تقدّم عليه، ولم تقبل الشيعة قولهم إلّا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر (ع) تدلّ على صدق مقالتهم وصحة بايئتهم) ((١)).

أقول: بل النائب الأوّل والثانى نصّ عليهما الإمام الحسن العسكرى (ع) كما تقدّمت الرواية التى رواها الطائفة عن الإمام الحسن العسكرى (ع)، والنائب الأوّل كان وكيلاً خاصاً للإمام الهادى (ع) ثمّ للإمام الحسن العسكرى (ع) ثمّ سفيراً للصاحب (ع). فلينته اللبيب إلى كيفية ثبوت سفارة النواب الأربعة وبدئها وانتهائها لدى الشيعة وأعلامها وشيوخها، وأن ذلك كان بحضور الإمام العسكرى (ع)، ثمّ تنصيب كل على الآخر مع ما ظهر من البراهين والدلائل على أيديهم ومع مكانتهم العلمية والفقهيّة وجلالة محلّهم لدى علماء الطائفة.

\*\*\*

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٥٤

**الأمر السابع ذكر المذمومين الذين ادّعوا البايّة لعنهم الله ... ص: ١٥٤**

إشارة

قال الشيخ الطوسى فى كتاب (الغيبة) (١): ذكر المذمومين الذين ادعوا البايبة لعنهم الله:

### أولهم: المعروف بالشريعى ... ص: ١٥٤

(أخبرنا) جماعة، عن أبى محمّد التلعكبرى (هارون بن موسى)، عن أبى على محمّد بن همام، (قال): كان الشريعى يكتنى بأبى محمّد. (قال) هارون: وأظنّ اسمه كان الحسن وكان من أصحاب أبى الحسن على بن محمّد (الهادى)، ثمّ الحسن بن على بعده (ع) وهو أوّل من ادعى مقاماً لم يجعله الله فيه، ولم يكن أهلاً له، وكذب على الله وعلى حججه (عليهم السلام) ونسب إليهم ما لا يليق بهم، وما هم منه براء، فلعتته الشيعة، وتبرأت منه وخرج توقيع الإمام بلعنه والبراء منه.

(قال هارون): ثمّ ظهر منه القول بالكفر والإلحاد، (قال): وكل هؤلاء المدّعين إنما يكون كذبهم أوّلًا على الإمام وأنهم وكلاؤه فيدعون الضعفة بهذا القول إلى موالاتهم، ثمّ يترقى الأمر بهم إلى قول الحلاجية (وهو القول بالحلول أى حلول الله (عزوجل) والعياذ بالله فيهم) كما اشتهر من أبى جعفر السلمغانى ونظرائه عليهم جميعاً لعائن الله تترى (٢).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٥٥

### ومنهم: محمّد بن نصير النميرى ... ص: ١٥٥

(قال ابن نوح): أخبرنا أبو نصر هبة الله بن محمّد، (قال): كان محمّد بن نصير النميرى من أصحاب أبى محمّد الحسن بن على (ع) فلمّا توفى أبو محمّد ادعى مقام أبى جعفر محمّد بن عثمان أنه صاحب إمام الزمان وادعى البايبة، وفضحه الله تعالى بما ظهر منه من الإلحاد والجهل، ولعن أبى جعفر محمّد بن عثمان له وتبريه منه واحتجابه عنه وادعى ذلك الأمر بعد الشريعى.

(قال أبو طالب الأنبارى): لما ظهر محمّد بن نصير بما ظهر لعنه أبو جعفر (النائب الثانى أبو جعفر العمري) (رض) وتبرأ منه فبلغه ذلك فقصد أبا جعفر ليعطف بقلبه عليه أو يعتذر إليه فلم يأذن له وحجبه وردّه خائباً.

(وقال) سعد بن عبد الله: كان محمّد بن نصير النميرى يدعى أنه رسول نبي وأن على بن محمّد (الهادى) (ع) أرسله، وكان يقول بالتناسخ (أى أن أرواح الأموات تحلّ فى أجسام الأحياء) ويغلو فى أبى الحسن ويقول فيه بالربوبية، ويقول بالإباحة للمحارم وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً فى أدبارهم، ويزعم أن ذلك من التواضع والإخبات والتذلل فى المفعول به وأنه من الفاعل إحدى الشهوات والطيبات وأن الله (عزوجل) (تعالى الله) لا يحرم شيئاً من ذلك، وكان محمّد بن موسى بن الحسن بن الفرات يقوى أسبابه ويعضده (أى كان داعية له وناشراً لأكذوبته).

(أخبرنى) بذلك عن محمّد بن نصير أبو زكريا يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان أنه رآه عياناً وغلّام له على ظهره، (قال): فلقيته فعاتبته على ذلك، فقال: إن هذا من اللذات وهو من التواضع لله وترك التجبر.

قال سعد: فلمّا اعتل محمّد بن نصير العلة التى توفى فيها، قيل له

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٥٦

وهو مثقل اللسان: لمن هذا الأمر من بعدك؟ فقال بلسان ضعيف ملجلج: أحمد، فلم يدر من هو؟ فافترقوا بعده ثلاث فرق: قالت فرقة: إنه أحمد ابنه، وفرقة قالت: هو أحمد بن محمّد بن موسى بن الفرات، وفرقة قالت: إنه أحمد بن أبى الحسين بن بشر بن يزيد فافترقوا فلا يرجعون إلى شىء.

### ومنهم: أحمد بن هلال الكرخى ... ص: ١٥٦



قال أبو على بن همام: كان أحمد بن هلال من أصحاب أبي محمد (العسكري) (ع) فاجتمعت الشيعة على وكالة أبي جعفر محمد بن عثمان بنص الحسن (ع) فى حياته، ولما مضى الحسن (ع) قالت الشيعة الجماعة له: ألا تقبل أمر أبي جعفر محمد بن عثمان وترجع إليه وقد نص عليه الإمام المفترض الطاعة (أى الإمام العسكري (ع))؟ فقال لهم: لم أسمع يَنْصُّ عليه بالوكالة، وليس أنكر أباه يعنى عثمان بن سعيد فأما أن أقطع أن أبا جعفر وكيل صاحب الزمان فلا أجسر عليه، فقالوا: قد سمعه غيرك. فقال: أنتم وما سمعتم، ووقف على أبي جعفر فلعنوه وتبرؤا منه ثم ظهر التوقيع على يد أبي القاسم بن روح بلعنه والبراءة منه فى جملة من لعن.

### ومنهم: أبو طاهر محمد بن على بن بلال ... ص: ١٥٦

وقصته معروفة فيما جرى بينه وبين أبي جعفر محمد بن عثمان العمرى (نصر الله وجهه) وتمسكه بالأموال التى كانت عنده للإمام وامتناعه من تسليمها وادعاؤه أنه الوكيل حتى تبرأت الجماعة منه ولعنوه وخرج من صاحب الزمان (ع) ما هو معروف.

(وحكى أبو غالب الزرارى)، قال: حدثنى أبو الحسن محمد بن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٥٧

محمد بن يحيى المعاذى، (قال): كان رجل من أصحابنا قد انضوى إلى أبي طاهر بن بلال بعدما وقعت الفرقة، ثم إنه رجع عن ذلك وصار فى جملتنا، فسألناه عن السبب؟ (قال): كنت عند أبي طاهر يوماً وعنده أخوه أبو الطيب وابن خزر وجماعة من أصحابه إذ دخل الغلام فقال: أبو جعفر العمرى على الباب، ففزعت الجماعة لذلك وأنكرته للحال التى كانت جرت وقال: يدخل، فدخل أبو جعفر (رض) فقام له أبو طاهر والجماعة وجلس فى صدر المجلس وجلس أبو طاهر كالجالس بين يديه فأمهلهم إلى أن سكتوا. (ثم قال): يا أبا طاهر نشدتك الله أو نشدتك بالله ألم يأمرك صاحب الزمان (ع) بحمل ما عندك من المال إلى؟ فقال: اللهم نعم، فنهض أبو جعفر (رض) منصرفاً ووقعت على القوم سكتة، فلما تجلّت عنهم قال له أخوه أبو الطيب: من أين رأيت صاحب الزمان؟ فقال أبو طاهر: أدخلنى أبو جعفر (رض) إلى بعض دوره فأشرف على من علو داره فأمرنى بحمل ما عندى من المال إليه، فقال له أبو الطيب: ومن أين علمت أنه صاحب الزمان (ع)؟ قال: وقع على ((١)) من الهيبة له، ودخلنى من الرعب منه ما علمت أنه صاحب الزمان (ع) فكان هذا سبب انقطاعى عنه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٥٨

### ومنهم: الحسين بن منصور الحلاج ... ص: ١٥٨

(أخبرنا) الحسين بن إبراهيم، عن أبي العباس أحمد بن على بن نوح، عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمرى (قال):

لما أراد الله تعالى أن يكشف أمر الحلاج ويظهر فضيحته ويخزيه، وقع له (أى اعتقد) أن أبا سهل ابن إسماعيل بن على النوبختى (رض) ممن تجوز عليه مخرقته (أى ممن تنطلى عليه أكذوبته)، وتتم عليه حيلته، فوجه إليه يستدعيه، وظن أن أبا سهل كغيره من الضعفاء فى هذا الأمر بفرط جهله، وقدر (أى ظن) أن يستجره إليه فيتمخرق ويتصوف بانقياده على غيره (أى ظن أن يجره إليه فيتخذه عضداً وشاهداً على ادعائه)، فيستتب له ما قصد إليه من الحيلة والبهرجة على الضعفة لقدر (أى لمكانة) أبي سهل فى أنفس الناس ومحله من العلم والأدب أيضاً عندهم، ويقول له فى مراسلته إياه: إننى وكيل صاحب الزمان (ع) وبهذا أولاً كان يستجر الجهال ثم يعلو منه إلى غيره وقد امرت بمراسلتك وإظهار ما تريده من النصرة لك، لتقوى نفسك، ولا ترتاب بهذا الأمر.



فأرسل إليه أبو سهل (رض) يقول لك: إنى أسألك أمراً يسيراً يخف مثله عليك فى جنب ما ظهر على يديك من الدلائل والبراهين، وهو أنى رجل أحب الجوارى وأصوب إليهن ولى منهن عدة أتخطاهن والشيب يعدنى عنهن وأحتاج أن أخضبه فى كل جمعة وأتحمل منه مشقة شديدة لأستر عنهن ذلك وإلّا انكشف أمرى عندهن، فصار القرب بعداً والوصال هجرًا، وأريد أن تغينى عن الخضاب وتكفينى مؤنته، وتجعل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٥٩

لحيتى سوداء، فإننى طوع يديك وصائر إليك، وقائل بقولك، وداع إلى مذهبك، مع ما لى فى ذلك من البصيرة، ولك من المعونة. فلما سمع ذلك الحلاج من قوله وجوابه علم أنه قد أخطأ فى مراسلته وجهل فى الخروج إليه بمذهبه وأمسك عنه ولم يرد إليه جواباً ولم يرسل إليه رسولاً، وصيره أبو سهل (رض) احدوثةً وضحكةً ويطنز به عند كل أحد، وشهر أمره عند الصغير والكبير، وكان هذا الفعل سبباً لكشف أمره وتغيير الجماعة عنه.

(وأخبرنى) جماعة عن أبى عبد الله الحسين بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه أن ابن الحلاج صار إلى قم وكاتب قرابة أبى الحسن (أخى الصدوق) يستدعيه ويستدعى أبى الحسن أيضاً ويقول: أنا رسول الإمام ووكيله، (قال):

فلما وقعت المكاتبه فى يد أبى (رض) (أى أبى الحسن بن على بن بابويه القمى والذى كان وكيلًا للعسكرى (ع)) خرقتها وقال لموصلها إليه: ما أفرغك للجهاالات؟ فقال له الرجل وأظن أنه قال: إنه ابن عمته أو ابن عمه فإن الرجل قد استدعانا فلم خرقت مكاتبته؟ وضحكوا منه وهزؤوا به، ثم نهض إلى دكانه ومعه جماعة من أصحابه وغلماؤه.

(قال): فلما دخل إلى الدار التى كان فيها دكانه نهض له من كان هناك جالساً غير رجل رآه جالساً فى الموضع فلم ينهض له ولم يعرفه أبى فلما جلس وأخرج حسابه ودواته كما تكون التجار أقبل على بعض من كان حاضراً فسأله عنه فأخبره فسمعه الرجل يسأل عنه فأقبل عليه وقال له: تسأل عنى وأنا حاضر؟ فقال له أبى: أكبرتك أيها الرجل وأعظمت قدرك أن أسألك، فقال له: تخرق رقتى وأنا اشاهدك تخرقها؟ فقال له أبى: فأنت الرجل إذاً.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٦٠

(ثم قال): يا غلام برجله وبقفاه، فخرج من الدار العدو لله ولرسوله، ثم قال له: أتدعى المعجزات؟ عليك لعنة الله، (أو كما قال)، فاخرج بقفاه فما رأيناه بعدها بقم.

### ومنهم ابن أبى العزاقر ...: ص: ١٦٠

(وهو محمّد بن على السلمغانى يكتى بأبى جعفر) أخبرنى الحسين بن إبراهيم، عن أحمد بن على بن نوح، عن أبى نصر هبة الله بن محمّد بن أحمد الكاتب ابن بنت أمّ كلثوم بنت أبى جعفر العمري (رض)، قال: حدّثنى الكبيرة أمّ كلثوم بنت أبى جعفر العمري (رض).

(قال): كان أبو جعفر ابن أبى العزاقر وجيهاً عند بنى بسطام، وذاك أن الشيخ أبا القاسم رضى الله عنه وأرضاه كان قد جعل له عند الناس منزلاً وجاهاً فكان عند ارتداده يحكى كل كذب وبلاء وكفر لبنى بسطام ويسنده عن الشيخ أبى القاسم فيقبلونه منه ويأخذونه عنه، حتى انكشف ذلك لأبى القاسم فأنكره وأعظمه ونهى بنى بسطام عن كلامه وأمرهم بلعنه والبراءة منه، فلم ينتهوا وأقاموا على توليه، وذاك أنه كان يقول لهم:

إننى أذعت السر وقد اخذ على الكتمان فعوقبت بالإبعاد بعد الاختصاص، لأن الأمر عظيم لا يحتمله إلّا ملك مقرب أو نبى مرسل أو مؤمن ممتحن، فيؤكّد فى نفوسهم عظم الأمر وجلالته، فبلغ ذلك أبا القاسم (رض) فكتب إلى بنى بسطام بلعنه والبراءة منه وممن تابعه على قوله، وأقام على توليه، فلما وصل إليهم أظهره عليه فبكى بكاءً عظيماً.

ثم قال: إن لهذا القول باطناً عظيماً، وهو أن اللعنة الإبعاد، فمعنى قوله: لعنه الله، أى باعده الله عن العذاب والنار، والآن قد عرفت منزلتى، ومزغ خديه على التراب وقال: عليكم بالكتمان لهذا الأمر.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٦١

قالت الكبيرة آ: وقد كنت أخبرت الشيخ أب القاسم أن أم أبى جعفر بن بسطام قالت لى يوماً وقد دخلنا إليها فاستقبلتنى وأعظمتنى وزادت فى إعظامى حتى انكبت على رجلى تقبلها، فأنكرت ذلك وقلت لها: مهلاً يا ستنى فإن هذا أمر عظيم، وانكبت على يدها فبكت.

ثم قالت: كيف لا أفعل بك هذا وأنت مولاتى فاطمة؟ فقلت لها: وكيف ذاك يا ستنى؟ فقالت لى: إن الشيخ يعنى أبى جعفر محمّد بن على خرج إلينا بالسر، قالت: فقلت لها: وما السر؟ قالت: قد أخذ علينا كتماننا وأفزع إن أنا أذعته عوقبت، قالت: وأعطيتها موثقاً أنى لا أكشفه لأحد واعتقدت فى نفسى الاستثناء بالشيخ (رض) يعنى أبى القاسم الحسين بن روح.

قالت: إن الشيخ أبى جعفر (ابن أبى العزاقر) قال لنا: إن روح رسول الله (ص) انتقلت إلى أبيك تعنى أبى جعفر محمّد بن عثمان (رض)، وروح أمير المؤمنين على (ع) انتقلت إلى بدن الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح، وروح مولاتنا فاطمة (ع) انتقلت إليك، فكيف لا أعظمك يا ستننا!

فقلت لها: مهلاً لا تفعلنى، فإن هذا كذب يا ستننا. فقالت لى: سر عظيم، وقد اخذ علينا أن لا نكشف هذا لأحد، فالله الله فى، لا يحل بى العذاب، ويا ستنى لولا أنك حملتنى على كشفه ما كشفته لك ولا لأحد غيرك.

قالت الكبيرة أم كلثوم آ: فلما انصرفت من عندها دخلت إلى الشيخ أبى القاسم بن روح (رض) فأخبرته بالقصة وكان يثق بى ويركن إلى قولى، فقال لى: يا بنىة إياك أن تمضى إلى هذه المرأة بعدما جرى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٦٢

منها، ولا تقبلنى لها رقعة إن كاتبتك، ولا رسولاً إن أنفذته إليك، ولا تلقىها بعد قولها، فهذا كفر بالله تعالى وإلحاد قد أحكمه هذا الرجل الملعون فى قلوب هؤلاء القوم ليجعله طريقاً إلى أن يقول لهم: بأن الله تعالى اتحد به، وحلّ فيه، كما تقول النصارى فى المسيح (ع) ويعدو إلى قول الحلاج (لعنه الله).

قالت: فهجرت بنى بسطام، وتركت المضى إليهم ولم أقبل لهم عذراً ولا لقيت امهم بعدها، وشاع فى بنى نوبخت الحديث فلم يبق أحد إلّا وتقدم إليه الشيخ أبو القاسم وكتبه بلعن أبى جعفر السلمغانى والبراءة منه ومن يتولاه ورضى بقوله أو كلمه فضلاً عن موالاته. ثم ظهر التوقيع من صاحب الزمان (ع) بلعن أبى جعفر محمّد بن على والبراءة منه وممن تابعه وشايعه ورضى بقوله، وأقام على توليه بعد المعرفة بهذا التوقيع.

وله حكايات قبيحة وأمور فظيعة ننزه كتابنا عن ذكرها، ذكرها ابن نوح وغيره.

(وكان) سبب قتله أنه لما أظهر لعنه أبو القاسم بن روح واشتهر أمره وتبرأ منه وأمر جميع الشيعة بذلك، لم يمكنه التلبس، فقال فى مجلس حافل فيه رؤساء الشيعة وكل يحكى عن الشيخ أبى القاسم لعنه والبراءة منه: أجمعوا بينى وبينه حتى آخذ يده ويأخذ بيدي، فإن لم تنزل عليه نار من السماء تحرقه وإلّا فجميع ما قاله فى حق، ورقى ذلك إلى الراضى لأنه كان ذلك فى دار ابن مقله فأمر بالقبض عليه وقتله، فقتل واستراحت الشيعة منه.

(وقال) أبو الحسن محمّد بن أحمد بن داود: كان محمّد بن السلمغانى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٦٣

المعروف بابن أبى العزاقر (لعنه الله) يعتقد القول بحمل الضد، ومعناه أنه لا يتهاى إظهار فضيلة لولى إلّا بطعن الضد فيه، لأنه يحمل السامع طعنه على طلب فضيلته فإذن هو أفضل من الولى إذ لا يتهاى إظهار الفضل إلّا به، وساقوا المذهب من وقت آدم الأول إلى آدم

السابع، لأنهم قالوا: (سبع عوالم وسبع أودم، ونزلوا إلى موسى وفرعون ومحمد وعلى مع أبى بكر ومعاوية).

وأما فى الضد فقال بعضهم: الولي ينصب الضد ويحمله على ذلك كما قال قوم من أصحاب الظاهر: إن على بن أبى طالب نصب أبى بكر فى ذلك المقام، وقال بعضهم: لا، ولكن هو قديم معه لم يزل، قالوا: والقائم الذى ذكروا أصحاب الظاهر أنه من ولد الحادى عشر فإنه يقوم، معناه إبليس، لأنه قال: فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ \* إِلَّا إِبْلِيسَ (١) ولم يسجد، ثم قال: لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (٢) فدل على أنه كان قائماً فى وقت ما امر بالسجود ثم قعد بعد ذلك، وقوله: يقوم القائم إنما هو ذلك القائم الذى امر بالسجود فأبى وهو إبليس لعنه الله.

وقال شاعرهم لعنهم الله:

يا لاعناً بالضد من عدى

ما الضد إلّا ظاهر الولي والحمد للمهيمن الوفى لست على حال كحمامى ولا حجامى ولا جعدى قد فقت من قول على الفهدى نعم وجاوزت مدى العبدى فوق عظيم ليس بالمجوسى لأنه الفرد بلا كيفى متحد بكل أوحدى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٦٤

مخالط للنورى والظلمى

يا طالباً من بيت هاشمى وجاحداً من بيت كسروى قد غاب فى نسبة أعجمى فى الفارسى الحسب الرضى كما التوى فى العرب من لوى (وقال الصفوانى): سمعت أبى على بن همام يقول: سمعت محمّد بن على العزاقرى الشلمغانى يقول: الحق واحد وإنما تختلف قمصه فيوم يكون فى أبيض ويوم يكون فى أحمر، ويوم يكون فى أزرق، (قال ابن همام): فهذا أول ما أنكرته من قوله لأنه قول أصحاب الحلول. (وأخبرنا) جماعة، عن أبى محمّد هارون بن موسى، عن أبى على محمّد بن همام، أن محمّد بن على الشلمغانى لم يكن قط باباً إلى أبى القاسم، ولا طريقاً له ولا نصبه أبو القاسم بشيء من ذلك على وجه ولا سبب ومن قال بذلك فقد أبطل وإنما كان فقيهاً من فقهاءنا فخلط وظهر عنه ما ظهر، وانتشر الكفر والإلحاد عنه، فخرج فيه التوقيع على يد أبى القاسم بلعنه والبراءة منه وممن تابعه وشايعه وقال بقوله.

(وأخبرنى) الحسين بن إبراهيم، عن أحمد بن على بن نوح، عن أبى نصر هبة الله بن محمّد بن أحمد، قال: حدّثنى أبو عبد الله الحسين بن أحمد الحامدى البزاز المعروف بغلام أبى على بن جعفر المعروف بابن رهومة النوبختى وكان شيخاً مستوراً قال: سمعت روح بن أبى القاسم بن روح يقول: لما عمل محمّد بن على الشلمغانى كتاب التكليف قال الشيخ يعنى أبى القاسم (رض): اطلبوه إلى لأنظره، فجاؤا به فقرأه من أوله إلى آخره فقال: ما فيه شيء إلّا وقد روى عن الأئمة إلّا موضعين أو ثلاثة فإنه كذب عليهم فى روايتها (لعنه الله).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٦٥

(وأخبرنى) جماعة عن أبى الحسن محمّد بن أحمد بن داود، وأبى عبد الله الحسين بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه أنهما قالوا: مما أخطأ محمّد بن على فى المذهب فى باب الشهادة أنه روى عن العالم (الكاظم) (ع) أنه قال: إذا كان لأخيك المؤمن على رجل حق فدفعه عنه، ولم يكن له من البيّنة عليه إلّا شاهد واحد وكان الشاهد ثقة رجعت إلى الشاهد فسألته عن شهادته فإذا أقامها عندك شهدت معه عند الحاكم على مثل ما يشهد عنده لئلا يتوى (يهلك) حق امرئ مسلم، (واللفظ لابن بابويه) وقال: هذا كذب منه ولسنا نعرف ذلك، وقال فى موضع آخر: كذب فيه.

**نسخة التوقيع الخارج فى لعنه ...: ص: ١٦٥**

(أخبرنا جماعة) عن أبى محمّد هارون بن موسى، (قال): حدّثنا محمّد بن همام قال: خرج على يد الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح

(رض) في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة في ابن أبي العزاقر والمداد رطب لم يجف.

(وأخبرنا جماعة)، عن ابن داود قال: خرج التوقيع من الحسين بن روح في الشلمغاني وأنفذ نسخته إلى أبي علي بن همام في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة.

(قال ابن نوح): وحدّثنا أبو الفتح أحمد بن ذكا مولى علي بن محمّد بن الفرات قال: أخبرنا أبو علي بن همام بن سهيل بتوقيع خرج في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة.

قال محمّد بن الحسن بن جعفر بن إسماعيل بن صالح الصيمري: أنفذ الشيخ الحسين بن روح (رض) من مجلسه في دار المقتدر إلى شيخنا

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٦٦

أبي علي بن همام في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة وأملاه أبو علي علي وعرفني أن أبا القاسم (رض) راجع في ترك إظهاره فإنه في يد القوم وحسبهم فأمر بإظهاره وأن لا يخشى ويأمن فتخلص وخرج من الحبس بعد ذلك بمدة يسيرة والحمد لله.

### التوقيع ... ص: ١٦٦

«عَرَفَ عرفك الله الخير أطال الله بقاءك وعَرَفَكَ الخير كله وختم به عملك من تثق بدينه وتسكن إلى نيته من إخواننا أسعدكم الله بأن محمّد بن علي المعروف بالشلمغاني وهو ممن عَجَل الله له النعمة ولا أمهله قد ارتد عن الإسلام وفارقه، وألحد في دين الله وأدعى ما كفر معه بالخالق جلّ وتعالى وافترى كذباً وزوراً وقال بهتاناً وإثماً عظيماً، كذب العادلون بالله وضلّوا ضلالاً بعيداً وخسروا خسراً مبيناً وإننا قد برئنا إلى الله تعالى وإلى رسوله وآله صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليهم بمَنه ولعنناه عليه لعائن الله تترى في الظاهر منّا والباطن في السرّ والجهر وفي كل وقت وعلى كل حال وعلى من شيعه وبايعه أو بلغه هذا القول منّا وأقام على توليه بعده.

وأعلمهم تولّواكم الله أنّا من التوقي والمحاذرة منه على ما كتبا عليه ممن تقدمه من نظرائه من الشريعي والنميري والهلالى والبلالى وغيرهم وعادة الله جلّ ثناؤه مع ذلك قبله وبعده عندنا جميلة وبه نثق وإياه نستعين وهو حسبنا في كل أمورنا ونعم الوكيل».

(قال هارون): وأخذ أبو علي هذا التوقيع ولم يدع أحداً من الشيوخ إلّا وأقرأه إياه وكوتب من بعد منهم بنسخته في سائر الأمصار فاشتهر ذلك في الطائفة فاجتمعت على لعنه والبراءة منه، وقتل محمّد بن علي الشلمغاني في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة.

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٦٧

### ذكر أمر أبي بكر البغدادي ... ص: ١٦٧

ابن أخي الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري (رض) وأبي دلف المجنون:

(أخبرني) الشيخ أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان عن أبي الحسن علي بن بلال المهلبى (قال): سمعت أبا القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه يقول: أما أبو دلف الكاتب (لا حاطه الله) فكنا نعرفه ملحداً ثم أظهر الغلو ثم جنّ وسلسل ثم صار مفوضاً وما عرفناه قط إذا حضر في مشهد إلّا استخف به ولا عرفته الشيعة إلّا مدة يسيرة والجماعة تبتراً منه وممن يومى إليه وينمس به («١»).

وقد كنا وجهنا إلى أبي بكر البغدادي لما ادعى له هذا ما ادعاه («٢») فأنكر ذلك وحلف عليه فقبلنا ذلك منه فلمّا دخل بغداد مال إليه وعدل من الطائفة وأوصى إليه لم نشك أنه على مذهبه فلعنناه وبرئنا منه لأن عندنا أن كل من ادعى الأمر بعد السمري فهو كافر منمس («٣») ضال مضل وبالله التوفيق.

(وذكر أبو عمرو) محمّد بن محمّد بن نصر السكري (قال): لمّا قدم ابن محمّد بن الحسن ابن الوليد القمي من قبل أبيه والجماعة

وسألوه عن الأمر الذى حكى فيه من النيابة أنكرك ذلك وقال: ليس إلیّ من هذا الأمر شىء ولا ادعيت شيئاً من هذا وكنت حاضراً لمخاطبته إياه بالبصرة.

(وذكر ابن عیاش) قال: اجتمعت يوماً مع أبى دلف فأخذنا فى ذكر أبى بكر البغدادي فقال لی: تعلم من أين كان فضل سيدنا الشيخ دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٦٨

(قدّس الله روحه وقدّس به) على أبى القاسم الحسين بن روح وعلى غيره؟ فقلت له: ما أعرف. قال: لأن أبا جعفر محمّد بن عثمان قدم اسمه على اسمه فى وصيته قال: فقلت له: فالمنصور (أى الخليفة العبّاسی) أفضل من مولانا أبى الحسن موسى (ع)، قال: وكيف؟ قلت: لأن الصادق قدم اسمه على اسمه فى الوصية.

فقال لی: أنت تتعصب على سيدنا وتعاديه، فقلت: الخلق كلهم تعادى أبا بكر البغدادي وتتعصب عليه، غيرك وحدك، وكدنا نتقاتل ونأخذ بالأزياق («١»).

وأمر أبى بكر البغدادي فى قلبه العلم والمروءة أشهر وجنون أبى دلف أكثر من أن يحصى لا نشغل كتابنا بذلك ولا نطول بذكره وذكر ابن نوح طرفاً من ذلك.

(وروى) أبو محمّد هارون بن موسى عن أبى القاسم الحسين بن عبد الرحيم الأبرارورى قال: أنفذنى أبو عبد الرحيم إلی أبى جعفر محمّد بن عثمان العمري (رض) فى شىء كان بينى وبينه فحضرت مجلسه وفيه جماعة من أصحابنا وهم يتذاكرون شيئاً من الروايات وما قاله الصادقون (عليهم السلام) حتّى أقبل أبو بكر محمّد بن أحمد بن عثمان المعروف بالبغدادي ابن أخى جعفر العمري فلما بصر به أبو جعفر (رض) قال للجماعة: أمسكوا (أى توقفوا عن محادثتكم) فإن هذا الجاني ليس من أصحابكم. وحكى أنه توكل لليزيدى بالبصرة فبقى فى خدمته مدة طويلة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٦٩

وجمع مالاً عظيماً فسعى به إلی اليزيدى فقبض عليه وصادره وضربه على أمّ رأسه حتّى نزل الماء فى عينيه فمات أبو بكر ضريراً. وقال أبو نصر هبة الله بن محمّد بن أحمد الكاتب ابن بنت أمّ كلثوم بنت أبى جعفر محمّد بن عثمان العمري (رض): إن أبا دلف محمّد بن مظفر الكاتب كان فى ابتداء أمره مخمّساً («١») مشهوراً بذلك لأنه كان تربيئة الكرخيين وتلميذهم وصنيعتهم وكان الكرخيون مخمّسة لا يشكّ فى ذلك أحد من الشيعة، وقد كان أبو دلف يقول ذلك ويعترف به ويقول: نقلنى سيدنا الشيخ الصالح قدّس الله روحه ونور ضريحه) عن مذهب أبى جعفر الكرخي إلی المذهب الصحيح يعنى أبا بكر البغدادي.

وجنون أبى دلف وحكايات فساد مذهبه أكثر من أن تحصى فلا نطول بذكره هاهنا، انتهى ما ذكره الشيخ الطوسى.

ونقلناه كلّ مع طوله لأن ما ذكره من قصص المدّعين للسفارة والوكالة والبايئة الكاذبين على الله وعلى حججه (عليهم السلام)، تتكرّر بين فترة وأخرى فى عصر الغيبة التامة الكبرى. كما يقال التاريخ يعيد نفسه، بل من تأمل بعبرة فيما مرّ من الوقائع التى ذكرها الشيخ يجد أن ما يحدث فى زمننا هذا من ادّعاء البايئة هو بحدافيره مسلسل الوقائع السابقة من نسبة الأباطيل إلی الأئمة (عليهم السلام) ومن سرقة الأموال واتخاذ الضعفاء والجهلة أنصاراً والنساء مسرحاً للخرافات والخزعبلات، ومن ينتسب إلی العلم واجهة للغواية و... و...

وكما قال شيخ الطائفة فى زمانه أبو محمّد هارون بن موسى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٧٠

التلعكبرى («١»): وكل هؤلاء المدّعين إنما يكون كذبهم أوّلاً على الإمام وأنهم وكلاؤه فيدعون الضعفة بهذا القول إلی موالاتهم ثم يترقى الأمر بهم إلی قول الحلاجية (القائلين بالحلول أى الكفر والإلحاد) كما اشتهر من أبى جعفر الشلمغانى ونظرائه عليهم جميعاً لعائن الله تترى.

\*\*\*

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٧١

**الأمر الثامن ثواب الثبات والتمسك بالدين فى الغيبة الكبرى وشدة المحنة ... ص: ١٧١**

روى الصدوق بسنده عن الجواد عن آبائه عن أمير المؤمنين (ع) قال: «للقائم منّا غيبة أمدّها طويل، كأنى بالشيعة يجولون جولان النعم فى غيبته يطلبون المرعى فلا يجدونه، ألا- فمن ثبت منهم على دينه ولم يقس قلبه لطول أمد غيبته إمامه فهو معى فى درجتى يوم القيامة»، ثم قال (ع): «إن القائم منّا إذا قام لم يكن لأحد فى عنقه بيعه، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه» (١)».

وروى عن الأصمغ بن نباتة قال: ذكر عند أمير المؤمنين (ع) القائم (ع)، فقال: «أما ليغيبنّ حتى يقول الجاهل: ما لله فى آل محمد حاجة»، وفى حديث آخر: «بعد غيبة وحيرة، فلا يثبت فيها على دينه إلا المخلصون المباشرون لروح اليقين الذين أخذ الله (عزوجل) ميثاقهم بولايتنا وكتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه» (٢)».

وروى توفيقاً من صاحب الزمان (ع) كان خرج إلى العمري (النائب الأول) وابنه (النائب الثانى فى الغيبة الصغرى) W عن سعد بن عبد الله، قال الشيخ أبو عبد الله جعفر (رض): وجدته مثبتاً عنه: «وفقكم الله لطاعته، وثبتكم على دينه، وأسعدكم بمرضاته، انتهى إلينا دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٧٢

ما ذكرتما أن الميثمى أخبركم عن المختار ومناظراته من لقي واحتججه بأنه لا خلف غير جعفر بن على (١)» وتصديقه إياه، وفهمت جميع ما كتبتما به مما قال أصحابكم عنه، وأنا أعوذ بالله من العمى بعد الجلاء ومن الضلالة بعد الهدى ومن موبقات الأعمال ومرديات الفتن، فإنه (عزوجل) يقول: الم \* أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)».

كيف يتساقطون فى الفتنة، ويترددون فى الحيرة، ويأخذون يميناً وشمالاً، فارقوا دينهم أم ارتابوا أم عاندوا الحق أم جهلوا ما جاءت به الروايات الصادقة والأخبار الصحيحة، أو علموا ذلك فتناسوا ما يعلمون أن الأرض لا تخلو من حجة إما ظاهراً وإما مغموراً.

أولم يعلموا انتظام أئمتهم بعد نبهم (ص) واحداً بعد واحد إلى أن أفضى الأمر بأمر الله (عزوجل) إلى الماضى يعنى الحسن بن على (ع) فقام مقام آبائه (عليهم السلام) يهدى إلى الحق والى طريق مستقيم، كانوا نوراً ساطعاً، وشهاباً لامعاً، وقمرراً زاهراً، ثم اختار (عزوجل) له ما عنده فمضى على منهاج آبائه (عليهم السلام) حذو النعل بالنعل على عهد عهده ووصية أوصى بها إلى وصى ستره الله (عزوجل) بأمره إلى غايته، وأخفى مكانه بمشيئة للقضاء السابق والقدر النافذ، وفيما موضعه، ولنا فضله، ولو قد أذن الله (عزوجل) فيما قد منعه عنه وأزال عنه ما قد جرى به من حكمه لأراهم الحق ظاهراً بأحسن حلية وأبين دلالة وأوضح علامة، ولأبان عن نفسه وقام بحجته.

ولكن أقدار الله (عزوجل) لا تغالب، وإرادته لا ترد، وتوفيقه لا يسبق،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٧٣

فليدعوا عنهم أتباع الهوى، وليقيموا على أصلهم الذى كانوا عليه، ولا- يبحثوا عمّا ستر عنهم فإثموا ولا يكشفوا ستر الله (عزوجل) فيندموا، وليعلموا أن الحق معنا وفينا ولا- يقول ذلك سوانا إلا كذاب مفتر، ولا يدعيه غيرنا إلا ضال غوى، فليقتصروا منّا على هذه الجملة دون التفسير، ويقنعوا من ذلك بالتعريض دون التصريح إن شاء الله» (١)».

وروى بسنده عن أبى عبد الله (ع) قال: «من مات منكم على هذا الأمر منتظراً له كان كمن كان فى فسطاط القائم (ع)» (٢)».

وروى عن عبد الحميد الواسطى أنه سأل الباقر (ع) قال: قلت: فإن متُّ قبل أن أدرك القائم؟ قال: «القائل منكم: أن لو أدركت قائم آل محمد نصرته كان كالمقارع بين يديه بسيفه، لا بل كالشهيد معه» (٣)».

وروى عن أبى الحسن عن آبائه (عليهم السلام) أن رسول الله (ص) قال: «أفضل أعمال أمتى انتظار الفرج من الله (عزوجل)» (٤)».



وروى عن الصادق (ع): «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج أما سمعت قول الله (عزوجل): **وَإِذْ تَقْتَبُوا مِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٥٥)**»، فانتظروا إني معكم من المنتظرين (٥٦)»، فليكنم بالصبر، فإنه إنما يجيء الفرج على اليأس، فقد كان الذين من قبلكم أصبر منكم (٥٧)».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٧٤

وقال (ع): «المنتظر لأمرنا كالمتمشيط بدمه فى سبيل الله» (١١).

وروى بسنده عن عمّار الساباطى قال: قلت لأبى عبد الله (ع): العباد مع الإمام منكم المستتر فى دولة الباطل أفضل أم العباد فى ظهور الحق ودولته مع الإمام الظاهر منكم؟ فقال: «يا عمّار، الصدقة والله فى السر أفضل من الصدقة فى العلانية، وكذلك عبادتكم فى السر فى دولة الباطل أفضل؟ لخوفكم من عدوكم فى دولة الباطل، وحال الهدنة ممن يعبد الله (عزوجل) فى ظهور الحق مع الإمام الظاهر فى دولة الحق، وليس العباد مع الخوف وفى دولة الباطل مثل العباد مع الأمن فى دولة الحق.

اعلموا أن من صلى منكم صلاة فريضة وحداناً مستتراً بها من عدوه فى وقتها فأتىها كتب الله (عزوجل) له بها خمساً وعشرين صلاة فريضة وحدانية، ومن صلى منكم صلاة نافلة فى وقتها فأتىها كتب الله (عزوجل) له عشرين حسنة ويضاعف الله حسنات المؤمن منكم إذا أحسن أعماله ودان الله (عزوجل) على دينه وعلى إمامه وعلى نفسه وأمسك من لسانه أضعافاً مضاعفة كثيرة إن الله (عزوجل) كريم».

قال: فقلت: جعلت فداك، قد رغبتى فى العمل وحشتنى عليه، ولكن احب أن أعلم كيف صرنا اليوم أفضل أعمالاً من أصحاب الإمام منكم الظاهر فى دولة الحق ونحن وهم على دين واحد وهو دين الله (عزوجل)؟

فقال: «إنكم سبقتموهم إلى الدخول فى دين الله (عزوجل) وإلى الصلاة والصوم والحج وإلى كل فقه وخير وإلى عباد الله سرّاً مع عدوكم مع الإمام المستتر مطيعون له صابرون معه منتظرون لدولة الحق خائفون على

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٧٥

إمامكم وأنفسكم من الملوك، تنظرون إلى حق إمامكم وحقكم فى أيدى الظلمة قد منعوكم ذلك واضطروكم إلى حرث الدنيا وطلب المعاش مع الصبر على دينكم وعبادتكم وطاعة إمامكم والخوف من عدوكم، فبذلك ضاعف الله أعمالكم، فهنيئاً لكم هنيئاً».

قال: فقلت له: جعلت فداك، فما نتمنى إذاً أن نكون من أصحاب الإمام القائم فى ظهور الحق ونحن اليوم فى إمامتك وطاعتك أفضل أعمالاً من أعمال أصحاب دولة الحق؟

فقال: «سبحان الله! أما تحبون أن يظهر الله (عزوجل) الحق والعدل فى البلاد، ويحسن حال عامة العباد ويجمع الله الكلمة ويؤلف بين قلوب مختلفة، ولا يعصى الله (عزوجل) فى أرضه، ويقام حدود الله فى خلقه، ويرد الله الحق إلى أهله فيظهوره حتى لا يستخفى بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق، أما والله يا عمّار لا يموت منكم ميت على الحال التى أنتم عليها إلّا كان أفضل عند الله (عزوجل) من كثير ممن شهد بدرّاً وأحدّاً فأبشروا» (١١).

وروى عن الصادق (ع): «المنتظر للثانى عشر كالشاهر سيفه بين يدى رسول الله (ص) يذب عنه، هو (الإمام الثانى عشر ... ) هو المفرج للكرب عن شيعته بعد ضنك شديد وبلاء طويل وجور، فطوبى لمن أدرك ذلك الزمان» (٢).

وروى الكلينى بسنده عن يمان التمار قال: كُنّا عند أبى عبد الله (ع) جلوساً فقال لنا: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة المتمسك فيها بدينه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٧٦

كالخارط للقتاد ثم قال هكذا بيده (١) فأنيكم يمسك شوكة القتاد بيده؟»، ثم أطارق ملياً، ثم قال: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة، فليتنق الله عبد وليمسك بدينه» (٢).

وروى عن الكاظم (ع) أنه قال: «إذا فقد الخامس من ولد السابع فالله الله فى أديانكم لا يزيلكم عنها أحد، يا بنى إنه لا بدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هى محنة من الله (عزوجل) امتحن بها خلقه، لو علم آباؤكم وأجدادكم



ديناً أصح من هذا لا تبعوه» (٣).

أقول: المقصود من ذيل الرواية ليس التقليد للأباء والأجداد، بل هو التنبيه إلى أن من الآباء والأجداد من كان همّه وسعيه فى البحث عن الحق والدين الصحيح، واختيار مثلهم لهذا الدين يكون مؤشراً لصحة هذا الدين، وليس ذلك دعوة للتقليد كما قد يتوهم. وروى أن سائلاً سأل الصادق (ع) قال: قلت: إذا أصبحت وأمست لا أرى إماماً أتتّم به ما أصنع؟ قال: «فأحبّ من كنت تحبّ، وابغض من كنت تبغض حتّى يظهره الله (عزوجل)» (٤).

وروى النعمانى فى كتاب (الغيبة) عن الصادق (ع) أنه قال: «أقرب ما يكون العباد من الله (عزوجل) وأرضى ما يكون عنهم إذا افتقدوا حجة الله جلّ وعزّ ولم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٧٧

يظهر لهم ولم يعلموا بمكانه وهم فى ذلك يعلمون أنه لم تبطل حجة الله جلّ ذكره ولا ميثاقه، فعندها فتوقعوا الفرج صباحاً ومساءً فإن أشدّ ما يكون غضب الله (عزوجل) على أعدائه إذا افتقدوا حجة الله فلم يظهر لهم، وقد علم الله أن أوليائه (١) لا يرتابون، ولو علم أنهم يرتابون ما غيّب حجّته عنهم طرفه عين، ولا يكون ذلك إلّا على رأس شرار الناس» (٢).

وروى عن أبى جعفر (الباقى) (ع) أنه قال: «لتمحّصنّ يا شيعة آل محمّد تمحيص الكحل فى العين، وإن صاحب العين يدرى متى يقع الكحل فى عينه ولا يعلم متى يخرج منها، وكذلك يصبح الرجل على شريعة من أمرنا ويمسى وقد خرج منها، ويمسى على شريعة من أمرنا ويصبح وقد خرج منها» (٣).

وروى عن الصادق (ع) أنه قال: «والله لتكسّرنّ تكسّر الزجاج وإن الزجاج ليعاد فيعود كما كان، والله لتكسّرنّ تكسّر الفخار، وإن الفخار ليتكسّر فلا يعود كما كان، والله لتغربلنّ ووالله لتمحّصنّ حتّى لا يبقى منكم إلّا الأقلّ» وصعر كفه (٤).

ثمّ قال النعمانى: فتبيّنوا يا معشر الشيعة هذه الأحاديث المروية عن أمير المؤمنين ومن بعده من الأئمة (عليهم السلام) واحذروا ما حدّروكم وتأملوا ما جاء عنهم تأملاً شافياً، وفكّروا فيها فكراً تعمونه، فلم يكن فى التحذير شيء أبلغ من قولهم: «إن الرجل يصبح على شريعة من أمرنا ويمسى وقد خرج منها، ويمسى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٧٨

على شريعة من أمرنا ويصبح وقد خرج منها»، أليس هذا دليلاً على الخروج من نظام الإمامة وترك ما كان يعتقد منها على غير طريق. وفى قوله: «لتكسّرنّ تكسّر الزجاج»... الخ، فضرّب ذلك مثلاً لمن يكون على مذهب الإمامية فيعدل عنه إلى غيره بالفتنة التى تعرض له ثمّ تلحقه السعادة بنظرة من الله فتبيّن له ظلمة ما دخل فيه وصفاء ما خرج منه فيبادر قبل موته بالتوبة والرجوع إلى الحق فيتوب الله عليه ويعيده إلى حاله فى الهدى كالزجاج الذى يعاد بعد تكسّره فيعود كما كان، ولمن يكون على هذا الأمر فيخرج عنه ويتمّ على الشقاء بأن يدركه الموت وهو على ما هو عليه غير تائب منه ولا عائد إلى الحق، فيكون مثله كمثل الفخار الذى يكسّر فلا يعاد إلى حاله، لأنه لا توبة له بعد الموت ولا فى ساعته، نسأل الله الثبات على ما منّ به علينا، وأن يزيد فى إحسانه، فإنما نحن له ومنه» (١) انتهى.

وروى عن الكاظم (ع) أنه قال: «ما يكون ذلك (أى ظهور الحجة (ع)) حتّى تميّزوا وتمحّصوا، وحتّى لا يبقى منكم إلّا الأقلّ»، ثم صعر كفه (٢).

وعن الرضا (ع): «والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتّى تمحّصوا وتميّزوا، وحتّى لا يبقى منكم إلّا الأندر فالأندر» (٣)، وفى رواية: «حتّى يشقى من شقى ويسعد من سعد» (٤).

هذا والروايات فى هذا المجال كثيرة جداً تطلب من مظانها.

\*\*\*

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٧٩

**الأمر التاسع تفسير الكتاب الوارد من الناحية المقدسة على الشيخ المفيد وتشرف عدة من أساطين الفقه والعلم بلقائه (ع ...): ص: ١٧٩**

لعلّ قائل يقول: ما تفسير ما وقع من خروج كتاب ورد من الناحية المقدسة حرسها الله ورعاها على الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (قدّس الله روحه ونور ضريحه)؟

وما تفسير ما شاع نقله واستفاض من تشرف عدة من أساطين الفقهاء والعلماء بلقائه (ع)، حتّى أن ثلّة منهم نقل عنه (ع) بعض الأدعية المسطورة في كتب الشيعة؟

وكيف يتفق مع ما تسالمت عليه الطائفة من انقطاع السفار، وأن «من ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كاذب مفتر» (١) كما ورد في التوقيع الذي خرج على يد النائب الرابع.

فتفسير ذلك: أنه التبس على القائل معنى السفارة والنيابة الخاصة والوكالة والبايعة مع ما ذكره من الموارد، ولتوضّح الفرق بمثال موجود في يومنا هذا.

وهو الفرق بين سفير دولة ما وبين مواطن كأحد المواطنين لتلك الدولة قد أبلغ من قبلها بإيصال رسالته ما إلى جهة معينة، فالسفير للدولة

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٨٠

له منصب دائم من قبلها لإيصال والقيام بنبأه الدولة وتمثيلها، بخلاف ذلك المواطن الذي اتفق أن امره بإيصال رسالة ما، فإنه لم ينصب لمقام معين، ولم يجعل ممثلاً دائماً.

ومن ثمّ نقول: الفرق بين الباب والسفير وبين مثل المكاتبه التي تشرف بها المفيد رضوان الله تعالى عليه هو أن السفير كالنواب الأربعة في الغيبة الصغرى هو الذي ينصب بنحو دائم كحلقة وصل بين الشيعة والإمام، ويكون على اتصال دائم بحيث يوصل من وإلى الحجّة (ع)، وهو ياتمر في كل صغيرة وكبيرة من أعماله وإجراءاته وتنفيذه في المهام الدينية من قبل الحجّة (ع)، وتظهر على يديه دلائل وبراهين على النيابة الخاصة من قبل الحجّة (ع)، مع إظهار السفير سفارته لأجلالة الطائفة الإمامية، وأين هذا من مثل المكاتبه المذكورة؟

وقد تقدّم ذكر عدّة ممن كانوا يكتبون الأسئلة ويبعثون بها إلى الحجّة (ع) عبر النواب في الغيبة الصغرى، كأبي جعفر محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري المعروف بمكاتبته للحجّة عبر النواب الأربعة، ومع ذلك فلم يكن سفيراً ولا نائباً خاصاً ولا وكيلًا بالمباشرة ولا بالواسطة بل كسائر الفقهاء.

وكذلك عدّة كثيرة من الفقهاء كاتبوا في الغيبة الصغرى عبر النواب الأربعة أو كتب إليهم.

منهم محمد بن صالح (١)، وإسحاق بن يعقوب (٢)، ومحمد بن

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٨١

الصالح (١)، والحسن بن الفضل اليماني (٢)، وعلي بن محمّد الشمشاطي (٣)، وأبو رجاء المصري (٤)، ومحمّد بن هارون (٥)، وأبو القاسم بن أبي جليس (٦)، وهارون بن موسى بن الفرات، ومحمّد بن محمّد البصري، ومحمّد بن يزيد، ومحمّد بن كشمرد (٧)، وعلي بن محمّد بن إسحاق الأشعري، وإبراهيم بن محمّد بن الفرج وغيرهم كثير جداً، ومع ذلك لم يكونوا وكلاء بالمباشرة ولا بالواسطة.

هذا مع أن الشيخ المفيد كتب إليه من الحجّة (ع) لأنه أرسل كتاباً ثمّ أتاه الجواب، وكيف يتوهم أن الشيخ المفيد يدعى أنه سفير مع

أنه نفسه ذكر فى (الرسائل الخمس فى الغيبة) (٨) انقطاع السفارة والنواب بموت النائب الرابع فى الغيبة الصغرى، وذكر ذلك فى كتاب الإرشاد فى الفصل الذى عقده للإمام الثانى عشر (ع) (٩) وفى بقية كتبه، ومع أن الشيخ المفيد نفسه ذكر عن شيخه أبى القاسم جعفر بن محمد بن قولويه: (أن عندنا أن كل من ادعى الأمر بعد السمري فهو كافر منتمس ضال مضل) (١٠).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٨٢

نعم، الشيخ المفيد كبقية الفقهاء العدول له النيابة العامة، وهى المرجعية، التى يستقى الفقيه علمه بالأحكام الشرعية من الكتاب والأخبار المأثورة عن الرسول (ص) والأئمة (عليهم السلام) كما تقدم شرح ذلك فى الأمر الثالث من هذا الفصل.

هذا مع أنه يصعب الجزم بصدور هذا الكتاب من الناحية المقدسة ووروده للشيخ المفيد، وذلك لأن الشيخ الطبرسى (رض) تفرد بذكر ذلك فى كتابه (الاحتجاج) ولم يذكر طريقه وسنده إلى الشيخ المفيد.

أما تفرد فلأن الشيخ الطوسى وهو تلميذ الشيخ المفيد ومن خواصه المقربين إليه لم يذكر ذلك فى كتابه الرجال والفهرست عند ترجمته شيخه المفيد، مع أنه أثنى عليه بأبلغ الثناء والمدح، ولو كان مثل هذا الكتاب من الناحية المقدسة لناسب ذكره فى الترجمة، لأنه أبلغ شىء فى التعريف بمكانة شيخه، كما لم يذكر الشيخ الطوسى هذه الواقعة فى بقية كتبه.

وكذلك الشيخ الجليل أبو العباس أحمد بن على النجاشى تلميذ الشيخ المفيد لم يذكر ذلك فى ترجمته شيخه فى رجاله مع أنه أطرى عليه بأحسن الثناء.

وكذلك لم يعثر فى كتب السيد المرتضى على بن الحسين الموسوى على ذكر لهذه الواقعة، مع أن السيد يأتى بشىء من الاطراء والمدح لأستاذه الشيخ المفيد عند تصادف ذكر شيخه فى كتبه.

وكذلك لم يذكر ذلك ابن الحلى فى سرائره فى المستطرفات فى ما استطرفه من كتاب العيون والمحاسن تصنيف المفيد، حيث أتى بترجمته للمفيد فى البدء فيها من المدح والثناء الجميل.

وكذلك لم يذكر ذلك العلامة الحلى فى كتاب الرجال عند

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٨٣

ترجمته الشيخ المفيد مع أنه أطرى عليه بالمدح الجزيل، مع أن العلامة الحلى (رض) من أعلام الطائفة فى القرن السابع فهو متأخر عن الشيخ الطبرسى الذى هو من أعلام القرن السادس.

وكذلك لم يذكر ذلك تقى الدين بن داود الحلى فى كتاب الرجال المعاصر للعلامة الحلى.

وكذلك لم يذكر ذلك الشيخ أبو الفتح الكراچكى تلميذ المفيد مع أنه كرّر ذكره فى كتابه كنز الفوائد.

نعم، ذكر ابن شهر آشوب السروى فى معالم العلماء: (ولقبه بالشيخ المفيد صاحب الزمان (صلوات الله عليه)، وقد ذكرت سبب ذلك فى مناقب آل أبى طالب)، ولكن لم يعثر على ذلك فى كتابه المناقب، وقد ذكر المصحح الذى أشرف على طبع كتاب المناقب

(١): (وليعلم أن الموجود من المناقب فى أحوال الأئمة (عليهم السلام) إلى العسكرى، ولم نعثر على أحوال الحجة (ع) منه، ولا نقله من تقدمنا من سدنة الأخبار كالمجلسى (رض) والشيخ الحر وأمثالهما، وربما يتوهم أنه لم يوفق لذكر أحواله (ع)، إلا أنه قال فى

معالم العلماء فى ترجمته المفيد (رض) (أنه لقبه بالشيخ، والظاهر أنه كتبه فى جملة أحواله (ع) فى هذا الباب سقط من هذا الكتاب).

وعلى أية حال فابن شهر آشوب تلميذ الشيخ الطبرسى كما ذكر هو ذلك (٢) فالمظنون قوياً أنه نقله عن الطبرسى.

وكذلك ما يحكى عن رسالته نهج العلوم ليحيى بن بطريق الحلى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٨٤

صاحب كتاب (العمدة فى عيون صحاح الأخبار فى مناقب إمام الأبرار) المتوفى سنة ستمائة هجرية أنه ذكر التوقعات المذكورة إلى الشيخ المفيد (رض)، فالمظنون قوياً أنه نقله عن ابن شهر آشوب لأنه الراوى عنه (١) أو نقله عن الشيخ الطبرسى (رض).

هذا مع أن ابن إدريس ذكر فى كتاب السرائر فى ما استطرفه من كتاب العيون والمحاسن تصنيف الشيخ المفيد أن الذى سمّاه بهذا اللقب على بن عيسى الرمانى عندما أفحمه المفيد وكان فى بداية نشوه العلمى، لا- أن هذا اللقب اشتهر به فى آخر عمره كما هو مقتضى تاريخ التوقيع، إلا أن يريد ابن شهر آشوب جرى هذا اللقب على لسانه الشريف (ع) وما فى ذلك من المدح للمفيد (رضوان الله تعالى عليه).

وأما عدم ذكر الطريق فلأن الشيخ الطبرسى لا يروى مباشرة عن المفيد، بل لا بدّ من الوساطة، ولم تذكر فى كلامه (رفع الله مقامه). وهو وإن ذكر فى أول كتاب الاحتجاج حيث يقول: (ولا- نأتى فى أكثر ما نوره من الأخبار بإسناده إما لوجود الإجماع عليه، أو موافقته لما دلّت العقول إليه، أو لاشتهاره فى السير والكتب بين المخالف والمؤلف).

لكن شىء من الأقسام الثلاثة غير متحقق لدينا. أما الإجماع والاتفاق، فقد عرفت خلو كتب التراجم والرجال المصنّفه ممن هو أقرب زمنًا من الشيخ الطبرسى من ذلك، ومن ذلك لا يتحقق لدينا وجود الشهرة أيضاً فى تلك الأعصار (٢) «٢».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٨٥

وأما الموافقة للدليل العقلى، فلا دليل عقلى فى البين على وقوع ذلك.

نعم، الشيخ الطبرسى لا محالة قد تحقق لديه أحدها، ولكن لم يتحقق لدينا كما عرفت، وهنا إشكال آخر ذكره السيد المحقق الخوئى (رض) فى المعجم (١) «١» بقوله: (هب أن الشيخ المفيد جزم بقرائن أن التوقيع صدر من الناحية المقدسة، ولكن كيف يمكننا الجزم بصدوره من تلك الناحية؟).

ووجه هذا الإشكال أن المفيد (رض) ليس سفيراً خاصاً وباباً للحجة (ع) كى يجزم بما قد جزم به المفيد أنه من الناحية، إذ قد لا يحصل الجزم من تلك القرائن فيما لو علمنا بها.

وهذا بخلاف الحال فى السفير والباب الخاص بالحجة (ع)، فإنه مقتضى سفارته حجية قوله فيما يؤدّيه عن الحجة من دون احتمال الخطأ والغفلة كما ورد فى قول الإمام العسكرى (ع) عند تنصيبه على نيابة العمرى وابنه: «العمرى وابنه ثقتان، فما أذيا عنى فعنى يؤدّيان، وما قال لك فعنى يقولان» (٢) «٢»، «فاقبلوا من عثمان (النائب الأول العمرى) ما يقوله وانتهوا إلى أمره واقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه» (٣) «٣».

ومن ذلك كلّ يظهر لك تفسير تشرف عدّة من أكابر العلماء والفقهاء والأتقياء بقاء الحجة (ع) وسعادتهم بجمال محضره الشريف، فإن ذلك ليس يعنى سفارتهم وبايتهم وأنهم منصوبون لذلك.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٨٦

بل إن ذلك نتيجة الطهارة من الذنوب ومن النزعات الشيطانية والحيوانية، إذ قد ورد فى بعض الروايات (١) «١»: أن الحاجب بيننا وبين نور مطلع الباهر عليه أفضل صلوات الملك القادر هى ذنوبنا وسيئات أعمالنا، وقد ذكر الصدوق فى إكمال الدين عدّة كثيرة ممن تشرف ببقائه (ع) فى الغيبة الصغرى فترة النواب الأربعة (٢) «٢»، ولم تكن تلك العدّة التى تشرف ببقائه (ع) سفراء ونواباً.

وأما توافق ذلك مع ما خرج من التوقيع على يد على بن محمّد السمرى النائب الرابع والأخير: «من ادعى المشاهدة قبل خروج السفينانى والصيحة فهو كاذب مفتر» (٣) «٣».

فلأن معنى التوقيع المبارك كما هو الراجح لدى العلماء هو ادعاء النيابة الخاصة والسفارة، بقرينه أن التوقيع صدر قرب وفاة السمرى، حيث أن فى أوله تعزية الإمام (ع) المؤمن بموت السمرى ما بينه وبين ستة أيام، ثم أمره (ع) بعدم الوصاية إلى أحد يقوم مقامه بعد وفاته، إذ قد وقعت الغيبة التامة، وأنه لا ظهور حتى يأذن الله تعالى ذكره. هذه كلّها قرائن أن سياق الكلام دال على تكذيب ادعاء النيابة والسفارة بعد السمرى رضوان الله تعالى عليه.

ونصّ التوقيع كما ذكره الشيخ في (الغيبة) (٤) قال: وأخبرنا جماعة

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٨٧

(وهم مشايخه)، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (الصدوق)، قال: حدّثني أبو محمد الحسين بن أحمد المكتب (الذي ترخّم عليه الصدوق في كمال الدين)، قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفى فيها الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمرى (رض)، فحضرتة قبل وفاته بأيام، فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمرى عظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله تعالى ذكره وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي لشيعتي من يدعى المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كاذب مفتر، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم».

وقد أنبأ (ع) شيعته بمجيء المدّعين الكذّابين المفترين، وقد حصل مجيئهم كرات ومزّات ولا زال في يومنا هذا، وهذا الإنباء بالمستقبل من معجزاته (ع). وواضح أن من يدعى المشاهدة للحجة (ع) ليس غرضه إلّا إظهار نفسه كوسيط وسفير للحجة (ع)، وهذه قرينة أخرى على أن المعنى المراد في التوقيع المبارك هو ادعاء النيابة والسفارة.

\*\*\*

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٨٨

### الأمر العاشر من هم الأبدال والأوتاد...؟ ص: ١٨٨

ولعلّ سؤالاً يطرح وهو: أليس الأبدال والأوتاد على درجة من القرب إلى الناحية المقدسة، ولعلّ المقدمين منهم على اتصال، فكيف يلتئم ذلك مع انقطاع النيابة الخاصة؟

فالجواب يتّضح من خلال استعراض ما ورد من الروايات في ذلك:

منها: ما رواه الصدوق (رض) بإسناده عن أبي سعيد الخدرى في وصية النبي (ص) لعلي (ع) قال: «يا علي، عليك بالجماع ليلة الإثنين فإنه إن قضى بينكما ولد يكون حافظاً لكتاب الله راضياً بما قسم الله (عزوجل) وإن جامعته أهلكتك... إلى أن قال (ص): وإن جامعته في ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة فإنه يرجى أن يكون الولد من الأبدال إن شاء الله» (١)، وقد رواه الطبرسى في (مكارم الأخلاق) (٢).

منها: ما رواه الطبرسى (رض) عن الخالد بن الهيثم الفارسي قال: قلت لأبي الحسن الرضا (ع): إن الناس يزعمون أن في الأرض أبدالاً، فمن هؤلاء الأبدال؟ قال: «صدقوا، الأبدال هم الأوصياء، جعلهم الله (عزوجل) في الأرض بدل الأنبياء إذ رفع الأنبياء وختمهم محمد (ص)» (٣).

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٨٩

وقال المجلسى (رض) في بيان هذا الحديث: ظاهر الدعاء المروى من أمّ داود عن الصادق (ع) في النصف من رجب:

قل: «اللهم صل على محمد وآل محمد، وارحم محمد وآل محمد، وبارك على محمد وآل محمد، كما صلّيت وترحمت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم صل على الأوصياء والسعداء والشهداء وأتّية الهدى، اللهم صل على الأبدال والأوتاد والعباد المخلصين والزهاد وأهل الجد والاجتهاد... إلى آخر الدعاء، يدلُّ على مغايرة الأبدال للأئمّة (عليهم السلام) لكن ليس بصريح فيها فيمكن حمله على التأكيد ويحتمل أن يكون المراد به في الدعاء خواص أصحاب الأئمّة (عليهم السلام)، والظاهر من الخبر نفى ما تفتريه الصوفية من العامة كما لا يخفى على المتتبع العارف بمقاصدهم (عليهم السلام).

ومنها: ما رواه الكليني عن الباقر (ع) قال: قال رسول الله (ص): «إني وإثنى عشر (١) من ولدى وأنت يا علي زر الأرض يعني أوتادها

وجبالها، بنا أوتد الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدى ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا» (٢)، وهذه الرواية مطابقة فى المضمون للرواية السابقة، ولكن هذا المضمون لا يعارض ما دلَّ على أن الأوتاد والأبدال هم غير الأئمة (عليهم السلام) وذلك لإمكان عموم معناهما غاية الأمر أنه تشكيكى (متفاوت الأفراد) ذو درجات الأعلى والأشرف من دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٩٠

أفراده هم الأئمة (عليهم السلام) ولهم آثار تخصهم بخلاف بقية أفراد ومصاديق ذلك المعنى العام فإن لهم آثاراً أقل شأنًا. وحكى الشيخ القمى فى كتابه (سفينه البحار) فى عنوان (قطب):

ثم أعلم أنه قال الكفعمى فى حاشية مصباحه: قيل: إن الأرض لا تخلو من القطب وأربعة أوتاد وأربعين بدلًا وسبعين نجيبًا وثلاثمائة وستين صالحًا، فالقطب هو المهدي (ع)، ولا تكون الأوتاد أقل من أربعة لأن الدنيا كالخيمة والمهدي (ع) كالعمود وتلك الأربعة أطناب وقد تكون الأوتاد أكثر من أربعة والأبدال أكثر من أربعين والنجباء أكثر من سبعين والصالحون أكثر من ثلاثمائة وستين، والظاهر أن الخضر وإلياس (ع) من الأوتاد فهما ملاصقان لدائرة القطب.

وأما صفة الأوتاد فهم قوم لا يغفلون عن ربهم طرفه عين ولا يجمعون من الدنيا إلَّا البلاغ ولا تصدر منهم هفوات البشر ولا يشترط فيهم العصمة وشرط ذلك فى القطب.

وأما الأبدال فدون هؤلاء فى المرتبة، وقد تصدر منهم الغفلة فيتداركونها بالتذكر ولا يتعمدون ذنبًا.

وأما النجباء فهم دون الأبدال.

وأما الصالحون فهم المتقون الموصوفون بالعدالة، وقد يصدر منهم الذنب فيتداركونه بالاستغفار والندم، قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (١).

ثم ذكر أنه إذا نقص واحد من أحد المراتب المذكورة وضع بدله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٩١

من المرتبة الأدنى وإذا نقص من الصالحين وضع بدله من سائر الناس والله العالم (١).

وحكى فى عيون إلیاس: روى الثعلبى عن رجل من أهل عسقلان أنه كان يمشى بالأردن عند نصف النهار فرأى، إلیاس النبى فسأله كم من الأنبياء أحياء اليوم؟ قال: أربعة، اثنان فى السماء واثنان فى الأرض، ففى السماء عيسى وإدريس، وفى الأرض إلیاس والخضر، قلت: كم الأبدال؟ قال: ستون رجلًا، خسمون منهم من لدن عريش مصر إلى شاطئ الفرات ورجلان بالمصيصة ورجل بعسقلان وسبعة فى سائر البلاد كلما ذهب الله تعالى بواحد منهم جاء سبحانه بآخر، بهم يدفع الله عن الناس وبهم يمتطرون (٢).

ومنها: ما فى نهج البلاغة (٣) من خطبة له (ع) فى صفات المتقين:

«عباد الله إن من أحبَّ عباد الله إليه عبدًا أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن ... إلى أن قال (ع): «قد أخلص الله فاستخلصه فهو من معادن دينه، وأوتاد أرضه».

وقال الشارح البحرانى فى ذيله:

كونه من أوتاد أرضه استعار له لفظ الوتد، ووجه المشابهة كون كل منهما سببًا لحفظ ما يحفظ به، فبالوتد يحفظ الموتود وبالعارف يحفظ نظام الأرض واستقامة أمور هذا العالم.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٩٢

ويشهد هذا المدلول لهذه الرواية لعموم المعنى الذى ذكرناه سابقًا وأنه تشكيكى ذو درجات، وأيضًا يفسر مقام الأبدال بأن لهم نتيجة التقوى آثارًا تكوينية مختلفة لا أن غير الأئمة من الأبدال له منصب شرعى ودينى خاص ومعين.

ويؤيد ذلك ما ورد فى قوله تعالى: وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ



أَنْ يُبْلَغَا أَشَدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ (١) وما ورد فى ذيله عن الباقر والصادق (ع) قالوا: «يحفظ الأطفال بصلاح آبائهم كما حفظ الله الغلامين بصلاح أبايهم» (٢).

وفى رواية أخرى: «أن الله يحفظ ولد المؤمن إلى ألف سنة وأن الغلامين كان بينهما وبين أبيهما سبعمائة سنة» (٣).  
وفى رواية ثالثة: «أن الله ليفلح بفلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده ويحفظه فى دويريه ودويرات حوله، فلا يزالون فى حفظ الله لكرامته على الله»، ثم ذكر الغلامين فقال (ع): «وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ شَكَرَ صَالِحَ أَبِيهِمَا لِهَمَّا؟» (٤).  
وفى رواية رابعة أن النبى (ص) قال: «إن الله ليخلف العبد الصالح من بعد موته فى أهله وماله وإن كان أهله أهل سوء» ثم قرأ الآية (٥).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٩٣

ومن هذا القليل ما روى عن الباقر (ع)، عن أبيه، عن جدّه، عن على بن أبى طالب (عليهم السلام)، قال: «ضاقت الأرض بسبعة بهم ترزقون وبهم تنصرون وبهم تمطرون منهم سلمان الفارسى والمقداد وأبو ذر وعمّار وحذيفة (رحمة الله عليهم)»، وكان على (ع) يقول: «وأنا إمامهم وهم الذين صلّوا على فاطمة (ع)» (١) «أى ببركتهم ويمنهم».  
وفى رواية أخرى: قال (ع): «هؤلاء (المقداد وأبو ذر وسلمان) هم الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا لأبى بكر حتى جاءوا بأمر المؤمنين (ع) مكرهاً فبايع» (٢).  
وبهذا التفسير وردت روايات:

منها: ما رواه المجلسى عن مصباح الشريعة أنه قال الصادق (ع): «التقوى على ثلاثة أوجه: تقوى بالله فى الله وهو ترك الحلال فضلاً عن الشبهة وهو تقوى خاص الخاص».

وتقوى من الله وهو ترك الشبهات فضلاً عن حرام وهو تقوى الخاص.

وتقوى من خوف النار والعقاب وهو ترك الحرام وهو تقوى العام.

ومثل التقوى كماء يجرى فى نهر ومثل هذه الطبقات الثلاث فى معنى التقوى كأشجار مغروسة على حافة ذلك النهر من كل لون وجنس وكل شجرة منهما يستمص الماء من ذلك النهر على قدر جوهره وطعمه ولطافته وكثافته ثم منافع الخلق من ذلك الأشجار والثمار على قدرها وقيمتها قال الله تعالى: صِنَوَانٌ وَعَئِيرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَّضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ (٣... ٣) الآية.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٩٤

فالتقوى للطاعات كالماء للأشجار ومثل طباع الأشجار والثمار فى لونها وطعمها مثل مقادير الإيمان فمن كان أعلى درجة فى الإيمان وأصفى جوهرها بالروح كان أنقى ومن كان أتقى كانت عبادته أخلص وأطهر ومن كان كذلك كان من الله أقرب.  
وكل عبادة غير مؤسسه على التقوى فهو هباء منثور قال الله (عز وجل): أَمَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ (١... ١) الآية، وتفسير التقوى ترك ما ليس بأخذه بأس حذراً عما به بأس وهو فى الحقيقة طاعة وذكر بلا نسيان وعلم بلا جهل مقبول غير مردود» (٢).

وروى الشيخ الحرّانى فى (تحف العقول) (٣): «أنه دخل على الصادق (ع) رجل فقال: «ممن الرجل؟»، فقال: من محبيكم ومواليكم، فقال له جعفر: «لا يحب الله عبداً حتى يتولاه ولا يتولاه حتى يوجب له الجنة». ثم قال له: «من أىّ محبين أنت؟» فسكت الرجل.

فقال له سدير: «وكم محبوكم يا ابن رسول الله؟ فقال: «على ثلاث طبقات: طبقة أحبونا فى العلانية ولم يحبونا فى السر، وطبقة يحبونا فى السر ولم يحبونا فى العلانية، وطبقة يحبونا فى السر والعلانية هم النمط الأعلى شربوا من العذب الفرات وعلموا تأويل الكتاب وفصل الخطاب وسبب الأسباب فهم النمط الأعلى، الفقر والفاقة وأنواع البلاء أسرع إليهم من ركض الخيل مستهم البأساء والضراء وزلزلوا وفتنوا فمن بين



دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٩٥

مجروح ومذبوح متفرقين فى كل بلاد قاصية، بهم يشفى الله السقيم، ويغنى العديم، وبهم تنصرون، وبهم تمطرون، وبهم ترزقون، وهم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً وخطراً... الحديث.

وروى الكلينى عن الباقر (ع) قال: «إن الله تعالى ليدفع بالمؤمن الواحد عن القرية الفناء» (١)، وقال: «لا يصيب قرية عذاب وفيها سبعة مؤمنين» (٢).

وروى الشيخ المجلسى فى (البحار) (٣) عن كتاب زيد الزراد قال: قلت لأبى عبد الله (ع): نخشى أن لا نكون مؤمنين، قال: «ولم ذاك؟»، قلت: وذلك أننا لا نجد فينا من يكون أخوه عنده أثر من درهمه وديناره، ونجد الدينار والدرهم أثر عندنا من أخ قد جمع بيننا وبينه موالاة أمير المؤمنين (ع).

قال: «كلا، إنكم مؤمنون ولكن لا تكملون إيمانكم حتى يخرج قائمنا فعندها يجمع الله أحلامكم فتكونوا مؤمنين كاملين، ولو لم يكن فى الأرض مؤمنون كاملون إذأ لرفعنا الله إليه وأنكرتم الأرض وأنكرتم السماء» (٤)، بل والذى نفسى بيده أن فى الأرض فى أطرافها مؤمنين ما قدر الدنيا كلها عندهم تعدل جناح بعوضة.

ثم ذكر (ع) أوصافهم بنحو ما ذكر أمير المؤمنين (ع) أوصاف

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٩٦

المتقين فى خطبة لهمام ثم قال (ع): «وا شوقاه إلى مجالستهم ومحادثتهم، يا كرباه لفقدهم، يا كشف كرباه لمجالستهم، اطلبوهم فإن وجدتموهم واقتبستم من نورهم اهتديتم وفزتم بهم فى الدنيا والآخرة هم أعز فى الناس من الكبريت الأحمر، حليتهم طول السكوت وكتمان السر والصلاة والزكاة والحج والصوم والمواساة للإخوان فى حال اليسر والعسر»... الحديث.

ومن ذلك يظهر بوضوح أن الأبدال والأوتاد هم الذين على درجة من الإيمان وبركتهم ويمنهم، ينشر الله تعالى أنواع الخير على أهل الأرض وهم أحب المؤمنين لدى المعصومين (عليهم السلام) وأرفعهم منزلة عندهم وكرامته، ولكن أين ذلك من جعل المنصب والنيابة الخاصة والوساطة بين الإمام المعصوم وبين سائر الناس.

نعم هم قدوة وأمثال حية للمؤمن الكامل والمتقى الكريم على الله تعالى ورسوله والأوصياء صلوات الله عليهم.

وكم فرق بين الاهتداء بهم فى طاعتهم وورعهم وتقواهم وبين الائتمار والانتهاة لأقوالهم والسماع لأخبارهم عن المعصوم.

وهذا المقام للإبدال والأوتاد مفتوح باب له لمن أراد بأن يجاهد نفسه وهواه، فقد روى الكلينى عن الباقر (ع) أنه قال: «إن أصحاب محمّد (ص) قالوا: يا رسول الله نخاف النفاق. قال: فقال: ولم تخافون ذلك؟ قالوا: إذا كنا عندك فذكرتنا ورغبنا وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا كأننا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك، فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشمنا الأولاد ورأينا العيال والأهل يكاد أن نحول عن الحال التى كنا عليها عندك وحتى كأننا لم نكن على شىء، أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً؟ فقال لهم رسول الله (ص): كلا، إن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ١٩٧

هذه خطوات الشيطان فيرغبكم فى الدنيا، والله لو تدومون على الحالة التى وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة، ومشيتم على الماء» (١)... الحديث.

وهذا بخلاف مقام النيابة والسفارة فإنه باختيار وإرادة من الإمام المعصوم (ع).

ويجدر التنبيه مع ذلك إلى ما قاله الصادق (ع) إلى أن الأبدال والكاملين هم أعز من الكبريت الأحمر، أى إنهم فى منتهى الندره والقلمه فكيف يعثر عليهم مع إخفاءهم لحالهم لكيلا يذهب خلوص نياتهم، ولئلا يحصل لأنفسهم الاغترار وغير ذلك من مفسد الاشتهار.

وهذا من الشواهد على اختلاف مقامهم لمقام النيابة والسفارة.

\*\*\*

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٠١

### الفصل الثالث فى الفرق التى انحرفت عن الطائفة الإمامية وكيفية انحرافها ... ص: ٢٠١

#### إشارة

وهى كثيرة حتى قيل: إن الشيخ الجليل سعد بن عبد الله بن أبى خلف الأشعري القمي ذكر فى كتابه (المقالات والفرق) ((١)) ما يقرب من مائة وأربع عشرة فرقة وبدعة.

وسر ذلك هو ما قاله أمير المؤمنين (ع) عندما خطب الناس فقال: «أيها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله، يتولى فيها رجال رجلاً، فلو أن الباطل خالص لم يخف على ذى حجبى، ولو أن الحق خالص لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضعف ومن هذا ضعف فيمزجان فيجئان معاً فهناك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى» ((٢)).

وعن الصادق (ع) أنه قال: قال رسول الله (ص): «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار» ((٣)).

#### (الغلاة...): ص: ٢٠١

(ومن هذه الفرق (هم الذين غلوا فى أمير المؤمنين (ع)) وزعموا أنه ربهم فأمر (ع) بقتلهم. وقد رواه الكشي فى كتاب (الرجال) ((٤)) فى ترجمة (محمد بن أبى زينب) ((٥)) بإسناده عن عبد الله بن شريك، عن أبيه، قال: بينا على (ع)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٠٢

عند امرأة من عنزة وهى أم عمرو إذ أتاه قبر فقال: إن عشرة نفر بالباب يزعمون أنك ربهم، قال: «أدخلهم»، قال: فدخلوا عليه، فقال: «ما تقولون؟»، فقالوا: إنك ربنا وأنت الذى خلقتنا وأنت الذى ترزقنا.

فقال لهم: «ويلكم لا تفعلوا إنما أنا مخلوق مثلكم»، فأبوا أن يقلعوا، فقال لهم: «ويلكم ربى وربكم الله إنما أنا مخلوق مثلكم»، فأبوا أن يقلعوا، فقال لهم: «ويلكم ربى وربكم الله توبوا وارجعوا».

فقالوا: لا- نرجع عن مقالتنا أنت ربنا وأنت خلقتنا، فقال: «يا قنبر آتني بالفعل»، فخرج قبر فأتاه بعشر رجال مع الزبل والمرور، فأمرهم أن يحفروا لهم فى الأرض فلما حفروا خدماً أمرنا بالحطب والنار فطرح فيه حتى صار ناراً تتوقد، قال لهم: «ويلكم توبوا وارجعوا!!»، فأبوا وقالوا: لا نرجع، فقذف على (ع) بعضهم ثم قذف بقيتهم فى النار، ثم قال لى (ع): «إني إذا بصرت شيئاً منكراً، أوقدت نارى ودعوت قنبراً».

وقد قال أمير المؤمنين (ع): «هلك فى رجلا: محب غال، ومبغض قال» ((١)).

#### ومنها (الخطابية...): ص: ٢٠٢

أصحاب أبى الخطاب محمد بن أبى زينب الأسدى الأخدع ((٢)) الزراد البراز يكتنى تارة أبى الخطاب، وأخرى أبى الظبيات ((٣))، وأبى إسماعيل لعنه الله، وكانوا قد أظهروا الإباحات وتحليل المحرمات وآل أمرهم إلى الدعوة إلى نبوة أبى طالب، وكانوا يدعون الناس

إلى أمرهم سرّاً فبلغ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٠٣

خبرهم عيسى بن موسى وكان عاملاً للمنصور العباسى على الكوفة فبعث إليهم رجلاً من أصحابه فى خيل ورجاله. فكانت بينهم حرب شديدة بالقصب والحجارة والسكاكين كانت مع بعضهم وجعلوا القصب مكان الرماح وقد كان أبو الخطاب قال لهم: قاتلوهم فإن قصبكم يعمل فيهم عمل الرماح وسائر السلاح ورماحهم وسيوفهم لا يضركم ولا يعمل فيكم ولا يحتك فى أبدانكم فجعل يقدمهم عشرة عشرة للمحاربة فلما قتل منهم نحو ثلاثين رجلاً صاحوا إليه: يا سيدنا ما ترى فى ما يحل بنا من هؤلاء القوم؟ ولا ترى قصبنا يعمل فيهم ولا يؤثر وقد يكسر كله؟ وقد عمل فينا وقتل من ترى منا.

فقال لهم: يا قوم إن كان بدا لله فيكم فما ذنبى، يا قوم قد بليتكم وامتحنتم واذن فى قتلكم وشهادتكم فقاتلوا على دينكم وأحسابكم ثم إنهم قتلوا وقتل هو وصلب، فقال بعض أصحابه: إن أبا الخطاب لم يقتل ولا أسر ولا قتل أحد من أصحابه وإنما لبس على القوم وشبه عليهم وأنه قد صير بعد حدث هذا الأمر من الملائكة (١).

وزعموا أنه لا بد من رسولين فى كل عصر ولا تخلو الأرض منهما: واحد ناطق وآخر صامت، فكان محمّد (ص) ناطقاً وعلى صامتاً وتأولوا فى ذلك قول الله: ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا (٢) ثم ارتفعوا عن هذه المقالة إلى أن قال بعضهم: هما آلهة، وتشاهدوا بالزور. ثم إنهم افترقوا لما بلغهم أن جعفر بن محمد (الصادق) (ع) لعنهم ولعن أبا الخطاب وبرئ منه ومنهم فصاروا أربع فرق وكان أبو دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٠٤

الخطاب يدعى أن جعفر بن محمد (ع) قد جعله قيمه ووصيته من بعده وأنه علّمه اسم الله الأعظم. ثم ترقى إلى أن ادعى النبوة ثم ادعى الرسالة ثم ادعى أنه من الملائكة وأنه رسول الله إلى أهل الأرض والحجة عليهم وذلك بعد دعواه أنه جعفر بن محمد وأنه يتصور فى أى صورة شاء. وذكر بعض الخطائىة أن رجلاً سأل جعفر بن محمد عن مسألة وهو بالمدينة فأجابها فيها ثم انصرف إلى الكوفة فسأل أبا الخطاب عنها فقال له: أولم تسألنى عن هذه المسألة بالمدينة فأجبتك فيها؟

### ومنها (الحارثية...): ص: ٢٠٤

أصحاب عبد الله بن الحارث وكان أبوه زنديقاً من أهل المدائن فأبرز لأصحاب عبد الله بن معاوية الذى قتله أبو مسلم والذى هو صاحب إحدى الفرق الكيسانية وقد مال إليه شذاذ صنوف الشيعة فأدخلهم فى الغلو والقول بالتناسخ والأظلة والدور وأسند ذلك إلى (جابر بن عبد الله الأنصارى) ثم إلى (جابر بن يزيد الجعفى) فخدعهم بذلك حتى ردهم عن جميع الفرائض والشرائع والسنن وادعى أن هذا مذهب جابر بن عبد الله وجابر بن يزيد فإنهما قد كانا من ذلك بريئين (١).

ومنهم ومن الكيسانية والعباسية والخرمينية كان بدء الغلو فى القول حتى قالوا: إن الأئمة آلهة وأنهم أنبياء وأنهم رسل وأنهم ملائكة وهم الذين تكلموا بالأظلة فى التناسخ فى الأرواح.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٠٥

وهم أهل القول بالدور فى هذا الدار وإبطال القيامة والبعث والحساب وزعموا أن لا دار إلا الدنيا وأن القيامة إنما هى خروج الروح من بدن ودخوله فى بدن آخر غيره (وهو معنى الدور) إن خيراً فخيئاً وإن شراً فشرراً.

وأنهم مسرورون فى هذه الأبدان أو معدّبون فيها، والأبدان هى الجنّات وهى النار وأنهم منقولون فى الأجسام الحسنه الأنسية المنعمه فى حياتهم ومعدّبون فى الأجسام الروية المشوهة من كلاب وقرده وخنازير وحيات وعقارب وخنافس وجعلان محولون من بدن إلى بدن معدّبون فيها هكذا أبد الأبد فهى جنتهم ونارهم، لا قيامة ولا بعث، ولا جنّة ولا نار غير هذا على قدر أعمالهم وذنوبهم وإنكارهم

لأئمتهم ومعصيتهم لهم وإنما تسقط الأبدان وتخرب إذ هي مساكنهم فتتلاشى الأبدان وهذا معنى الرجعة عندهم ((١)).

### ومنها (المنصورية...): ص: ٢٠٥

أصحاب أبى منصور العجلي الذى لعنه الإمام الصادق (ع) ثلاثاً، وهو الذى ادعى أن الله (عز وجل) عرج به إليه فأدناه منه وكلمه ومسح يده على رأسه وقال له بالسريانى: أى بنى، وذكر أنه نبى ورسول وأن الله اتخذه خليلاً.

وكان منصور من أهل الكوفة من عبد القيس وله فيها دار وكان منشأه بالبادية وكان أمياً لا يقرأ فادعى بعد وفاة أبى جعفر محمد بن على بن الحسين (الباقر) (ع) أنه فوض إليه أمره وجعله وصيه من بعده ثم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٠٦

ترقى به الأمر إلى أن قال: كان على بن أبى طالب (ع) نبياً ورسولاً وكذا الحسن والحسين وعلى بن الحسين ومحمد بن على، وأنا نبى ورسول، والنبوة فى ستة من ولدى يكونون بعدى أنبياء آخرهم القائم.

وكان يأمر أصحابه بختق من خالفهم وقتلهم بالاغتيال ويقول: (من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه فإن هذا جهاد خفى)، وزعم أن جبرئيل (ع) يأتيه بالوحى من عند الله (عز وجل) وأن الله بعث محمداً بالتنزيل وبعثه هو (يعنى نفسه) بالتأويل.

فطلبه خالد بن عبد الله القسرى فأعياه ثم ظفر عمر الخناق بابنه الحسين بن أبى منصور وقد تنبأ وادعى مرتبة أبيه وجيت إليه الأموال وتابعه على مذهبه ورأيه بشر كثير وقالوا بنبوته فبعث به للمهدى العباسى فقتله فى خلافته وصلبه بعد أن أقر بذلك وأخذ منه مالاً عظيماً وطلب أصحابه طلباً شديداً وظفر بجماعة منهم فقتلهم وصلبهم ((١)).

### ومنها (أصحاب السرى...): ص: ٢٠٦

قالوا: إنه رسول مثل أبى الخطاب أرسله جعفر. وقال: إنه قوى أمين وهو موسى القوى الأمين وفيه تلك الروح وجعفر هو الإسلام والإسلام هو السلام وهو الله (عز وجل) ونحن بنوا الإسلام كما قالت اليهود: نحن أبناء الله وأحباؤه ((٢)). ((٣))

### ومنها (البيانية...): ص: ٢٠٦

أصحاب بيان بن سمعان الهندى الذى كان يبيع التبن بالكوفة، ثم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٠٧

ادعى أن محمد بن على بن الحسين (الباقر) (ع) أوصى إليه فأخذه خالد بن عبد الله القسرى فقتله وصلبه مدّة ثم أحرقه وأخذ معه خمسة عشر رجلاً من أصحابه فشدّهم فى أطبان القصب وصبّ عليهم النفط فى مسجد الكوفة وألهب فيهم النار فأفلت منهم رجل

فخرج يشتد ثم التفت فرأى أصحابه تأخذهم النار فكّر راجعاً فألقى نفسه فى النار فاحترق معهم، وكان بيان يقول هو وأصحابه: إن الله تبارك وتعالى يقول يشبه الإنسان وهو يبنى ويهلك جميع جوارحه إلّا وجهه وتأولوا فى ذلك قوله الله: كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ

((١)).

وزعمت البيانية أن الوصية لعبد الله بن محمد بن الحنفية بعد غيبة أبيه وأنها وصية استخلاف على الخلق كما استخلف رسول الله على المدينة علياً وغيره عند خروجه منها فى غزواته لا استخلاف بعد الموت وأنه حجة على الخلق وعلى الناس تقديمه وطاعته.

وزعموا أن أبا هاشم (عبد الله بن محمد) لمّا قال: أنا الوصى على بنى هاشم وسائر الناس، طاعنى فرض واجب أردنا قتله فلمّا رأى إنكارنا ما ادّعاه وإنكار الناس ذلك دعا ربه أن يعطيه آية. وقال: اللهم إن كان صادقاً فلتقع الزهرة فى كفى فسقطت فى كفه، ولقد

نظرناها أنها فى حقه توقد وإن مكانها من السماء فارغ ما فيه كوكب ولا دونه وذكرت هذه الفرقة أن أبا شجاع الحارثى قال له حين

دخل عليه الجوسق («٢») وفيه خطاطيف كثيرة وخفافيش: (إن كنت صادقاً فأبىء اجعل الخفافيش كاسياً بايضاً والخطاف أصرط ولوداً) فدعا ربّه فجعلهما كذلك.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٠٨

وإنه لم يزل من ذلك الخفاش والخطاطيف بقيه إلى أن خرج السودان قالوا: (فاستغرب أبو شجاع ضحكاً تعجباً وسروراً فضحك لضحكه أبو هاشم ثم بصق فى وجهه فملاً وجهه دراً منظوماً) قالوا: (وشكا إليه الخلوف وضعف الباه فتفل فى لهاته ففاح منه كلطيمه العطار ونفخ فى أحليله فكان يجامع فى الليل مائة امرأة) («١»). وقالوا: (إن أبا هاشم عبد الله بن محمد نبى بياناً عن الله (عزوجل) فى بيان نبى، وتأولوا فى ذلك قول الله (عزوجل): هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين («٢») وأدعى (بيان) بعد وفاة أبى هاشم النبوه وكتب إلى أبى جعفر محمد بن على بن الحسين (الباقى) (ع) يدعوه إلى نفسه والاقرار بنبوته ويقول له: (أسلم تسلم وترتق فى سلم وتنج وتغنم فإنك لا تدرى أين يجعل الله النبوه والرساله وما على الرسول إلا البلاغ وقد أعذر من أنذر) فأمر أبو جعفر (الباقى) (ع) رسول بيان فأكل قرطاسه الذى جاء به وقتل (بيان) على ذلك وصلب («٣»).

### ومنها (أصحاب حمزة بن عماره الزيدى البربرى...): ص: ٢٠٨

الذى كان فى بدء أمره من الكيسانية (أى الذين قالوا بإمامه محمد بن الحنفية) ففارقهم وكان من أهل المدينة وأدعى أنه نبى وأن محمد بن الحنفية هو الله وأن حمزة هو الإمام والنبى وأنه ينزل عليه سبع أسباب من السماء فيفتح بهن الأرض ويملكها فتبعه على ذلك أناس من أهل المدينة وأهل الكوفة ولعنه أبو جعفر محمد بن على بن الحسين (الباقى) (ع) وبرئ منه وكذبه وبرأت منه الشيعة وتبعه على رأيه رجلا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٠٩

من نهد من أهل الكوفة يقال لأحدهما: (صائد)، والآخر: بيان بن سمعان (الذى تقدّم ذكره). وكان حمزة بن عماره نكح ابنته وأحلّ جميع المحارم وقال: (من عرف الإمام فليصنع ما شاء فلا إثم عليه)، فأصحاب أبى (ابن) كرب وأصحاب حمزة وأصحاب صايد وبيان ينتظرون رجوعهم ورجوع الماضين من أسلافهم ويزعمون أن محمد بن الحنفية يظهر نفسه بعد الاستتار عن خلقه فينزل إلى الدنيا ويكون فيها بين المؤمنين، فهذا معنى الآخرة عندهم («١»).

### ومنها (المغبرية...): ص: ٢٠٩

أصحاب المغبرية بن سعيد العجلي مولى بجيلة الذى خرج بظاهر الكوفة فى إمارة خالد بن عبد الله القسرى فظفر به وأحرقه وأحرق أصحابه سنة (١١٩ هـ-) وكان يكذب على الإمام أبى جعفر الباقى (ع) وقد لعنه الإمام الصادق (ع) وهم من الفرق التى انشعبت من الزيدية وقالوا بإمامه محمد بن عبد الله بن الحسن وتولّوه وأثبتوا إمامته، فلما قتل صاروا لا إمام لهم ولا وصى ولا يثبتون لأحد إمامه بعده وكان المغبرية قال بهذا القول لَمّا توفي الإمام الباقى (ع) وأظهر المقالة بذلك فبرئت منه الشيعة أصحاب الإمام الصادق (ع) ورفضوه فزعم أنهم رافضة وأنه هو الذى سمّاهم بهذا الاسم، ونصب بعض أصحاب المغبرية المغبرية إماماً، ثم تراقى الأمر بالمغبرية إلى أن زعم أنه رسول، وأن جبرئيل يأتيه بالوحى من عند الله، وكان يدعى أنه يحيى الموتى، وقال بالتناسخ («٢»).

### ومنها (أصحاب بزيع بن موسى الحائك...): ص: ٢٠٩

الذى لعنه الإمام الصادق (ع) قالوا: إن بزيعاً رسول مثل أبى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢١٠

الخطاب أرسله جعفر بن محمد وشهد بزيع لأبى الخطاب بالرسالة وبرئ أبو الخطاب وأصحابه من بزيع («١»).

### ومنها (البشيرة...): ص: ٢١٠

أصحاب محمد بن بشير مولى بن أسد من أهل الكوفة وهم فرقة انشقت من الواقفة وهى التى وقفت على الإمام الكاظم (ع) بعد وفاته وقالت أنه لم يمت وأنه المهدي الموعود، وأنه قد غاب وقالوا: إن موسى بن جعفر (ع) لم يمت ولم يحبس وأنه حى غائب وأنه القائم المهدي، وأنه فى وقت غيبته استخلف على الأمر محمد بن بشير وجعله وصياً وأعطاه خاتمه وعلمه جميع ما يحتاج إليه رعيته وفوض إليه أموره وأقامه مقام نفسه فمحمد بن بشير الإمام بعده.

وأن محمد بن بشير لما توفى أوصى إلى ابنه سميع بن محمد بن بشير فهو الإمام، ومن أوصى إليه (سميع) فهو الإمام المفترض الطاعة على الأئمة إلى وقت خروج موسى وظهوره فما يلزم الناس من حقوقه فى أموالهم وغير ذلك مما يتقربون به إلى الله (عزوجل) فالفرض عليهم أداءه إلى هؤلاء إلى قيام القائم.

وكفروا القائلين بإمامة الإمام الرضا (ع) واستحلوا دماءهم وأموالهم.

وقالوا بإباحة المحارم من الفروج والغلمان واعتلوا فى ذلك بقول الله (عزوجل): «أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا» («٢») وقالوا بالتناسخ («٣») وكان محمد بن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢١١

بشير صاحب شعبذة ومخاريق معروفاً بذلك وكان سبب قتله أنه يستعمل الشعبذة والمخاريق للدلالة على أنه نبي وكان يقول فى موسى بالربوبية.

وكان عنده صورة قد عملها وأقامها شخصاً كأنه صورة أبى الحسن الكاظم (ع) فى ثياب حرير وقد طلاها بالأدوية وعالجها بحيل عملها فيها حتى صارت شبيهاً بصورة إنسان وكان يطويها فإذا أراد الشعبذة نفخ فيها فأقامها.

وكان يقول لأصحابه: إن أبا الحسن (ع) عندي فإن أحببت أن تروه وتعلموا أنى نبي فهلّموا أعرضه عليكم، فكان يدخلهم البيت والصورة مطوية معه. فيقول لهم: هل ترون فى البيت مقيماً أو ترون فيه غيرى وغيركم؟ فيقولون: لا، وليس فى البيت أحد، فيقول: أخرجوا، فيخرجون من البيت فيصير هو وراء الستر ويسبل بينه وبينهم.

ثم يقدم تلك الصورة ثم يرفع الستر بينه وبينهم فينظرون إلى صورة قائمه وشخص كأنه شخص أبى الحسن لا ينكرون منه شيئاً ويقف هو منه بالقرب فيريهم من طريق الشعبذة أنه يكلمه ويناجيه ويدنو منه كأنه يساره.

ثم يغمزهم أن يتنحوا فيتنحون ويسبل الستر بينه وبينهم فلا يرون شيئاً.

وكانت معه أشياء عجيبة من صنوف الشعبذة ما لم يروا مثلها فهلكوا بها، فكانت هذه حاله مدة حتى رفع خبره إلى بعض الخلفاء العباسيين أنه زنديق فأخذه وأراد ضرب عنقه، فقال: يا أمير المؤمنين استبقنى فإنى أتخذ لك أشياء يرغب الملوك فيها فأطلقه. فكان أول ما اتخذ له الدوالي فإنه عمد إلى الدوالي فسواها وعلقها وجعل الزبيق بين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢١٢

تلك الألواح فكانت تعمل من غير أمره وظهر عليه التعطيل والإباحات، وقد كان الصادق والكاظم (ع) يدعوان الله عليه ويسألانه أن يذيقه حر الحديد، فأذاقه الله حر الحديد بعد أن عذب أنواع العذاب («١»).

### ومنها (أصحاب معمر بن خيثم...): ص: ٢١٢

الذى لعنه الإمام الصادق (ع)، قالوا: إن جعفر بن محمد هو الله (عزوجل) وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وإنما هو نور يدخل فى



أبدان الأوصياء فيحل فيها، فكان ذلك النور فى جعفر ثم خرج منه فدخل فى (أبى الخطاب) فصار (جعفر) من الملائكة ثم خرج من (أبى الخطاب) فدخل فى (معمر) و صار أبو الخطاب من الملائكة.

فمعمر هو الله (عزوجل) فخرج (بان اللبان) يدعو إلى معمر وقال إنه الله (عزوجل) وصلّى له وصام وأحلّ الشهوات كلّها ما حلّ منها وما حرم وليس عنده شىء محرّم، وقال: (لم يخلق الله هذا إلّا لخلق فكيّف يكون محرّماً؟)، وأحلّ الزنا والسرقة وشرب الخمر والميتة والدم ولحم الخنزير ونكاح الامهات والبنات والأخوات ونكاح الرجال ووضع عن أصحابه غسل الجنابة، وقال: (كيف أعتسل من نطفة خلقت منها؟).

وزعم أن كل شىء أحلّه الله فى القرآن وحرمه فإنما هو أسماء الرجال ((٢)).

وروى الكشى فى رجاله بإسناده عن الصادق (ع) قال: عندما سئل عن قول الله (عزوجل): هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ \* تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ((٣))، قال: «هم سبعة: المغيرة بن سعيد، وبيان، وصائد الهندي، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢١٣

والحارث الشامي، وعبد الله بن الحارث، وحمزة بن عمارة البربرى، وأبو الخطاب» ((١)).

وروى عن عنبسة بن مصعب قال: قال لى الصادق (ع): «أى شىء سمعت من أبى الخطاب؟»، قال: سمعته يقول إنك وضعت يدك على صدرك وقلت له: عه ولا تنس!، وأنك قلت له: هو عيبة (مخزن) علمنا وموضع سرنا أمين على أحيائنا وأمواتنا. قال: «لا والله ما مسّ شىء من جسدى جسده إلّا يده، وأما قوله: إني قلت له هو عيبة علمنا وموضع سرنا أمين على أحيائنا وأمواتنا، فلا أجرنى الله فى أمواتى ولا بارك فى أحيائى إن كنت قلت له شيئاً من هذا قط».

وروى عن على بن عقبه عن أبيه قال: دخلت على أبى عبد الله (ع) قال: فسلمت وجلست. فقال لى: «كان فى مجلسك هذا أبو الخطاب ومعه سبعون رجلاً كلّهم إليه ينالهم منهم شىء رحمتهم، فقلت لهم: ألا أخبركم بفضائل المسلم؟ فلا أحسب أصغرهم إلّا قال: بلى جعلت فداك. قلت: من فضائل المسلم أن يقال: فلان قارئ لكتاب الله (عزوجل)، وفلان ذو حظ من ورع، وفلان يجتهد فى عبادته لربه، فهذه فضائل المسلم، ما لكم وللرياسات؟ إنما المسلمون رأس واحد، إياكم والرجال فإن الرجال للرجال مهلكة. فإني سمعت أبى يقول: إن شيطاناً يقال له: المذهب يأتى فى كل صورة إلّا أنه لا يأتى فى صورة نبي ولا وصى ولا وصى نبي ولا أحسبه إلّا وقد تراءى لصاحبكم فاحذروه، فبلغنى أنهم قتلوا معه فأبعدهم الله وأسحقهم إنه لا يهلك على الله إلّا هالك».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢١٤

وروى عن عبد الله بن بكير الرجاني قال: ذكرت أبا الخطاب ومقتله عند أبى عبد الله (ع) قال: فرقت عند ذلك فبكيت، فقال: «أتأسى عليهم؟»، فقلت: لا، وقد سمعتك تذكر أن علياً قتل أصحاب النهر فأصبح أصحاب على (ع) ييكون عليهم فقال على (ع) لهم: «أتأسون عليهم؟»، قالوا: لا، إلّا أنا ذكرنا الألفه التى كنا عليها والبلية التى أوقعتهم فلذلك رقننا عليهم، قال: «لا بأس».

وروى عن الكاظم (ع) أنه قال: «إن أبا الخطاب أفسد أهل الكوفة فصاروا لا يصلون المغرب حتى يغيب الشفق ولم يكن ذلك إنما ذاك للمسافر وصاحب العلة».

وروى عن الصادق (ع) أنه قال: «أما أبو الخطاب فكذب على وقال إنى أمرته أن لا يصلى هو وأصحابه المغرب حتى يروا كوكب كذا يقال له: القندانى والله إن ذلك الكوكب ما أعرفه» ((١)).

وروى عن المفضل قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «اتق السفلة واحذر السفلة فإني نهيت أبا الخطاب فلم يقبل منى».

وروى عيسى عنه (ع): «إياك ومخالطة السفلة فإن السفلة لا تؤل إلى خير».

وروى عمران بن على قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «لعن الله أبا الخطاب، ولعن من قتل معه ولعن من بقى منهم، ولعن الله من دخل قلبه رحمة لهم».



وروى عن الكاظم (ع) أنه قال عندما سئل عن أبى الخطاب: «إن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢١٥

الله خلق الأنبياء على النبوة فلا يكونون إلّا أنبياء وخلق المؤمنين على الإيمان فلا يكونون إلّا مؤمنين واستودع قومًا إيمانًا فإن شاء أتمه لهم وإن شاء سلبهم إياه، وإن أبى الخطاب كان ممن أعاره الله الإيمان، فلما كذب على أبى سلبه الله الإيمان».

وروى عن الصادق (ع) أنه قال للمفضل بن يزيد عندما ذكر أصحاب أبى الخطاب والغلاة قال له: «يا مفضل لا تقاعدوهم ولا تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تصافحوهم ولا تؤاثرهم».

وقال عند ذكره الغلاة («١»): «أن فيهم من يكذب حتى أن الشيطان ليجتاح إلى كذبه.

وقال للغالية: «توبوا إلى الله فإنكم فشاك كفّار مشركون».

وعن أبى بصير قال: قال لى الصادق (ع): «يا أبا محمّد (كنية أبى بصير) إبرأ ممن يزعم أنّا أرباب». قلت: برئ الله منه، قال: «إبرأ ممن يزعم أنّا أنبياء»، قلت: برئ الله منه.

وقال (ع): «إن ممن ينتحل هذا الأمر لمن هو شر من اليهود والنصارى والمجوس الذين أشركوا» والمعنى أن بعض من يدعى التشيع لهو شر من أولئك، وذلك بسبب الانحراف والضلال الذى يبتدعه من تلقاء نفسه، ويقال: انتحل الشيء وتنحله ادّعاه لنفسه وهو لغيره. ويقال: فلان ينتحل مذهب كذا إذا انتسب إليه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢١٦

وروى عن عنبسة قال: قال أبو عبد الله الصادق (ع): «لقد أمسينا وما أحد أعدى لنا ممن ينتحل مودتنا».

وروى الكشى أيضاً عن المفضل بن عرم قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «لو قام قائمنا بدأ بكذّابى الشيعة فقتلهم».

وقال الكاظم (ع): قال أبو عبد الله الصادق (ع): «ما أنزل الله سبحانه آية فى المنافقين إلّا وهى فىمن ينتحل التشيع».

وروى عن الصادق (ع) قال: «جاء رجل إلى رسول الله (ص) فقال: السلام عليك يا ربى! فقال: ما لك لعنك الله، ربى وربك الله، أما والله لكنت ما علمت لجباناً فى الحرب لثيماً فى السلم».

وروى عن مصادف قال: لما أتى القوم الذين أتوا بالكوفة (أى الخطايية والغلاة) دخلت على أبى عبد الله (ع) فأخبرته بذلك: فخرّ ساجداً وألّزق جؤجؤه (الصدر أو مجتمع رؤوس عظام الصدر) بالأرض، وبكى، وأقبل يلوذ بإصبعه ويقول: «بل عبداً لله قن داخر» مراراً كثيرة ثم رفع رأسه ودموعه تسيل على لحيته فندمت على إخبارى إياه، فقلت: جُعلت فداك وما عليك أنت من ذا (أى ما يقول الغلاة)؟ فقال: «يا مصادف إن عيسى (ع) لو سكت عمّا قالت النصارى فيه لكان حقاً على الله أن يصمّ سمعه ويعمى بصره، ولو سكت عمّا قال فى أبى الخطاب لكان حقاً على الله أن يصمّ سمعى ويعمى بصرى».

ولذا قال (ع) عندما ذكر أبى الخطاب: «اللهم العن أبى الخطاب فإنه خوّفى قائماً وقاعداً وعلى فراشى اللهم أذقه حرّ الحديد».

وقال (ع): «تراءى والله إبليس لأبى الخطاب على سور المدينة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢١٧

أو المسجد فكأنى أنظر إليه وهو يقول له: إيهأ تظفر الآن إيهأ تظفر الآن («١»).

وروى عن حفص بن عمرو النخعى قال: كنت جالساً عند أبى عبد الله (ع) فقال رجل: جُعلت فداك إن أبى منصور حدّثنى أنه رفع إلى ربه وتمسح على رأسه وقال له بالفارسية: يا پسر (يا بنى). فقال له أبو عبد الله الصادق (ع): «حدّثنى أبى، عن جدّى أن رسول الله (ص) قال: إن إبليس اتخذ عرشاً فيما بين السماء والأرض واتخذ زبانية كعدد الملائكة، فإذا دعا رجلاً فأجابه ووطئ عقبه وتخطت إليه الأقدام (كناية عن الرئاسة للرجال)، تراءى له إبليس ورفع إليه، وأن أبى منصور كان رسول إبليس، لعن الله أبى منصور ولعن الله أبى منصور ثلاثاً».

وروى عن هشام بن الحكم عن أبى عبد الله الصادق (ع) قال: «إن بناناً والسرى وبزيعاً (لعنهم الله) تراءى لهم الشيطان فى أحسن ما يكون صورة آدمى من قرنه إلى سرتة». قال: فقلت: إن بناناً يتأول هذه الآية: وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ (٢)، إن الذى فى الأرض غير إله السماء وإله السماء غير إله الأرض، وأن إله السماء أعظم من إله الأرض وأن أهل الأرض يعرفون فضل إله السماء ويعظمونه. فقال: «والله ما هو إلا الله، ما هو إلا الله وحده لا شريك له، إله من فى السماوات وإله من فى الأرضين».

قال: [هو الإمام، فقال أبو عبد الله (ع): «لا والله لا يأوينى سقف بيت أبداً هم شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا والله ما صغر عظمه الله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢١٨

تصغيرهم شىء قط أن عزيزاً جال فى صدره ما قالت فيه اليهود فمحا الله اسمه من النبوة، والله لو أن عيسى أقر بما قالت النصارى لأورثه الله صمماً إلى يوم القيامة، والله لو أقرت بما يقول فى أهل الكوفة لأخذتني الأرض وما أنا إلا عبد مملوك لا أقدر على شىء ضر ولا نفع] (١) كذب بنان عليه لعنة الله، لقد صغر الله جل وعز وصغر عظمته».

وروى الكشى عن ابن سنان قال: قال أبو عبد الله (ع): «إننا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا فيسقط صدقنا بكذبه عند الناس.

كان رسول الله (ص) أصدق البرية وكان مسيلمه يكذب عليه.

وكان أمير المؤمنين (ع) أصدق من برأ الله من بعد رسول الله (ص) وكان الذى يكذب عليه ويعمل فى تكذيب صدقه بما يفتري عليه من الكذب عبد الله بن سبأ (لعنه الله).

وكان أبو عبد الله الحسين بن على (ع) قد ابتلى بالمختار». ثم ذكر أبو عبد الله الحارث الشامى وبنان فقال: «كانا يكذبان على على بن الحسين (ع)»، ثم ذكر المغيرة بن سعيد وبزيعاً والسرى وأبا الخطاب ومعمراً وبشراً الأشعري وحمزة الزبيدي وصائد الهندي فقال: «لعنهم الله، إننا لا نخلو من كذاب يكذب علينا أو عاجز الرأى، كفانا الله مؤنه كل كذاب وأذاقهم الله حرّ الحديد».

وعن زرارة عن الباقر (ع) قال: سمعته يقول: «لعن الله بنان البيان، وأن بناناً (لعنه الله) كان يكذب على أبى أشهد أن أبى على بن الحسين كان عبداً صالحاً».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢١٩

وعن الصادق (ع) قال: «لعن الله المغيرة بن سعيد أنه كان يكذب على أبى فأذاقه الله حرّ الحديد، لعن الله من قال فىنا ما لا نقوله فى أنفسنا، ولعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذى خلقنا وإليه مآبنا ومعادنا وبيده نواصينا».

وعن أبى يحيى الواسطى قال: قال أبو الحسن الرضا (ع): «كان بنان يكذب على على بن الحسين (ع) فأذاقه الله حرّ الحديد، وكان المغيرة بن سعيد يكذب على أبى جعفر (ع) فأذاقه الله حرّ الحديد، وكان محمّد بن بشير يكذب على أبى الحسن موسى (ع) فأذاقه الله حرّ الحديد، وكان أبو الخطاب يكذب على أبى عبد الله (ع) فأذاقه الله حرّ الحديد، والذى يكذب على محمّد بن فرات».

وقال أبو يحيى: وكان محمّد بن فرات من الكتّاب (أى الذين يعملون فى ديوان العباسيين) فقتله إبراهيم بن شكله».

وروى عن ابن أبى يعفور قال: دخلت على أبى عبد الله (ع) فقال: «ما فعل بزيع؟»، فقلت له: قتل. فقال: «الحمد لله، أما أنه ليس لهؤلاء المغيرة شىء خيراً من القتل، لأنهم لا يتوبون أبداً».

وعن سدير الصيرفى قال: قلت لأبى عبد الله (ع): إن قوماً يزعمون أنكم آلهة يتلون علينا بذلك قرآناً: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (١)، قال: «يا سدير سمعى وبصرى وشعرى ولحمى ودمى من هؤلاء براء براء الله منهم ورسوله، ما هؤلاء على دينى ودين آبائى والله لا يجمعنى وإياهم يوم القيامة إلا وهو عليهم ساخط». قال: قلت: فما أنتم جعلت فداك؟

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٢٠

قال: «خزان علم الله، وتراجمة وحى الله، ونحن قوم معصومون أمر الله بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض».

وعن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «إياك والسفلة إنما شيعه جعفر من عفت بطنه وفرجه واشتد جهاده وعمل لخالقه ورجا ثوابه وخاف عقابه».

وعن ابن المغيرة قال: كنت عند أبي الحسن الكاظم (ع) أنا ويحيى بن عبد الله بن الحسن فقال يحيى: جعلت فداك إنهم يزعمون أنك تعلم الغيب؟ فقال: «سبحان الله سبحان الله، ضع يدك على رأسى، فوالله ما بقيت فى جسدى شعرة ولا فى رأسى إلا قامت»، قال: ثم قال: «لا والله ما هى إلا وراثه عن رسول الله (ص)».

وعن الصادق (ع) سئل عن الناسخ؟ قال: «فمن نسخ الأول؟».

أقول: شرح الحديث المحقق الفيلسوف الميرداماد (رض) قال:

(قوله (ع): «فمن نسخ الأول؟») أشار إلى برهان إبطال التناسخ على القوانين الحكيمه والأصول البرهانيه، تقريره: أن القول بالتناسخ إنما يستتب لو قيل بأزلية النفس المدبرة للأجساد المختلفه المتعاقب على التناقل والتناسخ وبلا تنهى تلك الأجساد المتناسخه بالعدد فى جهه الأزل، كما هو المشهور من مذهب الذاهين إليه.

والبراهين الناهضة على استحالة اللانهاية العديده بالفعل مع تحقيق الترتب والاجتماع فى الوجود (أى البراهين القائمة على إبطال التسلسل وامتداد الأشياء المعدودة التى بينها رابطة العلية والمعلولية) قائمه هناك بالقسط (أى قائمه بعينها) بحسب متن الواقع المعبر عنه بوعاء

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٢١

الزمان، أعنى الدهر وإن لم يتصحح إلا الحصول التعاقبى بحسب ظرف السيلان والتدرج والفوت والحق أعنى الزمان.

فإذن لا محيص لسلسلة الأجساد المترتبة من مبدأ متعين هو الجسد الأول فى جهه الأزل يستحق باستعداده المزاجى أن يتعلق به نفس مجردة تعلق التدبير والتصرف فىكون ذلك مناط حدوث فيضانها عن جود المفيض الفياض الحق جل سلطانه، وإذا انكشف ذلك فقد انصرح أن كل جسد هيولانى بخصوصية مزاجه الجسمانى واستحقاقه الاستعدادى يكون مستحقاً لجوهر مجرد بخصوصه يدبره ويتعلق به ويتصرف فيه ويتسلطن عليه فليثبت).

أقول: حاصل كلامه أن بعد قيام الأدلة البرهانية على إبطال امتداد الأمور المتسلسلة التى بينها علية وسببية ومعلومية ومسببية فلا محالة هناك بداية وجسد أول كانت له قابلية وخصوصية يتأهل بها لإفاضه الروح والنفس وخلقها متعلقة به من الله جل وعلا، وإذا كان هذا حال الجسد الأول فهذه القابلية هى بعينها موجودة فى الأجساد كلها فتكون كل منها متأهله لإفاضه وخلق نفس بعدد تلك الأجساد.

وبذلك («١») تبطل نظرية التناسخ القائلة بأن أرواح الأموات تحل فى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٢٢

الأجساد الحية الموجودة من الأطفال أو الكبار أو الحيوانات على تفاصيل كثيرة للقائلين بهذه النظرية الباطلة، فقوله (ع) نقض لتلك النظرية وبرهان أيضاً على إبطالها.

وعن الصادق (ع) أنه قيل له: روى عنكم أن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجال؟ فقال: «ما كان الله (عز وجل) ليخاطب خلقه بما لا يعلمون» («١»)، والمعنى أن رواية ذلك عن الأئمة (عليهم السلام) إنما هى من وضع الكذابين عليهم.

ومن الغلاة فى وقت أبى محمد العسكري (ع) على بن مسعود حسكة الحوار وتلميذه القاسم بن يقطين الشعرانى القميان، وقد روى الكشى عن سهل بن زياد الآدمى، قال: كتب بعض أصحابنا إلى أبى العسكري (ع):

جعلت فداك يا سيدى إن على بن حسكة يدعى أنه من أوليائك وأنت أنت الأول القديم، وأنه بابك ونيبك أمرته أن يدعو إلى

ذلك ويزعم أن الصلاة والزكاة والحج والصوم كل ذلك معرفتك ومعرفه من كان فى مثل حال ابن حسكه فيما يدعى من البايه والنبوه فهو مؤمن كامل سقط عنه الاستبعاد بالصلاه والصوم والحج وذكر جميع شرائع الدين أن معنى ذلك كله ما ثبت لك ومال الناس إليه كثيراً فإن رأيت أن تمنّ على مواليك بجواب فى ذلك تنجيهم من الهلكه.

قال: فكتب (ع): «كذب ابن حسكه (عليه لعنة الله) وبحسبك أتى لا أعرفه فى موالى، ما له (لعنه الله) فوالله ما بعث محمداً والأنبياء قبله إلا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٢٣

بالحنيفيه والصلاه والزكاة والصيام والحج والولاية، وما دعا محمد (ص) إلا إلى الله وحده لا شريك له وكذلك نحن الأوصياء من ولده عبيد الله لا نشرك به شيئاً، إن أطعناه رحمنا وإن عصيناه عذبتنا، ما لنا على الله من حجه بل الحجه لله (عزوجل) علينا وعلى جميع خلقه، أبرا إلى الله ممن يقول ذلك وانتفى إلى الله من هذا القول، فاهجروهم (لعنهم الله) والجؤوهم إلى ضيق الطريق فإن وجدت من أحد منهم خلوة فاشدخ رأسه بالصخر» (١).

ومن هذا القبيل الفهرى والحسن بن محمد بن بايا (٢) وفارس بن حاتم القزوينى وقد لعنهما الهادى (ع).

فروى الكشى عن سعد بن عبد الله قال: حدثنى العبيدى (محمّد بن عيسى) قال: كتب إلى العسكرى ابتداءً منه: «أبرا إلى الله من الفهرى والحسن بن محمد بن بابا القمى، فابرا منهما فإنى محدرك وجميع موالى وأنى ألعنهما (عليهما لعنة الله)، مستأكلين يأكلان بنا الناس، فتياين مؤذيين آذاهما الله وأركسهما فى الفتنة ركساً. يزعم ابن بابا أنى بعثته نبياً وأنه باب عليه لعنة الله، سخر منه الشيطان فأغواه فلعن الله من قبل منه ذلك، يا محمد إن قدرت أن تشدخ رأسه بالحجر فافعل فإنه قد آذانى آذاه الله فى الدنيا والآخرة».

وروى عن محمد بن عيسى قال: قرأنا فى كتاب الدهقان وخط الرجل فى (القزوينى) وكان كتب إليه الدهقان يخبره باضطراب الناس

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٢٤

فى هذا الأمر وأن الموادعين قد أمسكوا عن بعض ما كانوا فيه لهذه العله من الاختلاف فكتب (ع): «كذبوه وهتكوه أبعده الله وأخزاه فهو كاذب فى جميع ما يدعى ويصف، ولكن صونوا أنفسكم عن الخوض والكلام فى ذلك وتوقوا مشاورته ولا تجعلوا له السبيل إلى طلب الشر كفى الله مؤنته ومؤنته من كان مثله».

وروى عن أبى محمد الرازى أنه ورد منه (ع) كتاب فيه: «وأن تجتنبوا القزوينى أن تدخلوه فى شىء من أموركم فإنه قد بلغنى ما يمؤه به عند الناس فلا تلتفتوا إليه إن شاء الله».

ومن هذا القبيل أبو السمهرى وابن أبى الزرقاء فقد روى الكشى عن إسحاق الأنبارى قال: قال لى أبو جعفر الثانى (ع): «ما فعل أبو السمهرى (لعنه الله) يكذب علينا، ويزعم أنه وابن أبى الزرقاء دعاءً إلينا، أشهدكم إنى أتبرا إلى الله (عزوجل) منهما إنهما فتانان ملعونان... الحديث».

وأما المغيرة بن سعيد العجلي الذى كان يكذب على الباقر (ع) وقد تقدّم شطر من حاله فقد روى الكشى فى ترجمته عن الصادق (ع) أنه قال يوماً لأصحابه: «لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن يهوديه كان يختلف إليها (أى يتردد بالمجىء والذهاب إليها) يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق».

إن المغيرة كذب على أبى (ع) فسلبه الله الإيمان وأن قوماً كذبوا على ما لهم أذاهم الله حرّ الحديد، فوالله ما نحن إلا عبيد الذى خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع، وإن رحمتنا فبرحمته وإن عذبنا فيذنوبنا والله ما لنا على الله من حجه ولا معنا من الله برائه، وإنا لميتون ومقبورون ومنشورون ومبعوثون وموقوفون ومسؤلون.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٢٥

ويلهم ما لهم لعنهم الله فلقد آذوا الله وآذوا رسوله (ص) فى قبره وأمير المؤمنين وفاطمه والحسن والحسين وعلى بن الحسين ومحمد

بن على (صلوات الله عليهم) وها أنا ذا بين أظهركم لحم رسول الله وجلد رسول الله، أبيت على فراشى خائفاً وجلماً مرعوباً، يأمنون وأفرع وينامون على فراشهم وأنا خائف ساهر وجل أتقلقل بين الجبال والبرارى أبرأ إلى الله مما قال فى الأجدع البراد عبد بنى أسد أبو الخطاب (لعنه الله).

والله لو ابتلوا بنا وأمرناهم بذلك لكان الواجب ألماً يقبلوه فكيف وهم يرونى خائفاً وجلماً، أستعدى الله عليهم وأتبرأ إلى الله منهم. أشهدكم أتى امرؤ ولدنى رسول الله (ص) وما معى براءة من الله، وإن أطعته رحمنى وإن عصيته عذبنى عذاباً شديداً أو أشد عذابه». وروى عن سليمان الكنانى قال: قال لى أبو جعفر (ع): «هل تدرى ما مثل المغيرة؟»، قال: قلت: لا، قال: «مثله مثل بلعم». قلت: ومن بعلم؟ قال: «الذى قال الله (عزوجل): الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١)».

وروى الكشى عن محمّد بن قولويه القمى (الشيخ الجليل ووالد أستاذ المفيد)، قال: حدّثنى سعد بن عبد الله (أحد أعلام وشيوخ الطائفة مرّ ذكره)، قال: حدّثنى محمّد بن عيسى (العبيدى اليقطينى الثقة الجليل)، عن يونس (بن عبد الرحمن من أصحاب الرضا وثقاته)، قال: سمعت رجلاً من الطيارة (الغلاة) يحدّث أبا الحسن الرضا (ع) عن يونس بن ظبيان أنه قال: كنت فى بعض الليالى وأنا فى الطواف فإذا نداء من فوق رأسى: يا يونس إنى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكركى، فرفعت رأسى فإذا ج (كناية عن جبرئيل (ع)).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٢٦

فغضب أبو الحسن الرضا (ع) غضباً لم يملك نفسه ثم قال للرجل: «اخرج عنى لعنك الله ولعن من حدّثك ولعن يونس بن ظبيان ألف لعنة يتبعها ألف لعنة، كل لعنة منها تبلغك قعر جهنم، أشهد ما ناداه إلا شيطان أما أن يونس مع أبى الخطاب فى أشدّ العذاب مقرونان، وأصحابهما إلى ذلك الشيطان مع فرعون وآل فرعون فى أشدّ العذاب، سمعت ذلك من أبى (ع)».

قال يونس (بن عبد الرحمن): فقام الرجل من عنده، فما بلغ الباب إلا عشر خطأ حتى صرع مغشياً عليه وقد قاء رجيعة وحمل ميتاً. فقال أبو الحسن (ع): «أتاه ملك بيده عمود فضرب على هامته ضربة قلب فيها مئانته حتى قاء رجيعة وعجل الله بروحه إلى الهاوية وألحقه بصاحبه الذى حدّثه بيونس بن ظبيان ورأى الشيطان الذى كان يتراءى له».

وفى ختام هذا الفصل نذكر ما رواه الكلينى فى باب البدع والمقاييس (١) بإسناده عن الصادق (ع) أنه قال: «إن من أبغض الخلق إلى الله (عزوجل) لرجلين:

رجل وكله الله إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعه، قد لهج بالصوم والصلاة فهو فتنه لمن افتتن به، ضال عن هدى من كان قبله، مضل لمن اقتدى به فى حياته وبعد موته حمّال خطايا غيره رهن بخطيئته.

ورجل قمش جهلاً فى جهال الناس، عان بأغباش الفتنة قد سمّاه أشباه الناس عالماً ولم يغن فيه يوماً سالماً، بكر فاستكثر ما قلّ منه خير مما كثر حتى إذا ارتوى من آجن واكثر من غير طائل.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٢٧

جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره وإن خالف قاضياً سبقه، لم يأمن أن ينقض حكمه من يأتى بعده كفعله بمن كان قبله وإن نزلت به إحدى المبهمات المعضلات هتأ لها حشواً من رأيه ثم قطع به فهو من لبس الشبهات فى مثل غزل العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ لا يحسب العلم فى شىء مما أنكره ولا يرى أن وراء ما بلغ فيه مذهباً، إن قاس شيئاً بشىء لم يكذب نظره، وإن أظلم عليه أمر اکتتم به لما يعلم من جهل نفسه لكيلا يقال له: لا يعلم.

ثم جسر فقضى فهو مفتاح عشوات ركاب شبهات خباط جهالات، لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم، ولا يعرض فى العلم بضرر قاطع فيغتم، يذرى الروايات ذرو الريح الهشيم تبكى منه المواريث وتصرخ منه الدماء، يستحل بقضائه الفرج الحرام، ويحرم بقضائه الفرج الحلال، لا ملئ بإصدار ما عليه ورد، ولا هو أهل لما منه فرط من ادّعائه علم الحق».

ولنعم ما قال بعض الأجلة: (أن تلك الفرق كانت تتراوح بين شكوك وأوهام عرت بعض البسطاء وانقرضت بموتهم ومطامع وشهوات، صبّت إليها آحاد استهوتهم النهمه والشرة لاختلاس مال أو حيازة جاه وهؤلاء بين من توب إلى الحق بعد الحصول على غايته أو يأسه منها أو توقفه للتوبة، ومن قطع معرفته حمامه.

واناس ديف إليهم السم فى العسل من قبل السياسات الوقتية روماً لتشتيت كلمة الإمامية ومحق روعتهم، فاستخفهم الجهل بالغايات مع ما جبل به الإنسان من حب الفخفخة، فقاموا بدعايات باطله واستحوذوا على نفوس خائرة القوى، لكن سرعان ما قلب عليهم الدهر ظهر المجن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٢٨

لما تمكنت الساسة من الحصول على ضالته المنشودة، ولم يبق لهم فى القوم فاحذوا وقتلوا تقيلاً وكانت هناك مجزرة بدعهم وأهوائهم.

إلى غير هذه من غايات وأغراض وقتية أسفت بالنفوس الضئيلة إلى هوة المذلة واللعنة ولم يعد فى الأكثر أن يكون المعتقون لها أفراداً من ساقه الناس أو عشرات الذنابى أو لمة ممن لم يقيم المجتمع الدينى والبشرى له وزناً وعم الجميع أن طوتهم مع عيتمهم الأيام وطحنهم بكلكلة الجديدان فعادوا كحديث أمس الدابر).

\*\*\*

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٣١

### الفصل الرابع فى تاريخ البايه فى إيران ... ص: ٢٣١

فقد ادعى السيد على محمد بن السيد رضا الشيرازى المتولد سنة (١٢٣٥ هـ-)، فى مدينة شيراز البايه والوساطه بين الإمام الحجة الغائب (ع) والناس، ثم ترفع وادعى أنه المهدي المنتظر، ثم ادعى النبوة، ثم الألوهية. وهى سئته من تقدمه فى دعوى البايه حيث ترفع بهم الأمر إلى الألوهية.

وكان قد توفى عنه والده وهو فى السنة الأولى من عمره فاهتم به خاله الذى كان يدير تجارة متوسطة الحال وأرسله إلى المكتب وهو الموضوع الذى يتعلم فيه القراءة والكتابة فى تلك السنين وهو بمثابة المدرسة فى اليوم الحاضر وكان الذى يشرف عليه الشيخ عابد وكان من الجماعة الشيخية التى تهتم بكثرة بالعلوم الغريبة («١») والرياضات النفسية المتنوعة ومسائل علم العرفان، ولم يكن الباب الشيرازى يميل إلى التعلم، ولكن تحت وطأه خاله واصل الحضور لدى ذلك الشيخ.

وبعد عدة سنين اصطحبه خاله إلى مدينة بوشهر وأوكل إليه بعض الأعمال التجارية.

وكان مع ذلك يزاول الرياضات النفسية الشاقة، حيث كان يصعد يوماً إلى سطح المنزل الذى قطنه فى بوشهر المعروفة بشدة الحرارة فى الصيف لكونها من المناطق الحارة وقد تصل درجة حرارتها إلى ما يقرب من خمسين درجة فوق الصفر فى شهر تموز عدة ساعات من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٣٢

الظهيره يزاول الصلاة والأذكار («١»)، بل قيل: كان ذلك طوال النهار واقفاً مكشوف الرأس.

وقد سبب ذلك إلى نوع من الاختلال وفقد التوازن العصبى لديه مما حدا بخاله إلى التفكير بجد فى معالجة هذه الحالة فلاح له إرسال ابن أخته فى سفر إلى العراق لعل تغيير الهواء يورثه سلامة المزاج ويبصرار شديد استجاب الباب الشيرازى لذلك وسافر إلى كربلاء وهناك حضر بتداوم درس السيد كاظم الرشتى الذى كان زعيم جماعة الشيخية حينذاك.

ولم يقطع الباب رياضاته الشاقة مدة إقامته هناك ويحكى الميرزا التنكابنى فى كتاب (القصص) («٢») أنه كان يحلق لحيته آنذاك



وربما نتفها بالمقراض (الملقط).

ومكث على ذلك ما يقرب من أربع سنين ثم رجع إلى شيراز وكان يعتقد أن أستاذه باب الله المقدم كما يعبر بذلك الباب فى كتبه. وما أن توفى أستاذه أخذ تلاميذه فى البحث عن من يقوم مقامه ومن يكون الركن الرابع وهذا العنوان يعنى لديهم الأصل الرابع فى أصول الدين التى جعلوا أولها التوحيد وثانيها النبوة وثالثها الإمامة ورابعها النائب الخاص الذى يجب توليه والتبرؤ من أعدائه، وكان التنافس يدور بين عدّة منهم مثل ميرزا حسن جوهر وميرزا محيط كرمانى وحاج محمد كريم دخان وملا محمد مامقانى.

ولكن السيد الباب أخذ فى التطلع إلى ذلك المقام وبدأ فى دعوة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٣٣

تلاميذ أستاذه إلى نفسه وسارع إلى الإعلان بأنه باب الحجة الغائب. وعلى أثر ذلك نشب بينه وبين تلك العدة المذكورة سابقاً صراع احتدّ شيئاً فشيئاً، وحاولت تلك العدة ابتداءً أن تثنى الباب عن ادّعائه ولكنّه قابلهم بل حاول أن يجذبهم إلى بايئته إلى أن آل الأمر إلى تبريتهم منه.

وواصل الباب الشيرازى فى دعوة البسطاء والسذج من الناس إلى بايئته وكان يظهر إليهم جانباً كبيراً من الزهد والتقشف والرياضات النفسية مما يجذب قلوب الكثير من تلك النماذج نحوه. وكان إذا اطمن بانجذاب شخص إليه يقول له: «فادخلوا البيوت من أبوابها»، وغالباً ما يقرأ الحديث المشهور: «أنا مدينة العلم وعلى بابها» («١»)، ويكنى بذلك مع إضافة شىء من التلويح إلى أن لكل شىء باب وواسطة وأنه هو الواسطة الكبرى وهو الباب.

كما وبدء فى تفسير سورة يوسف بمنهج تأويلى من الخيالات والأوهام المركبة اصطلاح عليها بالتأويل الباطن للسورة التى لا تنضبط مع أى ميزان من قواعد اللغة العربية أو القواعد العقلية المنطقية ولا تتفق بوجه مع مسلمات الدين الحنيف.

ثم إنه نجح فى اكتساب ثمانية عشرة من تلامذته وجعلهم دعاءً ومبلغين لبايئته وكانت منهم امرأة تدعى زرين تاج وسموها (قرّة العين) وكان لها النصيب الأوفر فى نشر البايئة فى إيران بسبب جمالها وبيانها الرائق وإنشادها للشعر المطرب وبتوسطها انتهجت الفرقة البايئة فى إيران إباحة المحرمات من الزنا والخمر والربا.

ثم إنه ترفع فى ادّعائه من الباب إلى أنه المهدي الموعود وأخذ أصحابه فى نشر ذلك وحبك مسرحية الظهور وعلاماته.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٣٤

فبدأوا بإشاعة أن الباب الشيرازى قد سافر إلى مكّة وأنه من هناك يعلن عن ظهوره وسافر أحدهم إلى خراسان وهو ملا بشرويه الذى كان أحد الدهاء فى هذه الفرقة («١») ومن ورائه السكرتير فى السفارة الروسية فى طهران (كينيازالكوركى) («٢») الذى تظاهر بالإسلام وتزوج من امرأة مسلمة ولبس زي رجال الدين والذى كان يتابع بدقه حالات الميرزا على محمد الشيرازى (الباب) ويخطط لبرامجه حيث كانت الدولة الروسية تتطلع آنذاك إلى حدوث الفتن والضوضاء فى إيران كى ما يسهل عليها احتلال المناطق التى هى مطمع لها إذ لم تتوفى فى أخذ كل تلك المناطق من خلال الحرب التى خاضتها مع الدولة القاجارية فى إيران حين ذاك، ولذا كانت السفارة الروسية وبعض السفارات الأجنبية الأخرى كالسفارة البريطانية فى تمام الأشواط مساندة لتلك الفرقة البايئة ومحامية عن زعمائها الذين توالوا زعامة البايئة كما سيأتى ذكر ذلك.

وسبب سفر ملا بشرويه إلى خراسان هو تطبيق أحد علامات الظهور وهى خروج الخراسانى ويكون (بشرويه) حينئذ هو الخراسانى.

وكان بدء دعوتهم فى مدينة شيراز ثم إلى أصفهان وثم باقى المدن الإيرانية وممن دعوه إلى فرقتهم فى شيراز الشيخ أبو تراب (رض) الذى كان صدر فقهاء شيراز فى ذلك الوقت.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٣٥

وما أن سمع بذلك منهم ثارت ثائرتة واشتعل هيجانه لما عرف من مدى البلية والطامة التى حلت عن قرب، فدعا الشيخ أبو تراب



علماء وفقهاء المدينة إلى الاجتماع، ليطلعهم بالفتنة التى كشفت عن رأسها.

وتَمَّ الاجتماع وحصل الاتفاق على رفع التوصية إلى والى المنطقه حسين خان نظام الدولة التبريزى الذى كان ماضى العزم ذى حنكة وتدبير، وهو بدوره أيضاً أقام مجلساً جمع فيه العلماء ودعاة الباب فاستنطقهم وأجابوا حينها بكل صراحةٍ وجرأة أنهم يدعون إلى الباب، وأبرزوا للملأ الحاضر فى المجلس كتاباً للباب الشيرازى التى زعم أنها وحى سماوى، فحينها ضجَّ المجلس وارتفعت الأصوات وأفتى العلماء على أثر ذلك بكفرهم ووجوب قتلهم، ولم يتباطأ الوالى فى تنفيذ الحكم عليهم. وأرسل شرحاً مفصّلاً للقضية إلى الحكومة فى طهران.

وكان الباب الشيرازى حينها فى بوشهر، فاستدعاه الوالى إلى الحضور فى شيراز برفقة من الحرس. وأمهله عدّة أيام بعد وصوله حتى يسكن روعه ويهدأ خوفه.

وكان الباب الشيرازى فى مدّة إقامته فى بوشهر قد كتب عدّة من المؤلفات منها كتاب (البيان)، زاعماً أنه المراد من قوله تعالى: الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (١١).

وأن كتابه البيان ناسخ للقرآن والعياذ بالله وأن ما فيه هو الشريعة الناسخة الجديدة، وتعتمد فيه إلى اقتباس النصوص القرآنية مع التغيير بما تشهّاه من الأحكام والبدع والضلالات التى سيأتى ذكرها

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٣٦

والمضحك المبكى أنه مملوء بالأغلاط النحوية والصرفية وغيرها من قواعد علوم الأدب العربى.

وهذا الأسلوب الاقتباسى مارسه بكثرة زعماء الفرقة البابية سواء مع النصوص القرآنية أو مع الأحاديث النبوية والمروية عن الأئمة (عليهم السلام).

ثم إن الوالى أحضر الباب ليلاً لديه، وأظهر له عذره فى قتل أعوانه وأنه كان مخطئاً فى ذلك وكل هذه المسرحية التى قام بها الوالى استدراج لأخذ الإقرار من الباب على دعاويه وأخبره بأن هذا التحوّل المفاجئ بسبب رؤية رآها فى المنام وكأن الباب قد أتاه وأمسك على رجله اليمنى فاستوى جالساً وأخذ الباب يخاطبه بأن نور الإيمان يسطع من جبهتك وبعد ذلك انتبه من النوم.

وما أن سمع الباب ذلك من الوالى الذى تمثّل بنحو من الارتعاد الجسمى والدموع المفتعلة قال: هنيئاً لك يا أمير، إن الذى رأته لم يكن مناماً بل يقظة، وأنى أتيتك فى موضع نومك وخاطبتك بذلك، وذلك لمعرفتى بسلامة فطنتك وصفاء شعورك.

وقام الوالى بتقبيل يد الباب والتذلل أمامه، وقال له: (إن كل ما أملك من عدّة وعتاد هو قيد أمرك ورهن إشارتك، وما أنا إلّا ظل يتبعك). فقال له الباب: (هنيئاً لك لا تباعك الحق، فقد وصلت إلى مقام كريم وموهبة عظيمة، وإنى أعدك بولاية ممالك الروم فى المستقبل).

وأخذ الوالى فى إظهار السرور والقشعريرة وقال: (يا سيدى إنى أتبعك لا لمطمع دنيوى من مال أو جاه وعزّة، بل للجهاد بين يديك لألتحق بالشهداء الصالحين).

ثم إن الوالى بعدما اطمئن إلى وثوق الباب الشيرازى به قرّر مع

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٣٧

العلماء والفقهاء عقد مجلس يحضر الباب فيه ويتمُّ المسرحية كى يستخرج من الباب بلسانه أمام الملأ دعاويه، ومن جانب آخر قال للباب: (يا سيدى إنى قد أعددت مجلساً يحضره علماء المدينة وتحضره أنت كى تدعوهم إلى الإيمان بك وبما تدعو إليه، ومن لا يستجيب منهم لذلك أضرب عنقه بالسيف)، فاستطار الباب لذلك فرحاً.

واستعدّ لذلك المجلس وذهب برفقة أحد أعوانه السيد يحيى بن السيد جعفر الدارابى المعروف بالكشفي الذى كان من كبار الفرقة البابية ووالده كان من أعظم علماء عصره ذى المؤلفات المهمة.

فابتدأ الباب بالخطاب فى المجلس الحافل:

(يا علماء، ألم يئن لكم أن تتحرّروا من الهوى وتتبعوا الهداية وتركووا الضلالة، فاسمعوا قولى وأطيعوا أمرى، إن نبيكم لم يترك لكم غير القرآن، وهذا كتابى (البيان) فتعالوا وقرأوه واتلوه لتعلموا أنه أفصح من القرآن وأحكامه ناسخة للقرآن، فاستمعوا لى واقبلوا نصيحتى ما دام السيف فى الغماد وقبل أن تقطع الرؤوس، واحفظوا دماءكم وأموالكم وأطفالكم، فأطيعوا أمرى وعوا كلامى فهذه نصيحتى لكم).

هذا والعلماء منصتون لا يحركون ساكناً ولا ينطقون ببيت شفه كما متفق عليه مسبقاً.

ثم قام الوالى أمام الباب والتمس منه أن يكتب دعاويه على ورقة ليعرضها بينه وبرهان على أهل المجلس لتمام الحجّة. فكتب الباب عدّة أسطر بأسلوب الدعاء ونهج المناجاة كما هى عادته فى كتاباته. فدارت الورقة على أيدي العلماء، ولاحظوا فيها أخطاء شنيعة فى الأسلوب والصياغة الأدبية والأعلاط النحوية والصرفية.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٣٨

وأخذ الباب الشيرازى فى الدفاع عن نفسه وتبرير ذلك بأن ذلك ليس من تقصيرى، وإنما هو من الإلهامات الغيبية والوحي السماوى فالجهالة ليست فى، فوقعت فى المجلس الضوضاء.

وارتفعت الأصوات، فمن قائل يفتى بقتله وكفره وخسرانه، ومن قائل يحكم بجنونه واختلال عقله وأنه يعزر ويؤدّب، وقام الوالى مخاطباً الباب:

(يا جاهل، يا مغرور، ما هذه البدعة التى أحدثتها، كيف تدعى النبوة والرسالة أو المهديوية وأنت لا تقدر على التعبير عن مرادك بلفظ عربى مستقيم منظم، ومع هذا الحال تدعى أن كلامك أفصح من القرآن وأبلغ؟!، وإنى افكر أن قتلك واجب فى شريعة الإسلام، ولكن أرى بقرائن حالك أنك مختل العقل وفساد الدماغ فلا يصحّ قتلك، ولكنك رجل سفیه أبله، ولهذا يجب تعزيزك وتأديبك لعلك ترجع عن الضلالة وتعود إلى الهداية).

ثم أمر بإخراجه من المجلس وضربه بالقلعة، فأخذ يستغيث ويتوسل بالناس لينقذوه، ولكن الضرب المبرح تواصل حتى أظهر التوبة والاستغفار.

ثم حُمل على حمار طيف به الأسواق والطرق تشهيراً به ولكن الباب كان يتوخى ويحرص على ذلك ويحبُّ الشهرة أياً كانت وأرجع مرة أخرى إلى المجلس المحتشد، فأخذ الباب بتقيل يد الشيخ أبى تراب وكزر التوبة والاستغفار، ولكن العلماء أصروا على صعوده المنبر أمام الناس وإعلانه التوبة والرجوع عن الدعاوى السابقة والضلال الذى كان يدعو إليه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٣٩

فصعد المنبر قائلاً: (لست أنا وكيل القائم الموعود، ولست أنا الواسطة بين الإمام الغائب وبين الناس).

وتم طلب منه إمام الجمعة أن يحضر يوم الجمعة فى مسجد وكيل وأن يعلن ذلك مرة أخرى أمام الناس، وطلب الوالى ضامناً للباب أن لا يعود إلى بدعته السابقة، فضمنه خاله السيد على، وفى يوم الجمعة حضر الباب مسجد وكيل وقال: (لعن الله من يرى أنى وكيل الإمام الغائب، لعن الله من يرى أنى أنكر وحدانية الله تعالى، لعن الله من يرى أنى أنكر رساله رسول الله (ص)، لعن الله من يرى أنى أنكر إمامة الأئمة (عليهم السلام)).

ثم نزل عن المنبر وذهبوا به إلى السجن، ومكث فيه ستة أشهر فى رفاهية من العيش مع الحد من أى نشاط أو اتصال.

وفى تلك السنة انتشر وباء وطاعون أتى من الهند وأفغانستان جعل الأوضاع فى شيراز مضطربة، وفرّ الكثير إلى القرى النائية خوفاً من العدوى، وكذلك لجأ الوالى ومعاونوه إلى أطراف المدينة، فساد البلد الهرج والمرج وحينها أهملت الرقابة على السجن.

فقام والى أصفهان ويدعى منوچهر خان القرچى الأرمنى النصرانى باستغلال الفرصة وأرسل إلى السجن فى شيراز بعض معاونيه مع

عدد من دعاة البايبة الذين كانوا على ارتباط وثيق معه فى أصفهان لنشر البايبة، وكان يهتئ لهم مختلف الطرق والوسائل لذلك. وهذا الوالى النصرانى الأرمى كان قد وقع أسيراً لدى الدولة الإيرانية آنذاك مع عدد من إخوته فى الحروب التى وقعت لها فى أرمينيا والقفقاز وكان هو من الأمراء هناك.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٤٠

وبعد وقوعه أسيراً حاول مع إخوته التسلل إلى الحكومة والوصول إلى مناصب حساسة فيها كى يتم له الوصول إلى مآربه الحاكمة الدفينة على الإسلام، وأما ارتباطه مع الأيدى الأجنبية فعلى قدم وساق.

وفى هذه الأثناء استفحل نشر البايبة فى أصفهان من دعائها، فثارت الغيرة الدينية لدى الناس والعلماء فى مدينة أصفهان التى كانت تعج آنذاك بفحول الفقهاء والعلماء فى مختلف الفنون من الحكمة والأصول والهيئة والكلام وغيرها.

فاجتمع العلماء على أثر تصاعد فتنة البايبة للبحث عن التصدى لها. وأثناء ذلك حضر الوالى المجلس وخاطب الحضر بأن الباب قد وجّه أحد العلماء إليه دعوة للحضور إلى أصفهان وإئى أخاف من اشتداد الفتنة من ذلك (وكان يظهر حاله فى منتهى الغم والحزن والتأثر)، وإئى أفرح لتفادى ذلك بأن يستعد إلى استقباله على باب المدينة عدّة منكم كى يحتووه ويخدموا بدعته، وهو على أى حال من الفقهاء الذين قدموا من المشاهد المشرفة من العراق.

(ويقصد من ذلك أنه من المرسوم عندكم الاستقبال فى مثل هذه الموارد، حيلة منه لإجلال مقدم الباب، مع أنه ليس له هذه الصفة الذى يطلقها عليه الوالى).

وكان يكثر من لا حول ولا قوة إلّا بالله فى كلامه، وقال: (وليقوم الناس بزيارته من مختلف الطبقات كى يعلم جهله وكونه صفر اليدين من الفضل والعلم وهو يقصد بذلك حصول الترويج والدعاية للباب ثم اقترح تشكيل ندوة يحضرها المقدمين منكم فضلاً كى يحسموا شبهاته وتنقضوا ضلالته وتثبتوا مروقه من الدين الإسلامى وتفتوا بقتله أو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٤١

حرقه أو تبعيده، وإنى لن أمهله إلّا بضربة السيف تطهر عنقه). والوالى بهذا التمثيل والصنع حاول إغراء أكثر الحضر مع شىء من التهديد لمن لا يوافق فيهم بالوقوف بجانب الباب، كما آتهم فى بادئ كلامه أحد العلماء بأنه الذى وجّه الدعوة للحضور إلى أصفهان، ويكون بذلك قد خطط للدعاية والنشر ببرنامج وسيع النطاق.

وما أن وصل الباب إلى مشارف أصفهان استقبلته هيئة منتخبة تمثل العلماء، وذهبوا به إلى بيت الميرزا السيد محمّد الملقب بسلاطان العلماء، ولكن الباب التزم الصمت عدّة أيام ولم يظهر شيئاً من دعاويه، ولكن العلماء دفعوا الناس إلى الإصرار عليه بإظهار مقالته وكتابتها كى يتّم معرفه عقائده.

وقبل الباب الشيرازى فكتب رسالة طويلة فى تفسير سورة الكوثر، وكعادته خبط وخلط فى الأسلوب العربى بتركيب متدافع الأطراف معوجّ البيان مختل نحواً وصرفاً.

وفوق ذلك استدلل فيها على أنه المهدي الموعود، وسرعان ما تناقلتها الأيدى وانتشرت، فازداد الصخب والغيبض لدى الناس وواجهوا الوالى بأن يفى بما وعد من الإجراءات بحقه ومجازاته.

ولكن الوالى احتال مرة أخرى وأخذ يماطل ويؤخر، وسبب ذلك توقع الوالى متابعة بعض الناس للفرقة البايبة، أو لا أقل من إحداث الشكّ فى صفوفهم.

ولكن الهيجان ازداد حماساً، وحذر العلماء الوالى بأن يفى بما وعده من عقد ندوة للنقاش مع الباب حول شبهاته وادعائه، وإلّا فلن يملك الوالى زمام الأمور أمام الصخب الشعبى.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٤٢

فاضطر الوالى إلى عقد الندوة بعد ملاحظة كثيرة، لمعرفة أن عاقبتها فضيحة الباب وضياع للمجهود الذى قام به لنشر البايئة. وحضر الندوة جمع كثير من العلماء فى مقدمتهم الميرزا السيد محمد والشيخ محمد مهدي كلباسى اللذان كانا متفوقين على البقية فى الفقه والأصول، والميرزا حسن بن الملا على نورى الذى كانت له الصدارة فى الحكمة والفلسفة، وأجلس الباب فى صدر المجلس، وأخذ العلماء بالكلام حول دعواه المهدوية والباب ظل صامتا لا يحرك ساكنا، فبادره الشيخ محمد مهدي كلباسى قائلاً:

(يا سيد، لا يخفى عليك أن المسلمين على صنفين: الأول: وهم الذين يستنبطون أحكام الشريعة الإسلامية من القرآن الحكيم والسنة النبوية لخاتم النبيين والمأثورة عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، وهذا الصنف يسمون بالمجتهدين.

والثاني: هم أولئك الذين يقلدون المجتهدين فى معرفة الأحكام ويسألونهم عما يجهلونه ويحتاجون إليه كى يرشدوهم، والآن أنت من أى القسمين، وبعبارة أخرى أنت مجتهد أم مقلد؟).

فأجاب الباب: (إني لم اقلد أحداً بتاتاً، والعمل بالظن أراه حراماً).

فقال له الشيخ: (يا سيد ألا تعرف أن الطائفة الشيعية تعتقد أن الإمام الحجة (ع) غائب ولا محالة طريق العلم بالأحكام الشرعية مسدود. ولا بد لنا فى كل عصر من الأعصار من تقليد المجتهد الجامع لشرائط الفتوى على طبق القواعد المقررة من الصدر الأول إلى عصرنا الحاضر، حتى يظهر حجة الله قائم آل محمد المنتظر فيزيل المفساد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٤٣

ويميت البدع ويعيد الشريعة المحمدية التى أتى بها رسول الله (ص)، فهذه وظيفتنا، فكيف أنت لا تقلد ولا تعمل بالظنون (الخاصة التى قام الدليل على حجيتها لاستنباط الحكم الشرعى)؟

الآن وحيث لا أراك تأتى بحجة قبال استدلالى ولا أراك قد سمعت بأحكام الشريعة الإسلامية، إذاً من أين تعلمت الدين، ومن أين حصل لك اليقين بالأحكام؟).

فاشعل الباب غيظاً وقال: (إنك تعلمت علم المنقول وبمنزلة الطفل المبتدئ الذى يتعلم (أ ب ج - د)، ولكن مقامى مقام الذكر والفؤاد، فلا يصح لك الدخول فى هذا البحر اللامتناهى ومناقشتى والمناظرة معى فى شىء لا تعلمه).

فانبرى له الميرزا حسن النورى الحكيم المشهور قائلاً: (يا سيد اثبت فى مكانك وإياك والرجوع عن ادعائك، إن الحكماء قد عيناوا وقرروا للذكر وللؤاد مقاماً ومنزلة إذا وصل إليها شخص ما يكون محيطاً بكل الأشياء ولا يخفى عليه شىء، فالآن هل قد وصلت إلى هذا المقام والمنزلة؟ وهل وجودك يحيط بكل الأشياء؟).

فأجاب الباب بثبات وجرأة: (نعم، وجودى هكذا، سل ما بدا لك).

فقال له: (يا سيد، بين لنا كيفية معجزات الأنبياء، وحصول طى الأرض للأولياء، وكيفية سرعة سير الزمان فى عصر السلطان الجائر، وبطؤه فى زمان الإمام المهدي الذى وردت به الروايات، نحن وإياك نعد بنى أمية وبنى العباس حكماً جائرين وملوكاً ظالمين، وأئمة أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أئمة هادين، وفى هذا الحال يلزم أن يكون للزمان سيرين سريع وبطىء وكيف يمكن ذلك؟!

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٤٤

وأيضاً بعض أئمة الجور والعدل كانوا فى عصر واحد، ولازم ذلك وقوع سيرين متضادين سريع وبطىء فى زمان واحد، وكيف يمكن ذلك؟

وأيضاً نحن المسلمون نعتقد أن الأرض تطوى لأولياء الله وحججه، يعنى أن المسافة الطويلة تنطوى لهم (كطى السجل) بطرفة عين مثل ما نقل آصف بن برخيا وزير سليمان بطرفة العين عرش ملك بلقيس من سبأ إلى محل إقامة سليمان (فلسطين) كما قال تعالى: قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا (١١)).

فالآن يا ترى كيف وقع ذلك؟ هل المدن والصحارى بين المبدأ والمنتهى للمسير تهبط (خسفاً أو ابتلاعاً)؟

وحينها يتصل المبدأ والمنتهى (للسير) وفي هذه الصورة يلزم انعدام عباد الله والحيوانات والنبات والجمادات حيث الأرض (التي طويت) قد خسفت بهم أو أن القطع الأرضية تجتمع وتتداخل؟ وفي هذه الصورة لا بد من اطلاع العالم على مثل هذه الحادثة مع أن حتى هذه الساعة لم يسمع أحد بهذا ولم ينتشر خبر بذلك وفي المستقبل سوف لن ينتشر، أو أن طى الأرض يحصل بنحو الطيران والتحليق؟ وهذا الوجه أيضاً لا يطابق العقل الإنساني ولا يؤيده برهان عقلي أو نقلى (شرعى)، أجب عن هذه الأسئلة).

فتبسم الباب وأجاب: (يا حكيم، هل تريد أن أرفع النقاب عن وجه المشكل باللسان والبيان، أو بالقلم والبنان أكشف عن هذا السر؟).

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٤٥

فقال له: (اصنع ما شئت؟).

فتناول الباب القلم والورقة وأخذ يكتب مدّة من الوقت، حتى أتى بالطعام فوضع الورقة على سفره الغذاء وشرع في الأكل. فلمح الميرزا حسن بطرف عينه الورقة فتناولها فقرأها على الحضور، وإذا فيها البسملة وحمد الله والصلاة على النبي وبعد ذلك دعاء مطول بسبب المناجات من دون أى إشارة إلى موضوع المناقشة والأسئلة.

فسكت أهل المجلس حتى يحصل الفراغ من الأكل، ثم حكم بعضهم بجنونه وفقد توازنه، ومن ذلك البعض الميرزا السيد محمّد سلطان العلماء، وحكم البعض الآخر بكفره وارتداده عن الدين ووجوب القتل، ومن ذلك البعض الشيخ محمّد مهدي الكلباسي وسائر الفقهاء، ولكن تردد مع تمايل إلى الباب مدرّسان للفقاه مشهوران كانا على ارتباط مع الوالى واتفق مسبق معه.

وبعد حكم الأكثر بقتله استدعوا من الوالى إجراءه، فظاهر بأن تنفيذ هذا الحكم خارج عن صلاحياته، وأن القضية يجب أن يعلم بها الحكومة المركزية في طهران وينتظر الأوامر منها بقتله أو لا، ولكي يقل الضغط عليه من العلماء أمر بتقييد الباب بالسلاسل.

وذهب به إلى السجن، ولكنه أخرج من السجن ليلاً في الخفاء وأحضره بيته مع المبالغة في الاحترام والتجليل، ثم بعث برسالة إلى طهران صاغ عبارتها كما أراد، وذيلها بقوله: (قتل الباب في هذا الوقت في أصفهان مع تمايل أكثر أهاليها إليه يستوجب خطر الثوران والهيجان، والرأى الصائب أن يبقى في السجن حتى تنطفئ نائرة الصديق والعدو له، ثم تنظر هيئة الدولة في ما هو الصالح وتأمروا به).

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٤٦

وقد نجحت خطته وانطوت خدعته على هيئة الوزراء واستصوبت رأيه.

ومن جانب آخر تزايد دعم الحاكم منوچهر خان القرچى لعلی محمّد الشيرازى (الباب) وظهرت نواياه الهادفة إلى ضرب المذهب الشيعى ومحاربة العلماء، فحمل ذلك العلماء على الكتابة إلى الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) حاجى ميرزا آغاسى وطالبوه بقمع الفتنة التى تتفّح بالإسلام والى تدعى البايئة تارة، وأخرى التوبة وإنكار البايئة وإنها فى توسّع وانتشار.

فأجابهم برسالة بعثها: (أنا فى خدمة العلماء الأعلام والفضلاء ذوى العزّ والاحترام، والمعدرة فى تصديعكم حول هذا الشخص الشيرازى الذى سمي نفسه باب ونائب (خاص) الإمام (ع) الذى كتبتم عنه. فلأنه ضالّ مضلّ بحسب مقتضيات الدين والدولة. فالمورد ضرورى التعقيب ليكون عبرة فى المستقبل طبقاً للسياسة الملكية).

وهذا المجنون الجاهل الجعّال (المفتعل) لم يدع النياية فحسب، بل ادّعى النبوة، حيث إنه مع كمال الجهل والسخافة كتب كتاباً جمع فيه المزخرفات وسمّاه قرآناً، مع أن الآية الشريفة: فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ («١») دالّة على استحالة الإتيان بمثل أقصر سورة و لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً («٢») فكيف بالقرآن؟! هذا الجاهل مثلاً بدل كهيعص («٣») كتب: كاف، ها، جيم، دال، وبهذا النمط من المزخرفات والأباطيل لفق كتابه. نعم، إنى أكثر

اطّلاعاً

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٤٧

على حقيقة حاله لأن أكثر هذه الجماعة الشيعية تداوم على الطنطنة والشعارات (التهافتات).

وهذا الشقى قد وقع فى تلك الخيالات الباطلة والذى قرّرت فى شأنه أن يحبس فى قلعة (ماكو) حبس الأبد، وأما الذين اتّبِعوه وتمايلوا إليه فهم مقصرون وأطلعونى بهم كى يعزرون وينبهون. دام فضلکم وإفاضاتکم).

ومع ذلك فلم يبعث الحاكم منوچهر خان بالباب إلى قلعة (ماكو) التى تقع فى شمال إيران طيلة عدّة أشهر التى مات الحاكم بعدها وخلفه حاكم آخر يدعى جرجين الذى سارع بإرسال الباب إلى ماكو، ولكن لجهات سياسية تحيط بذلك الظرف توسط دالكور كى السفير الروسى فى طهران بنقله من (ماكو) التى هى مدينة على الحدود الروسىة إلى قلعة (جهريق)، وأرسل السفير إلى وزير الخارجية الروسى نسلرد مكتوباً قال فيه: (باب هو الذى أبعد عن ماكو الحدودية بوساطتى فى العام الماضى) («١»).

ولم ينقطع ارتباط البايئة بالسيد الباب فى القلعة فقد كانوا يبذلون الرشاوى الكثيرة لإقامة الاتصال، وكان على رأسهم المدبر النشط ملا بشرويه وحاج بار فروشى ويحىى الدارابى وقره العين، فالأول فى خراسان، والثانى فى مازندران (طبرستان)، والثالث فى شيراز، والرابعة فى قزوین، فكانوا بذلك يقيمون دائرة محيطة بأكثر أرجاء إيران للنشر والدعاية للفرقة البايئة.

ثم إن الشاه محمّد القاجارى طلب من ولى عهده ناصر الدين ميرزا أن يجمع العلماء والفقهاء والفضلاء والأعيان الأشراف والقواد وبقيّة الشخصيات المهمّة فى تبريز (المدينة المركزية فى منطقة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٤٨

آذربايجان والتي كانت مقرأ له)، وأن يعقد مجلساً يديره بنفسه لينظر ما يقوله الباب ويدّعيه كى يتقرّر الإجراء اللازم بحقه.

وأوصاه بعدم الاستعجال فى إصدار الحكم، وعليه الانتظار إلى صدوره من طهران على ضوء التقرير المرسل.

وعقد المجلس بحضور الجموع المختلفة، فمن العلماء الحاج محمود الملقب بنظام العلماء، والملا محمّد المامقانى الملقب بحجة الإسلام، والذى كان رئيس الشيخية فى تبريز ومرّاً سابقاً أنه من تلامذة السيد كاظم الرشتى. والملا باشى الحاج ميرزا عبد الكريم والميرزا على أصغر شيخ الإسلام، والميرزا محسن قاضى، والملا باشى ميرزا حسن زنوزى، ومن الشخصيات السياسية للدولة محمّد خان زنكنه أمير نظام، ووزير الأمن ميرزا فضل الله على آبادى نصير الملك، ووزير الخارجية ميرزا جعفر خان معير الدولة، ووزير المالية ميرزا موسى تفرشى، ووزير الداخلية ميرزا مهدى خان بيان الملك، وعدّة كثيرة من هذا الصنف، ثم اتى بالبَاب على محمّد الشيرازى وأجلس صدر المجلس.

وأول من افتتح النقاش والبحث نظام العلماء، فخاطب الباب قائلاً:

(يا سيد، انظر إلى هذا الكتاب والأوراق التى أضعها الآن بين يديك، والتى كتبت بأسلوب قرآنى ووحى سماوى («١»)، ونشرت فى بلاد إيران فى متناول الناس، تأمّل فيها وأمعن النظر فى صفحاتها ثم أخبرنا أهى من قولك أنت حقيقة؟ أو من اناس أعداء لك افتروها عليك وكذباً نسبوها إليك؟).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٤٩

ثم وضع الكتب والأوراق بجانب الباب.

فأجاب على محمّد الشيرازى: (نعم هذه كتب من قبل الله).

فقال له نظام العلماء: (هل سميت نفسك شجرة طوبى فى هذه الكتب؟ ومعنى ذلك أن كل ما جرى على لسانك أو يجرى فهو كلام الله، وبعبارة أخرى: أنت تعتقد أن كلامك كلام الله وقول الله؟).

فأجاب: (الله يرحمك، نعم، أقسم بالله هو كما تقول).

فقال نظام العلماء: (هل تسميتهم لك ب- (الباب) صادرة منك، أو أن الناس خاطبوك بذلك من أنفسهم؟).

فأجاب: (لا، هى صادرة منى، والناس لا يقولون من أنفسهم، هذا الاسم من الله، وأنا باب العلم).

فقال له: (فى أين، فى بيت الكعبة، بيت المقدس، والبيت المعمور؟).



فأجاب: (فى كل مكان إله).

وفى هذه اللحظة نهض ولى العهد ناصر الدين شاه وقال: (يا سيد، اعلم أنى عاهدت الله أنك إن قدرت أن تثبت لنا أنك باب العلم فإنى سأترك لك منصبى ومقامى، ونفسى سأكون مطيعاً ومنقاداً لك).

ثم قال نظام العلماء: (يا سيد أحسنت، هذا الذى تدعيه هو اسم لأمير المؤمنين (ع) والذى سمّاه بذلك هو رسول الله (ص) حيث قال: «أنا مدينة العلم وعلى بابها» (١)، وقال على (ع): «سلونى قبل أن تفقدونى» (٢)، وقال: «ها إن بين جنبى علماً جماً» (٣).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٥٠

فالآن لدى بعض من المسائل المعضلة اريد حلّها منك، وجملة منها مرتبطة بعلم الطب (١).

فأجاب على محمّد الشيرزاي: (إنى لم أتعلّم الطب).

فقال له: (أسألك عن العلوم الدينيه، ولكن معرفه جملتها مشروط بفهم معانى الأحاديث والآيات، وذلك الفهم متوقف على معرفة علوم منها النحو والصرف والمعانى والبيان والبديع (علم البلاغه) والمنطق وعلوم أخرى، فإذا أسأل عن هذه العلوم المقدميه، وابتدأ من علم الصرف).

فأجاب: (إنى قرأت علم الصرف فى صغرى).

فقال له: (فسر لنا هذه الآية الشريفة: هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا) (٢)، وبين لنا إعرابها النحوى، وقل لنا شأن نزول سورة الكوثر، ولأى سبب سلى الله تعالى نبيه بهذه السورة؟).

فأجاب: (أمهلنى).

فقال: (ما معنى كلام الإمام على بن موسى الرضا (ع) فى مجلس المأمون جواباً لسؤاله: ما الدليل لك على خلافه جدك على بن أبى طالب؟ فقال (ع): «آية أنفسنا»، فقال المأمون: لولا أبنائنا، فقال (ع): «لولا نساتنا» (٣)؟).

فأجاب: (هذا ليس بحديث).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٥١

فقال له: (أياً ما كان هو، أليس من أقوال العرب أيضاً فسرّه وبينه).

فأجاب: (الرخصة والمهله).

فقال له: (ما معنى الحديث القائل: «لعن (الله) له الأعين ظلمت العين الواحدة»؟).

فأجاب: لا أعرف.

فقال له: (ماذا يعنى: إذا دخل الرجل على الخنثى والخنثى على الأثنى وجب الغسل على الخنثى دون الرجل والأثنى؟).

سكت الباب ولم يحر بشىء، فقال له نظام العلماء: (مؤلفاتك تظن أنك قد صغتها على وجه فصيح وبلغ، فالآن قل أى نسبة من النسب الأربع بين الفصاحة والبلاغه، ولماذا الشكل الأول (من الأشكال الأربعة فى القياس الاقترانى المنطقى) بديهى الإنتاج؟).

سكت الباب أيضاً وعجز عن الجواب.

فقال له: (يا سيد، سؤال آخر وليس عندي بعده سؤال، لو ظننا وسلّمنا أن هذه العلوم الموجودة لدى البشر كلّما قيل وقال (مجرد ألفاظ) ولا تنفع البشر بقدر فلس، وها نحن صرفنا النظر عن تلك العلوم، فالعادة التى جرى عليها من قديم الزمان وأتبعها عقلاء العالم نتبعها نحن... وحيث قد أتضح هذه المقدمه، فنسألك الآن حيث يعلم من كتبك وحالاتك أنك تدعى تارة الرسالة وأخرى المهديه وثالثه الولاية، نحن حضرنا ههنا لنسألك هل عندك معجزه أو كرامه تكون حجه لك على الناس؟).

فأجاب: (اطلب أى شىء تريده).

فقال له: (يا سيد، لا يخفى عليك أن ملك إيران مصاب بمرض

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٥٢

النقرس، وهذا المرض صعب العلاج عجز عنه الأطباء والآن نريد منك أن تشافيه من هذا المرض المستعصى).  
فأجاب: (هذا الفعل غير ممكن).

فقال له ناصر الدين شاه: (يا سيد هذا الشيخ الذى يناظرک معلّمى وهو شخص أدبى بالأدب الجميل، ولكنه الآن قد ذهبت منه حيوية الشباب ولا يقدر على ملازمتنا فى السفر والحضر فهل تقدر على إعادته شاباً؟).  
فأجاب: (هذا أيضاً محال).

فقال نظام العلماء: (أيها الناس اعلموا أن هذا الرجل (يشير إلى الباب الشيرازى) وعاءه خال ومحتواه فارغ من كل شيء من معقول أو منقول، هو مغرور بالباطل وسفيه وجاهل، وليس عنده أية معجزة أو كرامه وغير لائق لأدنى احترام).

فأجاب على محمّد الشيرازى وهو غضبان مما قال: (يا نظام، ما هذا الكلام الذى تقول! أنا الرجل الذى مكثتم ألف سنة تنتظرونه!).  
فقال له نظام العلماء: (هل أنت المهدي والإمام القائم؟).  
فأجاب: (نعم، أنا هو).

فقال له: (المهدي النوعى أنت أم المهدي الشخصى؟).

فأجاب: (أنا عين المهدي الشخصى).

فقال له: (ما اسم أبيك، وأمك، وأين مكان ولادتك؟).

فقال له: (اسمى على محمّد، واسم أبى ميرزا رضا البرّاز، أمى خديجة، محل ولادتى شيراز خمسة وثلاثون سنة مضت من عمرى).

فقال له: (اسم مهدينا المنتظر مهدي، واسم أبيه حسن، واسم أمه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٥٣

نرجس، ومحل ولادته سر من رأى (سامراء) فكيف تنطبق عليك تلك الشخصيات؟).

فأجاب: (الآن أريك كرامه كى يتضح أنّى صادق فيما أدعى).

فقال الحضور بأجمعهم: (حباً وكرامه، أظهر كرامتك).

فأجاب: (إنّى أكتب فى اليوم ألف بيت البيت فى علم الخط آنذاك خمسين حرفاً).

فقال الحضور: (على فرض أن ما تقوله صحيح، ولكن ذلك ليس بكرامه لأن كثيراً من الخطّاطين يشتركون معك فى ذلك).

وقال نظام العلماء: (إنّى عند زيارتى للعبات العاليات (المشاهد المشرفة) صادفت كاتباً يكتب فى اليوم ألفى بيت وانتهى أمره إلى

العمى. البتة أنت أيضاً اترك هذا العمل وإلا فستعمى)، ثم جرى بين بقية العلماء وبينه أخذ ورد على هذا المنوال.

وبعد ذلك استدعى ناصر الدين ميرزا من العلماء رأيهم فى شأن الباب، فأفتى بعضهم بكفره ووجوب قتله، وبعض حكم بسفاهته وجنونه.

ثم أمر ناصر الدين ميرزا أعوانه بربط الباب وضربه على أقدامه ضرباً مبرحاً حتّى يتوب ويظهر الاستغفار من تلك الدعاوى وبعد ذلك

كتب على محمّد الشيرازى ورقة التوبة وقال فيها ...: (إنّى موقن بتوحيد الله جلّ ذكره، ونبوة الرسول (ص) وولايته ولسانى مقرّب بكل

ما نزل من عند الله وآمل رحمته ولم أرد بتاتاً ما يخالف رضاه وإذا جرى من قلمى كلمات خلاف رضاه فلم أتعمد العصيان وعلى أى

حال فإنّى مستغفر تائب ... أستغفر الله ربي وأتوب إليه من أن ينسب إليّ أمر وبعض المناجاة والكلمات التى جرت على لسانى ليست

دليلاً على أيّة أمر

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٥٤

وأعتقد أن مدعى النيابة الخاصة لحضرة حجة الله (ع) مدّع مبطل، وهذا العبد لم يكن له ادعاء ذلك ولا ادعاء آخر («...»).

وأجاب رسالته علماء تبريز، وجاء فيها...: ( أقررت بمطالب متعدّدة كلّ منها توجب وتبعث على ارتدادك وتوجب قتلك، وتوبة المرتد الفطرى لا- تقبل، والذي أوجب تأخير قتلك هو شبهة خبط دماغك (اختلاله) وإذا ارتفعت تلك الشبهة فلا تأمل فى إجراء أحكام المرتد الفطرى عليك).

ثمّ إنه بعد موت محمّد شاه ومجىء ناصر الدين شاه على سدنة الملك ونصبه للميرزا محمّد تقى الملقّب بأمر كبير بدل ميرزا آغاسى الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) وازدياد حدّة البايّة وتشكيلهم لعصابات تهاجم القرى والمدن وارتكابهم لجرائم فظيعة يقشع الإنسان عند قراءتها مثل الأحداث والوقائع فى مازندران (طبرستان) والوقائع فى قلعة الشيخ الطبرسى والوقائع فى زنجان مما لا يدعوا منكرًا وحشية إلّا أتوها بعد التزامهم بالإبحاث وتحليلهم كل المحرمات.

وجعلوا أهالى تلك المناطق تعيش حالة من الخوف والرعب من الإرهاب والسفك للدماء التى مارسوها تخيلًا منهم لإنشاء دويلة يوسعون نطاقها شيئًا فشيئًا أقدم أمير كبير والذي كان على درجة من الحزم وفطانه التدبير بعكس سابقه آغاسى على إعدام على محمّد الشيرازى بعد أن أعاد الباب إصراره على دعاويه السابقة.

وكان الباب الشيرازى قد نصب ميرزا يحيى النورى خليفة له مع

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٥٥

معاونه أخيه حسين على النورى ولقب الأول عندهم بالأزل والثاني ببهاء وكانا قد اعتقلا من قبل الدولة فتوسّطت السفارة الروسية والبريطانية لإطلاق سراحهما وإخراجهما مع جماعة من البايّة إلى بغداد.

ومكثوا هناك عشر سنين وأخذوا شيئًا فشيئًا يتدعون الأحكام كبقية الفرق المنحرفة.

ثمّ إن السلطات اضطرت إلى إبعادهم إلى جزيرة قبرص وهناك تنازع الإخوان فانقسمت البايّة إلى الأزلية والبهائية («١»).

\*\*\*

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٥٩

## الخاتمة ... ص: ٢٥٩

### إشارة

وفيه ثلاثه أمور:

### الأمر الأول فى خروج الدجال ... ص: ٢٥٩

: فقد روى الصدوق عن النزال بن سبرة أنه قال: قام الأصغر بن نباته إلى أمير المؤمنين (ع) فقال: يا أمير المؤمنين من الدجال؟ فقال: «ألا إن الدجال صائد بن الصيد فالشقى من صدقه والسعيد من كذبه يخرج من بلدة يقال لها: أصفهان من قرية تعرف باليهودى عينه ممسوخة والعين الأخرى فى جبهته تضىء كأنها كوكب الصبح فيها علقه كأنها ممزوجة بالدم بين عينيه مكتوب كافر يقرؤه كل كاتب وأمى، يخوض البحار وتسير معه الشمس، بين يديه جبل من دخان، وخلفه جبل أبيض يرى الناس أنه طعام، يخرج حين يخرج فى قحط شديد تحته حمار أقمر، خطوة حماره ميل، تطوى له الأرض منهلاً منهلاً. لا يمر بماء إلّا غار إلى يوم القيامة، ينادى بأعلى صوته، يسمع ما بين الخافقين من الجن والإنس والشياطين يقول: (إلى أوليائى، أنا الذى خلق فسوّى، وقدّر فهدى، أنا ربكم الأعلى) وكذب عدو الله، إنه أعور يطعم الطعام ويمشى فى الأسواق وإن ربكم (عزوجل) ليس بأعور ولا يطعم ولا يمشى ولا يزول تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ألا وإن أكثر أتباعه يومئذ أولاد الزنا وأصحاب الطيالسنة الخضرة، يقتله الله (عزوجل) بالشام على عقبه تعرف بعقبه أفيق لثلاث ساعات مضت من يوم الجمعة على يد من يصلى عيسى بن مريم (ع) خلفه» (١)».

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٦٠

وروى عن النبي (ص) أنه قال عن الدجال: «أيها الناس ما بعث الله (عزوجل) نبياً إلّا وقد أندر قومه الدجال وإن الله (عزوجل) قد أخره إلى يومكم هذا، فمهما تشابه عليكم من أمره فإن ربكم ليس بأعور، إنه يخرج على حمار عرض ما بين أذنيه ميل، يخرج ومعه جنة ونار وجبل من خبز ونهر من ماء، أكثر أتباعه اليهود والنساء والأعراب، يدخل آفاق الأرض كلها إلّا مكة ولا بتيها والمدينة ولا بتيها» (١)».

وروى الأربلي في (كشف الغمة) (٢)» عن رسول الله (ص) (في حديث الدجال): «يأتى وهو محرّم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي تلى المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل وهو خير الناس أو من خير الناس فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي حدّثنا رسول الله (ص) حديثه، فيقول الدجال: أرايتم إن قتلت هذا ثمّ أحييته أتشكّون في الأمر؟ فيقولون: لا».

قال: «فيقتله ثمّ يحييه (وذلك خداعاً بالسحر كما ورد في روايات أخرى) فيقول حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشدّ بصيرة منّي الآن». قال: «فيريد الدجال أن يقتله ثانياً (أي حقيقة) فلا يسلط عليه».

ونقل في (منتخب الأثر) (١)

( عن أربعين الخاتون آبادي، عن الصادق، عن آبائه، عن أمير المؤمنين (ع)، عن رسول الله (ص) في حديث فيه خروج الدجال وقرية يخرج منها وبعض أوصافه وأنه يدعى الألوهية وأن في أول يوم من خروجه يتبعه سبعون ألفاً من اليهود وأولاد

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٦١

الزنا والمدمنين بالخمير والمغنين وأصحاب اللهو والأعراب والنساء قال (ع) في آخره: «فبيح الزنا واللواط وسائر المناهي حتّى يباشر الرجال النساء والغلمان في أطراف الشوارع عرباناً وعلانيةً والفجور ويسخر آفاق الأرض إلّا مكة والمدينة ومراقد الأئمة (عليهم السلام) فإذا بلغ في طغيانه وملأ الأرض من جوره وجور أعوانه يقتله من يصلّى خلفه عيسى بن مريم (ع)».

وروى السيد ابن طاووس (رض) عن الصادق (ع) في حديث خروج الدجال: «من بعد ذلك يخرج الدجال من ميسان نواحي البصرة، فيأتي سفوان، ويأتي سنام فيسحرهما ويسحر الناس، فيكونان كالثريد وما هما بثريد من الجوع والقحط إذ ذلك لشديد» (١)».

### الأمر الثاني: في علامات ظهور الحجة (ع) وعدة أصحابه ... ص: ٢٦١

قد حدّد الأئمة (عليهم السلام) أمد الغيبة الكبرى التي انقطع الشيعة فيها عن الحجة (ع) بانقطاع النيابة الخاصة بموت النائب الرابع على بن محمّد السمرى في نهاية الغيبة الصغرى.

والتحديد هو بوقوع علامات للظهور وانتهاء الغيبة، وهذه العلامات كثيرة:

منها: ما يقارن عام ظهوره (ع) والسنة التي يخرج فيها بدءاً من مكة من بيت الله الحرام يوم العاشر من محرم يوم قتل فيه جدّه الحسين سيد الشهداء وسبط الرسول (ص) ويخطب تلك الخطب التي طالما تعطّشت إليها البشرية جمعاً والشيعة خصوصاً ويبدأ بعقد البيعة له وأول

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٦٢

من يبایعه جبرئيل (ع) وثمّ عدة أصحابه التي هي عدة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر.

ومنها: ما لا يقارن عام الظهور وإنما تشير إلى الاقتراب ليس إلّا.

والمهم هو القسم الأول وهي العلامات التي اطلق عليها في الروايات المأثورة بالعلامات الحتمية التي لا بدء فيها.

فقد روى الصدوق (رض) عن الصادق (ع) أنه قال: «خمس قبل قيام القائم (ع): اليماني، والسفياني، والمنادي ينادى من السماء، وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكية» (١).

وهذه العلامات الخمس:

الأولى: وهى خروج سيد حسيني من نسل الإمام الحسين (ع) من ناحية اليمن ولذا اطلق عليه اليماني.

الثانية: وهى خروج شخص يدعى عثمان بن عنبسه من بنى أمية من سلالة أبى سفيان، ولذا اطلق عليه السفياني من ناحية الشام.

الثالثة: المنادي وهو جبرئيل (ع) يصيح بصيحه من السماء ونداء يسمعه كل العالم كل قوم بلسانهم أن الحجّة قد ظهر وأن الحق مع على وآله.

الرابعة: الخسف الذى يقع بأرض البيداء قرب المدينة المنورة والذى يقع بجيش السفياني الذى يرسله من الشام لمقاتلة الحجّة.

الخامسة: قتل النفس الزكية وهو الشاب السيد الحسنى الذى يبعثه الحجّة بعد عقد البيعة سرّاً مع العدة المخصوصة من أصحابه ليدعو أهل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٦٣

مكة ولكنهم يقومون بقتله، وروى عن الصادق (ع) أنه قال: «ليس بين قيام قائم آل محمّد وبين قتل النفس الزكية إلا خمسة عشر ليلة» (١).

وروى عن ميمون البان قال: كنت عند أبى جعفر (الباقى) (ع) فى فسطاطه، فرجع جانب الفسطاط، فقال: «إن أمرنا قد كان أبين من هذه الشمس»، ثم قال: «ينادى من السماء: فلان بن فلان هو الإمام باسمه»، وينادى إبليس (لعنه الله) من الأرض كما نادى برسول الله (ص) ليلة العقبة» (٢).

وروى عن الصادق (ع) أنه قال: «إن أمر السفياني من الأمر المحتوم وخروجه فى رجب» (٣).

وقال (ع): «الصيحة التى فى شهر رمضان تكون ليلة الجمعة لثلاث وعشرين مضين من شهر رمضان» (٤)، وقال (ع): «ينادى منادٍ باسم القائم (ع)»، قلت: خاص أو عام؟ قال: «عام يسمع كل قوم بلسانهم»، فسأله زرارة: فمن يخالف القائم (ع) وقد نودى باسمه؟ قال: «لا يدعهم إبليس حتى ينادى ويشكك الناس» (٥).

وقال (ع): «صوت جبرئيل من السماء وصوت إبليس من الأرض فاتبعوا الصوت الأول وإياكم والأخير أن تفتنوا به» (٦). وقال: «ينادى من السماء أول النهار: ألا إن الحق فى على وشيعته، ثم ينادى إبليس

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٦٤

(لعنه الله) فى آخر النهار: ألا أن الحق فى السفياني وشيعته فيرتاب عند ذلك المبطلون» (١).

وروى الصدوق عن الصادق (ع) أنه سأله رجل من أهل الكوفة: كم يخرج مع القائم (ع) فإنهم يقولون: إنه يخرج معه مثل عدّة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً؟ قال: «وما يخرج إلا فى أولى قوة وما تكون أولوا القوة أقل من عشرة آلاف» (٢).

وروى عن الباقر (ع) أنه قال: «اثان بين يدي هذا الأمر: خسوف القمر لخمس وكسوف الشمس لخمس عشرة ولم يكن ذلك منذ هبط آدم (ع) إلى الأرض وعند ذلك يسقط حساب المنجمين» (٣).

وروى النعماني فى كتاب (الغيبة) (٤) عن الصادق (ع) أنه قال: «النداء من المحتوم والسفياني من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، وكف يطلع من السماء من المحتوم»، قال: «وفزعه فى شهر رمضان توقظ النائم وتفزع اليقظان وتخرج الفتاة من خدرها».

وفى هذه الرواية علامة سادسة من العلامات الحتمية مضافاً إلى الخمس التى تقدّمت، وهى طلوع كف من السماء.

وروى عن الباقر (ع) أنه قال: «لا بدّ لبنى فلان من أن يملكوا فإذا ملكوا ثم اختلفوا تفرّق ملكهم وتشتت أمرهم حتى يخرج عليهم الخراساني والسفياني هذا من المشرق وهذا من المغرب يستبقان إلى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٦٥

الكوفة كفرسى رهان (أى السباق) هذا من هنا وهذا من هنا، حتى يكون هلاك بنى فلان على أيديهما أما إنهم لا يبقون منهم أحداً. ثم قال (ع): «خروج السفينانى واليمانى والخراسانى فى سنة واحدة فى شهر واحد فى يوم واحد، نظام كنظام الخرز (أى كخرز السبحة أو ما شابهه) يتبع بعضه بعضاً فيكون البأس من كل وجه، ويل لمن ناوهم وليس فى الرايات راية أهدى من راية اليمانى، هى راية هدى لأنه يدعو إلى صاحبكم» (١)».

وروى عن الباقر (ع) أنه قال: «السفينانى والقائم فى سنة واحدة» (٢)».

### الأمر الثالث: فى مدح العلم وذم الجهل ... ص: ٢٦٥

فقد روى الكلينى (رض) عن الصادق (ع): «إن أول الأمور ومبدأها وقوتها وعمارتها التى لا ينتفع شىء إلا به العقل الذى جعله الله زينة لخلقه ونوراً لهم، فبالعقل عرف العباد خالقهم، وأنهم مخلوقون، وأنه المدبّر لهم، وأنهم المدبّرون، وأنه الباقي وهم الفانون، واستدلوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه من سمائه وأرضه وشمسه وقمره وليله ونهاره، وبأن له ولهم خالقاً ومدبّراً لم يزل ولا يزول، وعرفوا به الحسن من القبيح، وأن الظلمة فى الجهل، وأن النور فى العلم، فهذا ما دلّهم عليه العقل».

قيل له: فهل يكتفى العباد بالعقل دون غيره؟

قال: «إن العاقل لدلالة عقله الذى جعله قوامه وزينته وهدايته علم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٦٦

أن الله هو الحق وأنه هو ربه، وعلم أن لخالقه محبة، وأن له كراهية، وأن له طاعة، وأن له معصية، فلم يجد عقله يدله على ذلك، وعلم أنه لا- يوصل إليه إلا بالعلم وطلبه، وأنه لا ينتفع بعقله إن لم يصب ذلك بعلمه، فوجب على العاقل طلب العلم والأدب الذى لا قوام له إلا به» (١)».

وروى عن الصادق (ع) أنه قال: «لوددت أن أصحابى ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقها» (٢)».

وروى عن الكاظم (ع) أنه قال: «لو يعلم الناس ما فى طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج، إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال أن أمقت عبيدى إلى الجاهل المستخف بحق أهل العلم التارك للاقتداء بهم وأن أحبّ عبيدى إلى التقى الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء التابع للحلماء القابل عن الحكماء» (٣)».

وروى عن الصادق (ع) أنه قال: «إنما يهلك الناس لأنهم لا يسألون» (٤)».

وقال: قال رسول الله (ص): «أف لرجل لا يفرغ نفسه فى كل جمعة لأمر دينه فيتعاهده ويسأل عن دينه» (٥)».

وقال (ع): «العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير إلا بعداً» (٦)».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ١، ص: ٢٦٧

وقال: قال رسول الله (ص): «من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح» (١)».

وقال (ع): «الناس ثلاثة: عالم ومتعلم وغناء» (٢)».

هذا والحمد لله رب العالمين على كل حال، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين.

تمّ الفراغ منه يوم السابع عشر من رجب الأصب (١٤١١ هـ-)، فى جوار السيدة الطاهرة فاطمة المعصومة بقم المقدسة. بيد العبد الآثم محمّد بن الحاج حميد سند البحرانى عفا الله عنهما.

\*\*\*

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٧٣



## الجزء (٢)

## الفصل الأول: العقول والخواطر ... ص: ٢٧٣

## عبادة العقل ... ص: ٢٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الوجود هو الكمال وله مراتب متفاوتة وأعلى مراتبه هي مرتبة الكمال المطلق والوجود اللامتناهي وهو الحق سبحانه وتعالى الغنى المطلق مفيض الوجود لما عداه، فكل ما عداه مخلوق له محتاج إليه، وإن كل ما عدا الكمال المطلق لا بد أن يكون طالباً للكمال الأعلى والأشد.

وقد رسم الحق تعالى طريق تحصيل الكمال لمخلوقاته، وهو طريق حصرى لا بديل عنه ولا استثناء فيه وهو طاعته تعالى والخضوع والانقياد له، فكل ما عدا الله تعالى لا بد أن يخضع ويتضعع ويطيع وينقاد إليه تعالى، والعقل من مخلوقاته تعالى فهو محتاج إليه ولا بد أن يكون سالماً لطريق العبادة والطاعة والانقياد، ففي الحديث عن أبي جعفر (ع) قال: «لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له: أقبّل فأقبّل، ثم قال له: أدير فأدير، ثم قال: وعزّتى وجلالى ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منك ولا أكملتك إلّا فيمن أحب، أما أنى إياك أمر، وإياك أنهى، وإياك أعاقب، وإياك أثيب» (١)، لكن ما هي عبادة العقل؟ وما هو سجود وركوع العقل؟ هل هو هذا الانحناء الهندسى؟ أم له نوع خضوع خاص؟

لما كان العقل من الموجودات المجردة فليست عبادته كعبادة الموجودات المادية، إذ ليس له حركات كحركات البدن من الانحناءات الهندسية ونحوها، بل عبادة العقل خضوعه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٧٤

وما هو خضوع العقل؟

هو تسليمه للحقائق، وإذعانه لها واستجابته لها وعدم تمرده وعدم طيشه على ما هو الحقيقة، بل يسلم لها أى يخبت لها فهذه عبادة العقل، فإذا سلم وخضع لما هو حقيقة وواقعية حينئذ يكون العقل قد عبد الواقعية المطلقة وهو البارى تعالى وهو الحق، فعبادة العقل خضوعه وتسليمه للحق!

لذلك مُدِح المختبون فى القرآن الكريم حيث قال تعالى: وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيُذَكَّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمِيهِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (١) فالأخبار نوع تسليم وإذعان، فعبادة العقل أن يسلم ويعرف الحقيقة والواقعية، وكما أن الإسلام والتسليم يعنى شأن البدن وشأن الجوارح والجوانح والقوى وما شابه ذلك، فكذلك التسليم والإسلام والقبول يعنى شأن العقل أيضاً.

فإسلام العقل وتسليمه هو إذعانه للحقائق! إذن فللعقل عبادة، وللعقل تسليم، وللعقل سجود وهو منتهى خضوعه، وللعقل ركوع وهو انحناءه أمام الحقائق وعدم تمرده وعدم طيشه عليها، ومن ذلك يظهر معنى قوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٢)، أى لتعبد أبدانهم ولتعبد قواهم النفسية ولتعبد أرواحهم ولتعبد عقولهم المعبود الواحد، لذا فإن التمرد على الحقائق وعدم التسليم لنتائج البراهين يعتبر عصياناً من العقل وعدم طاعة لخالقه، فإن الله تعالى اعتبر تسليم العقل لما وصل إليه بالدليل والبرهان هو عبادته وطريق كماله.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٧٥

وقد يستبعد البعض هكذا عصيان من العقل ولا يتصور أن العقل يصل لحقيقة ولا يسلم لها، ولكن هذا الاستبعاد ناشئ من الغفلة، فقد

ذكر القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى: وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١)» فعلموا بأنه الحق والحقيقة ولكنهم لم يسلموا بها، والأعجب أن في الأزمنة المتأخرة هناك من أنكر الحقائق بعد الاستدلال عليها، كما عن الرازي في تفسيره لقوله تعالى: وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (٢)» بعدما وصل إلى حتمية ولابدية وجود شخص شهيد وشاهد على أعمال العباد في كل أمة وقرن، ومن الواضح أن ذلك اعتراف بعصمة خليفه رسول الله (ص) ولم يكن كذلك إلما على (ع) فبعد اعترافه بكل ذلك يقول: (نحن نعترف بأنه لا بد من معصوم في كل زمان إلا أننا نقول إن ذلك المعصوم هو مجموع الأئمة وأنتم تقولون ذلك المعصوم واحد منهم) (٣)».

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٧٦

وكما عن الطبري بعد أن ثبت له أن المهدي (ع) أفضل من الأنبياء عدا سيد الرسل وأنه يقودهم، بل بعضهم يصلي خلفه بعد الظهور المبارك، فبعد كل ذلك لم يقبل ولم يسلم بأنه (ع) أفضل من الأول والثاني، حيث يقول: (لا تقل: إنه أفضل من الشيخين، بل قل: إن الشيخين ليسا بأفضل منه) (١)» وهذا بعد استدلاله للأفضلية بقوله: (إنه خليفة الله وأنهما خليفتا رسول الله) (٢)». فالعقل قد يعصى خالقه ويترك عبادته وذلك عندما يجحد الحق والحقيقة ولا يسلم لها ولا يخضع بل يتمرد.

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٧٧

### مرتبة ومساحة حجية العقل ... ص: ٢٧٧

قال الإمام الكاظم (ع) لهشام بن الحكم في الوصية المعروفة: «يا هشام إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة (عليهم السلام) وأما الباطنة فالعقول» (١)».

وقال الصادق (ع) لعبد الله بن سنان: «حجة الله على العباد النبي والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل» (٢)».

فإن لله على الناس حجتين حجة باطنة أو رسول باطن وهو العقل وحجة أو رسول ظاهر وهو النبي ثم تأتي مراتب الحجج الأخرى ولا يمكن لحجة أن ترقى وتعلو إلى مرتبة أعلى من مرتبتها فإن مراتب الحجج والدلائل متسلسلة ولا يمكن تخطيها، كما سيأتي بيان ذلك.

فضمن لبادية معرفة مراتب ومنظومة الحجج هو معرفة مرتبة حجية العقل، ونتيجة عدم الالتفات لتلك المراتب وعدم معرفة حقيقة حجية الحجج وقع البعض في إفراط وبعض آخر في تفريط.

فهناك من ارتكب الغلو والإفراط في العقل البشري وقال بأن العقل يدرك كل شيء كما هو حال العلمانيين أو الغربيين، والحال أنه لو كان يدرك كل شيء لما احتاج للوحي ولما احتاج لتواصل سلسلة الأبحاث العلمية!

فلعدم إدراك العقل لكل شيء وعدم الاحاطة بالحقيقة الوسيعة احتاج الإنسان للسعي والاستمرار والتواصل في البحث والدراسة ليحصل الإدراك شيئاً فشيئاً للحقائق فهي حركة ادراكٍ بطيئة كحركة النمل،

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٧٨

وهذه المسيرة متواصلة ولا-تقف دائماً وأبداً، وهذا يكشف ويدلل على أن البشر لا يستطيعون ولا يصلون إلى الاحاطة بالحقيقة الواسعة، وهو اعتراف بأن العقل لا يمكن أن يدرك كل شيء ويكذب على نفسه ويخدعها من ادعى أنه يدرك كل شيء.

وهناك من فرط بالعقل وأنكر إدراكه أي ذهب إلى أن العقل لا يدرك شيئاً كالحشويين (١)» وهناك من الفرق الضالة في الغيبة الصغرى فضلاً عن الغيبة الكبرى قديماً وحديثاً إذ شطبوا العقل فأجازوا ارتكاب المحرمات والفواحش واستباحة الدماء وقتل الأنبياء وغير ذلك.

فإنَّ العقل البديهي يحكم بالعدل وهؤلاء لما شطبوا العقل استباحوا كل تلك المحرمات، وكيف نتصور إلغاء حجته فإنَّ العقل هو مبدأ الأمور وأن أسس الدين مستندة ومبتنية على بديهيات العقل فلا يمكن أن نتصور شريعته من شرائع السماء تناهض وتناقض وتخالف بديهته العقل، فإنه باتفاق كل علماء المسلمين وعلماء الكلام وكل الأديان والملل أن معرفة الله إنما تتم ببديهته العقل.

فلا يعقل أن تكون هناك شريعة من شرائع السماء تلغى ضروريات الكتاب أو ضروريات السنَّة وتستحل القبائح أو تنهى عن المحاسن كيف ذلك والله تعالى يقول: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٧٩

ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ «(١)» والرسول (ص) يقول: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» «(٢)» فالعقل يحكم بالعدل والإحسان و...

وعليه فالحق أنه لا إفراط ولا تفريط فلا نقول بأن العقل يدرك كل شيء كما لا ننكر إدراك العقل للأشياء، وهذا ما يظهر من سمو الدين الإسلامي ومدرسه أهل البيت (عليهم السلام) كما ذكر ذلك الإمام الصادق (ع) في آخر روايته يرويها الكليني في كتاب العقل والجهل عن أبي عبد الله (ع) في حديث طويل ...: «إن أول الأمور ومبدأها وقوتها وعمارتها التي لا ينتفع شيء إلا به، العقل الذي جعله الله زينته لخلقه ونوراً لهم، فبالعقل عرف العباد خالقهم» «(٣)».

فلا نغلو في العقل المحدود الذي لدينا فإنَّ له مساحة في الاعتبار محدودة وهي مساحة البديهيات دون النظريات إلا أن تستند إلى الأولى بسداد، وإن بديهيات العقل رأس مال خطير، فإنَّ مبدأ الأمور هو معرفة الله وهي تحصل بتوسط العقل، قال رسول الله (ص): «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» أي باعتبار محدودية مساحة العقل المحدود فهو لا يعرف تمام مكارم الأخلاق لذلك تتولد الحاجة إلى الوحي ليرشد إليها فالعقل يحكم بحسن العدل وبقبح الظلم ولكنه لا يدرك مواقعه بتفاصيلها فمثلاً لا يدرك المفسد التي في زواج المحارم فيحتاج للوحي في بيان ذلك لأنه خارج مساحة حكمه، فيأتي الشارع ويقول بحرمة الزواج بالأم وبالأخت وبالخاله ... الخ، فهناك مكارم أو مفسد لا يدركها العقل

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٨٠

من نفسه فيأتي دور الوحي ويهدى العقل إليها، فالعقل يدرك أصل الفاحشة والرديلة لأنها قبيحة، أما دوائرها الوسيعة فلا يدركها إلا بهداية الوحي.

فللعقل البشري دائرة إدراك محدودة وهو حجة فيها وهي دائرة البديهيات ولا يمكن إنكار اعتبار حكم العقل في هذه الدائرة المحدودة.

لاحظ عبارة الإمام الرضا (ع) التي رواها الشيخ الصدوق في اعتقاداته حيث كان (ع) يقول في دعائه ...: «اللهم إني أبرأ إليك من الذين ادعوا لنا ما ليس لنا بحق، اللهم إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا ... اللهم أنت خالقنا وخالق آبائنا الأولين وآبائنا الآخرين، اللهم لا تليق الربوبية إلماً بك ولا تصلح الآلهية إلماً لك، فالعن النصارى الذين صغروا عظمتك والعن المضاهين لقولهم من بريتك، اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك لا نملك لأنفسنا ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، اللهم من زعم أننا أرباب فنحن إليك منه براء، ومن زعم أن إلينا الخلق وعلينا الرزق فنحن إليك منه براء كبراءة عيسى (ع) من النصارى، اللهم إنا لم ندعهم إلى ما يزعمون فلا تأخذنا بما يقولون واغفر لنا مما يزعمون» «(١)»، يشير الرضا (ع) إلى أن هناك بديهته عقلية وهي أن الله هو الواحد الأحد الفرد الصمد وحجته هذه البديهية لا يمكن أن تقتلع أو تقصى أو أن تزال، وإنما حجته العقل في دائرة البديهيات لا في دائرة النظريات التي لا تستند إلى البديهيات فضلاً عن التي تصادمها فبعض الحجج هي في صدارة الحجج والقمة، لكن في أي مساحة هي لها الصدارة في القمة؟ كما يقول الإمام الصادق (ع) في آخر روايته يرويها الكليني في كتاب العقل والجهل عن أبي عبد الله (ع) في حديث طويل ...: «إن أول الأمور ومبدأها وقوتها وعمارتها التي لا ينتفع شيء إلا به، العقل الذي جعله الله زينته لخلقه ونوراً لهم،

فبالعقل عرف

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٨١

العباد خالقهم « (١...١) فكيف يتسنى للإنسان ببديهة العقل أن يؤمن بتوحيد الله؟! ثم يتابع الإمام الصادق (ع) لكن العاقل علم بأن عقله محدود ولا يهديه إلى كل مراضى الله ولا يجنبه عن كل ما يسخط الله فمن ثم اضطر وأذعن بضرورة إرسال الله للرسول كى يهدونه، لأن مساحة ومنطقه حجياً عقل الإنسان محدودة، كما يستفاد ذلك من بعض الروايات، ففي حديث طويل للإمام الصادق (ع) حيث بين فيه أن بالعقل مبدأ الأمور وقوتها وعمارتها وبه عرف الله وهكذا عرفت صفاته الكمالية وبه عرفت جميع الكمالات قيل له: فهل يكتفى العباد بالعقل دون غيره؟ قال: «ان العاقل لدلالة عقله الذى جعله الله قوامه وزينته وهدايته علم ان الله هو الحق وأنه هو ربه وعلم أن لخالقه محبة وأن له كراهية وأن له طاعة وأن له معصية فلم يجد عقله يدل على ذلك، وعلم أنه لا يوصل إليه إلّا بالعلم والأدب وأنه لا ينتفع بعقله إن لم يصب بعلمه فوجب على العاقل طلب العلم والأدب الذى لا قوام له إلّا به» (٢) فهذه ملحمة معرفية عظيمة يثيرها الإمام الصادق (ع) وهى أن بديهية العقل مبدأ الأمور أى فى مساحة البديهيات وهى منطقته محدودة، وتعديها إلى دائرة النظريات دون وحى السماء فيه إضلال.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٨٢

فحجياً العقل فى البديهيات مبدأ يتقدم على الإيمان بالله وعلى المعرفة بالله. والفرق الضالة والمنحرفة لما أقصت ولم تعتبر بديهيات العقل ولم تقم لها وزناً وقعت فى الزيف والشطط والضلال وانتشار الأباطيل... وما ذلك إلّا لأنهم ضيعوا هذا الركن الركين وهو منطقته بديهيات العقل، فإن الدين لا يقصى ولا يلغى العقل بتاتا، أى حجيته فى منطقته ودائرة محدودة وهى البديهيات.

أما فى دائرة النظريات فادراكه ليس قوياً فيحتاج إلى الوحي وهدايتهم السماء ولا يمكن ادعاء أنه يدرك كل الحقائق والأشياء، فالعقل هو الحجية الباطنة التى يستند عليها لمعرفة مبدأ الأمور وهو الله ثم يتم ذلك بالحجة الظاهرة وهى الرسل والأنبياء فهذه مساحة حكم وادراك العقل ومرتبته حجيته ثم تأتى مراتب الحجج الأخرى.

### الخواطر ومسؤولية بناء الذات ...: ص: ٢٨٢

عندما وصل إلى مسامع الإمام الصادق (ع) أن جماعة يؤلهونه كان على الدوام يخز الله باكياً شاكياً متبرماً متبرئاً من هذه الفرق المنحرفة الخارجة عن الجادة والصرط المستقيم وفى كل حالاته يخضع لله (عزوجل) باكياً بكاءً شديداً، فيخاطبه أصحابه: يا أبا عبد الله يا جعفر بن محمد إن هذه مقولته أولئك وما عليك أنت منها، فيقول (ع) كما روى عن مصادف قال: لما أتى القوم الذين أتوا بالكوفة دخلت على أبى عبد الله (ع) (فأخبرته) بذلك فخر ساجداً وألرزق جؤجؤه أى أعلى صدره وبكى وأقبل يلوذ باصبعه ويقول: «بل عبد الله قن داخر (صاغر)» مراراً

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٨٣

كثيرة، ثم رفع رأسه ودموعه تسيل على لحيته فندمت على إخبارى إياه فقلت: جعلت فداك وما عليك أنت من ذا؟ فقال: «يا مصادف إن عيسى لو سكت عما قالت النصارى فيه لكان حقاً على الله أن يصم سمعه ويعمى بصره، ولو سكت عما قال فى أبو الخطاب لكان حقاً على الله أن يصم سمعى ويعمى بصرى» (١).

فعلى الإنسان تجاه الفكرة والخاطرة مسؤولية، وهذا مثال لامتحانات الأنبياء والأولياء مع كونهم معصومين، ولكن المقصود بيان مسؤولية الخاطرة والفكرة.

كما يؤيد ذلك الفقرة الأخيرة فى رواية الرضا (ع) المتقدمة «اللهم إنا لم ندعهم إلى ما يزعمون فلا تأخذنا بما يقولون واغفر لنا مما

يزعمون» إذ فيها إشارة واضحة للمسائلة والحساب على الخاطرة.

والاعتراض بأن الحساب والمسائلة إنما على العمل دون مجرد التية فضلاً عن الخاطرة، ومجرد الفكرة لا حساب عليها. قال تعالى: ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (٢).

جوابه: أنه قد ذكر علماء الأصول فى بحث التجرى أن التجرى القلبي قبيح ومذموم عقلاً والإنسان محاسب عليه وإن كان البارى تعالى يعفو عن نية سوء ما لم تخرج إلى صعيد العمل فضلاً عما لو أصبحت الفكرة عقيدة إذ تتحول إلى عمل جوانحى.

العمل من جوارح البدن ولا عقاب على مجرد فكرة وخطرة، أما

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٨٤

إذا كان العمل نفس الاعتقاد والاعتقاد ليس عملاً جوارحياً، فالحساب والعقاب حينئذٍ على نفس ذلك الاعتقاد أى على الفكرة.

فالمسألة إن كانت اعتقادية فهى ميدان ومجال العمل والتطبيق فيها نفس الخاطرة ونفس الفكرة وفى هذا بحث، فهل المراد بها الميول أم الانجذاب أم التشبث؟

فالإعتقاد والخطرة عمل جوانحى وقلبي وبالتالي فهو نوع من الاعتقاد والإيمان قال تعالى: الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآزَوَاتُهُمْ قُلُوبُهُمْ فِيهِمْ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (١) فأفعال القلب يحاسب عليها الإنسان إذا كانت المسألة اعتقادية.

نعم إن كانت المسألة من الأمور الجوارحية التى يأتى بها البدن فالخطرة مع ذلك يتعلق بها الذم وكذا استحقاق العقوبة إذا كانت هناك نية معصية، كما يقرر ذلك أكثر الأصوليين من باب التجرى.

وفعل عيسى (ع) أو الإمام الصادق (ع) من الشكايه والتبرم والبكاء له تفسير على وفق القواعد الفقهية أيضاً لأن أحد مراتب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو الموقف القلبي والفكرى، فحتى الفكرة نحن مسؤولون عن الموقف تجاهها.

### فلسفة استعراض الماضى ...: ص: ٢٨٤

ومن هنا نعلم وجه ذكر الأحداث الماضية للأمم السابقة، فالقرآن كأنما يستدرجنا لامتحان موقفنا تجاه تلك الأحداث كقتل قابيل هايبيل وغيرها، فالذى يعيننا هو أن نحدد موقفاً ندين قابيل فى قتله لهايبيل أى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٨٥

نتضامن مع هايبيل وندين قابيل فمع أن الموقف قلبى إلا أن سعته أوسع من المقطع الزمانى الذى نعيشه، فوجود الإنسان ذو درجات وطبقات (روح وعقل وقلب) وجود الإنسان لا يحبس ولا يسجن فى بيئه البدن الزمانية، بل له بيئه وسيعة تستشرف الماضى والمستقبل بتوسط المعرفة والادراك، لذلك يطالبنا القرآن الكريم دوماً بموقف حتى تجاه الأفكار والخواطر، فهو (هذا الموقف) داخل فى قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر القلبي، الذى لا يسقط لأنه لا يمكن أن يخضع لإرهاب أو إرعاب أو ضغط ونحوه، فهو واجب فكرى قلبى روحى لا يسقط بحال ويمتحن به الإنسان ويفتن به.

وبعبارة أخرى نحن مسؤولون عن الموقف القلبي والميولات والأفكار، هل نتضامن فيها مع قابيل فيما فعله أم مع هايبيل، هل نتضامن ونؤيد جانب الحق أم جانب الباطل!؟

فتلك القصص يذكرها القرآن من ظلامات المظلومين لنكتة وهى أننا مطالبون بموقف ولو قلبى نحاسب ونسأل عنه.

فهذه الأحداث وإن كانت فى غابر الأزمان إلا أنها تنخر فى جسد الأمة وفى عقل البشرية وتعمل فى تكوين هويتها لأن البشرية تعيش كأنما فى بيئه واحدة وفى سطح واحد وإن تقاسمتها الأزمان والأجيال لكنها بيئه واحدة مجتمعته فى الهوية الإنسانية فى مرتبة العقل وفى مرتبة الروح فكان البيئه واحدة وكان الزمان واحد وكان المقطع واحد.

إذن القرآن الكريم يخاطب قوة الفكر وامتحان الفكر والعقل كما يحدثنا عن أصحاب الأخدود وغيرهم من ظلامات المظلومين فى

سلسلة التاريخ.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٨٦

فالقرآن الكريم يربى المسلمين فى كل سورة وكل آية يقرءونها من خلال اتخاذ موقف تجاه الأحداث الماضية وحتى اتجاه الأحداث اللاحقة بل حتى فيما وراء الدنيا لأن الذى يصنع هوية الإنسان ومركز التحكم فيه هو العقل، وموقف العقل يستشرف الأزمان فلا تحده الفترات الزمانية ولا البقع الجغرافية ولا عالم من العوالم، فالعقل يستشرف عوالم عظيمة.

فبالعقل تكون الهوية والبطاقة الشخصية للشخص وللأمم وللشعوب وللمل، فصياغة الهوية مرهونة بصياغة العقل والمعرفة والبصيرة، فتلك الأمة هل هى أمة فاتكة أم مسالمة، وظالمة أم عادلة... ذلك مرهون بمعرفة تلك الأمم وصياغة البصيرة عند أفرادها. وهذا ليس بمنهج قرآنى فحسب بل موجود فى ثقافة الشعوب والمجتمعات وإنما يشير إليه القرآن.

فمثلاً فى الآونة الأخيرة برزت بين اليابان والصين أزمة علاقة شديدة شعباً ودولتاً بناءً على موقف رئيس الوزراء اليابانى من زيارة قبور قيادات الجيش اليابانى الذين قاموا بمذبحة ومجزرة فى الحرب العالمية الأولى تجاه الشعب الصينى حيث إن الزيارة تعتبر تضامناً وتأييداً.

فبناءً على هذا الموقف من تلك القضية تتحدد طبيعة العلاقات بين الدولتين والشعبين مع أنها قضية تاريخية ماضية فى غابر التاريخ وأنهم يرون بأن الموقف اليابانى تجاه تلك القضية التاريخية يحدد الوضع الحالى بين الشعبين، هل هو عدوانى أم لا؟ وهل هذه الدولة والشعب دولة عدل وإنصاف أم لا؟

فالتاريخ يصنع ويكون عقلياً ونفسية الأمة البشرية وهذا هو الذى يركز عليه القرآن.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٨٧

من هنا نفهم كيف أن قول الإمام الحسين (ع): «كونوا أحراراً فى دنياكم» (١) هى صرخة ونداء لكل الأجيال.

فالذين يتسائلون: لماذا أتمت تحيون ذاكرة التاريخ فى عاشوراء؟ فنجيبه: إننا لسنا ممن يدعو إلى ذلك من أنفسنا بل هى دعوة القرآن لنا.

إذ القرآن يدعونا إلى استعراض كل سلسلة المظلومين والتضامن معهم والتنديد والادانة للظالمين وعبر تلك الأحداث التى يدعونا القرآن لذكرها كواقعة كربلاء، فنحن لا-زلنا نمتحن بواقعة كربلاء من خلال إبراز موقف منها، لأن القرآن الكريم والفقهاء يطالب بتحديد موقف قلبى وفكرى من معسكرات الحق والباطل وهو كله امتحان فإحياؤنا لعاشوراء ليس إلّا لدعوة القرآن الكريم لذلك.

وفى السُّنة كذلك، قال رسول الله (ص): «المرء يحشر مع من أحب حتى لو أحب أحدكم حجراً حشر معه» (٢)، عن عطية سمعت حبيبي رسول الله (ص) يقول: «من أحب قومًا حشر معهم، ومن أحب عمل قوم اشرك فى عملهم» (٣... الخير، وهلم جراً.

وهذا ما سيأتى بيانه من كونه أحد معانى الامتحان والافتتان

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٨٨

الفكرى والقلبى فنحن دوماً فى امتحان مع تلك الهواجس العقلية والنفسية ولا يظن أنه قد شط بنا التاريخ عن الأمم السابقة بل لا زلنا نعيش معهم فى بيئته وجودية واحدة، كل ما أصيبت به الأمم السابقة من امتحانات وتجاذبات وصراعات يكلفنا الدين الإسلامى بموقف منها بضرورة الفقه وقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو كان قلبياً.

فنحن فى امتحان مستمر من هذا الجانب وهو منهج قرآنى تربوى حيث يكرس القرآن الكريم ويرينا على ندبه ونصره المظلوم ورتائه والتنفير من الظالم، ويعتمد القرآن الكريم فى هذه التربية على عقل وفكر الإنسان لأن صنع الإنسان وتربيته ومركز التحكم فيه هو عقله ودركه ومعرفته.

وبتوسط هذه المعرفة يستشرف الإنسان الدنيا من أول وجودها إلى يوم القيامة، بل يستشرف العوالم الأخرى لا الدنيا فقط، وبذلك



تترقى مسؤولية الإنسان، ويرينا القرآن الكريم على الانجذاب إلى الجنة والخوف من النار، فمطالبة القرآن لنا بالانجذاب للجنة والنعيم والخشية من النار ونقمة الله وسطوته هي في حين كونها تربية قرآنية فهي طريقة معرفية إيمانية، فإن الإيمان عمل يتقوم بالمعرفة وهو من أعظم أعمال المخلوق.

ثم إن عصارة الامتحانات وتكريسها من أول الدنيا إلى يومنا هذا تقع في كيفية الثبات بشكل مستقيم وسديد في الاعتقاد بالإمام المهدي (ع) ومنظومة هذا الاعتقاد وما يلابسها من إثارات وشبهات والتباسات وتعويمات ونحوها.

\*\*\*

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٩١

## الفصل الثاني: منظومة المعارف الدينية ... ص: ٢٩١

### إشارة

إذا كانت لدينا مجموعة حجج فلا بد من تنظيمها بحيث لا تتقاطع مع أن لكل مرتبة منها حق التشريع والاتباع فكيف تنظم وما هي مساحة حججها كل منها؟!

لولا حظنا جملة من الآيات والروايات يتضح لدينا أن في منظومة التشريع والمعرفة الدينية ستة محاور هي: الدين والملة والشريعة والمنهاج والطريقة والحكمة، ونحتاج لتصوير وبيان مبسط لكل واحد من هذه المحاور الستة:

## المحور الأول: الدين ... ص: ٢٩١

### إشارة

الدين هو ضرورات وفرائض الله تعالى، أي أصول الأركان وضروريات فرائض الله تعالى، فدائرة الدين هي العقائد وأركان الفروع أمهات وأصول الواجبات وأصول أمهات المحرمات، وهذه الدائرة موحدة بين جميع الأنبياء والرسل إذ بعث جميع الأنبياء بدين واحد، كما في قوله تعالى: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١)، وهذا الدين هو الدين الإسلامي كما قال تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ (٢) فكل الأنبياء كانوا على دين الإسلام، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٩٢

آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١) فكل الأنبياء والرسل جاءوا بتوحيد الله ونبوه سيد الرسل ووصاية سيد الأوصياء والمعاد، ومن ثم الكل مأمورون باتباع دين الله، قال تعالى: أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَتَّبِعُونَ لَهُ أَتَسْلِمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٢) أي التسليم لله بالتوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد.

وهذا الدين يتجاوز محيط النشأة الأرضية ودار الدنيا فيرتبط بعوالم أوسع سرمدية إلهية كعالم ما قبل الدنيا وعالم البرزخ وعالم الآخرة، فالدين ثابت لا يتغير ولا يُنسخ إنما النسخ في الشرائع كما سيتبين هذا في الدين الصحيح بغض النظر عن تحريف بعض أتباع الأنبياء لذلك الدين كما حُرّف عند اليهود إلى اليهودية وعند النصارى إلى النصرانية، ... فقد يُنسب النسخ مسامحة للدين بعد تحريفه كاليهودية والنصرانية، وإلا فإن تغيير بعض الأحكام في الدين من الفرائض والضروريات كانكار نبوة سيد الرسل، ومن أركان الفروع كانكار بعض الواجبات وغيرها، فإن هذا لا يعد نسخاً وإنما تحريفاً للدين، فإن أصول الأركان وضرورات فرائض الله دائرة موحدة بين جميع الأنبياء والرسل وليس من صلاحيات أي نبي أو رسول أن يتخطى هذه الدائرة فضلاً عن غيرهم فهي دائرة ليست قابلة للنسخ فلا

يتصور نسخ التوحيد ولا نسخ المعاد ولا نسخ لنبوته سيد الرسل محمد (ص) ولا نسخ لوصايته سيد الأوصياء على بن أبي طالب (ع) ووصايته الأئمة من بعده (عليهم السلام)، فإن رسالته سيد الرسل ووصايته سيد الأوصياء عقيدة في دين الله وليست مختصة بشريعة محمد (ص).

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٩٣

فإن ولاية أمير المؤمنين (ع) والأئمة الطاهرين عقيدة في الدين قد بشر بها جميع الرسل السابقين، لذا قال تعالى في يوم غدیر خم: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا» (١) فهو يوم إكمال الدين وليس إكمال الشريعة لأن ولاية على (ع) من العقيدة وليست من تفاصيل فروع الدين الجزئية، فولايته أمير المؤمنين لما كانت عقيدة والعقيدة من الدين والدين واحد وقد بعث كل الأنبياء به لذا فإن جميع الأنبياء بعثوا بولاية على (ع)، فهذه دقائق لطيفة في الآيات يجب أن نلتفت إليها.

ولذا كان جميع الأنبياء يبلغون نبوة محمد (ص) ووصايته على (ع) والأئمة (عليهم السلام)، بل يبشرون بدولة الحق والعدل للمهدي (ع) قبل تبليغ شرائعهم لأنها من الدين والدين واحد وهو الله، فالأنبياء يبلغون دين الله تعالى ثم يبلغون شرائعهم، من هنا يتضح لنا لماذا كان جميع الأنبياء يتقربون لله تعالى بطاعته ومحبة ومودة محمد وآله، ولم كانوا يبكون على مصاب الحسين (ع) قبل واقعة الطف، فما ذلك منهم إلا لأن محبة ومودة أهل البيت (عليهم السلام) من الدين وهو الإسلام، وأن جميع الخلق لا بد أن يدينوا لله تعالى بهذا الدين الواحد بما فيه من العقائد والأركان والتي منها محبة ومودة محمد وآله (عليهم السلام) وأن عقيدة الإمام المهدي (ع) من الدين وليست من الشريعة تبعاً لولاية أمير المؤمنين، فإن جميع الأنبياء السابقين (عليهم السلام) كانوا يعتقدون به، بل وإن تبليغهم وإرشادهم الناس كان تمهيداً لدولته المنشودة.

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٩٤

ومن ضعاف العقول أو ممن يدجل في الدين من يحاول عبثاً أن يجعل عقيدة الإمام المهدي (ع) عند الناس عقيدة وليدة الأزمنة المتأخرة، وأنه بعد أن عانت بعض المجتمعات من الظلم والطغيان فكانوا يؤملون ويمنون أنفسهم بوجود مخلص ومنقذ، حيث يقول بعض ضعاف النفوس: إن عقيدة الإمام المهدي (ع) استحدثتها حركات التحرر التي تعبى وتنهض الساحة الجماهيرية من خلال هذه الأفكار.

ولكن الصحيح أنه لا يمكن الاتيان بعقيدة أو فكرة في الدين لم تكن مقبولة سلفاً عند المجتمعات ذات الاتجاه الديني، فالحركات الثورية حتى لو أرادت تعبئة الجماهير من خلال الدين فلا بد أن تستخدم مسلمات موجودة سلفاً في الثقافة الإسلامية، وحينئذ نقول: إن الأمر بالعكس، فإن اعتماد الحركات الثورية التحررية على عقيدة الإمام المهدي لاستنهاض الجماهير يكشف عن رسوخ هذه الفكرة في عقيدة الناس وتدل على أن هذه عقيدة مسلمة ومتلقاة من الأنبياء وخصوصاً سيد الرسل (ص) وأن استخدامها في أدبيات حركات التحرر إنما كان اعتماداً على هذه المفروغية وإلا لما آمن بذلك أحد منهم.

وقد يتوهم البعض أن عقيدة الإمام المهدي (ع) ضمن عقائد مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) دون بقية المدارس الدينية بناءً على وجود خلاف في هذه المسألة ولكن الصحيح أن كل المدارس الدينية وخصوصاً الإسلامية تعتقد بالإمام المهدي، نعم هناك خلاف في بعض الجزئيات والمشخصات له (ع) كاسمه الشريف أو اسم أبيه ونحو ذلك، فالكل يعتقد بأن المهدي يظهر في آخر الزمان وهو من ولد الرسول (ص) بل ومن ولد على وفاطمة (ع) وأنه يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، كما هو الحال في حديث خلفاء

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٩٥

الرسول الاثنى عشر وأن كلهم من قريش الواردة عن العامة، قال رسول الله (ص): «هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة»، قال: ثم تكلم بكلام خفي على، قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «كلهم من قريش» (١).

وهذا بيان نظري لدفع مثل هذه الشبهة من هذا الجانب وإلا فإنه قد ثبت من طريق الشرع وبالروايات المتواترة عند كل من الفريقين أن مسألة الإمام المهدي (ع) مسألة عقدية أي من الدين ومما لا بد أن تثبت بأدلة قطعية لا بالظن والاحتمالات.

### موالاة أهل البيت (عليهم السلام) من الدين ...: ص: ٢٩٥

في القرآن الكريم والشيئة النبوية منهجة تربوية لبيان أن مودة ومحبة والاعتقاد بأفضلية أهل البيت (عليهم السلام) من الدين وليس من تفاصيل فروع الشريعة قال تعالى: فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٢)، رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ (٣).

يذكر السيوطي وهو من أهل السنة في كتاب الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريدة قال: قرأ رسول الله (ص) هذه الآية: فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: «بيوت الأنبياء»، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها لبيت علي وفاطمة قال: «نعم من أفاضلها» (٤).

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٩٦

فالنبي (ص) لم يقل: (نعم منها) بل قال: «من أفاضلها»، والملفت للانتباه أن علياً وفاطمة لم يتوهم متوهم أنهما من الأنبياء، فما الذي دعا أبا بكر أن يسأل هذا السؤال؟ وما العلقه بين بيت علي وفاطمة وبين بيت الأنبياء؟

وما ذلك إلا كاشف ودال على أن القرآن الكريم والرسول (ص) لهم تربية خاصة للمجتمع الإسلامي ولوسط المسلمين بأن أهل البيت (عليهم السلام) حجج معصومون، وبالتالي هناك مناسبة أنه إذا قيل شيء في الأنبياء قيل شيء أيضاً في الأوصياء.

فهذا الحديث دال على المرتكز في عقليته المسلمين أن علياً وفاطمة حجج، بل لهم أفضلية على الأنبياء طبعاً إلا سيد الرسل (ص)، والملفت للانتباه أن هذه الرواية ليست من طرقنا بل من طرق العامة، وعلى ضوء مفادها لا بد أن يلتزموا بأفضلية أهل البيت (عليهم السلام) وإلا فماذا يعني أن بيت علي وفاطمة من أفضل بيوت الأنبياء؟

وعليه فإن بيوت أهل البيت (عليهم السلام) بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فهي ليست مساجد فقط، بل من المشاعر التي شعرها الله تعالى فإن مراقدهم (عليهم السلام) من المشاعر بروايات أهل الشيئة فضلاً عن رواياتنا، والمشاعر أعظم من المساجد، إذ المسجد ربما تنتهي وقفيته أو يزال لسبب ما كضرورة إقامة شارع ونحوه، فإن الضرورات تقدر بقدرها، أما المشاعر فلا فإنه كالمزدلفة ومنى وغيرها من مناسك الحج.

يقول الشيخ كاشف الغطاء: (هذه بيوت شعرها الله فهي أعظم من المساجد) (١) فهذه المراقد الشريفة يجب أن تعمر وتعمم بنص كل

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٩٧

المسلمين، وكذا أفضليتهم على الأنبياء بنص الرواية عند المسلمين وهذه من الدين.

### المحور الثاني: الملة ...: ص: ٢٩٧

الملة باختصار هي الأعراف الحسنه التي يجذرها الأنبياء، فمن ملة إبراهيم (ع) التوحيد الحنيف لذا لا نتصور نسخ الملة في جملة من واردتها لأن الملة تتضمن أعرافاً حسنة مسلمة عند كل الأنبياء فلا تقبل النسخ في تلك الموارد، فالنبي إبراهيم (ع) بنى أعرافاً تبقى حتى لو فرضنا نسخ ما جاء به من شريعته، كما أن النبي محمد (ص) بنى أعرافاً لم يكن النبي إبراهيم (ع) قد بناها، وعليه فللنبي محمد (ص) ملة أيضاً، ولكنها ليست ملة أخرى غير ملة إبراهيم (ع) بل هي مكمله ومتممه لها، حيث يقول سيد الرسل (ص): «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (١)، فإن المجتمع آنذاك كان لديه الكثير من الأعراف الحسنه التي ورثها عن إبراهيم (ع)، ثم جاء نبي

الرحمة ليجذرهما ويكملها ويتممها فيكون هو النبي الخاتم بحق حيث أكمل كل المحاور الستة فى منظومة علاقه المخلوق بالخالق. فعندما يقال: إن النبي محمداً (ص) على مله إبراهيم أى ليست ملته مخالفه لملة إبراهيم لأنها مله واحده جاء ببعضها إبراهيم (ع) ثم تممها سيد الرسل (ص)، وإلا فإن إبراهيم (ع) تابع لدين محمد (ص).  
دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٩٨

### المحور الثالث: الشريعة ...: ص: ٢٩٨

الشريعة هى عبارة عن تفاصيل أحكام الأصول كتفاصيل أحكام الصلاة وتفاصيل أحكام الصوم و... وهذا المعنى مناسب جداً لأصل معنى اللفظة لغه.  
قال تعالى: لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١١) فكل نبي له شريعة تخصه يبين فيها ما يناسب قومه من تفاصيل أحكام الدين وينسخ ما لا يناسبهم من تفاصيل الأحكام التى بينها من سبقه من الأنبياء، فتسمى تلك التفاصيل شريعة وتنسب لذلك النبي وتسمى باسمه فيقال شريعة موسى وشريعة عيسى وشريعة محمد (ص).  
فإذن حجية الرسول محدودة فى الشرائع وليست فى فرائض الدين، فليس للنبي أن يبدل فرائض وضرورات دين الله، وإنما يثبتها أولاً ثم يغير فى تفاصيل الأحكام بما يناسب قومه، أى ينسخ الشريعة السابقة ويأتى بشريعة جديدة، وهذا من صلاحيات وشأن الأنبياء (عليهم السلام).

### المحور الرابع: المنهاج ...: ص: ٢٩٨

المنهاج هو ما يخطه الأوصياء تبعاً لشرائع الأنبياء وقد مرّ قوله تعالى: لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا (٢)، لذلك نقول فى دعاء التوجه: «وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً على مله»  
دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٢٩٩  
إبراهيم ودين محمد (ص) وهدى على وفى بعض النقول ومنهاج على (١).

### المحور الخامس: الطريقة ...: ص: ٢٩٩

الطريقة هى الاستقامة على تلك المحاور الأربعة قال تعالى: وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا (٢)، فالدين لله والشريعة للأنبياء والمنهاج للأوصياء والأئمة.

### المحور السادس: الحكمة ...: ص: ٢٩٩

#### إشارة

وهى حسن التدبير فى تطبيق كليات الفرائض والشرائع على الموارد الجزئية كما فى قوله تعالى: ذَلِكُمْ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ (٣)، وقوله تعالى: يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ (٤).

### مساحات التشريع ...: ص: ٢٩٩

ليس من صلاحيات الأنبياء نسخ الأديان أو تغييرها، بل إن الدين واحد مطلقاً، ولهم نسخ الشرائع السابقة والاتيان بشريعة جديدة، وليس من صلاحيات الأوصياء نسخ الشرائع، نعم لهم بيانها ومنهجتها.

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٠٠

ومن باب التشبيه والتمثيل لتقريب المعنى وبيان علاقة المساحات التشريعية فى الدين والشريعة والمنهاج نذكر هذا المثال، وهو علاقة وارتباط التشريعات الدستورية ثم النيابية ثم الوزارية ثم البلدية حسب ما هو موجود فى القوانين الوضعية، فهذه المراتب التشريعية الأربع فى القانون الحديث لا يحصل فيها تجاوز ونسخ من الدانى للعالى، فالتشريع النيابى فى ضمن هيمنة التشريع الدستورى والتشريع الوزارى فى ضمن هيمنة التشريع البلدى والتشريع البلدى فى ضمن هيمنة التشريع الوزارى، فالتشريع النيابى امتداد وانحدار وتنزل للتشريع الدستورى، والتشريع الوزارى امتداد وانحدار للتشريع النيابى وهكذا، فطبيعة علم القانون وعلم الأحكام طبيعة توالدية تنزلية انحدارية تشعبية أى تشعب كلما انحدرت وتنزلت فهى عبارة عن معادلات ودوائر تتوالد منها دوائر ومعادلات أخرى.

فالدين هو فرائض الله، يأتى بعده سنن الأنبياء وشرائعهم، وهى ليست بديلة ولا رافعة ولا ناسخة لتشريعات فرائض الله بل هى امتداد وانحدار وتوالد وتنزيل لفرائض الله لمرتبة أقرب للمصاديق، ثم تأتى مناهج الأوصياء ويعبر عنها سنن وطرائق الأئمة وهى أيضاً تشريعات تأتى بالمرتبة الثالثة بعد تشريعات الله والأنبياء.

فتشريعات الأنبياء محكومة ومحدودة وفى ظل هيمنة التشريعات الإلهية، وتشريعات الأئمة محدودة وفى ظل هيمنة التشريعات الإلهية وتشريعات الأنبياء وسننهم.

ومن هنا نفهم لم ينسب دين الإسلام وهو دين الله للنبي محمد (ص) لأن الرسول الأعظم (ص) أكمل كل تلك المحاور الستة، فأثبت دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٠١

كل ضرورات وفرائض الله وأكمل تجذير جميع الأعراف الحسنة أى أكمل الملة هذا فضلاً عن إكمال شريعته كما أن أوصيائه (عليهم السلام) أكملوا المنهاج والطريقة.

فلما كانت أمة سيد الرسل (ص) خاتمة الأمم فشريعته بمقتضى ذلك لا بد أن تكون خاتمة الشرائع ولا بد أن تكون تفاصيل الأحكام المبينة من قبله (ص) تناسب هذه الأمة التى وصل فيها العقل البشرى والكمال الإنسانى إلى أعلى مراتبه من حيث الاستعداد والقابلية، فلا بد أن تعطى هذه الأمة أحكاماً تامة كاملة موصلة لغاية الكمال الفعلى من خلال القرب الإلهى بما تبين من أحكام فى الشريعة الخاتمة، وبناءً على ذلك فإن المنهاج والطريقة لأوصياء سيد الرسل (عليهم السلام) لا بد أن تتناسب مع تلك الشريعة الكاملة فتكون مناهجهم أكمل وأرقى وأعلى المناهج، من هنا نفهم لم ورد على لسان سيد الرسل (ص): «علماء أمّتى خير أو أفضل من أنبياء بنى إسرائيل» (١) لأن علماء أمية محمد (ص) اتبعوا أكمل الأحكام فى الدين وفى الشريعة الخاتمة وأتوا وطبقوا أكمل المناهج وهو منهاج أهل البيت (عليهم السلام)، لذا حصلوا على الكمال والقرب الإلهى ما لم يحصل عليه غيرهم فى بقية الأمم من الأنبياء فضلاً عن غيرهم حيث صار سير أمة محمد (ص) وعملهم فى المحاور الستة الدين، الملة، الشريعة، المنهاج، الطريقة، الحكمة على أكمل وجه وأعلى مرتبة لأنه

(ص) أكملها وتممها.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٠٢

### بعض شبه العلمانية ... ص: ٣٠٢

قد يتوهم البعض أن هذه الفرائض فى الدين والسنن إنما شرعت لتتناسب زمان وظرف خاص وليس هذا زمانها فلا يصح للمسلمين الاهتمام بتلك الفرائض والسنن، نعم لا بأس بالحفاظ عليها كموروث دينى لا لأجل العمل بها، وبالتالي نحتاج لتشريعات جديدة

تناسب هذا الزمان وهذا الظرف.

وهذه فى الحقيقة هى بعض شبهات العلمانيين، وقد تسربت لمدعى المهدوية، بل مع الأسف هناك من الأقلام الرخيصة فى الوسط العلمى من يشيع هكذا شبهات، ولكنها ترتفع بالتأمل والالتفات لحقيقة الحجج فإنّ دين الله تعالى من فرائض وسنن شرعها الله تعالى بمقتضى علمه بما يصلح البشر ولما كان علمه تعالى أبدأً سرمدياً وليس علماً مؤقتاً، فإنّ ما يشرعه لا بدّ أن يكون فيه صلاح وإصلاح البشر فى جميع الظروف والأزمان والأحوال، فإنّته تعالى خالق البشر وهو اللطيف الخبير العليم الذى لا يعزب عنه شىء إلّا ويعلم بما يصلح البشر عبر كل الأجيال إلى يوم القيامة، فإنّ علمه لا محدود، فكيف تكون شريعته وفرائضه محدودة، فمن يحد ويحصر فرائض الله فى ظرف محدود ليس ذلك منه إلّا لقصور عقله عن إدراك حقيقة حجية الله تعالى، وإما لجحدته ومكابرتة وتبنيه لمثل تلك الأفكار البائدة والأراجيف، وإلّا كيف يكون البشر وهم خلق الله يستطيعون فى سعيهم فى العلوم التجريبية اكتشاف أشياء تناسب وتنفع البشر لا يعلمها خالقهم، قال تعالى: أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿١١﴾.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٠٣

فما ذلك إلّا هلوسات وإيهامات يحاولون الاستهزاء بها على العقول القاصرة إذ كيف نتصور خالق الكون والدنيا والآخرة والجنّة والنار و... لا يعلم ويشرع تشريعات وقتية؟!

فإنّ فرائض الله وسننه مبنية على عدم مخالفة البديهة العقلية، وقد حرم الله تعالى الزنا واللواط والسحاق والربا والسرقة والقتل وسفك الدماء والاعتداء...

وأوجب الصلاة والصوم وصلة الرحم والاحسان والرأفة والمحبة و...

وهذه كلها يحكم العقل بثباتها وعدم تغيرها، فهى تناسب طبيعة الإنسان على مدى أجياله المتعاقبة، وفيها إصلاح الفرد والمجتمع الإنسانى وتنظيم حياته، نعم هناك فى الإنسان جوانب متغيرة كما أن فيه جوانب ثابتة، وهذه الأحكام والتشريعات كانت بمقتضى الجوانب الثابتة، فإنّ الإنسان على مدى أجياله المتعاقبة لا يختلف من جهة حاجته للأكل والنكاح والروابط والعلاقات الاجتماعية و... وما شرعه الله تعالى مناسب لهذا الجانب.

أما العلمانيون فيتشبثون بأمر متغيرة، ويدعون الحاجة لنسخ تلك الأحكام من خلال بحوثهم فى العلمانية الحديثة أو الحدائيات من الفلسفات الغربية فيحاولون القفز والتمرد على ثوابت الشريعة المقررة لثوابت الطبيعة الإنسانية والبيئية المحيطة، سواء أكان ذلك بواسطة الفرق الضالة أم نشر أفكار علمانية أم فكر حدائوى مستورد و...

وقد تأثر بهذه الشبهات البعض وصار يدعو لتحديث الشريعة ونسخ ما جاء به الأنبياء، وغفل أو تغافل أن تلك التخرصات من العلمانيين لأجل نشر ثقافتهم فحسب ونشر الفساد والاباحية و... وإلّا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٠٤

كيف يعقل أن تفسى انتشار الزنا واللواط والسحاق فيه حياة المجتمع ورقى الفرد الإنسانى بحسب دعواهم بالنسبة للمجتمعات الحديثة مع أن الله تعالى حكم وكذا العقل بأن هذه الأمور من الفساد والاباحية فيها هلاك المجتمعات، إذ الاباحية تفتك بالمجتمعات وتفقدتها تنظيمها، سواء أكانت فى الماضى أم الحاضر أم المستقبل، ولكنهم لم يعرفوا الله ولم يعرفوا الرسول، فإنّهم لو عرفوا الله وصفاته من القدرة والعظمة والعلم والسناء و... لما وقعوا فى هذه التوهّمات قال تعالى: مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا\* وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١١﴾ فإنّته تعالى يعلم بخلقه وأجيالهم وأطوارهم وقد شرع كل ما فيه الصلاح والخير والبناء.

ولكنهم قصرت معرفتهم بالله فقصرت معرفتهم بتشريعاته، فظنوا أن عقولهم كاملة ويستطيعون نسخ شريعة الله والالتيان بشريعة جديدة، فاستباحوا المحرمات وتركوا الواجبات، واتخذ معهم بذلك السذج والبسطاء فوقعوا فى الفتنة والضلال، وما ذلك إلّا لعدم انضباط منظومة الحجج وعدم الوعى فى البصيرة والمعرفة فبوغتوا وغدّروا بعقولهم ومعرفتهم.



\*\*\*

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٠٧

**الفصل الثالث: فتنة البصيرة ... ص: ٣٠٧****فتنة البصيرة أشد الفتن ... ص: ٣٠٧**

الامتحان الإلهي للعباد عموماً وللإنس والجن خصوصاً هو حكمه إلهية بالغه ليتكاملوا به فى خطى لقاء الله (عزوجل)، والتبجح فى رحاب جناته.

وهذا الامتحان لا ريب أنه على أشكال وأنواع وألوان، إذ يختلف شدةً وضعفاً بحسب موازين وضوابط معينة ومحدودة. وربما يخالجننا أن الامتحان والافتتان الذى ينتاب البشر فى جانب الشهوات والغرائز والنزوات وبقية صفات النفس ونزعاتها أمر عسير شديد.

ولكن المشاهد فى لسان القرآن الكريم ومنطقه الحكيم أن الفتنة والامتحان فى البصيرة هى من أشد الامتحانات وأشد الفتن، فربما تكون النزوات شديدة، والغرائز ملحة، والقوى التى يزود بها الإنسان تأخذه يميناً وشمالاً وتتجاذبه بشدة، حتى البيئات المختلفة المحيطة بالإنسان تتجاذبه يميناً وشمالاً، ومن الشهوات والنزوات ما ربما فيها عاصفة جارفة للإنسان، ولكنها حسب بيان ومفاد الآيات القرآنية الكثيرة هى فى كفة أو فى جانب والفتنة والامتحان فى البصيرة، وفى معرفة الإنسان لطريق الهداية فى جانب وكفة أخرى.

وبعبارة أخرى أنه فى جملة من الآيات الكريمة أن الامتحان فى البصيرة، وفى المعرفة من أعظم وأشد الامتحانات ومن أثنمها وأثمرها، حتى أن البشر بل المعصومين من الأنبياء والرسل يتفاضلون فى نفاذ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٠٨

البصيرة وإن كان المعصومون من الأنبياء والأوصياء لا- كلام فى عصمتهم وسدادهم، إلا أنهم يتفاضلون فى درجات السداد وفى درجات الحكمة، قال تعالى: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ (١) فإذا كان المعصومون خاضعين لقانون الامتحان والاختبار والافتتان وأنهم يتفاضلون بذلك فكيف بغير المعصومين، فهم خاضعون لذلك بلا- ريب، وإن كانت درجات الافتتان والاختبار متفاوتة وليست على وتيرة واحدة!

فالامتحان فى البصيرة وفى المعرفة أمر بالغ الأهمية، بالغ الصعوبة تفتتن به الأمم ويفتنن به الأفراد، ويأخذ ألواناً وأشكالاً عديدة وكثيرة. ومن ثم أن البنية المعرفية أو البنية فى البصيرة هى دعامة الإيمان والفلاح والنجاح وحسن العاقبة، ولأجل هذا تكرر فى القرآن الكريم قوله تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٢)، لأنه بلحاظ نفس حكمه ومركزية الامتحان فى المعرفة وفى البصيرة يرفع الله الذين آمنوا والذين أتوا العلم بهذا اللحاظ قال تعالى: يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣)، حيث يحدثنا القرآن الكريم أيضاً أن المخاطب فى الرعيل الأول فى القرآن الكريم هم ذوو الألباب قال تعالى: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٤) أو الذين يعقلون، قال تعالى: إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥)، فالمخاطب فى القرآن الكريم هم أولوا الألباب أو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٠٩

الذين يعقلون أو الذين يعلمون أو الذين آمنوا وغيرها من التعابير فى آيات عديدة تشير إلى نفس المركز ونفس النقطة والناحية وهى أن المسار فى المعرفة مسار خطير كما ورد (١) فى تفسير قوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٢)، أى ليعرفوا حكمه الخلقة، فالمعرفة قمتها العالية وسنامها الرفيع، يعنى الامتحان فى الحكمة وفى المعرفة.

وما ذكره أهل البيت (عليهم السلام) دللوا عليه بالبرهان فقولته: لِيَعْرِدُونَ، بمعنى ليعرفون؛ لأن العبادة ليست شأن البدن فقط، فالعبادة أيضاً تخص وتتأتى من الروح وتخص وتتأذى من النفس وتخص وتصدر من كل قوى الإنسان بما فيها العقل كما تقدم في الفصل الأول، فبيان أهل البيت (عليهم السلام) هو على مفاد برهاني بديهى واضح.

وبعبارة أخرى أن الامتحان في المعرفة، والفتنة في المعرفة والبصيرة هو من أعظم مراحل الامتحان الإلهي.

إذ يحدثنا القرآن الكريم عن ملاحم خطيرة في الأمم أشدها في افتتان الأمم وانحرافها أو استقامتها هي في البصائر والتبصر، أى في الفتنة المعرفية.

### تفاوت البصائر ...: ص: ٣٠٩

مما لا شك فيه أن عقول الناس وبصائرهم وإدراكاتهم مختلفة وليست على مستوى واحد، وبالتالي إدراك الحجج أيضاً يختلف تبعاً لذلك.

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣١٠

فمثلاً في واقعة الطف كل من الحر الرياحي وحبيب بن مظاهر الأسدي أدرك حجية الحسين (ع) وأنه على حق، ولكن الحر لم يدرك ذلك إلا بعد كلام الحسين (ع) وإلقاء الحجج عليهم وما ذكره من بيان، في حين أن حبيباً رضوان الله عليه أدرك ذلك لمجرد أنه الحسين (ع).

لذا فبعض البصائر تحصل لها يقظة وإبصار ولو من حجج نازلة بل ويحصل لها تمييز الحجج العالية من المتوسطة والنازلة فضلاً عن التمييز للمزيف من الحجج، في حين أن هناك بصائر لا يحصل لها إدراك والتفات إلا مع الحجج القوية، وليست لها قدرة إدراك الحجج المتوسطة أو النازلة بل قد تخدع بالمزيف منها.

لذا نجد من أوصاف أبي الفضل العباس (ع) أنه نافذ البصيرة (١) كما وصف بعض أصحاب الحسين (ع) بأنهم ذووا بصائر.

لذا فإن اختلاف الفتن وشدتها تختلف باختلاف البصائر، فإن الله لا يكلف إلا بمقدار قال تعالى: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا (٢)، من هنا لا بد أن يكون الدعاء لله تعالى بأن يفتح بصائرنا وأن يمكننا من تخطي ما نتلى به من فتن، فقد ورد أن رجلاً قال عند أمير المؤمنين (ع): أعوذ بالله من الفتن، فقال له الإمام (ع): «لا تقل ذلك، الفتنة لا بد منها، الله خلق الإنسان ليختبره ويفتنه ويمتحنه»، قال الرجل: إذن ما أقول يا أمير

المؤمنين؟ قال: «قل: أعوذ بالله من مضلات الفتن، فاستعن بالله واستجر

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣١١

بالله» (١) أى اللهم نور بصيرتى لئلا أضل في الفتن، وإلا نفس الفتن لا بد منها، نعم يكون الدعاء لتنوير البصيرة أو أن تكون الفتن بحسب بصائرنا.

### اليهود وفتنة العجل ...: ص: ٣١١

من امتحانات وفتن البصيرة التي ذكرها القرآن الكريم قصة قوم موسى (ع) قال تعالى: وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ \* وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢)، فإن السامري كان من حوارى النبي موسى (ع) وليس من سقطة الناس أو عادى البشر، بل كانت له مكانة وجاه، وكان ذا مهارات وذا فنون وكان صائغاً من الصاغه الماهرين والمتمرسين، ومن شدة دراية السامري أنه عندما سأله النبي موسى (ع) ماذا صنعت حتى فتنت القوم؟

قال قبضت قبضه من أثر الرسول، قال تعالى: قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَهُ مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٣)

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣١٢

أخذت تربة من أثر الرسول فنبتها في جسد العجل الذي صنعه وكذلك سولت لي نفسي.

ولكن السؤال في المقام: ما هي قصة أثر الرسول؟ وما المراد بالرسول؟

المراد بالرسول هو جبرئيل (ع) إذ لما أراد جبرئيل (ع) أن ينجي بني إسرائيل من بطش فرعون وسار بهم في البحر ييساً كان جبرئيل (ع) على فرس من الملكوت كما في الروايات (١)، وطبيعة عالم الملكوت عندما يماسس عالم المادة أنه يفرز لها ينبوع الحياة، ويشير القرآن الكريم لذلك في قوله تعالى: وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ (٢) يعني أن عنفوان الحياة هناك في الآخرة وليس هنا في الدنيا، وهذا شبيه ضعف الطاقة وقصر الطاقة، ونحوه وشبيه الممات، فالناس نيام إذا ماتوا انتبهوا (٣).

فالسامري شاهد أن ذلك الفرس الملكوتي كلما يماسس أرضاً

فإن التربة تنبع منها الزراعة والأشجار أي الحياة في نفس الآن، أي في نفس زمان المماسه، كما تحدثنا روايات ظهور الإمام المهدي (ع) أن

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣١٣

الرقى البشرى والازدهار في عهد دولته (ع) يصل إلى هذا الحد يعني أنه تتفجر الحياة بينوع وعنفوان (١).

وهذا بيان قرآني لتكوينية التوسل والتبرك، وأنه أمر له حقيقة وله واقعيه، حيث يستفاد ذلك من نفس الآية الكريمة فَقَبَضْتُ قَبْضَهُ مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ يعني التراب الذي وطأه فرس جبرئيل له هذا الأثر، فتراب فرس جبرئيل وليس جبرئيل بل تراب فرس جبرئيل، فكيف بتراب سيد الرسل، أو كيف بتراب بضعة الرسول، أو تراب أخى الرسول على بن أبى طالب، أو تراب سبط الرسول، وهذا بحث آخر يأتي الحديث عنه لاحقاً إن شاء الله تعالى.

فأخذ السامري هذا التراب وعرف أن فيه كبريتاً وإكسير الحياة، ومن ثم نبذه في العجل الذي صاغه كجسد مجسم، فأصبح لذلك الجسد

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣١٤

خوار أي (صوت) كأنما بعثت فيه شبه الحياة، فافتتن به بنوا إسرائيل، قال تعالى: فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَتَنَسَى (١).

ثم في كلام النبي موسى (ع) مع الله تعالى قال: ربى الفتنة بدأت من السامري لكن من أحدث الصوت في العجل إن هـي إلا فتنتك تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ (٢)، فإن الله تعالى أراد بذلك الامتحان والافتتان لبني إسرائيل ليضل به من يشاء ويهدى من يشاء.

فأين وقعت هذه الفتنة؟ وقعت في البصيرة والمعرفة، فرويتهم الجسد ينطق وله صوت ليست فتنة في شهوة، وليست في غرائز، وليست في نزوات، بل هذه الفتنة فتنة في المعرفة وفتنة في البصيرة، وهى أعظم فتنة مرت على بني إسرائيل كما يحدثنا بها القرآن الكريم. فما هي الحكمة من ذلك؟

### الحكمة من فتن البصائر ... ص: ٣١٤

مما لا شك ولا ريب فيه أن الله تعالى ميز الإنسان عن بقية المخلوقات بنطقه العقلي أى بعقله الذى هو أعظم شىء فى وجود الإنسان، قال تعالى: الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ

الْبَيَانَ (٣)، فَإِنَّ اسْتِيَانَ الْمَعْلُومَاتِ وَالْإِدْرَاكَ مِنْ أَعْظَمِ الْمِيزَاتِ الَّتِي أَتَحَفُّ اللَّهُ (عزوجل) بِهَا الْإِنْسَانَ عَنْ بَقِيَّةِ الْمَخْلُوقَاتِ وَمَنْ تَمَّ تَكُونُ أَعْظَمُ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣١٥

الامتحانات هى من نصيب العقل الإنسانى وهو امتحان المعرفة و امتحان البصيرة فهذه ميزة مهمة.

فما يسطره لنا القرآن الكريم من تشابه الدلائل وتشابه البيئات من محكم ومتشابه كى يُصْرِح بصيرة الإنسان، فالقرآن الكريم نور البصيرة فى الإنسان فيجب على الإنسان أن يتبع نور البصيرة.

وبعبارة أخرى يجب أن يُفَعِّل الإنسان قوة عقله وقوة دركه وقوة تمييزه ويكون فى يقظة تامه دوماً دؤوباً وبشكل مستمر كى لا تجذبه الفتن يميناً ويساراً ويقع فى الزيف والضلال.

فالعقل أعظم تحفة أنالها الله (عزوجل) الإنسان، فلا يمكن أن تظل معطلة راكدة، بل يجب أن تكون دوماً مُفَعِّلَةً كبرج مراقبة.

ولذلك فالامتحانات كثيرة لهذه القوة، وهى قوة العقل فى الإنسان وبأشكال وألوان وتلويحات وصور قد لا يكون الإنسان عهداها من قبل.

وإنما يتم النجاح فى الامتحان والافتتان مثمراً وناجحاً إذا كان الإنسان دوماً فى حالة إعداد لنفسه، قال تعالى: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَيْطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ (١).

وحتى الشعوب تفتتن وتضل وتعم، وذلك من خلال الهجوم الثقافى أى التضليل الثقافى والغسيل الثقافى، يعنى أن الشعوب تستقوى أو تستضعف من خلال الثقافة والمعرفة.

والمناهج القرآنى والإسلامى ومدرسة أهل البيت مفعمة بمحوريه البيان والبرهان والدلائل والتعقل فهى حكمة مهمة، وهذا ما لم يُعهد دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣١٦

عند بنى إسرائيل ومع ذلك امتحنهم الله به، ألم يخاطبهم الله (عزوجل): أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (١) أن هذا لا يرجع لكم قولاً أى جواباً، وإن سمعتم منه صوتاً ولكن بقيه كمالات الالوهية غير موجودة فيه. كيف إذا استجبت مع أنه نوع من الطلسم الملكوتى ونوع من المسحة الخلاية ونوع من التشويش فى الادراك.

ولذا انتابت بنى إسرائيل الفتنة، مع أن الله (عزوجل) أعطى كل بنى البشر قدرة تمييز، فلماذا لم يميزوا؟ فهو امتحان فى أصعب وأحلك بحوث الادراك.

### النصارى وفتنة قتل عيسى (ع...): ص: ٣١٦

مثال آخر يذكره لنا القرآن الكريم امتحن الله به النصارى وبنى إسرائيل وهى قضية قتل النبى عيسى (ع)، قال تعالى: وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (٢).

فى كلمات المفسرين كالفخر الرازى صاحب التفسير الكبير والآلوسى وغيرهما، وحتى مفسرى مدرسة أهل البيت عندما يصلون إلى هذه الآية التى فيها ملاحم معرفية خطيرة جداً فإنهم يتسائلون ماذا يريد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣١٧

أن يسطر لنا القرآن؟، هل يريد أن يقول: إن الحس ليس بحجة؟! حيث أن النصارى أو بنى إسرائيل بتوسط إدراك الحس والبصر رأوا شبيه النبى عيسى (ع) باعتبار أن الله (عزوجل) جعل شبه النبى عيسى على أحد أنصاره كما فى رواية أهل البيت (١)، أو على عدوه يهوذا كما فى روايات المدارس الإسلامية الأخرى (٢)، أياً ما كان فإن البارى تعالى شبه النبى عيسى (ع) على شخص آخر،

فَقُتِلَ ذَلِكَ الشَّخْصَ الْآخَرَ أَمَامَ مَرَأَى وَعَيْنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

واليهود هم الذين قاموا بتدبير هذه المؤامرة. قال تعالى: فَقَدُوا سَيِّئًا لَوْ أَنَّ مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ \* ... وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ (٣١٨).

القرآن يقول بأن الاعتقاد بقتل النبي عيسى وعدم الاعتقاد بحياة النبي عيسى هذا كفرٌ وضلالٌ.

هذا الامتحان فى العقيدة الذى امتحن الله (عزوجل) به النصارى واليهود مع أنهم استندوا إلى الحس والحس من البديهيات، كما أن الأجيال المتأخرة لليهود والنصارى أيضاً يعتقدون بقتل النبي عيسى (ع) وصلبه بحسب ما نقل إليهم بالتواتر، فكيف القرآن يفند التواتر مع أن مستند التواتر هو الحس؟

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣١٨

والمفسرون تلبطوا هنا تلبطاً وحات أفعالهم وأبحاثهم فى هذه الآيه، ماذا يريد أن يسجل ويسطر لنا القرآن الكريم فيها؟ يعنى أن المفسرين الإسلاميين فى حالة حيص وبيص فى تبيان مفاد هذه الآيه، إذ كيف القرآن الكريم يذم ويندد استناد بنى إسرائيل والنصارى إلى الحس؟ فلم يعطوا جواباً شافياً عن هذه الأبحاث، وكأنما الآيه لا زالت من ضمن الطلسمات فى نظام المعرفة أو نظام البصيرة أو نظام المنهج المنطقى الذى يريد أن يسطره وينظمه القرآن الكريم بحيث يدين انحرافاً رئيسياً أساسياً عند النصارى واليهود وكأنه مبتنى على نوع من الغموض، وحاشا لله أن يغمض الحجة البالغة.

ولكن المقصود أن هذا الامتحان يحتاج إلى نوع من البصيرة ويحتاج إلى نوع من نفاذ المعرفة ونافاذ الإدراك، وهذا الجواب موجود فى ذيل هذه الآيه بحسب روايات أهل البيت (عليهم السلام) ولو راجع المفسرون من الفريقين النكات المعرفية فى روايات أهل البيت فى التفسير لرأوا أن الأجوبة موجودة.

فرواية أهل البيت تشير إلى أن الموازنة فى الامتحان المعرفى الذى هو من أعظم الامتحانات التى امتحن بها اليهود والنصارى فى هذه الواقعة هى أن النبي عيسى (ع) قد أتى بالمعجزات والبيانات وأخبر اليهود والنصارى أنه باقٍ حتى إلى دولة الإمام الثانى عشر (ع) وسوف يكون وزيراً من وزرائه ويصلى خلفه. فهو أنبأهم بتوسط إعجاز الوحي والمعجزات التى ظهرت على يديه، وهم تركوا تلك المعاجز واستمسكوا بالحس، والحس لا ينهض ولا يناهض المعجزة.

فالقرآن يفند الحس إذا كان ينكر ما ثبت بالمعجزة، فتلك الأمم

باتباعها الحس كبنى إسرائيل وعبادة العجل أو النصارى وشبهه قتل وصلب عيسى (ع) وغيرها استندت إلى يقين محدود دانى فيه سفلى وتركهم لما فيه علو، وهذا افتتان وامتحن ويا له من امتحان وافتتان

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣١٩

صعب غامض دقيق. مع أن لله الحجة البالغة دائماً وحججه بينة أبين من الشمس ولكن الإنسان عندما تعتوره الكدورات نتيجة الأعمال والأفكار المنحرفة يقع فى اللبس والغموض.

ولا يقال: إن هذا الامتحان باعتباره أعمق من الحس يكون خروجاً عن طاقة البشر، وذلك: لأن الله (عزوجل) زود الإنسان بقوة العقل وهى قوة جبارة يقدر بمقتضاها تمييز الأتلاء الإلهية من مثل هذه الامتحانات الكبيرة.

### الفتنة محك البصيرة ... ص: ٣١٩

يقول منبع البراهين والبيانات والدلائل على بن أبى طالب (ع) عن ما جرى فى حرب الجمل وصفين والنهروان فى إحدى خطبه (ع): «أما بعد أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة ولم تكن ليحراً عليها أحد غيرى بعد أن ماج غيبها واشتد كلبها فأسألونى قبل أن تفقدونى» (١)، لنفهم ماذا يريد أن يقول (ع).

ولو تأملنا جيداً لعلمنا أنه يقول: إن حرب الجمل أو حرب صفين أو حرب النهروان فتحت فتوحات في بصائر ووعي الأمة الإسلامية وأسست فتوحاً بينة في وعي الأمة الإسلامية وما كان لغير أمير المؤمنين ليجترئ على فتح تلك الأبواب العظيمة في البصيرة ووعي الأمة.

ففي حرب الجمل مثلما كان الطرف الآخر ربما يتوهم أنه يتمتع ببعض الأوصاف القرآنية التي يُحسب أنها تعطيه صلاحيات كبيرة والتي من خلالها يريد أن يوسع أو يؤسس صلاحيات له في مشروع الدين

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٢٠

الإسلامي على طول التاريخ، فمن الذي أيقظ في الأمة ذلك الوعي وقال: إن تلك الأوسمة القرآنية ليس لها مؤدى إعطاء الصلاحية لذلك الطرف أبداً؟ وكذلك مواجهته من يرفع شعاراً حقاً لكنه يؤسس لبناء باطل كالخوارج، أو مقاتله من يتمترس بالانتماء إلى الإسلام لكنه يبغى على ولى الحق كما في صفين. ومن كان يستطيع أن يوجد بينى في وعي الأمة مثل هذه البصائر لولا على (ع)، ولولا ما قام به في حرب الجمل، أو حرب صفين أو حرب النهروان، من كشف الاغتشاش والالتباس، والايهام، واللبس، والشابه الواقع في وعي البشر نتيجة التباس ما ليس بحجة مع ما هو حجة، أى إلتباس ما ربما له درجة من درجات الحجية مع ما له درجة حجية كبيرة.

وكذا الخوارج الجدد التكفيريون تركوا محكمات القرآن ومحكمات السنة وضروريات الإسلام وتشبثوا بدلائل ظنية واهية وجعلوها محوراً للدين فأقصوا ما هو محور وتشبثوا بما هو متشابه وبما لا تقوم له قائمة إذ الفرع والرافد لا يمكن أن يكون نهراً كبيراً ولا يمكن أن يكون منبعاً للنهر الكبير وإنما يبقى رافداً وفرعاً.

### التوسل بالنبي وآله من الاختبارات في البصيرة ... ص: ٣٢٠

القرآن الكريم يأمرنا بأن نتوسل بالنبي وأهل بيته (عليهم السلام) قال تعالى: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً (١) لنرى ماذا تقول الآية هل تقول استغفروا أم تشترط شرطاً، نعم هناك شرط جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول فجاهوك باللغته

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٢١

الدارجة تعنى: (دخيلك يا رسول الله) أى القرآن يقول التجيء، لذل، استعذ بالنبي (ص) وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (١) فالرسول وأهل بيته (عليهم السلام) معاذ، ولواذ، وأمان بصريح الآية، وهذه فريضة عظيمة من فرائض الدين، ومع ذلك فإن الخوارج الجدد يحرمونهم ويجحدونه ويكفرون به ويكفرون من عمل به، يقول الله تعالى في وصف المنافقين: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ (٢) فنرى الدعوة تعالوا إلى أين؟ ليلوذوا وليلتجئوا، بمن؟ يقول الله تعالى: يستغفر لكم الرسول.

ولكنهم لووا رؤوسهم ويعرضون ويصدون وهم مستكبرون. فهذه آيات بينة على فريضة ومشروعية التوسل، بل الآيات تدلل على ركنية التوسل، ولكن الجاحدين يتشبثون بالمتشابه ضالين مضلين، وقد وصف الخوارج بأنهم كلاب أهل النار لأنهم بلا هداية ولا نور وعدم رؤية منظومة الحجج وعدم ارتسامها عندهم بالشكل الصحيح، فالتوجه والالتجاء للرسول (ص) ولأهل البيت (عليهم السلام) من الامتحانات والاختبارات المهمة في البصيرة يمتحن الله بها الأمة على مدى الأزمان والدهور.

وفاروق هذه الأمة قسيم الجنة والنار (ع) فرق بين الحق والباطل فبين الحق للأمة، فإن واقعه صفين والنهروان رسمت في وعي الأمة أن المسلمين أرادوا أن يفككوا في التمسك بالقرآن الصامت ويتركوا القرآن الناطق، ولكن

فاروق الأمة فتح فتحاً مبيناً وبنى وأسس والله الحمد في وعي الأمة أن القرآن الكريم ذو مراتب وحجج مترتبة، والتفكيك في التمسك



بالقرآن الصامت وترك القرآن الناطق ليس إلّا ضلالاً.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٢٢

فصرف كون الشيء دليلاً لا يكون مبرراً لاتباعه منعزلاً عن بقية الأدلة إلّا أن يكون ضمن كتلة ومجموعة دلالات ومراتب تحفظ حقيقة الدليل، فاتباع البعض دون البعض ضلال وانحراف وغواية، واتباع المجموع ضمن المراتب هداية.

يقول صاحب الجواهر: لو أراد فقيه أن يتبع ظواهر العمومات بلا- أن يرتب الأدلة كمجموعة واحدة لكانت تلك العمومات تضره وتضله، وهل يفكك أحد من المسلمين فى اتباع بعض الكتاب وترك الآخر بعد أن ندد القرآن بالتجزئة والتفكيك، قال تعالى: الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (١) أى لم يجعلوا القرآن كمجموعة وكتلة واحدة.

فلم ينسقوا ولم يناسقوا ولم ينسبوا، ولم يناسبوا، مجموعات الأدلة بعضها مع البعض الآخر لتكون ككيان هرمى منظومى يشرف فيها الحجة والدليل الأقوى على الحجة والدليل الأضعف، قال تعالى: أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ (٢)، فالإيمان بالبعض دون البعض الآخر ضلال عن الحقيقة.

فلو أراد فقيه أن يحكم البعض دون البعض من قواعد الدين وسار على النظرة التجزئية كما ابتليت بذلك هذه الأمة والأمم السابقة لتهدمت أركان الدين، واختل التوازن والتعادل واضطربت القواعد.

### تعدد الرؤى والأنظار ينمى البصيرة ...: ص: ٣٢٢

ومن ذلك الظاهرة الواقعة فى المسار العلمى لدى أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بل حتى المذاهب الإسلامية الأخرى وهو ما يعرف

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٢٣

بالنزعة الإخبارية والنزعة الأصولية ونحن لسنا هنا بصدد تصويب طرف دون طرف إلّا أن هاتين الظاهرتين خلقت حالة توازن فى النظرة العلمية، فأصحاب المسلك الإخبارى كانت لديهم تحفظات وكذا المسلك الأصولى فخلق هذا نوعاً من النضج فى الرؤية المتكاملة وإن استهلكت جهوداً وطاقات بل ربما فتن اجتماعية، وكذا أصحاب النظرة الفلسفية والكلامية والعرفانية والصفوية فى قبال نظرة الفقهاء والمفسرين وما نجم عن ذلك من مطارحات ومصارعات فكرية شديدة، فقرون مرت كانت هذه التجاذبات مؤثرة فى الفكر والرؤية ولكنها خلقت نظرة متوازنة محيطية ومجموعية وسطية، وولدت رؤية متكاملة لمجموع دلالات الدين كما ورد عن أبى جعفر (ع) قال: قال رسول الله (ص): «إن الدين متين فأغلو (فأوغلو) فيه برفق ولا تكرر هوا عبادة الله إلى عبادة الله، فتكونوا كالراكب المنبت الذى لا سفيراً انقطع ولا ظهراً أبقي» (١) فالدين بحر غير متناهى والايغال فيه بسرعة وبحدة ودون نظرة متوازنة متكاملة فيه خطورة وإضلال للبصيرة، كما أن الايغال فيه برفق مع وجود تلك الفتن والامتحانات يقوى وينضج البصائر.

فالمعادلة المهمة جداً هى الاستفادة من الفتن والامتحانات والاختبارات الإلهية لزيادة الوعى والبصيرة وإعمال القواعد العقلية وتحكيمها ووضع الأمور فى مواضعها، لئلا نقع فى الضلال والزيف.

### تنوع الآيات امتحان للبصائر ...: ص: ٣٢٣

لننظر تعبير القرآن الكريم فى سورة آل عمران: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٢٤

عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ (١) فإنه يصنف الآيات القرآنية إلى آيات لها امومه ومحورية ومركزية وأخرى متشابهات ليس لها امومه، فالذين فى قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه، فذمهم القرآن لاتباعهم هذا، وهذا من بديع

حكمه القرآن أن يذم أتباع الآيات التي أنزلها الله وحياً على نبيه لتكون قرآناً خالداً إلى يوم القيامة، ولكن ذلك لا لمطلق الأتباع بل لأتباع الآيات المتشابهة حيث جعلت لها الريادة والقيادة والامومة والمركزية، فإن جعل ذلك لها فيه إضلالاً، فإذا كان القرآن يذم أتباع تلك الآيات فماذا نتبع؟

نتبع آيات مُحَكَّماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ أم الكتاب أي امومة ومحورية الآيات المحكمات، وإلاً فاتباع الصنف الداني دون أتباع الصنف العالى الذى له المحورية يضل الطريق والمنهاج، فالقرآن يقول بأن أتباع الآيات المتشابهة دون المحكمات يكون إضلالاً.

وهذا منهج قرآنى يبين لنا معادله خطيرة وعظيمة، وهى أن منظومة الحجج منظمة فى درجات وسلم هرمى يجب ألا يفقد الأعلى بأتباع الأسفل، فيجب التمسك بالدانى فى ظل وهيمته العالى، فإن أتباع الدانى فى غير هيمته ما هو أعلى يكون إضلالاً، لأن طبيعة القرآن عبارة عن حقيقة ومنظومة متماسكة وليست متشتتة ومبددة، وإن أتباع المتشابهة

دون الاستمساك بالمحكم تبديد لمنظومة وحقيقة القرآن الكريم، كما يقول عز من قائل فى محكم كتابه الكريم أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ (٢٠٠)» فالحفاظ على تلك المنظومة متماسكة هو إبقاء هيمته

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٢٥

ومحورية ما هو أقوى حجيه على ما هو أضعف، فإن رايات الضلال والإضلال والزائفات والفرق المنحرفة تنشأ بسبب فقد البصيرة فى هذه المعادلة المهمة، وهى أن الحجج ذات مراتب يجب حفظ محورية المحكمات والامهات ومراتب الدلائل.

ومن هذا الذم ذم النصارى واليهود فى أتباعهم الحس مع أنه من مصادر اليقين البديهي، لأنهم أتبعوا الدانى وتركوا ما هو أعلى وهو الاعجاز الذى بينه القرآن الكريم على يد النبى عيسى (ع) حيث أخبرهم أنه سيقى حياً ويكون وزيراً وتابعا للإمام الثانى عشر الخليفة والوصى لخاتم الأنبياء، فتركوا ما هو أكثر برهانيةً وقيناً ودلالةً وأتبعوا ما هو أضعف يقيناً، ومما يشهد لتراتبية الحجج ما نلمسه ونشاهده من إعداد وتعبئة للقاعدة الجماهيرية المهدوية من خلال تجنيد الكوادر الأيمانية الملتهبة والمتلهفة فى مسار أهل البيت لا ما روى فقط من أن الإمام المهدي (ع) هو الذى ينصر الإمام الحسين (ع)، فإن سيد الشهداء (ع) كما روى أيضاً هو السفينة الأوسع والأسرع فى لجج البحار وهداية القاعدة الجماهيرية لتحقيق دولة العدل الإلهية دولة ابنه الإمام المهدي (ع)، هذا التجنيد الحسينى للبشر فى كل مكان وحتى من غير المسلمين تهوى قلوبهم انعطافاً وانجذاباً لقضية سيد الشهداء، ولهذا فإن التلاؤم الشفاف والجمال لسيد الشهداء (ع) هو الذى يعد العدة لابنه وهو الذى ينصره.

### أصحاب الكساء ركن المهدوية ... ص: ٣٢٥

فإنه لا تقوم للإمام المهدي قائمة دولة ولا عمود دولة بلا سيد الشهداء ولا يمكن استبعاد مشروع سيد الشهداء، فالذى يعد وبنى ويحفظ قاعدة وأساس دولة الإمام المهدي (ع)، هو قضية سيد الشهداء (ع)، فمعنى أفضلية الإمام الحسين على الإمام المهدي، بل وأفضلية

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٢٦

الخمسة أصحاب الكساء على الإمام المهدي هو أن مشروع الإمام المهدي (ع) العظيم والعالمى لا يمكن فيه استبعاد سيد الشهداء ولا يمكن استبعاد الخمسة أصحاب الكساء.

فلا يمكن لأدبيات الدولة المهدوية العالمية أن يستبعد فيها منهاج وهدى ونور على بن أبى طالب ونور الزهراء ونور الحسن المجتبى ونور الحسين (عليهم السلام).

فهذه هى البصيرة فى مراتب الحجج، فالدين كتلة واحدة متماسكة إن حكّم ما هو أعلى إلى ما هو أدون رست وانضبطت وتمنهدت منظومة الدين ككتلة واحدة وكجسم واحد.

فالفتن والامتحانات على اختلاف أشكالها وأنواعها وشدتها توقض فى الأئمة الوعى والبصيرة، وبالنتيجة يتبين من خلالها البصيرة المستقيمة والوعى العالى كما تتبين الانحرافات والزيف وإلّا فمن دون توسط الفتن والامتحانات لا مائر بين أنحاء البصائر ومراتب الوعى فالفتن محك البصيرة.

### طريق تخطى فتن البصائر ...: ص: ٣٢٦

من الأمور المهمّة جدّاً والمصيرية والحساسة أن نعرف طريق التخطى والتخلص من زلة الافتتان والنجاح فى امتحان البصائر أو انزلاق الافتتان فى المعرفة. وهو بنحو إجمالى الركون إلى الدليل وإلى ما هو حجة، وأما بنحو تفصيلى فالأمر يحتاج إلى الكثير من التأمل والتدبر والمحاسبة إذ كيف يميّز الإنسان بين ما هو دليل وحجة وبين ما ليس هو دليلاً وحجةً دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٢٧ وهذا الأمر يتطلب تثبتاً وتحريماً ودراسةً ومعرفةً وسعيًا فكرياً حثيثاً لأن الالتباس والزيف والتشابه إنما ينجم ويحصل من تشابه ما ليس بدليل فى مرحلة ما مع ما هو دليل فى نفس تلك المرحلة، وتشابه ما ليس بحجة فى مرتبة ما مع ما هو حجة فى نفس المرتبة، وكما مرت بعض الأمثلة من تشابه الأدلة فى مراحلها المختلفة كاعتماد الحس فى قبال الإعجاز وغيرها مما استعرضها لنا القرآن الكريم، وليس هذا التشابه بالتشابه السهل اليسير.

### حقيقة التباس الحجج ...: ص: ٣٢٨

ربما لا يتصور البعض كيف يتشابه ويلتبس الدليل مع ما ليس بدليل أصلاً؟ وفى الحقيقة ليس الأمر كذلك، فكثيراً ما يتشابه ما يكون دليلاً فى بعض الأحوال وفى بعض المراتب وفى بعض المراحل مع ما هو دليل بدرجة أرفع ودرجة أعلى وأقوى بلحاظ نفس تلك الأحوال والمراتب والمراحل. أما تشابه الدليل مع ما ليس بدليل أصلاً أى ما ليس فيه شأنيّة واقتضاء الدليلية فهذا ليس بالأمر الصعب وليس بالأمر الشائك ولا بعسير التمييز وإنما الصعوبة تكمن وتنجم من التباس ما هو دليل فى بعض حالاته وليس بدليل فى بقية الحالات مع ما هو دليل بدرجة أرفع وأعلى، فينجم الاشتباه والالتباس والتعمية بين ما هو دليل من درجة دانية مع ما هو دليل من درجة عالية، ويحصل الالتباس بين ما هو دليل بدرجة متوسطة وضعيفة، مع ما هو دليل من درجة قوية وشديدة وعالية، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٢٨ فيستبدل الضعيف بالشديد، ويستبدل الدانى بالعالى وهذا هو الذى يقع فيه الالتباس.

فليس المنقذ من ظلامية الفتن والاثارات فى البصيرة والمعرفة هو فهم ومعرفة أصل حجية الحجة بل هو معرفة منظومة الحجج وترتيبها ومرتبته كل حجة فى تلك المنظومة.

وربما يقال: كيف يكون الدليل الضعيف ليس بدليل بقولٍ مطلق، والدليل الذى هو بدرجة متوسطة كيف لا يكون دليلاً بقولٍ مطلق؟ ما هو دليل بدرجة دانية أو دليل بدرجة وحجة متوسطة لو جعل فوق مرتبته لكان فيه غواية وإضلال وعماية. إذ بعض الظلم والمسارات المظلمة لا يكفى فيها نور خفيف، بل لا بدّ من نور مجهز مسلح ونور شديد، فإنّ بعض الظلم والمناهات الحالكة شديدة الستار وشديدة الظلمة لا يمكن أن يقتحمها إلّا نور شعشعانى شديد، وهو الحجة القوية والبرهان القوى بحيث أن الاهتداء بالنور الضعيف يتسبب بالغواية والضلال والزيف عن الصراط المستقيم فلأنه نور ضعيف فهو يُشبه ويشبه ويلبس الطريق، فإنّ النور الضعيف يرى ما ليس بجادة جادة ويرى ما ليس بطريقاً فيلبس المسار

ويعمى السائر!

**اتّباع بقية الأنبياء فى زمن سيد الرسل ضلال ...: ص: ٣٢٨**

فى رواية رواها الفريقان أن النبى (ص) قال: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، وإنكم إما أن تصدقوا بباطل وإما أن تكذبوا بحق، وإنه والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٢٩

حل له إلّا أن يتبعنى» (١)، وفى بعض الأحاديث: «لو كان موسى وعيسى حين لما وسعهما إلّا أتباعى» (٢) وفى حديث آخر أنه (ص) قال: «والذى نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى (ع) ثم أتبعتموه وتركتمنى لضللتهم» (٣) فإن موسى فى هذه الفقرة الحساسة «لما حلّ له إلّا أن يتبعنى»، «لضللتهم» فإنه نبى من أولى عزم كيف لا يتبع ما يوحى إليه، بل أتباعه ضلال إذا لم يكن ضمن ما يوحى لسيد الرسل (ص)!

فهو معصوم ومرسل ونبى وليس فى الأنبياء زلل ولا خطل فلا ريب أن الأنبياء متبعون ولكنهم هل يتبع بعضهم بعضاً؟

**جميع الأنبياء على دين الخاتم ...: ص: ٣٢٩**

بعبارة أخرى يذكر المختصون أن الأنبياء بعد إبراهيم (ع) كانوا على ملّة إبراهيم (ع)، والكثير يبحث أن سيد الأنبياء (ص) من أول حياته إلى الأربعين من عمره على أى ملّة كان؟

يذهب البعض أنه (ص) كان على ملّة إبراهيم (ع) وهذا التعبير مجحف

فى حق سيد الأنبياء فكل الأنبياء كانوا على دين محمّد (ص) وليس هو (ص) على دينهم بل هم على دينه، قال تعالى: وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ\* أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤)، فالرسل أول ما يبلغون اممهم بعد توحيد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٣٠

الله نبوة سيد الأنبياء ووصاية سيد الأوصياء، هذا البحث دلّت عليه آيات فضلاً عن الروايات، وقد أشار إليها أهل البيت (عليهم السلام) أن جميع الأنبياء بلّغوا نبوة سيد الأنبياء وبوصاية سيد الأوصياء، فكانت الأنبياء جميعاً على دينه (ص)، وأول أصل من أصول الدين الذى بلغت به الأنبياء هو التوحيد، وثانى أصل ليس الاقرار بنبوته بل الاقرار بنبوة سيد الأنبياء وبوصاية سيد الأوصياء ثم بنبوتهم، فلا يستبدون بما يوحى إليهم عن أتباع سيد الأنبياء، لذا جاء هذا التعبير فى الحديث الشريف: «لو كان موسى وعيسى حين لما وسعهما إلّا أتباعى» (١) إذ كان ما يوحى إليهما فى الواقع يقودهما إلى أتباع سيد الأنبياء.

هذا يرسم لنا أن حجية سيد الانبياء تعلق وتعظم حجية موسى وعيسى (ع) بل حجية جميع الرسل، وفى إحدى الزيارات لسيد الشهداء (ع) (٢) والأدعية وأيضاً بعض الزيارات لأمير المؤمنين أن الحكمة أقرت نبوة سيد الأنبياء قبل أن تثبت وتدل المعاجز على نبوته، والتعبير بالدعاء يعنى برهانية وبيانية ودلائل نبوة سيد الأنبياء، وهى بدرجته مفعمة ومركزة من قبل البارى تعالى بحيث لا يستطيع أى حكي

أو عاقل أن ينكرها، فإنه يشاهد المعجزات من سيد الأنبياء ودلائل نبوته ذات مساحة عظيمة جداً قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (٣).

والمستفاد من الأدلّة كما سيأتى بيانه أن للحجج مراتب بحيث لو استعملت حجية التى هى فى دائرتها المحدودة حجة خارج تلك

المحدودية والدائرة ووضعت فى غير مكانها لكانت ضلالاً، ولكانت

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٣١

تشريعاً محرماً، ولكانت بدعة فى الدين، نعم لو أزيلت وأقصيت عن مقرها ومنطقتها وعن درجتها لكانت خطأ أيضاً، فإنه لا إفراط ولا تفريط فى الحجج بل كل من الحجج بحسب مرتبتها.

هذا هو عصب البحث وبيت القصيد، فالحجج كمجموعة لها منظومة تسلسلية ذات حلقات ودرجات إن لم يحافظ ويتحفظ عليها تكون الفوضوية فى تلك المنظومة، ويختل نظامها فإن أحد الاشتباهات الكبيرة والعميقة التى وقع فيها الخوارج خوارج ذلك الزمان معروفون وخوارج العصر هم التكفيريون هو تمسكهم ببعض الحجج ذات المراتب الدانية، وتركهم الحجج العالية، وهذا يسبب ضلالاً ويا له من ضلال، فهم رفعا شعاراً (لا حكم إلا لله) وهو شعار صحيح ولكن كيف يبلج ويترجم ليكون تطبيقه فى محله، فإن حاكمية الله فى التشريع هى الاقرار بالنبوة وحاكمية الله فى السياسة والقيادة هى الاقرار بالإمامة، لأن الإمامة عبارة عن توحيد الله فى الحاكمية فإننا نقول بأن الإمام شخص منصوص من قبل الله تعالى يتلقى أولاً بأول برامج الحكم والإمامة عن الله (عز وجل)، وحيث أنهم تمسكوا بظاهر الكتاب وتركوا كثيراً من المحكمات ضل بالخوارج الطريق.

فلكى نكون فى خلاص ومأمن من الفتن فى البصيرة ولا نقع فى

التباسات وتخالطات الحجج لا بد أن تكون منظومة الحجج لدينا واضحة ومفهومة ومرتبّة بالترتيب الصحيح، كما لا بد من الالتفات إلى مدى حجية كل حجة، أى مساحه حجيتها، لكى تحكم فى تلك المساحة وتحكم غيرها فى مساحه أخرى، وهكذا، فحينئذ نكون فى مأمن من الفتن ولا نقع فى الزيغ والعياذ بالله.

\*\*\*

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٣٥

### الفصل الرابع: حقيقة ومراتب الحجج ... ص: ٣٣٥

#### حقيقة معرفة الحجج ... ص: ٣٣٥

الحكمة هى وضع الشىء فى محله وموضعه، وهذا فرع معرفة محل وموضع ذلك الشىء وإلا لما أمكن وضعه فيه، وبعد معرفة موضع ومحل الشىء فإن الحق هو عدم مخالفة ذلك وعدم التقصير والغلو فيه، فإن الغلو آفة كما أن التقصير آفة أيضاً، فكل من الافراط والتفريط زيغ.

إذاً لا بد من معرفة أصل حجية الحجة ولا بد من معرفة مرتبة حجية الحجة فى منظومة الدين وهذه من المعادلات المصيرية المهمة فى دفع غائلة الافتتان فى البصيرة والمعرفة وهو معرفة مراتب الحجية، وأن معرفة مراتب الحجية هو فى الحقيقة مساوٍ ومساوق لأصل معرفة حجية الحجج، فإن معرفة أن الشىء حجة من الحجج غير كافٍ للاعتماد والاستناد عليه كدليل وحجة، بل لا بد فى حقيقة معرفة حجية الحجة معرفة مرتبة حجيتها من بين منظومة الحجج، يعنى هل أنها فى مرتبة حجية أولى أم ثانية أم ثالثة ... وحقيقة ذلك أى حقيقة معرفة مرتبة الحجة أن يُعلم أن كل دليل ودلالة وحجة هى حجة فى مرتبتها ولا ترقى لتكون دلالة وحجة فى المراتب الصاعدة، فهى ليست بحجة فى غير مرتبتها.

فمثلاً حجة وبينه من المرتبة الرابعة لا يمكن أن يصاعد بها إلى المرتبة الثالثة، أو لو كانت من المرتبة الثالثة لا يمكن أن يصاعد بها إلى المرتبة الثانية وهلم جراً، وما ذلك إلا لأن مراتب الحجية فى الحقيقة هى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٣٦

من قوام ذوات الحجج نفسها.

وبعبارة أخرى إن مراتب الحجية تساق وتساوى أصل اعتبار حجية الحجة ضمن منظومة الحجج.

مثلاً خبر الآحاد حجة من الحجج، ولكن مرتبة حجته لا تنهض فى الحجية لمقاومة الخبر المستفيض لأن الخبر المستفيض أقوى حجياً، أى أن الخبر المستفيض ذو مرتبة أعلى من خبر الآحاد فى الحجية وإن كان خبر الواحد صحيحاً، وكذلك الخبر المستفيض لا ينهض ولا يمكن أن يتصاعد فى حجته لمقاومة ومناهضة ومجاذبة الخبر المتواتر لأن الخبر المستفيض ذو مرتبة أدون من مرتبة الخبر المتواتر، فى الحجية وهلم جراً، وهذا معنى تراتبية الحجج.

### معنى المتشابه ...: ص: ٣٣٦

ومن هذا القبيل وصف القرآن التمسك بالمتشابه بأنه زيغ أو سبب للزيغ لأن التمسك بالمتشابه فى مرتبة حجية المحكم هو تصاعد بالمتشابه إلى مرتبة أعلى وهى مرتبة المحكم.

ربما يُظن أن المتشابه هو الذى ليس لديه دلالة أو حجية فى نفسه، مع أن الحال ليس كذلك فإن التمسك بالمتشابه هو تمسك بالحجة الأضعف فى مرتبة دليل وحجية أقوى.

وبعبارة أخرى إن نبذ الدليل فى مرتبته والعمل بدليل وحجة من مرتبة أدون هو تمسك بالمتشابه، إذن المحكم والمتشابه أمرٌ نسبي وليس أمراً ذاتياً، فالمحكم هو كل دليل وحجة أقوى ومهيمنة ومشرفة على حجة أضعف وأن التمسك بالمحكم هو العمل بالحجة والدليل فى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٣٧

مرتبته والتمسك بالمتشابه هو عمل بالحجة والدليل فى غير مرتبته أى فى مرتبة أعلى من مرتبته.

فدم القرآن النصارى لتمسكهم بالحس مع أنهم رأوا قتل وصلب النبي عيسى (ع) لأن الحس لا يناهض ولا يساعد به لمقاومة الاعجاز، فالتمسك بالحس فى قبال الاعجاز هو تمسك بالمتشابه فى قبال المحكم.

ومن أتباع المتشابه ما وقع فيه بنوا إسرائيل من أتباعهم للحس وهو العجل الذى له خوار وتركهم للبديهة العقلية اليقينية وهى أن الإله لا يكون جسماً ولا- يكون مغلوباً على أمره وأنه مؤثر مطلقاً، وإن كان الحس يقينياً إلا أن المحسوس مؤثراته ضعيفة فى قبال مؤثرات المعلوم من الأوليات والفطريات العقلية.

### الحس يقين وظن ...: ص: ٣٣٧

بل إن القرآن الكريم يعبر عن الحس فى مثل ذلك بالظن وهذا من الطوائف العلمية للقرآن الكريم إذ كيف يصف القرآن الحس بأنه ظن مع أن الحس من البديهيات واليقينيات؟

وما وصف القرآن للحس بأنه ظن إلا لأنه صوعد به إلى درجة أعلى من مستواه فيعبر القرآن الكريم عنه حينئذ بأنه تمسك بالظن. ثم يقول القرآن الكريم إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَكِنَّهُم رَأَوْهُ بَاطِنًا أَعْيُنُهُمْ مَغْشَاهُمْ وَاللَّهُ يَبْصُرُ مَا هُمْ بِعَاظِمِينَ فَالظَّنُّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١) فالقرآن الكريم سماه أتباعاً للظن مع أنهم رأوه بأم أعينهم مقتولاً مصلوباً.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٣٨

نعم الحس يقين ضمن دائرته المحدودة، وأما لو حاولنا توسيع هذه الدائرة لتمسك بالحس فى تلك الدائرة الوسيعة فحينئذ يكون التمسك تمسكاً بالظن وليس تمسكاً باليقين.



وبمثال حسى مقرب لو كان عندنا مصباح ذو درجة (١٠٠ واط) فإذا أريد له أن يضىء فإن إضاءته فى دائرته المحدودة إضاءة جيدة، ويمكن أن تستعلم الأشياء فى ضمن تلك الدائرة بذلك الضوء، أما إذا أريد له أن يضىء مساحة أكبر ودائرة أوسع فإن نوره يكون متشابكاً مع الظلام فيضعف نوره والنور عندما يضعف يصير كالظلمة، فالاستصباح بمصباح ليس ذا قوة شديدة لا يرى إلا مساحة قريبة، أما البعد الشاسع فلا يرى بالنور الضعيف، ونفس ذلك النور يلبس ويشبه الأشياء فى البعد الشاسع والدائرة الأوسع، بل فى دائرته المحدودة أيضاً لو أريد الإبصار به للأشياء النواعم الظريفه لكان خارج عن قدرته وصلاحيته.

إذاً المتشابه فى المفهوم القرآنى للحجج ليس بمعنى أن الشىء بما هو هو ليس بحجة، وليس الظن المريب بالمفهوم القرآنى وأن الشىء بما هو هو ليس بيقين، إنما الشىء فى نفسه ليس بحجة أو ليس بيقين إذا كان التمسك به فى مقابل حجة أقوى منه فيكون ظناً ويكون متشابهاً أى يجعل الحقائق متشابهة، كما أن النور الضعيف يشبه الأشياء عندما يستضاء به فى طريق يحتاج لنور قوى لنفس النكتة وهى الحفاظ على تراتبية الحجج.

### لا تقاطع ولا إقصاء فى الحجج ...: ص: ٣٣٨

منظومة الحجج هى مجموعة من الحجج مرتبة ومنظمة بشكل خاص ووفق موازين خاصة وبهندسة إلهية محكمة، ولهذه المنظومة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٣٩

عدة خصائص وميزات من أهمها أن لكل حجة مساحة خاصة تكون هى المحكمة فيها دون غيرها من الحجج الأخرى، وبالتالي فاعطاء الحجية لحجة ما لا يعنى سلب الحجية عن أخرى، ولا يعنى أنهما قد يتقاطعان أو يتضاربان، بل بمقتضى هذا النظم الخاص فى الحجج ليس هناك إقصاء لأى حجة وإن كانت هناك حجة أعلى منها، وما ذلك إلا لتعدد المساحات.

فمثلاً حجية النواب الخاصين لا تقصى حجية الفقهاء أو النواب العامين، فضلاً عن كونها لا ترقى ولا تعلق حجية المعصوم، فالسفراء الأربعة للإمام المهدي (ع) وهم العمرى وابنه والحسين بن روح ومحمد بن على السمرى (رض) كانت لهم حجية بلا إشكال وهذه الحجية تأتى بعد حجية الإمام فهم الباب للإمام وهذا واضح.

ومما يشهد لعدم التقاطع والإقصاء ما ذكره الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبة حيث قال: (أنفذ الشيخ الحسين بن روح (رض) كتاب التأديب إلى قم وكتب إلى جماعة الفقهاء بها وقال لهم: أنظروا فى هذا الكتاب، وانظروا فيه شىء يخالفكم؟

فكتبوا إليه إنه كله صحيح، وما فيه شىء يخالف إلا قوله: فى الصاع فى الفطرة نصف صاع من طعام، والطعام عندنا مثل الشعير من كل واحد صاع) (١١).

فإن النائب الثالث الحسين بن روح النوبختى (رض) كتب مجموع الروايات التى رواها عن رواة أصحاب الأئمة فى الفقه فى كتاب ثم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٤٠

عرضها على فقهاء ورواة ومحدثى قم، لأن قم كانت مركزاً للأشاعرة الذين نزحوا من الكوفة بايعاز من الإمام الصادق (ع) كى تكون هناك تعدد دوائر ومنابع لمدارس أهل البيت (عليهم السلام).

وبعد عرض كتابه عليهم خطأه فيما رواه فى زكاة الفطرة، حيث روى أن زكاة الفطرة نصف صاع، فقال فقهاء قم له: إن الفطرة فى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) هى صاع وليست نصف صاع.

وهذه الروايات التى جمعها النائب الثالث فى كتابه وعرضها على رواة ومحدثى قم لم يكن قد نقلها عن الإمام الثانى عشر (ع)، وإنما هى مجموع الروايات التى رواها عن أصحاب الأئمة السابقين، وإلا فما ينقله عن الإمام الثانى عشر كيف يصححه غيره، فهو سفير الحجة ولا يعقل عرض روايات الإمام الثانى عشر على غير السفير ليصححها، وإنما تلك الروايات نقلها عن الرواة والصحابه للأئمة السابقين، ومن هذه الجهة أى كون النائب الثالث يودى عن رواة الأئمة فإنه كشأن بقيه الرواة قد يصيب وقد يخطئ لذلك خطأ فقهاء

قم.

وهذا حصل من النائب الثالث لأن دائرة حجية النواب والسفراء فى دائرة ومساحة لا تتقاطع مع دائرة حجية الفقهاء ولا تلغىها، كما أن حجية الفقهاء فى الغيبة الصغرى لم تكن تتقاطع وتتنافى وتتصادم مع حجية السفراء والنواب الأربعة فكل له دائرته ومساحته، فمساحة حجية النواب مساحة غير مساحة حجية الفقهاء ولا تلغى إحداها الأخرى ولا تقاطعها.

كما أن حجية النواب لا تملو المساحة والدائرة المحدودة الخاصة بهم، فهم وإن كانوا نواباً خاصين بحق وصدق لا بزيف كما هو الحال فى الدعوات الباطلة إلا أن دائرة حجيتهم محدودة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٤١

### حجية الفقهاء فى دولة الظهور...: ص: ٣٤١

والكثير ربما تسؤل له نفسه أن حجية الفقهاء ملغاة فى دولة الظهور للإمام المهدي (ع)، وهو تفكير عجيب وغريب!! فإنّ صلاحيات الفقهاء وحجيتهم وإن كانت محدودة لكنها تبقى فى ظل وهيمته دائرة حجية المعصوم، لذا لم يكن دور الفقهاء ملغياً فى دولة الرسول (ص) فإنّ قوله تعالى: وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١) تشير إلى دور ومنصب الفقهاء فى زمن دولة الرسول (ص)، والرسول (ص) أعظم من الإمام، فإذا لم يبلغ دور الفقهاء فى دولة الرسول (ص) كيف نتصور إلغاءه فى دولة المهدي (ع).

وهكذا لم يبلغ دور الفقهاء فى دولة أمير المؤمنين (ع) وهو أعظم من الإمام المهدي (ع)، ولم يبلغ دور الفقهاء فى دولة الإمام الحسن المجتبي (ع) وهو أعظم من المهدي (ع)، وهكذا جميع الأئمة من الإمام الحسين (ع) سيد شباب أهل الجنة إلى الإمام الحسن العسكري (عليهم السلام) لم يكن هناك أى إلغاء وإقصاء لدور الفقهاء، فكيف نتصور إلغاء أو إقصاء فى دولة الإمام المهدي (ع)، فإنّ الكوفة فى عهد الإمام الصادق (ع) كانت تعج وتضج بالفقهاء، بل ويكثر فيها بيوت المرجعية كزرارة حيث كان بيتاً من بيوت المرجعية فى الكوفة، وهكذا محمّد بن مسلم وعمّار بن موسى الساباطى وهشام بن الحكم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٤٢

وبريد بن معاوية العجلي، فإنّ الباقر (ع) يقول لأبان بن تغلب: «إني أحب أن يرى فى أصحابي مثلك، أجلس فى المجالس وافئ الناس» (١).

فإنّ الرسول (ص) والمعصومين (عليهم السلام) عموماً وإن كانوا على أعلى مستويات العصمة والقيادة والعلم و... ولكنه بحكم الحياة البشرية لا يرتبطون حساً مع كل فرد بشرى من أفراد المجتمع؛ لذا لا بدّ من جهاز وذراع وأيدى لاتصالهم بالقواعد الجماهيرية، وهذا الجهاز قد حدّده الله تعالى وهو الفقهاء، فهم أيدى وسواعد المعصوم، فمن يتفقه للدين ويكون ورعاً تقياً فهذا هو دوره بنص وفريضة من الله، أى يجعل عوناً من أعوان المعصوم وإصبغاً من أصابع المعصوم وخادماً من خدام المعصوم، وهذا فرض من الله (عزوجل) وأن هذه الآية آية نفر لا- تنسخ بل ستظل خالدة إلى يوم القيامة، فمن ذا الذى تسؤل له نفسه أن يقول: إن هناك قطعة بين الفقهاء الصالحين والعدول وبين مسار المعصومين، وإلّا لو لم يعتمد المعصوم على الفقهاء والعلماء و... فمن يكون المعين له ومن يكون ساعده وذراعه وواسطته للناس؟! أيعقل أن يكون الجهال والعياذ بالله هم سواعد المعصوم وربطته بالناس، وإنما أمره الله تعالى

“““““

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٤٣

باتخاذ العلماء ومن يكون ذا كفاءة فى الفقه والتفقه لا الجهل والجهالة أمناً على شريعتهم ودين الله.

لذلك قال جعفر بن محمّد (ع): «علماء شيعتنا مرابطون فى الثغر الذى يلى إبليس وعفاريته، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا،

وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته النواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف مرة، لأنه يدفع عن أديان محبيننا، وذلك يدفع عن أبدانهم» (١) أي تغور المعرفة وتغور البصيرة، فلا يستطيع أصحاب الدجل والعداء والحيل والزيف والباطل أن ينفذوا إلى حومة الدين ما دام جنود المعصومين موجودين وهم الفقهاء، فإنهم وإن كانت حجيتهم نقطة في محيطات سماء المعصومين (عليهم السلام) ولكن هذه النقطة هي نظام جهاز المعصومين بهندسة وتخطيط من الله (عز وجل)، لأن الله (عز وجل) أراد لهذا الجهاز أن لا يخترق وأن يكون حصيناً، لذلك قال أئمة أهل البيت: «الفقهاء حصون الإسلام» (٢).

فالمعصوم لا بد أن يتخذ حصناً وأعواناً له يعينه بنص الآية الكريمة آية النفر قال تعالى: وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١) لذلك لم تلغ حجية الفقهاء في الغيبة الصغرى وفي ظل نيابة السفراء الأربعة، إذ هو نظير الدائرة أو الوزارة فيها مدير ورؤساء شعب وموظفون وعمال وكل له دائرة عمل خاصة لا تتقاطع مع دوائر عمل الآخرين، أو نظير الوزارات والدوائر المتعددة تحت ظل رئاسة موحدة للوزراء.

فإن السفراء الأربعة في الغيبة الصغرى نظير الوزير والوزارة فلهم مسؤوليات معينة لا تتقاطع مع مسؤوليات الإمام (ع) ولا تتقاطع مع مسؤوليات الفقهاء الباقين، فإن حجية النواب والسفراء في الغيبة الصغرى لم تكن حجية مطلقة بل هي محدودة، أما في الغيبة الكبرى فقد قامت الدلائل والبراهين على بطلان كل مدعى للسفارة والنيابة الخاصة، وإن كان للمهدى (ع) في دولة الظهور ولاية ونواب خاصون وهم أصحابه الثلاثمائة والثلاثة عشر كما سيأتي بيان ذلك.

وهكذا الفقهاء الباقون من غير السفراء سواء كانوا في الغيبة الصغرى أو الكبرى، وحتى في زمن الظهور فإن لهم مهاماً ومسؤوليات غير مهام ومسؤوليات الإمام (ع) وغير مسؤوليات السفراء، ولا يتصور إلغاء أي من الحجج لحجة أخرى، فكما لا تقاطع في النظم الإدارية كذلك لا تقاطع في مراتب الحجية وتراتب الحجج.

ولذلك نلاحظ ترحم الإمام المهدى (ع) على بن بابويه والد الصدوق (رض) وعلى غيره من الفقهاء مع أنهم لم يكونوا سفراء ولا نواباً خاصين وإنما كانوا فقهاء فحسب.

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٤٥

وهكذا لم نلاحظ أحداً من السفراء (رض) حاول إلغاء دور الفقهاء، بل على العكس كما لاحظنا موقف الحسين النوبختي (رض) في عرض كتابه على فقهاء قم، وما ذلك إلا لعدم تقاطع الأدوار والمسؤوليات والحجج وأن الفقهاء وزراء معينون من قبل الله تعالى كخدام وأنصار للأئمة (عليهم السلام)، إذ لما كان الأئمة (عليهم السلام) يحتاجون للمعين والناصر في نشر وإرساء الدين الإسلامي، فمما لا ريب فيه أن يكون الناصر والمعين لهذه المهمة من الشرفاء النجباء الحلماء العلماء الاتقياء الصالحاء... لا من أي جنس ونوع كان، قال تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ (١).

### امومة بديهيات العقل في المعرفة ... : ص: ٣٤٥

نعم، لو قلبت المقاييس وأغينا العقل أمكن كون أعوان وأنصار الأئمة من المفضولين والجهال... ولكن كيف ذلك؟ فإذا كان الله تعالى يستدل على ألوهيته بأنه ليس بظلام للعبيد أي كأنه يقول استشرفوا واستكشفوا الوهيتي بعد التي وعدم مخالفتي لبديهيات العقل! فكيف نلغي العقل ونعمل خلاف الموازين العقلية في اختيار وانتخاب أنصار وأعوان الأئمة (عليهم السلام) في نشر دين الله تعالى؟!، وإلا فإن جعل أعوان الإمام (ع) من غير الفقهاء بأن يكونوا جهالاً هو عين المخالفة لبديهيات العقل،

إذ العقل حاكم بوجود تقديم العالم وأهل الاختصاص والخبرة والنخبة ووجوب الاعتماد على الفقهاء فى نشر الفقه.

من هنا نفهم سذاجة البعض المتشبه بمتشابه دلالة الروايات

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٤٦

والتي لا سند لها، حيث يقول بأن المهدي المنتظر (ع) عندما يظهر يقتل الفقهاء والعلماء («... ١») فهو ظن فى ظن وتخبط لعدم معرفة الحجج،

وبالتالى فهو زيغ وضلال.

““

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٤٧

كما يتضح اندفاع توهم المتوهم بأنه مع ظهور الإمام (ع) لا تبقى حاجة ولا دور للفقهاء ولا للاستنباطات الظنية لأنه يمكن حينئذٍ للناس تحصيل العلم بالأحكام الواقعية من الإمام (ع) مباشرة، لاسيما وأن الإمام (ع) يقوم بإكمال عقول وعلوم الناس فلا يبقى هناك جهل؟

أنه مع تكامل علوم الناس وعقولهم فذلك لا يعنى كونهم أنبياء كما لا يعنى أن الطريق الذى يتلقون منه العلم هو قناة الوحي كما لا يعنى صيرورتهم فى مستوى علمى واحد، بل يبقى بينهم تفاوت وفوارق فى المستوى العلمى والعقلى حتى مع حصول تطور علمى وتكنولوجى هائل وتوفر وسائل الاتصال السريعة بحيث يكون بإمكان كل شخص الاتصال بالإمام مباشرة ليأخذ الحكم الشرعى القطعى الواقعى منه، فإنه مع كل ذلك تبقى الفوارق العلمية والعقلية بين الناس، ومن ثم لا يكونون كلهم بدرجة حوارى وأصحاب الإمام (ع) الـ (٣١٣) وإذا وجدت الفوارق العلمية والعقلية بين عموم الناس فبالتالى يحتاجون إلى من هو أعلم منهم وأكثر إحاطة ليرجعوا إليه فيما قد جهلوه، أى ليكون واسطة بينهم وبين الإمام (ع) لا يصلح الأحكام ونحوها.

كما أن السبب التكوينية لقيام دولة الظهور ودولة الرجعة ليست قائمة على إيصال العلم لعموم الناس عبر قناة واحدة، بل تبقى القنوات الظنية على حالها ويبقى الدور المناسب فى كل مجال لأهل التخصص والخبرة، وبالتالى يرجع الأقل علماً إلى من هو أكثر علماً، وهذا هو معنى رجوعهم إلى الفقهاء.

وبعبارة أخرى إن قوله تعالى: وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لَا

نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٤٨

لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١) لا يطرأ عليها النسخ، فهى تبين ترسيماً من الله تعالى لكيفية جهاز عمل المعصوم بعد قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَيُلْوُا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢)، فلا بد للإمام من جهاز عمل وواسطة بينه وبين الناس، وإلا بمقتضى طبيعة البشر لا يمكن اتصال ملايين الناس بشخص واحد على درجة واحدة من الارتباط والفهم والتلقى، نعم تحدد قنوات تشعبية تنازلية الأكثر علماً فى الأعلى ثم الأقل فالأقل ويكون الإمام (ع) على رأس الهرم، وهذا التنظيم فى الشريعة لا ينسخ حتى عند ظهور الإمام (ع) لاسيما أن مفاد آية النفر فى سورة التوبة متطابق مع مفاد آية الحكم: إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّائِيُونَ وَالْأَخْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاحْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٣). فى سورة المائدة كما تقدم بيان ذلك.

كما أن أصل حكم رجوع الجاهل للعالم يحكم به العقل ويشير إليه قوله تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٤) فإن مفاد هذه الآية أشار إلى نفس هذا الحكم العقلى الفطرى.

فإن الناس بالتالى يأخذون من الفقهاء الأحكام والتي تكون

ظاهرة بلحاظ علم الإمام (ع) لأن ما عند الإمام (ع) أكثر واقعية، وقد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٤٩

ثبت فى محله من علم الأصول أن الحكم وإن كان فى رتبته واقعياً ولكنه بلحاظ حكم واقعى أكبر يكون ظاهرياً («١»).

فما يعطيه ويبينه الفقهاء حينئذٍ حكم واقعى فى رتبته ولكنه ظاهرى بلحاظ ما عند الإمام (ع)، وهكذا من جهة كونه ظنياً أو يقينياً فإنه تقدم أن اليقيني بلحاظ يقيني أعلى يكون ظناً كما أن الحس يقيني واعتبره القرآن ظناً فى قبال المعجزة فى فتنه بنى إسرائيل والنصارى فما يبينه الفقهاء حينئذٍ هو حكم يقيني فى مرتبته ولكنه ظنى بلحاظ ما عند الإمام (ع).

فما دام هناك تفاوت وفوارق فى استقاء العلم فلا محالة يبقى لأهل التخصص والاختصاص دور وشأن، وهذا من ضروريات طبيعة الحياة والنظام الاجتماعى والنظام المعيشى البشرى فى عيشه العلمى والمعلوماتى.

وما هذه الشبه والإشكالات على الفقهاء ودورهم إلا لأجل

استهدافهم وبالتالي استهداف النخبة فى الدين لتحصل الفوضى فيه وهو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٥٠

مراد الأعداء، إذ من الطبيعى أن استهداف أى مجال من مجالات الحياة إنما يكون بالنيل من المتخصصين فيه لتحصل الفوضى حينئذٍ بذلك الاستهداف، فمثلاً من يريد النيل من مجال الطب لتعم الفوضى فيه وبالتالي يستغل الموقف فى تحقيق مآربه إنما يبدأ باستهداف الأطباء الماهرين وبذلك يكون الطب فوضى، وهكذا فى مجال الهندسة لمن يريد أن تحصل الفوضى فيها وذلك بالنيل من المهندسين الماهرين، وهكذا الكلام فى بقية المجالات، لأنه فى كل مجال من هذه المجالات هناك ترتب ونظم متسلسلة، وبمقتضى هذا النظم والتراتبية تحصل الحماية من التسوية واللصوصية والتدجيل.

فإن الرجوع لأهل الخبرة والاختصاص فى كل مجال هو من فطرة البشر وضمن حدود معينة، وإلا فالبديهيات محافظ عليها فى كل المجالات.

وعليه فاستهداف الفقهاء إنما هو من هذا القبيل، إذ يسلك الأعداء هذا الطريق لتحصل الفوضى فى الدين والمناصب الدينية ليكون بإمكانهم الدجل والاختراق والتلصص فى مناصب الدين، لذلك نجد أن أهل البيت (عليهم السلام) وضعوا قوانين خاصة وضوابط فى تحديد المرجعيات والمناصب الدينية لا يمكن تجاوزها إذا حافظنا على أصول ثقافة الدين بالشكل الصحيح ونشر هذه الثقافة بين أتباع أهل البيت، وإلا فمن البساطة جداً التدجيل على الجهال وخداع السذج.

### أنواع الحجج مفتاح البصائر ... ص: ٣٥٠

مما لا ريب ولا شك فيه أن العاصم والمانع من التأثر بالشبهات

وأن قوام استكشاف البصيرة فى الفتن المعرفية أو العقائدية هو بمعرفة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٥١

مراتب الحجج ويجب أن تكون مبيّنة ويّنة لدى المكلف والمؤمن، فإنه إذا استبان واتضح مراتب الحجية فسوف يفوّت الفرصة على الشبهة والمتشابهات، فإنما تدب وتنتشر الشبه والاستناد للمتشابهات إذا ضاعت والتبست مراتب الحجية ومدارجها وتسلسلها، لذا تقدم أن المنقذ من ظلامية الفتن والآثارات فى البصيرة والمعرفة هو معرفة مراتب الحجية ومنظومة الحجج، ولا يكفى معرفة أصل حجية الحجّة.

ثم بعد معرفة أصل حجية الحجّة ومعرفة مرتبة تلك الحجّة فى منظومة الحجج لا بدّ من قواعد رقابية استكشافية تبين علاقة الحجج بين بعضها البعض ونظامها ومحدودية كل حجة وأن تلك الحجّة لا زالت فى مرتبتها وحدودها، وأيضاً تكشف زيف وبطلان المدعى





على بن أبى طالب (ع) أكثر من البراهين والبيانات القائمة على إمامة الحسين (ع)، والبراهين القائمة على إمامة الحسين (ع) أكثر من البيئات والبراهين القائمة على إمامة الأئمة التسعة من ولد الحسين (عليهم السلام). نعم، الإمام المهدي (ع) أفضل التسعة المعصومين كما فى بعض الروايات، وكذا فى خطبة الغدير للنبي (ص...):

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٥٤

تاسعهم هو باطنهم وهو ظاهرهم وهو أفضلهم «...» (١)، فىكون مقام الإمام المهدي (ع) بعد الخمسة أصحاب الكساء (عليهم السلام)، لأن الأدلة على إمامته أكثر من الأدلة القائمة على إمامة التسعة (عليهم السلام)، فلا بد من الالتفات لتلك المراتب، فإنه كلما ازدادت البيانات ازدادت الحجية فإن الحجية تشتد وتضعف تبعاً لزيادة البيانات والدلائل وقتها، وكلما ازدادت شدة ودرجة الحجية ازداد وارتفع وعلا- مقام تلك الحجية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الفضائل والصلاحات مختلفة أيضاً، ولذلك فإن سيد الرسل (ص) هو إمام أيضاً إلا أنه إمام للأئمة الاثني عشر، فإن لسيد الرسل مقام النبوة والرسالة والإمامة، لذا فإن الأئمة تابعون مطيعون مسلمون لرسول الله (ص) كما أنه (ص) تابع ومطيع ومسلم لله تعالى.

يقول الإمام الرضا (ع...): «لأن رسول الله (ص) لم يكن ليحرم ما أحل الله، ولا ليحل ما حرم الله، ولا ليغير فرائض الله وأحكامه فى ذلك كله متبعاً مسلماً مؤدياً عن الله وقول الله (عزوجل): إِنْ أَتَيْتَ إِلاَّ مَا يُوحَى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٥٥

إِلَى (١)» فكان متبعاً لله مؤدياً عن الله ما أمره به من تبليغ الرسالة، قلت: فإنه يرد عنكم الحديث فى الشىء عن رسول الله (ص) مما ليس بالكتاب وهو فى الشئ ثم يرد خلافه، فقال: «وكذلك قد نهى رسول الله (ص) عن أشياء نهى حرام فوافق فى ذلك نهى الله، وأمر بأشياء فصار ذلك الأمر واجباً لازماً كعدل فرائض الله تعالى، ووافق فى ذلك أمره أمر الله تعالى، فما جاء فى النهى عن رسول الله (ص) نهى حرام ثم جاء خلافه لم يسع استعمال ذلك، وكذلك فيما أمر به، لأننا لا نرخص فيما لم يرخص فيه رسول الله (ص)، ولا نأمر بخلاف ما أمر رسول الله (ص) إلا لعلمه خوف ضرورة، فأما أن نستحل ما حرم رسول الله (ص)، أو نحرم ما استحل رسول الله (ص) فلا يكون ذلك أبداً، لأننا تابعون لرسول الله (ص)» (٢).

فهذه السلسلة محفوظة، فلا- يمكن للرسول (ص) والعياذ بالله أن يرد على الله تعالى أو يتخلف عن تبعية أوامره تعالى، فالأسس والأساس فى التشريع من الله (عزوجل) وسنة النبي (ص) تابعة لفرائض وأوامر وتشريعات الله وليست هى فى عرض تشريعات الله بل هى تابعة وتأتى فى الدرجة الثانية لفرائض الله، ولا- يمكن أن نتصور ونفرض بأن سنن النبي ترفع فرائض الله، وكذلك سنن المعصومين (عليهم السلام) من أئمة أهل البيت تابعة لسنن النبي (ص) وفرائض الله تعالى،

ولا يمكن حينئذ أن تكون سنن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) رافعة أو مضادة لسنن النبي (ص) وفرائض الله والعياذ بالله. وكذلك فتاوى الفقهاء تابعة وفى كنف فرائض الله وسنن النبي وسنن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، ولا يمكن لفتاوى الفقهاء أن تخرج عن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٥٦

فرائض الله ولا عن سنن النبي ولا عن سنن الأوصياء، فإن جميع فقهاء مدرسة أهل البيت يذكرون أن التقليد واتباع الفقيه فى الفتاوى إنما هو فى غير الضروريات المعلوم حكمها من فرائض الله وسنن النبي وسنن الأوصياء.

يعنى أن فتوى الفقيه لها دائرة محدودة معلمة ومخطوطة بخطوط حمراء، وتلك الخطوط الحمراء هى ضرورات فرائض الله وضرورات سنن النبي وضرورات سنن الأوصياء، فبالتالى ما علم أنه من فرائض الله بالضرورة وما علم أنه من سنن النبي بالضرورة وما علم أنه من سنن الأوصياء بالضرورة لا يمكن للفقيه أن يتجاوزه، فهو يستنبط ويستكشف ما هو نظرى فى دائرة النظريات من أحكام الله وأحكام

الرسول وأحكام أئمة أهل البيت، كل ذلك في كنف فرائض الله وسنن النبي والأوصياء، ولا تخرج تلك الاستنباطات عند الفقهاء عن دائرة تلك الضروريات.

وربما يتوهم البعض وجود تهافت في كلام علماء الأصول، حيث إنهم من جهة يقولون: إن إجماع الفقهاء من غير دخول المعصوم فيه ليس بحجة، ومن جهة أخرى يقولون بأن فتوى الفقيه حجة، فكيف تكون فتوى الفقيه منفرداً حجة مع أن مجموع الفقهاء من غير المعصوم لا قيمة له في الحجية، فهل هذا تهافت أم ماذا؟!!

ويرتفع توهم التهافت إذا دققنا في مساحة حجية الفقهاء، فإنّ

فتوى الفقيه إذا كانت في غير العقائد وغير الضروريات وكان الفقيه مستنداً للموازن الشرعية المقررة في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) أي إذا كانت فتواه وفق الموازين الشرعية وفي مجال النظريات والمتشابهات من الفقه فإنّ فتواه حجة.

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٥٧

أما فتوى الفقيه بل لو أجمع الفقهاء على الافتاء فيما يخالف الضروريات أو العقائد الأصلية أو ما لم يكن على الموازين بحسب البحث الاستدلالي لدى فقيه آخر فحينئذ فتواهم ليست بحجة، فإنّ هكذا قضايا وموازن ليست ضمن مساحة حجية الفقهاء ولا لأهل الخبرة وإنما لا بدّ من إعمال البراهين والرجوع للبيدليات والضروريات، والتميز بين هاتين المساحتين واضحة وسهلة مع وجود الوعي في البصيرة.

فلا يمكن لفقيه أن يرفع فرضاً كوجوب الصلاة بل حتّى لا يمكن للنبي (ص) أن يرفع مثل هذا الوجوب لمحدودية سنن النبي وكونها في كنف فرائض الله، فإنّ أصل وجوب الصلاة والصوم وباقي الفرائض الضرورية هي من فرائض الله، كما أن زيادة الركعتين في الصلاة الرباعية عند كل المسلمين من سنن النبي (ص)، فهذه سنن النبي في كنف وظل وتابعيه فريضه من فرائض الله وهي وجوب الصلاة، وكذلك سنن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) هي في كنف وظل فرائض الله وسنن النبي، يعني أنها لا تتجاوز وجود الفرائض الإلهية والسنة النبوية، كذلك فتوى الفقهاء في حرمة الزنا وحرمة اللواط والربا مثلاً لا تتجاوز فرائض الله وسنن النبي ومناهج الأئمة.

ومن لم يحافظ على هذه التراتبية والمحدودية وقع في زيغ وفهم خاطيء لبعض الروايات كرواية الدين الجديد، حيث قال أبو جعفر (ع): «يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد، وعلى العرب شديد، ليس شأنه إلّا السيف، ولا يستتبع أحداً، ولا تأخذه في

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٥٨

الله لومة لأثم» (١) حيث فهم أن الإمام المهدي (ع) عند ظهوره يأتي بدين جديد وقرآن جديد ويدعو إلى شيء غريب... فيفهم أن الإمام والعياذ بالله يرفع وجوب الصلاة ووجوب الزكاة والحج ويرفع حرمة الفواحش والربا ويأمر بقطع الرحم... الخ، وهذا مستحيل، لأنّ صلاحيات الإمام لا تخرج عن صلاحيات الله وصلاحيات رسوله.

بل إن هذا هو معنى الغلو لأنّ معنى عدم الغلو في الأئمة أن لا نعتقد أنهم يأتون بشريعة جديدة تناهض وترد على شريعة الرسول والعياذ بالله بل نقول هم مسلمون وتابعون ومطيعون لله ولرسوله (ص)، فالاعتقاد الصحيح بإمامة أهل البيت (عليهم السلام) هو أنهم أئمة منصوبون من الله تعالى وهم خلفاء الله ورسوله ومرتبون بالغيب وليسوا بأنبياء، فلا يأتون بشريعة غير شريعة الرسول، ولا يخرجون عن دائرة شريعة سيد الرسل وخاتم الأنبياء.

كيف نتصور أن شخصاً يتشبه برواية أو روايتين أو حتّى عشرة أو مئة، ويتوهم بحسب هذا الفهم والتفسير الخاطيء أن المهدي (ع) يأتي بدين جديد بمعنى أنه يأتي بدين غير منضبط ضمن قوالب الحجية، وأنه والعياذ بالله يأمر باستباحة المحرمات التي حرّمها الله تعالى ورسوله (ص) ويأمر بترك الواجبات التي فرضها الله تعالى، كيف يتصور ذلك وأي عاقل يقبل به.

بل حتّى لو فرضنا أنه يأتي بدين جديد فلا بدّ أن يكون ذلك الدين منظماً ومنضبطاً ضمن مراتب وقوالب الحجية، وإلّا كان الضلال

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٥٩

والاضلال كما هو الحال في الفرق الضالة والمنحرفة والمدعية للزيغ في الغيبة الصغرى، كما يذكرها الشيخ الطوسي (١) في كتاب الغيبة كالمغناطية والشريعة وغيرها، وما ذلك إلا لاختلاط وعدم ترتب منظومة الحجج عندهم فضلوا وأضلوا جماهيرهم بتصويرهم أن حجة الإمام (ع) فوق حجة الرسول (ص).

وكيف نتصور أو يعقل أن تأتي مدرسة من المدارس الإسلامية بخبر أو رواية حتى لو فرضنا صحتها ينسبونها للرسول (ص) فيها رد على القرآن الكريم وتحريم ما أوجبه الله تعالى فيه، فمثلاً بعد أن ثبت أن القرآن الكريم يدعو إلى التوسل بالنبى (ص) ويجعله من الأركان ومن أصول الإيمان في قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنْتَهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (٢) فيأتى البعض ويحرم التوسل اعتماداً على روايات ينسبها للنبى (ص) مع أن التوسل باب معنوي لطلب الاستغفار من الله تعالى، بل التوسل بالنبى وآله من أركان الدين كما تقدم بنص القرآن حيث يأمر: توسلوا وتوجهوا بالنبى (ص)، فقله: جَاؤُوكَ معناه بالعامية الدارجة

(دخيلك يا رسول الله) فهو توجه وتوسل بالله تعالى، لكن لا مباشرة، بل من طريق الباب وهو الرسول (ص)، لذا يأمر القرآن بالتوجه والتوسل ولو عن بعد المسافات، أليس كل المسلمين يقولون في صلاتهم: (السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته) مخاطبين الرسول بذلك، و (الكاف)

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٦٠

في اللغة العربية للمخاطب الحاضر، وهو تشريع في ضرورى من ضروريات المسلمين، بل في فعل توحيدى وهو الصلاة، حيث شرع فيها خطاب وتوسل وتوجه للنبى (ص).

كما أن فقهاءنا كالشيخ الطوسى والشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الصدوق والشيخ الحلبى والشيخ ابن إدريس والشيخ ابن زهرة والشيخ سلالر وكافة القدماء (رح) يفتون باستحباب السلام على الأئمة (عليهم السلام) بعد التسليم على الرسول (ص) وقبل (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) حيث يقولون: يستحب أن تقول: (السلام على الأئمة الراشدين المهديين من آل طه وياسين) (١).

إذن كافة المسلمين يتوجهون فى الصلاة بالتسليم على النبى وهم لم يخرجوا من الصلاة وهذا من ضروريات المسلمين فقله: وَلَوْ أَنْتَهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ (٢) يعنى لا يتوجهون إلى الله إلا بأن يطرقوا باب الله الأعظم وهو الرسول (ص)، فطرق الباب أولاً ثم التمکن من الولوج فى الساحة الربوبية، قال تعالى: وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣) والنبى (ص) هو باب الله الأعظم، وباب الرسول (ص) هو على بن أبى طالب (ع)، قال رسول الله (ص) كما تواتر عنه: «أنا مدينة الحكمة وأنت يا على بابها» (٤)، فمن أراد المدينة والحكمة فلا بد أن يأتيها من بابها.

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٦١

فمن وفودنا على وصى النبى نستطيع أن نغد على النبى (ص)، ومن وفودنا على النبى (ص) والتجائنا وتوجهنا وتوسلنا ولو اذنا به نكون قد وفودنا على الساحة الربوبية وتوجهنا إلى الله (عزوجل).

أيضاً فى قوله تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (١)، فلم يقل: تعالوا إلى الله مباشرة، إذ البارى لا يباشر ولا يتباشر ببشرة، بل لا بد من الوفود على الرسول (ص) أولاً فهو الشافع المشفع، ولكن ما هو فعل المنافقين؟ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ، فالقرآن الكريم يبين أنهم ليسوا موحدين، بل هم مستكبرون.

والاستكبار صفة وسنة إبليس اللعين إذ استكبر ولم يسجد لآدم (ع) حيث يقول: قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٢) فسنة إبليس الاستكبار عن التوسل والتوجه.

قال الله تعالى: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصِدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ

أَفَرَزْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَيَّ

ذَلِكَمِ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَزْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ \* فَمَنْ تَوَلَّى بَعِيدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٣) هذه الآيات من سورة آل عمران يحدثنا القرآن فيها أن نبوات الأنبياء نالوها بشفاعته سيد الأنبياء محمد (ص).

وهكذا الآيات من سورة الأعراف: إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٦٢

الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (١) تبين لنا بأنه من دون التوسل بالنبي (ص) لا يدخل المسلم الجنة ولا ترتفع لديه عقيدة، حيث يقول: كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أى تكذيب واستكبار وليس تكذيباً فقط، وإنما تكذيب واستكبار على الأنبياء والرسل والأولياء الصالحين، وهم آيات من آيات الله تعالى، قال تعالى: وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٢) وأكبر وأعظم آيات الله هو الرسول محمد (ص) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام).

ثم إن القرآن عبر: اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا ولم يعبر: (استكبروا عليها)، فما الفرق بين استكبروا عليها وبين استكبروا عنها؟

ذكر فى كتب الأدب واللغة أن فعلاً ما قد يضمن معنى فعل آخر ثم يأتى بأداة تناسب المعنى المتضمن، فالمعنى حينئذ استكبروا وصدوا عنها، فيقول القرآن: إن أولئك استكبروا وصدوا عن التوسل والتوجه لرسول الله (ص) ولووا رؤوسهم ويصدون وهم يستكبرون، أى كما فعل إبليس اللعين إذ استكبر عن آيات الله.

وأكبر آيات الله هو الرسول (ص)، فالتوجه والتوسل والخضوع لآيات وحجج الله شرط وركن ركين كى تنفتح أبواب السماء لعملك ولعقيدتك مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ (٣) فالصعود والرفع مشروط بالخضوع والتوجه والتوسل لنبي الله (ص) ولحجج وآيات الله.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٦٣

والمستكبر عن آيات الله محال أن يدخل الجنة كما يعبر القرآن حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ (١) إذن لا ننجو ولا يقبل ولا يصح إيماننا إلا بالآياتان بفريضة إيمانية من فرائض القرآن الكريم وهى التوسل والتوجه للنبي (ص).

إذن لا بد أن نقرأ رواية الدين الجديد الذى يأتى به المهدي (ع) فى ظل هذه المسلّمات، يعنى فى منطقة غير الضروريات من فرائض الله تعالى وسنة النبي (ص) ومنهاج الأئمة (عليهم السلام) أى فى تلك المنطقة الوسيعة وهى منطقة النظريات التى اكتنفها تشابه وريب واختلاط عبر القرون، ومع ذلك لا يأتى (ع) فى تلك المنطقة إلا بما هو حق حقيق.

لذا نقرأ فى دعاء الندبة:

«أين المدخر لتجديد الفرائض والسنن، أين المتخير لإعادة الملة والشريعة، أين المؤمل لإحياء الكتاب وحدوده، أين محى معالم الدين وأهله» (٢).

وكذا فى دعاء العهد:

«واجعله اللهم ... ومجدداً لما عطل من أحكام كتابك ومشيداً لما ورد من أعلام دينك وسنن نبيك (ص)» (٣).

وهكذا فى دعاء الافتتاح أيضاً:

«اللهم اجعله الداعى إلى كتابك والقائم بدينك» (٤).

“

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٦٤

وهكذا فى دعاء يدعى به فى زمن الغيبة والمروى عن صاحب الزمان (ع ...): «وجدد به ما امتحى من دينك وأصلح به ما بدل من

حكمتك وعُتِر من سُنتك حتى يعود دينك به وعلى يديه غضاً شديداً صحيحاً لا عوج فيه ولا بدعة فيه» (١).  
وغيرها من الأدعية.

ففى دعواتنا والتزاماتنا وتوجهاتنا أنه (ع) يحيى دين الله ويعمل بكتابه وسُنَّته رسوله ويسير على نهج الأئمة السابقين، لا كما يذكر من الفهم المعوج المزعوم استظهاره من آحاد الروايات والعياذ بالله تعالى وحاشاه (ع) من أنه يمت القرآن وسُنَّته النبى ونحو ذلك. فبالاعتماد على انحفاظ تراتبية الحجج ومعرفة مراتب الصلاحيات نفهم الرواية بالفهم الصحيح، أما إذا اختلطت علينا مراتب الحجج ودلائل الدين وصارت فوضى وفوضوية فى البصيرة والمعرفة نصل لفهم واستنتاج خاطئ ومعوج ونزلق فى متاهات وظلمات ونخرج من الدين.

إذاً هناك تراتبية فى منظومة الحجج لا يمكن هدمها ولا تقديم شىء منها على غيره، فإنَّ توحيد الله تعالى إنما يتم وفق الموازين العقلية

وبديهيته فتكون بديهيات العقل فى أعلى مراتب الحجج ثم توحيد الله، وأن نبوة أى نبى لا بد أن تكون من خلال توحيد الله، فنبوة الأنبياء لا بد أن تكون فى كنف وظل وهيمته توحيد الله، وهكذا إمامة أى إمام بالنسبة لنبوة الأنبياء، وهكذا بالنسبة للفقهاء مع الأئمة (عليهم السلام)، فتكون الحجج مرتبة بالترتيب الهرمى هكذا بديهيات العقل ثم توحيد الله تعالى ثم نبوة الأنبياء ثم وصاية الأوصياء ثم النواب الخاصون والنواب العامون.

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٦٥

وسيتضح هذا الترتيب جلياً من خلال بيان كيفية إعمال القواعد الرقابية فى الفصل الآتى (الخامس).

### تراتب حجية الأئمة ...: ص: ٣٦٥

قد يستفهم البعض عن لابدئية الضبط والانضباط فى الحجج ضمن نظام خاص ومنظومة خاصة؟  
ولكن بالالتفات لما تقدم والاعراض والحكم التى لأجلها أوجد الله تعالى هذا الخلق العظيم فإنه تعالى أراد لهذا الخلق التكامل والسير فى طرق تحصيل الرضا منه تعالى.

ولما كان الشيطان قد وضع حبائله وعمل بأساليبه الخبيثة لايجاد طرق مزيفة لإضلال الناس وإيقاعهم فى الزيف ليتروا الطريق الذى رسمه الله تعالى لهم.

من هنا جاءت الحاجة لطريق وقناة اتصال بالحق وبالعالم الغيب ولا بد أن تكون قناة يقينية الصدق وهى قناة المعصومين (عليهم السلام) فكان سيد الرسل محمد (ص) القناة الوحيدة الذى له القدرة على الاتصال بعالم

الحق ومن خلاله يتصل عالم الإمكان بعالم الحق تعالى، فإنَّ ما يتلقاه سيد الرسل عن الله تعالى يعظم حتى ما يتلقاه جبرائيل (ع) ليوصله للنبي ويعظم ما يتلقاه روح القدس ليوصله للنبي، وهذا مؤيد ومدلل عليه بروايات عنه (ص) حيث نقل أنه (ص) تعرضه الغشية، وفى بعض الروايات أن ذلك حينما لا يكون بينه وبين الله تعالى ملك ولا وسيط، وكما ورد عنه (ص): «لى مع الله حالات لا يسعها لا ملك مقرب ولا نبى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٦٦

مرسل» (١) وفى بعض الروايات (لنا) بدل (لى) أى أن قناة الاتصال من العظمة والشأن بحيث لا يتحملها إلا محمد وأهل بيته (عليهم السلام).

ومما يؤيد ذلك ما ورد فى آية الإسراء وروايات أهل البيت (عليهم السلام) أن النبى (ص) رأى فى المنام بنى أمية وبنى مروان ينزون على منبره فغم الرسول (ص) لذلك، فنزل عليه جبرائيل وسأله عن سبب اغتمامه فأخبره الرسول بما رأى، فقال جبرائيل: إن ذلك

شئ لم أعلمه فخرج إلى الله تعالى فأنزل هذه الآية من قوله تعالى: وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ (٢) «أى أن هناك من عالم الحق وعالم الغيب ما يوصله الله تعالى للنبي (ص) مباشرةً من دون المرور بجبرائيل ولا غيره.

لذلك تقدمت حجية الرسول (ص) وصارت بعد حجية الله تعالى،

ثم جاءت حجية الأئمة (عليهم السلام) بعد حجية الرسول وقبل حجية جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين، ويشير لذلك ما في الزيارة الجامعة... «حتى لم يبق نبي مرسل ولا صديق... إلا عرفتهم جلاله أمرهم حتى لا يطمع» («... ٣») من هنا تبين قول أمير المؤمنين (ع): «نزهونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم» («٤») وما عن الصادق (ع) قال بعد أن سئل

، دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٦٧

ما أنتم: «خزان علم الله وتراجمه وحى الله، ونحن قوم معصومون أمر الله بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض» («١»).

فحجية الرسول بعد حجية الله، ثم حجية الأئمة (عليهم السلام)، ثم حجية الفقهاء، ولكن حجية الأئمة أيضاً لها مراتبية خاصة بحيث لا يمكن للإمام اللاحق تجاوز

حجية الإمام السابق، فإنهم (عليهم السلام) قناة واحدة متصلة ذات تراتب طولى يتدلى بالرسول الأعظم وينتهي بالمهدي المنتظر (ع).

فإنه ورد في الكافي: «لا يتنزل شئ من الله تعالى إلا ويتنزل أولاً على رسول الله (ص)، ثم على أمير المؤمنين (ع)، ثم الحسن، ثم الحسين حتى الإمام المهدي سلام الله عليهم أجمعين» («٢»).

““

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٦٨

فهم (عليهم السلام) قناة واحدة ويكون الإمام الأخير فيها له الإمامة الفعلية فقد روى عن الصادق (ع) قال: «حب ولايتي لجدى على بن أبى طالب أحب إلي من نسبي إليه» («١») ونظيره روى عن الكاظم (ع)، يعنى أنه (ع) يتولى الطاعة لأمر المؤمنين والولاية له مع أن كلا منهما حجة وإمام معصوم.

وبالتالى فإن هرم القيادة والإمامة والولاية تبقى محفوظة في هذه السلسلة فإن إمامة وقيادة وولاية وحجية الأئمة السابقين مفعلة دائماً كما أن حجية الله تعالى مفعلة حتى مع وجود الأنبياء والأوصياء فكذلك الأئمة السابقون، وهذه قاعدة في الحجج، فإن الحجة الأعلى تبقى مفعلة دائماً حتى مع فعلية الحجة الأقل والأدون.

من هنا يندفع توهم البعض بأنه كيف يتفق في دولة الرجعة رجوع أمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السلام) مع أن الإمامة الفعلية للمهدي (ع)، إذ من المعلوم أن أمير المؤمنين والحسين أفضل من المهدي (ع)، فكيف نتصور وجود الأفضل مع أن الإمامة الفعلية للأقل فضلاً؟

فإن هذا من دفع إذا التفتنا إلى أن كون الإمامة الفعلية هي للإمام المهدي لا يعنى عدم إشراف أمير المؤمنين والحسين (عليهم السلام) على إمامة المهدي، وذلك لما قرر في جملة من الروايات وغيرها من الدلائل القرآنية أن ولاية الرسول (ص)

، دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٦٩

وولاية أمير المؤمنين والحسين لم تنقطع بانتقالهم إلى البرزخ وعالم الآخرة، فسلسلة مراتب الولاية محفوظة وأن طاعة الرسول لزومها فعلية على كل إمام من الأئمة (عليهم السلام) كما ورد عن أبى عبد الله (ع) أنه قال: «كأنى أنظر إلى القائم (ع) على منبر الكوفة وحوله أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدة أهل بدر، وهم أصحاب الألوية، وهم حكام الله في أرضه على خلقه، حتى يستخرج من قبائه كتاباً مختوماً بخاتم من ذهب، عهد معهود من رسول الله (ص)، فيجفلون عنه إجمال الغنم البكم، فلا يبقى منهم إلا الوزير وأحد عشر نقيباً، كما بقوا مع موسى ابن عمران (ع)، فيجولون في الأرض ولا يجدون عنه مذهباً فيرجعون إليه، والله إنى لأعرف الكلام



الذى يقوله لهم فيكفرون به» (١)).

وهذا نظير التشكيلات الحكومية فى هذه الأزمنة فإنّ رئيس الوزراء هو المباشر للقيادة الفعلية والإدارة، مع أن رئيس الجمهورية يعد رسمياً له المنصب الأعلى ولا بدّ لرئيس الوزراء أن يطيعه، بل إن قرارات رئيس الوزراء لا تسرى ما لم يقرها رئيس الجمهورية. لذا لا بدّ أن نفهم الإمامة بمعنى الجهاز المنظومى وليس بمعنى الفرد الواحد البشرى، بل هى كتلة جهاز واحد متكامل عبارة عن سلسلة حجج مرتبة الأعلى فالأعلى، وأن الإمام المباشر والفعلى لا يعنى كونه الأفضل، بل يكون للإمام الأعلى حجية ودور الإشراف فى مرحله فعلية إمامة الأقل حجية.

\*\*\*

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٧٣

## الفصل الخامس: القواعد الرقابية فى المعرفة ... ص: ٣٧٣

### إشارة

بعد أن علمنا أن هناك أنواعاً من الحجج وأنها مرتبة ومنظمة وفق هندسة إلهية خاصة، وأن من الحجج ما هو محكم ومنها ما هو متشابه، وأن المحكم والمتشابه فى الحجج أمر نسبى وليس ذاتياً لها إذ العمل بالحجة فى مرتبتها محكم والعمل بها فى غير مرتبتها متشابه، وعليه فإنه من ضمن هندسة إحكام منظومة الحجج لا بدّ من ضوابط وقواعد معينة يعرف من خلالها أن العمل بتلك الحجة هل هو فى مرتبتها ليكون العمل بها عملاً بالمحكم، أم صوعد بها لغير مرتبتها فيكون العمل بها عملاً بالمتشابه؟ وهذه القواعد هى نفس تحديد مرتبة كل مرتبة من تلك الحجج بحيث إن نفس تلك الحجة من جهة العمل بها فى مرتبتها يكون عملاً بالمحكم، ومن جهة هيمنتها على الحجة الأدون منها تكون قاعدة رقابية تبين لنا نوع العمل بغيرها من كونه عملاً بالمتشابه. ولذا يمكن أن تكون عندنا القواعد الرقابية التالية:

### بديهيات العقل أولى القواعد ... ص: ٣٧٣

أولى القواعد الرقابية هى بديهيات العقل، فلا يمكن لله تعالى أن يطالبنا بخلاف تلك البديهيات، فإنه تعالى حيث يخاطبنا ويطالبنا بالتوحيد إلماً أن ذلك ليس خلافاً لبديهيات العقل، فإنه تعالى يقول: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (١) فإن الله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٧٤

تعالى يرشد العقل السليم إلى بديهته من بديهياته وأنه لا بدّ لهذا الكون والعالم من إله واحد وإلماً لوقع الاضطراب والتنافر وبالتالي يقع الفساد، فإنه تعالى بهذه الآية لا يستدل على وحدانيته لأن الوحدانية من البديهيات وقد ثبت فى محله أن البديهى ينبه عليه ولا يستدل له.

وهو بديهية عقلية كما أنه تعالى لا يأمر بالظلم ولا ينهى عن العدل والاحسان التى هى بديهيات العقل فقول الله تعالى: وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١)، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٢)، وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٣)، فَاتَمَّ يَنْفَى اللَّهُ (عز وجل) عن نفسه الظلم ولم يدافع عن نفسه؟ فهل يقع الريب أو الشكّ فى الله تعالى أو فى أمانته أو لكى يبين لنا أن بديهيات العقل لا يخالفها من قبح الظلم ونحوها؟ إنما ذلك منه تعالى لكى يبين لنا أن قبح الظلم وحسن العدل قواعد رقابية معرفية لمعرفة إلهيته تعالى فيقول: لا تقصوا ولا تغلقوا ولا تلغوا عقولكم فإنّ بديهيات العقل صرح مشيد لا يمكن تجاوزها، وأن أوامر الإله لا يمكن بحال أن تتجاوز ذلك الصرح، فإنّ مساحه

شأن صلاحيات الله وحجته لا- تناقض ولا تتعدى بديهيات العقل في إدراك الكمال لذا قال تعالى: قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٤)، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥).

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٧٥

من هنا يتضح أن من يدعى الإلوهية والربوبية لا بد أن لا يتجاوز بديهيات العقل السليم وإلا لو تجاوز أي بديهية منها فذلك كاشف عن بطلان دعواه، بل إنه بمجرد ثبوت إلهية الله تعالى ببديهية العقل لا بد أن يكون الإله واحداً، فتضاف حينئذ بديهية لبديهيات العقل وهي بطلان دعوة أي مدعى للإلوهية.

### ضروريات دين الله ثاني القواعد ...: ص: ٣٧٥

وثاني القواعد الرقابية يبينها لنا القرآن الكريم من أن الرسول (ص) وكل الرسل وكل الأنبياء حجيتهم وإن كانت مطلقة بالنسبة إلى من دونهم إلا أنها بالنسبة إلى حجة الله هي محدودة لأن حجة الباري تعالى فوق حجة الأنبياء بل إن حجة الأنبياء متفرعة على حجة الله، فحجة الأنبياء لا بد أن تقع تحت ظل وهيمته حجة الله تعالى، قال الله تعالى: ما كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ (١) فمضمون الآية وعدة آيات أخرى تبين حدود طاعة أي رسول من الرسل ونبي من الأنبياء بأنها محدودة بطار وقانون ونظام التوحيد، قال صادق آل محمد (ع): «لم يبعث نبي إلا بتحريم أصول المحرمات» (٢) فالمحرمات والفواحش لا يمكن لنبي أن لا يحرمها كما لا يمكنه أن لا يوجب الواجبات كالصلاة والصوم فهذه أصول لا يمكن لنبي أن يتجاوزها ولا يمكن له أن يرفعها لأنها من فرائض الله وأن دين الله واحد، فلو افترضنا جدلاً وإن كان محالاً

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٧٦

وحاشى لساحة الأنبياء والرسل ذلك أن نبياً من الأنبياء أو رسولاً من الرسل دعا الناس إلى ما يخالف وحدانية الله تعالى أو لمخالفة ضرورة من ضروريات دين الله تعالى لسقطت حجته والذي يكشف عن عدم نبوته أساساً أي يكون مدعياً للنبوته كذباً وليس هو نبي حقيقة، فإن توحيد الله قاعدة رقابية معرفية على حجة الرسل كما أنه لو فرضنا أن نبياً أباح محرماً إلهياً أو لم يوجب واجباً من ما قد فرضه الله تعالى في أصول الديانة فهو أيضاً كاشف عن سقوط حجته وبالتالي عن عدم نبوته أساساً أيضاً لأن ذلك ليس من صلاحيات الأنبياء والرسل.

فالقرآن الكريم وبديهيات العقل تضع لنا نصاباً وضابطة لحجة الرسل والأنبياء وذلك أن مشروعية الرسل ورسالته الرسل وشرائع الرسل يجب أن لا- تخرج عن التوحيد والتنزيه والتعظيم لله تعالى، وأن منتهى العلو والعلواء إنما هو للباري تعالى لا غيره وأن المبدأ والمعاد إليه جلّ وعلا، فضروريات الدين قاعدة رقابية على الرسل وعلى حجة الرسل لو تخطوها وحاشاهم ذلك لانكشف أنهم ليسوا برسل ولسلبت صلاحياتهم من النبوة والرسالة وبهذه القاعدة الرقابية نميز ونفرق ونستكشف صدق الرسول المحق من زيف المدعى للرسالة كمسيلمة الكذاب، فمن خلال تجاوزه لحدود توحيد الله أو لضرورات دين الله اتضح بطلان ما يدعيه لنفسه من النبوة.

فالرسل وإن كانوا معصومين ومنزهين يصطفاهم الله تعالى في غابر علمه إلا أن الله تعالى يقول: لا تلغوا ولا تقصوا عقولكم، بل إن الرقابة والفحص مستمر ولا بد منها، لأن دين الله هو دين النور والهداية ودين المناهج والشرائع المنضبطة ودين البصائر لا دين العمياء، فحجة الرسل تتلو حجة الله (عزوجل) فهي محدودة بحجة الله.

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٧٧

### سنن الأنبياء ثالث القواعد ...: ص: ٣٧٧

وحجة الرسل بدورها ضابطة وقاعدة رقابية لمعرفة الناس لإمامة الأئمة (عليهم السلام) أي أن حجة الأئمة لا تخرج من هيمته حجة

سيد الرسل، فهم (عليهم السلام) لا يتجاوزون ضروريات سنن الرسول (ص)، لذلك قال رسول الله (ص) «لأمر المؤمنين (ع)»: «إني قاتلت على تنزيل القرآن وستقاتل أنت يا على على تأويله» («١») فإنَّ الأمير (ع) لم يكن ليتجاوز شريعة سيد الرسل بل مطبق لها وسائر على نهجها فهو حارب على تأويلها أى على تطبيق ما جاء به سيد الرسل.

لذا نقرأ فى زيارة أمين الله: «أشهد أنك جاهدت فى الله حق جهاده وعملت بكتابه» («٢...٢») فهو (ع) تابع لضرورات فرائض الله وعامل بكتابه تعالى ومطبق لسنن سيد الرسل (ص)، فمن العلامات الكبرى لحقانية سيد الأوصياء أنه عمل بسنة النبي (ص) وليس مبدلاً لها.

وهكذا كثير من الزيارات لأمر المؤمنين (ع) فيها نعوت كثيرة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٧٨

ومتميزة لسيد الأوصياء (ع) بأنه منفذ متقيد تابع لضرورات الدين ولسنة النبي (ص).

فبديهيات العقل وضرورات الدين وسنة سيد المرسلين قواعد رقابية تكشف للأمة الإسلامية من هو على (ع) ومن هو غيره، من هو إمام الهدى ومن هو إمام الضلالة، من سار على دين الله وسنة نبيه ومن خالف وأحدث وبدل فى السنة الشريفة لسيد الرسل (ص).

وكذا الزهراء (ع) وما أدراك ما الزهراء الصديقة الطاهرة بضعة الرسول سيده نساء أهل الجنة وهى تسود كل النساء الصالحات المؤمنات نزلت بحقها العديد من الآيات، التطهير، المباهلة، وسورة الإنسان وما اسند إليها من صلاحيات الفى وهى أقرب قربي النبي، والنصوص مفعمة فى حقها (ع) ومع كل ذلك فإنها فى خطبتها ومحاجتها مع السلطة لم تطلب شيئاً من ذلك، وإنما قالت: «أفخصكم الله بأية أخرج أبى (ص) منها أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان أولست أنا وأبى من أهل ملة واحدة» («١») ومفاد ذلك منها (ع) أنها تقول للعقول: إن دين الإسلام ليس دين عماء وعماية بل دين بصيرة، فابصروا بعقولكم هل خرجت عن ملة أبى كى لا أرثه، أى أنى لا زلت تحت القواعد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٧٩

الرقابية الواجب على عدم تجاوزها فإننى لم أتجاوزها فلم أخالف ضروريات الدين ولا سنة سيد المرسلين.

إذاً حجية الزهراء (ع) مع عصمتها وما لها من المقامات الأخروية والتكوينية وعلو شأنها مع كل ذلك هى فى ظل ضرورات الدين وفرائض الله وضرورات سنة أبيها سيد المرسلين (ص) ومنهاج أمير المؤمنين (ع)، فحجية الله وحجية الرسول (ص) وحجية سيد الأوصياء (ع) فوق حجية الزهراء أى أن حجية الزهراء منضبطة ضمن إطار حجية الله وحجية الرسول، فلحجية الله والرسول الهيمنة على حجية الزهراء والأئمة الأطهار (عليهم السلام).

فمن هذا القبيل كلام سيد الشهداء (ع) يوم عاشوراء: «يا ويلكم أتقاتلونى على سنة بدلتها أم على شريعة غيرتها» («١...١») فإن معنى ومؤدى هذه العبارة من الإمام الحسين (ع) أن إمامته وحجيته دون حجية الرسول (ص) وأن هناك قاعدة رقابية تحده إذا تجاوزها، فللغير أن يعرفه بتلك الحدود والمقررات ويحاسبه ويقاطله، وأما مع عدم تجاوزه دائرته وحجيته وأنه ما زال ضمن مرتبته فلا يحق للغير من العامة والناس مسائلته ومقاتلته، بل اللازم أتباعه وطاعته، وتلك القاعدة الرقابية هى دين الله وشريعة سيد الرسل، فضرورات وفرائض دين الله وضرورات وسنن النبي (ص) قواعد رقابية معرفية للناس على استقامة أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وهو أمر عظيم فالإمام الحسين لا يطالب الناس بالالتفات إلى عصمته وأنه ربحانة الرسول وأن الكثير من الآيات نازلة بحقه وأنه سيد شباب أهل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٨٠

الجنة و... فإن كل ذلك مفروغ عنه ولا شك فيه، كما أنه لم يطالب بالالتفات إلى ما نص عليه من إمامته وخلافته، بل طالب بالالتفات إلى أنه لم يخالف القواعد الرقابية المعرفية وهى دين الله وسنة رسوله فيقول: إنى لم أخرج عن ضرورات فرائض الله ولا ضرورات سنن النبي (ص)، فإنه ليس لى صلاحية ذلك، وإلاً فلو خرجت عن ذلك لاستحللتكم تكفيرى وقتلى وسفك دمى.

فلننظر إلى الدين الإسلامي ومذهب أهل البيت كم هو رائع، فإنه دين التثبت والعقل والبصيرة لا دين العمائية، لو افتري على الله والعياذ بالله لأخذنا منه باليمين أو لقطعنا منه الوتين قال تعالى: «لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ» (١).

لذا فإن حجية الأئمة (عليهم السلام) في ظل هيمنة حجية الله ورسوله وتابعه لها، كما يقول الإمام على بن موسى الرضا (ع): «إن الله حرم حراماً وأحل حلالاً وفرض فرائض، فما جاء في تحليل ما حرم الله أو في تحريم ما أحل الله أو دفع فريضة في كتاب الله رسمها بين قائم بلا ناسخ نسخ ذلك فذلك ما لا يسع الأخذ به، لأن رسول الله (ص) لم يكن ليحرم ما أحل الله ولا ليحلل ما حرم الله ولا ليغير فرائض الله وأحكامه، كان في ذلك كله متبعاً مسلماً مؤدياً عن الله، وذلك قول الله: «إِنْ أَتَيْتَ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ» (٢) فكان (ع) متبعاً لله مؤدياً عن الله ما أمره به من تبليغ الرسالة»، قلت: فإنه يرد عنكم الحديث في الشيء عن رسول الله (ص) مما ليس في الكتاب وهو في السنة ثم يرد خلافه، فقال: «كذلك قد نهى رسول الله (ص) عن أشياء نهى حرام فوافق في ذلك نهى الله، وأمر بأشياء فصار ذلك دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٨١

الأمر واجباً لازماً كعدل فرائض الله فوافق في ذلك أمره أمر الله، فما جاء في النهي عن رسول الله (ص) نهى حرام ثم جاء خلافه لم يسع استعمال ذلك، وكذلك فيما أمر به، لأننا لا نرخص فيما لم يرخص فيه رسول الله (ص) ولا نأمر بخلاف ما أمر به رسول الله (ص) إلا لعل خوف ضرورة، فأما أن نستحل ما حرم رسول الله (ص) أو نحرم ما استحل رسول الله (ص) فلا يكون ذلك أبداً، لأننا تابعون لرسول الله (ص) مسلمون له كما كان رسول الله (ص) تابعاً لأمر ربه مسلماً له، وقال الله (عز وجل): «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» (١) وإن الله نهى عن أشياء ليس نهى حرام بل إعافه وكراهه، وأمر بأشياء ليس بأمر فرض ولا واجب بل أمر فضل ورجحان في الدين، ثم رخص في ذلك للمعلول وغير المعلول، فما كان عن رسول الله (ص) نهى إعافه أو أمر فضل فذلك الذي يسع استعمال الرخصة فيه، إذا ورد عليكم عنا الخبر فيه باتفاق يرويه من يرويه في النهي ولا ينكره وكان الخبران صحيحين معروفين باتفاق الناقله فيهما يجب الأخذ بأحدهما أو بهما جميعاً أو بأيهما شئت وأحببت، موسع ذلك لك من باب التسليم لرسول الله (ص) والرد إليه وإلينا، وكان تارك ذلك من باب العناد والإنكار وترك التسليم لرسول الله (ص) مشركاً بالله العظيم، فما ورد عليكم من خبرين مختلفين فاعرضوهما على كتاب الله، فما كان في كتاب الله موجوداً حلالاً أو حراماً فاتبعوا ما وافق الكتاب، وما لم يكن في الكتاب فاعرضوه على سنن رسول الله (ص)، فما كان في السنة موجوداً منهياً عنه نهى حرام ومأموراً به عن رسول الله (ص) أمر إلزام فاتبعوا ما وافق نهى رسول الله (ص) وأمره، وما كان في السنة نهى إعافه أو كراهه ثم كان الخبر الأخير خلافه فذلك رخصة فيما عافه رسول الله

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٨٢

(ص) وكراهه ولم يحرمه، فذلك الذي يسع الأخذ بهما جميعاً وبأيهما شئت وسعك الاختيار من باب التسليم والإتباع والرد إلى رسول الله (ص)، وما لم تجدوه في شيء من هذا الوجوه فردوا إلينا علمه فنحن أولى بذلك، ولا تقولوا فيه بآرائكم، وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وأنتم طالبون باحثون حتى يأتيكم البيان من عندنا» (١).

فكما أن الدين قاعدة رقابية على حجية الرسل، كذلك شريعة الرسول محمد (ص) وسنة سيد الرسل (ص) قاعدة رقابية على حجية الأئمة (عليهم السلام)، فليس من صلاحيات الأئمة تبديل ضرورات سنن سيد الرسل، لذا قال الرسول (ص): «أيها الناس حلالي حلال إلى يوم القيامة وحرامي حرام إلى يوم القيامة» (٢)، فالأئمة لما لم يكونوا أنبياء فهم لم يأتوا بشريعة غير شريعة سيد الأنبياء (ص)، وهذه قاعدة رقابية أعطاها الله تعالى ورسوله (ص) للأئمة الإسلامية لتمييز الإمام المحق من الإمام الباطل المبطل.

وهذا معنى تراتبية الحجج، أي أن بعض الحجج أكبر من البعض الآخر.

مواقف الزهراء (ع) رابع القواعد الرقابية ... ص: ٣٨٢

يقول النبى (ص): «يا على أنا كالشمس، وأنت كالقمر، والزهرء كالزهرء، والحسنان كالفرقدين» (٣)، فهذا التشبيه والفوارق منه صلوات الله عليه يذكرها لبيان تراتبية الحجج وأن بعض الحجج فوق بعض، فإن حجبة الرسول (ص) فوق حجبة سيد الأوصياء، وحجبة سيد الأوصياء

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٨٣

فوق حجبة الزهرء، وحجبة الزهرء فوق حجبة الحسين (عليهم السلام)، فلا يمكن لسيد الأوصياء (ع) أن يتخطى مواقف الرسول (ص)، ولا يمكن للزهرء (ع) أن يتخطى مواقف سيد الأوصياء (ع)، ولا يمكن للحسين (ع) أن يتخطى مواقف الزهرء (ع) فى الأحداث التى جرت بعد رسول الله (ص)، كما لا يمكن لإمام من أئمة أهل البيت الأحد عشر أن يتخطوا الزهرء (ع)، لأن حجبتها فوق حجبتهم، كما ينسب إليه (ع) «...» «وجدتنا الزهرء حجة علينا» (١) وهو مضمون أن نورهم اشتق من نورها كما فى روايات النور المستفيضة، ومضمون أن من مصادر علمهم (عليهم السلام) مصحف فاطمة (ع).

كما أن حجبة الحسين فوق حجبة الأئمة التسعة، فلا يمكن أن تتصور وتتعقل ما قد يذكر من الفهم المعوج من أن الإمام المهدي يدعو لمعاداة آباءه من الأئمة وأنه يهدم قبورهم ومراقدهم وعدم تعظيمهم (٢) «...».

فإن ذلك خلاف صلاحياته ورتبة حجبه (ع) فلا يمكنه نذ اتباع روايات آباءه وسننهم وضرورات الدين وسنة سيد المرسلين فله دائرة حجبة لا يتعداها ولا يتجاوزها، ويؤكد ذلك ما يذكره الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبة والشيخ الصدوق فى كتاب كمال الدين وما فى كتاب الغيبة للنعمانى وغيرها من كتب الأصحاب أنه (ع) حينما وجهت إليه أسئلة على يد النواب الأربعة (رض) فإنه أكثر من تسعين بالمائة من الأجوبة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٨٤

وتوقيعاته الشريفة كانت إرجاعات لضرورات سنن آباءه السابقين (عليهم السلام) من رواياتهم وتراثهم الشريف لأن ذلك التراث من آباءه يمثل ضرورات سنن الرسول والأئمة الصالحين الطاهرين، فهو (ع) بذلك يؤكد ويؤكد يد الناس عليها لأنها قاعدة رقابية معرفية لاستقامة الإمام الثانى عشر (ع)، لأن اعتقادنا بالإمام الثانى عشر فرع وتابع لاعتقادنا برسول الله ولاعتقادنا بالإمام على بن أبى طالب ولأننا اعتقدنا بالزهرء ومظلوميتها (ع) ولأننا اعتقدنا بالحسين (ع)، فكيف يتصور أن الإمام الثانى عشر (ع) يتخطى إمامة أئمة أهل البيت (عليهم السلام) لأنهم قاعدة رقابية على معرفة حجبه.

وحتى لو فرضنا فى عصر الظهور وبويع الإمام (ع) عند ركن الكعبة وحشدت أنصاره وهزم جيش السفينانى وأقام الإمام الدولة المباركة على أرض العراق و... فهل يمكن الاستغناء عن تراث أهل البيت (عليهم السلام)؟

كلا وحاشى، لأن تراث أهل البيت (عليهم السلام) فيه ضرورات سنة النبى (ص) وضرورات سنن المعصومين، والإمام المهدي (ع) وإن كان فى الحقيقة ينبوع كل شىء ولكن لا يمكن أن يستغنى عن ضرورات الدين وسنن النبى والأئمة، وهو لا يتخطى ذلك لأن ضرورات الدين وسنن النبى والأئمة من آباءه الطاهرين قواعد رقابية على حجبه.

فلو ادعى مدعى أنه الإمام المهدي، ثم تجاوز ذلك التراث لكشف ذلك عن زيف دعواه، فلا يتوهم متوهم أنه (ع) لأجل أن عنده علم كل شىء وبالتالي يتخطى ويقفز على شريعة جده حاشاه ذلك، بل هو يحيى شريعة جده فى دائرة المتشابهات وما هو منسى من سنة النبى،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٨٥

لذلك فإن أحد المهام العظيمة للحوزات العلمية هو إبقاء دور الفقهاء كجهاز وأيدى وسواعد وأعوان للإمام المعصوم فى دولة الظهور ودولة الرجعة وإن كان للإمام فى دولته نواب خاصون.

ولا يتوهم أن الإمام (ع) بعد ظهوره حيث تتكامل العلوم والعقول فلا تبقى حاجة لتراث أهل البيت (عليهم السلام)، لأن الاعتقاد

بالإمام والإمامة وحجيته لا تعنى الغلو بأن يعتقد بأن صلاحية الإمام هي صلاحيات النبوة، لأن المجيء بشريعة جديدة ناسخة لشريعة سيد المرسلين باطل بالضرورة.

كما لا يعتقد في الإمام الألوهية بأن ينسخ ضروريات وفرائض الله تعالى وضرورات الدين الإلهي، فلا نسخ في ضروريات الدين ولا ضروريات سنن النبي (ص) فضلاً عن بديهيات العقل، فلا محالة تكون هذه الضروريات بمنزلة قاعدة يستكشف بها صدق الإمام وأنه إمام الحق الموعود.

فكيف يفرض ويتوهم رفعه لمثل تلك الضروريات وقد وصف (ع) في كثير من الروايات أنه يحيى كتاب الله وسنة النبي ومنهاج آباءه الأبطال لا أنه يُميتها، فمع هذه الأوصاف كيف يُتخيل أو يُتَعَقَل أنه يقصى ويشطب على تراث أهل البيت (عليهم السلام) الذي هو متضمن لضروريات الدين وسنن النبي وسنن الأوصياء ومناهجهم، وما أشبه هذا التوهم بتوهم من يتوهم أن القرآن يُقصى ويبعد ويستغنى عنه عند ظهور الإمام، فإن المتوهم يُعلل ذلك بأنه مع وجود القرآن الناطق وهو الإمام فلا حاجة للقرآن الصامت، وكأن هذا التوهم يحسب أن ارتباط كل الناس بالقرآن الناطق خط مفتوح على مصراعيه في كل الأوقات والأحوال، ولو صح هذا التوهم لصرنا كلنا أنبياء! بوجود هذا الارتباط.

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٨٦

وكذلك الفقهاء والنواب سواء بالنيابة الخاصة أم العامة ليس من صلاحياتهم التعدي على سنن ومناهج الأئمة (عليهم السلام)، فإن حجية الفقهاء متفرعة عن حجية الأئمة، ولو جاز تعديهم لزاد الفرع على الأصل، إذاً حجية الأئمة ودائرة سنن وضرورات الأئمة (عليهم السلام) قاعدة رقابية معرفية على حجية الفقهاء.

لذلك لم تفتأ شيعه أهل البيت (عليهم السلام) من إعمال القواعد الرقابية حتى على النواب الأربعة في الغيبة الصغرى رغم ما نص عليهم من قبل الأئمة الأطهار (عليهم السلام) فإن القواعد الرقابية والفحص والتثبت وإعمال العقل لم تلغ حتى في معرفة الله تعالى وحتى في معرفة الرسل والأوصياء فكيف تلغى بحق النواب والسفراء والفقهاء، وهذا لا ينافي احترامهم وتبجيلهم، إذ هذه القواعد ضوابط معرفية في معرفة الرسل والأوصياء فكيف بمن دونهم، وإنما ذلك لأن حجيتهم محدودة وواقعة تحت حجية الأئمة (عليهم السلام) فإن خروجهم منها يكشف عن إلغاء حجيتهم.

وهذا من روائع الإسلام أنه لا يقصى المعرفة والعقل، فالقرآن الكريم يعرفنا بأن معرفة الله تعالى لو تخطت العدل والاحسان والعياذ بالله لكانت معرفتنا بالله باطلة، وهكذا في معرفتنا وتصديقنا بالرسول (ص) فإنه لا يخرج عن التوحيد، وإلا لو خرج بطلت حجيته ولانكشف أنه مسيلم الكذاب وأنه ليس رسولاً لله حاشاه من ذلك، ونحن إنما نذكر ذلك للتوضيح وإلا فالنبي (ص) حجيته ثابتة وبقيته ومعاد الله أن نشكك في ذلك.

وهكذا الإمامة لو خرج مدع لها وبدل سنة النبي (ص) لانكشف أنه ليس بالإمام المحق، لذا لم يفتأ علماء الإمامية ومدرسة أهل البيت دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٨٧

(عليهم السلام) من تسجيل المؤآخذات على من بدل سنة النبي (ص)، لأن ذلك ليس بالأمر المنفصل وغير تابع لضوابط وقواعد وإنما أمر عظيم ومنضبط، قال تعالى: وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١١).

فإن تبديل سنة النبي يعنى عدم التبعية للنبي (ص) وخروج عن الحق وعن الصراط المستقيم، فليس الأمر خيارياً يعمل أو لا يعمل ويتبع أو لا- يتبع، وإنما هو أمر محتوم قال تعالى: قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٢) فهذا أمر موجه للكل بأن يطيعوا الله بما فيهم الرسول في الدرجة الأولى والإمام فضلاً عن عامة الناس وقوله: أَطِيعُوا الرَّسُولَ أمر موجه للكل بما فيهم الإمام في الدرجة الأولى فضلاً عن عامة الناس، فأول من أطاع الرسول هو على بن أبي طالب (ع)، كما أن أول من أطاع الله هو الرسول (ص) وهو السابق على جميع الأنبياء والمرسلين والمخلوقين في طاعة



رب العالمين.

وعلى بن أبى طالب هو السابق لطاعة الرسول (ص) فَإِنَّ أَطِيعُوا الرَّسُولَ أمر موجه للكل بما فيهم أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، بل ولعامة الأنبياء والمرسلين فى الدرجة الأولى، ثم لسائر الخلق من الجن والإنس.

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣) فقوله: وأطيعوا أولى الأمر أمر موجه لعامة الفقهاء والنواب الخاصين بل حتى للنبي عيسى (ع)، أولاً يكون

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٨٨

عيسى وزيراً للمهدى (ع) ويصلى خلفه (١)؟ فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ عامَّة، والنبي عيسى (ع) حى وكذا الخضر حى، فهما مشمولان بوجوب طاعة أولى الأمر من أهل البيت (عليهم السلام).

### منهاج الأئمة خامس القواعد الرقابية ... ص: ٣٨٨

فإن حجية الأئمة (عليهم السلام) مهيمنة على حجية الفقهاء، لذلك نجد فى أول الرسائل العملية للفقهاء يقولون: إن صلاحيتنا فى الفتوى محدودة أى فى غير الضروريات وفى غير العقيدة، فإن العقيدة من الدين الذى لا يغير باختلاف الآراء فهى ليست ضمن دائرة حجية الفقهاء.

لذلك نجد مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) تؤكد وتحث عامة الناس على متابعة ومراقبة النواب والفقهاء.

فإن ما تقدم ذكره من جمع الروايات فى كتاب من قبل النائب الثالث الحسين بن روح النوبختى (رض) وعرضها على فقهاء قم تؤكد ذلك، فإن النائب وإن كان يحظى بمنزلة خاصة وتبجيل الإمام الثانى عشر (ع) ولكنه من جهة روايته لروايات الأئمة السابقين (عليهم السلام) فهو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٨٩

خاضع للقواعد الرقابية المعرفية وهى عدم تجاوزه لضرورات سيرة الأئمة المعصومين السابقين، فحتى لو كان نائباً خاصاً يبقى تحت المراقبة والمتابعة ليعلم كونه ضمن دائرة حجيتة ولم يتعداها وإلا سقطت حجيتة، وانكشفت عدم نيابته وسفارته أساساً.

فإن حجية الأئمة قاعدة رقابية معرفية على حجية السفراء والفقهاء، وإن حجيتهم تحت ظل وهيمنة حجية الأئمة (عليهم السلام)، بل إن حجيتهم قطرة أو نقطة فى محيطات وسماء المعصومين (عليهم السلام).

لذلك فإن الإمام على بن أبى طالب (ع) كان يجعل مراقبين على كل وال من الولاة الذين يولّهم فى دولته، فأى وال منهم يتجاوز أو يتخطى الاستقامة وطريق العدل ويرتكب جوراً والعياذ بالله فإنه (ع) يعزله مباشرة، لأن صلاحيات الوالى عن على بن أبى طالب (ع) لا تتجاوز حدود حجية على بن أبى طالب (ع) ولا تتجاوز حجية الرسول (ص).

فهكذا هى منظومة الدين، وهكذا يجب أن نعيها ونعرفها ونبصرها كى لا تشتبه وتلتبس علينا الفتن واللوابس، فإنها منظومة محكمة فى دين الله تعالى ودين رسوله (ص) وفى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) إحكاماً تاماً، لذا لم يُلغ دور الفقهاء فى الغيبة الصغرى ولن يُلغ فى دولة الظهور، لأن دولة الظهور هى دولة الإسلام الصحيح والتطبيق الواقعى لدين الله، فهى دولة العلم والعلماء لا دولة الجهل والجهلاء، ودولة الفضل والفضيلة لا دولة الرذيلة والرذائل، ودولة المكارم لا دولة السفاسف.

فباختبار أن أصعب الامتحانات والفتن كما مرّ هى فى قوة العقل والفكر والبصيرة فى الإنسان فلا بدّ أن تلاحظ منظومة الحجج والأدلة ومراتب الحجج وإلا كان الأمر صعباً مستصعباً.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٩٠

فإن الله تعالى في قوله: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (١١)» يخبرنا بأنه لا بد أن تكون لنا منهجية في التفكير وفي المعرفة والبصيرة وألا نتبع العشوائية والفوضوية.

وقوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّاتُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ (٢)» ليس خاصاً بالتوراة، بل هو من الدين الذي يعم كل بعثات الأنبياء ليحكموا بها حكم قضاء وسلطة تنفيذ وحكومة سياسية وقضائية وتشريعية وفتوائية، فقوله تعالى: يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ أَي الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّبَّاتُّونَ أَي الْأَوْصِيَاءِ وَالْأَثَمَةُ الْمُعْصُومُونَ (عليهم السلام)، وَالْأَحْبَارُ أَي الْعُلَمَاءُ الْفُقَهَاءُ، فَإِنَّ رتَبَةَ الْفُقَهَاءِ تَأْتِي بَعْدَ رتَبَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ، وَإِنْ كَانَ الْفُقَهَاءُ قَطْرَةً مِنْ سَمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَلَا يُقَاسُونَ بِأَحَدٍ مِنَ الْأَثَمَةِ وَلَكِنْ هَذَا لِيَبَانَ عَدَمُ الْإِغَاءِ دَوْرَ الْفُقَهَاءِ وَأَنْ لَهُمْ مَرْتَبَةٌ حُجِّيَّةٌ عَلَى النَّاسِ وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ تَحْتَ ظِلِّ وَهَيْمَنَةِ الْأَوْصِيَاءِ، وَقَوْلُهُ: بِمَا اسْتُحْفِظُوا أَمْرٌ لِلْأَنْبِيَاءِ بِحِفْظِ كِتَابِ اللَّهِ، وَالْحِفْظُ يَكُونُ بِالْعَمَلِ بِهِ وَتَعْلِيمِهِ وَإِقَامَتِهِ فِي الْبَشَرِيَّةِ، وَبِالتَّالِي فَهُوَ أَمْرٌ لِلْأَوْصِيَاءِ بِذَلِكَ أَيْضاً أَيْ بِأَنْ يَحْفَظُوا كِتَابَ اللَّهِ، وَهَكَذَا الْأَحْبَارُ الْعُلَمَاءُ، وَهَذِهِ الْآيَةُ فَرِيضَةٌ فِي كُلِّ الشَّرَائِعِ لِأَنَّهَا مِنْ فَرَائِضِ دِينِ اللَّهِ (عزوجل).

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٩١

وإلّا فإنّ اتّباع المتشابه ونبذ المحكم وعدم الوعي في المعرفة والبصيرة مرض عقلي والعياذ بالله ناشئ من الانحراف في السلوك والتطبيق، أي من ارتكاب المحرمات والفواحش، والتساهل في واجبات دين الله.

### الواقع والاستكشاف في الحجج ... ص: ٣٩١

عندما نرتب وننظم هذه المراتب من الحجج ثبوتاً، أي ندرکہا ثبوتاً فإنّ لها ترتيباً ونظماً إثباتياً كذلك، والتفريق بين المقامين دقيق ويجب أن لا يكون هناك فصل إذ أن التغيرات بينهما تباين حثي، ولا يمكن الفصل بين هاتين الحثيتين.

فعندما نضع بديهيات العقل في رأس الهرم لمراتب الحجج فإنّنا لا نفرط فيه ونجعله شاملاً حتّى لنظريات ومتشابهات العقل، وإنما العقل حجة وله هذه المرتبة في ضمن البديهيات من الأوليات والفطريات ونحوها.

فالبديهيات العقلية جعلت قاعدته معرفية استكشافية حتّى في معرفة التوحيد إنما ذلك إذا كانت في دائرة مسلمة وواضحة وهي البديهيات، وأما في حدود الإدراك العقلي النظري والذي يكون محل اختلاف الأنظار فلا يمكن أن يكون العقل في هذه الدائرة قاعدته محكمة ومحكمة وميزان فصل، لأن هذه الدائرة من إدراكات العقل ليست مسلمة وليست واضحة وإنما هي محل اختلاف الأنظار!

وهكذا فرائض دين الله تعالى إنما كانت في المرتبة الثانية للحجج ثبوتاً إذا كانت في دائرة الضروريات، فهذه الدائرة هي القاعدة الاستكشافية والرقابية لحجج الرسول وتمييز الرسول المحق ممن يدعى الرسالة كذباً فذلك إنما يكون

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٩٢

في حدود ما ثبت بالضرورة أنه من دين وفرائض الله تعالى، فلا يمكن لإله أن يأمر بغير العدل، لكن في ضمن الدائرة الضرورية من العدل وليس في الدوائر المتشابهة منه، فإنّ حجج الباري تعالى وصلاحياته مهيمنة على حجج الرسول (ص) في ظل دائرة ما أدر كناه بالضرورة أنه من تشريعات الله، أما في دائرة النظريات والمتشابهات من فرائض الله فإنّ حجج الرسول محكمة، فالرسول هو المبين للتشريعات التي لم ندرکہا بالضرورة.

فإنّنا نستكشف الرسول المحق من المدعى كذباً من خلال تمرده وعدم تمرده على دائرة توحيد الله ودائرة ضروريات فرائض الله. وهكذا نستكشف إمام الحق ونميزه من إمام الجور من خلال اتّباع سيرة الرسول (ص) في دائرة الضروريات، فليس للإمام تجاوز دائرة حجج الرسل فضلاً عن دائرة حجج العقل وضروريات فرائض الله تعالى.

فإن الإمام مشمول بقوله تعالى: وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١﴾) لذا فالأئمة (عليهم السلام) فى مناهجهم وطرائقهم المعصومة من الزلل والخلل لا- يتجاوزون ولا يتمردون على دائرة ضروريات سنن النبى (ص)، هذا ثبوتاً وواقعاً، وأما إثباتاً واستكشافاً فمن خلال استمرار الرقابة والمتابعة للإمام وأنه فى دائرة حجته ولم يتجاوز ضروريات العقل وضروريات فرائض الله وضروريات سنن النبى (ص)، وهذه المتابعة لأجل تصحيح وسداد معرفتنا للإمام المحق وزيادة الإيمان به ولتمييزه عن إمام الجور، وبعبارة أدق نراقب معرفتنا للأئمة من أول حياتهم إلى استشهادهم هل كان عملهم ضمن دائرة حجيتهم ولم يتجاوزوا ضروريات العقل والدين وسنة الرسول فهم أئمة حق وإلا فنعلم أننا لم نكن نتبع إمام حق، لذلك

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٩٣

كانت من أبرز صفات أمير المؤمنين (ع) فى أكثر الزيارات الواردة: «أشهد أنك جاهدت فى الله حق جهاده وعملت بكتابه...» (١)، «اللهم اجعله الداعى إلى كتابك والقائم بدينك» («... ٢») فإن علامة إمام العدل وإمام الحق أنه محبب لسنن النبى ومقيم لفرائض الله تعالى ولا يتمرد عليها والعياذ بالله.

### أهمية الحورات العلمية الدينية ... ص: ٣٩٣

لذلك فإن من أحد الانجازات العظيمة للحوزة العلمية أنها تبقى وتحافظ على درجة الادراك الضرورى لضروريات الدين وسنن النبى (ص) ومنهج أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، تبقيا على مستوى الضرورة، لأنه بالنشر العلمى والتكريس والتركيز العلمى تبقى الأدلة بديهية ومعلومة ويبنى لدى عموم المؤمنين والمسلمين.

وأما لو طرأ النسيان والغفلة والابتعاد والهجران للدين والكتاب والسنة حينئذ تعود البديهييات والضروريات نظريات، وهذا أمر خطير جداً، لأن حومة الدين تصبح فريسة وضحية لكل عابث ومُتلصص، لأن الضرورة صفة إدراكية فى عقول البشر قد تتأثر بعوامل الزمن والهجران والنسيان وغيرها.

من هنا نفهم أن أعداء أهل البيت لماذا سعوا كثيراً لتدمير الحوزات العلمية واستهداف طلبة العلوم الدينية، فإن هؤلاء يقومون بدور مهم ومسؤولية خطيرة وهى حفظ الدين فى بيئته الإدراكية لدى العقول والمحافظة على حياة الدين فهما ضمان لامتداد مسار وخط الأنبياء من خلال إبقاء الحالة العلمية

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٩٤

والادراكية وحالة البداهة فى البديهييات وحالة الضرورة فى الضروريات، وهذا سد منيع عن عوامل التآكل وعوامل الهدم والإبادة، فإن بقاء الدين ليس بوجوده الثبوتى الواقعى فى بطون الأدلة، وإنما فى بقاء الإثباتى الإدراكى فى العقول أيضاً وبقائه معلوماً لدى النسل البشرى إذ العلم يموت بموت أهله، وإن الأعداء يعلمون بخطورة بقاء الدين فى بيئته العلمية فضلاً عن بقاءه الثبوتى، فإن ما سنذكره لاحقاً من مفاد بعض التقارير الصادرة من بعض الجهات الغربية حيث صرحت بأنهم فشلوا فى إبادة مدرسة أهل البيت وبالخصوص حوزة النجف الأشرف بحسب تصريحهم رغم ما قدموه من إمكانيات هائلة للنظام البعثى (١) فى العراق، فإن المقصود من الفشل ليس الفشل فى إبادة الأبنية وتهديمها، ولا الفشل فى استئصال وتصفية الأجسام والدماء، ولا غير ذلك، وإنما هم فشلوا فى إبادة هذه الحالة الوجودية العلمية من تراث أهل البيت، فإن بقاء الدين فى بيئته العلمية بفضل طلبة العلوم الدينية فشل ذريع لهم لعلمهم بأن بقاء الدين بهذا

“

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٩٥

النحو يكون ذا حصون وقلاع تمنعهم من تمرير ثقافتهم الالحادية والانحرافية والمادية...

لأن هذه القواعد فى الحجج هى قواعد رقابية استكشافية تتقوم بجنبه ثبوتية وبجنبه إثباتية، أما الثبوتية فهى واقع الدين، وأما الإثباتية فهى كون الدين بحاله ادراكية واصله إلى درجة الضرورة والبدهة.

### بين البصيرة والتمرد ... ص: ٣٩٥

من هنا فإن من اعترض وتمرد على النبى (ص) فى عهده فذلك لا يمكن تبريره بأنه كان تحكيماً لفرائض الله على سنن النبى، لأن ذلك الاعتراض والتمرد لم يكن فى دائرة الضروريات، بل كان فى دائرة المتشابهات والنظريات، وفى هذه الدائرة ليس لأحد أن يحكم فهمه القاصر ويجهده فى قبال النص، فإن فرائض الله التى هى فى درجة النظرية أو الجزم النظرى فضلاً عن مراتب النظريات الأخرى لا يمكن أن تجعل محكّمة للاعتراض والتمرد على النبى (ص)، لذلك نحن ننتقد وندين أولئك الذين تمردوا على طاعة النبى (ص) وعصوه وإن كانت ذريعتهم الاجتهاد أو تحكيم فرائض الله، لأن تلك الدائرة التى اعترضوا فيها هى دائرة المتشابهات والنظريات، والنبى أعلم بذلك فى تلك الدائرة، فكما لا افراط فلا تفريط فى معرفة النبى (ص) «المتقدم لكم مارق والمتأخر عنكم زاهق» (١) أى لا غلو ولا تقصير.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٩٦

### الغلو والتقصير تعريف آخر ... ص: ٣٩٦

فإننا لا نقول بأن صلاحيات النبى تتجاوز ضروريات فرائض الله، وهذا معنى عدم الغلو إذ الغلو وهذا معنى جديد نذكره للغلو إعطاء صلاحيات فوق دائرة حجية تلك الحجة، فإن القائل بالغلو فى النبى يعطى للنبى صلاحيات تغيير فرائض وضرورات دين الله، أما عدم الغلو فى النبى وعدم التقصير فيه هو أنه لا يتجاوز ضروريات وفرائض دين الله وأنه تحت هيمنة وطاعة الله تعالى فى دائرة الضروريات، أما النظرية من فرائض وأحكام دين الله فتعلمها ونستبينها من النبى (ص)، فمعنى عدم التقصير فى حجية النبى أن له الصلاحية فى دائرة النظريات والمتشابهات.

وهذا رسم لحجية النبى ثبوتاً وإثباتاً، فثبوتاً أنها بعد فرائض ودين الله وأنها محدودة ومهيمن عليها من قبل حجية الله وصلاحياته، وإثباتاً أى أن حجية النبى (ص) محدودة بغير الضروريات الفطرية والأولية وبغير الضروريات الدينية التى اجتمعت عليها كل أديان السماء.

وهذا نظير قول الفقهاء فى أول رسائلهم العملية أنه لا تقليد فى ضرورات الدين، لأنه لا حجية للفقهاء أصلاً فى دائرة الضروريات. فإن صلاحيات الأنبياء إنما فى غير دائرة الضروريات من فرائض الله تعالى بأن لا يتجاوزوا ولا يتعدوا على التوحيد والعدل وضرورات الفرائض من الصلاة والصوم ... قال تعالى: فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (١) وقال تعالى: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٩٧

رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) أى أن صلاحيات الأنبياء لا تمثل ولا تتسع لدائرة ضروريات وفرائض الله تعالى.

وهكذا حجية الأئمة تحدد إثباتاً وثبوتاً بما دون سننه (ص)، فحجية الأئمة (عليهم السلام) تأتى بعد منطقته ودائرة ودرجة فرائض الله وسنن النبى (ص).

وإثباتاً فحجية الأئمة (عليهم السلام) فى غير ضروريات سنن النبى (ص)، أى فى النظريات والمتشابهات من سنن النبى (ص). لذلك فإن النبى (ص) لم يشرع شيئاً لم يشرعه الله، وهكذا الأئمة (عليهم السلام) لم يشرعوا شيئاً لم يشرعه الله ولا رسوله (ص)، بل

إن الله تعالى يشرع أسساً، ثم الأنبياء يوالدوا ويشعبوا منها تلك المنظومات، ثم تأتي تشريعات الأئمة (عليهم السلام) امتداداً وتطبيقاً وتنزيلاً وتشعياً لها.

لذا فإنّ بديهيات العقل وفرائض الله وسنن النبي (ص) هي قواعد محكمة استكشافية للتمييز بين الإمام الحق وبين المدعى للإمامة باطلاً. ولا يتوهم أن في المقام دوراً، لأن كون بديهيات العقل وفرائض الله وسنن النبي قاعدة استكشافية لتمييز إمام الحق عن مدعى الإمامة في دائرة الضروريات، وأما في نظريات العقل ونظريات ومتشابهات الكتاب ومتشابهات سنن النبي فإنّ المحكم في ذلك هو نفس الإمام، فلإمام حجية وصلاحيه أن يبين مجهولات ومبهمات العقل ومجهولات ومبهمات الكتاب ومتشابهات ومبهمات سنن النبي (ص)، من هنا جاءت

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٩٨

الحاجة والضرورة الملحة للاهتمام والاعتناء بالإمام (ع)، فإنّ في كل مرتبة حجية منطقتين منطقتي ضروريات ومنطقة نظريات متشابهات، فمنطقة الضروريات تكون قاعدة استكشافية، رقابية، ومنطقة المتشابهات تكون تلك الحجة الأخرى في المنطقة الضرورية محكمة فيها، بل بضميمة الضرورى من نفس الحجة أيضاً.

إذن من بركات هذه المعادلة وهي لا بدئية المحافظة على منظومة الحجج ووجوب تحكيم الحجة الأعلى على الأدون أنه لا بدّ من إعمال المراقبة في طول الطريق وليس ابتداءً فقط، فمن يأتي بمعجزة ليثبت الحجة له لا يعنى ثبوتها مطلقاً، بل لا بدّ من كونه في طول الطريق لا- يتجاوز الحجج الأعلى منه، وهذا هو الحاصل مع الأئمة (عليهم السلام)، فرغم ثبوت إمامتهم إلّا أن الفقهاء والشيعة لم يفارقوا المتابعة والمراقبة لهم.

من هنا يتضح عدم التصادم مع رواية الرسول الأعظم (ص): «على مع الحق والحق مع على يدور الحق معه حيثما دار» (١)، فإنّ المقصود بهذه الرواية أنه (ع) حق بالنسبة لما دونه في الحجج في دائرة المتشابهات وليس بالنسبة لما فوقه من الحجج، فإنّ علياً (ع) هو يدور مدار حجية وأحقية بديهيات العقل وضروريات دين الله وسنن نبيه (ص) فهو تابع لهذه الحجج الأعلى، لا أن بديهيات العقل أو ضروريات الدين والسنة تدور مدار على، بل لا بدّ لعلى أن يدور مدارها، ويشير إلى ذلك ذيل الحديث النبوي «لا يفترقان حتى يردا على الحوض» فجعل (ص) نفسه الشريف مداراً ابتداءً منه الثقلان ومنتهى يصلان إليه.

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٣٩٩

نعم، بالنسبة للدوائر الأخرى التي هي دون تلك الحجج العليا فإنّ الحق يدور مع على (ع)، فهناك موازين ومقاييس لا يمكن تركها أو تجاوزها في تحديد الإمام، فإنّ الاعتقاد بالإمام نشأ من تلك الموازين والمقاييس.

إذاً في ثبوت إمامة الإمام لا- بدّ من ملاحظة أمرين: أمر إثباتي ابتدائي كالمعجزة ونحوها، وأمر إثباتي بقائي استمراري وهو عدم تجاوز الحجج الأعلى والبقاء في هيمنتها وظلها، والأمر الأوّل لا بدّ أن يكون واضحاً جلياً يفهمه عامة الناس كالصحة بالنسبة لظهور الإمام المهدي (ع)، ولا- يحصل القطع بالإمامة إلّا بتحقيق الأمرين معاً، لذا نلاحظ الفقهاء والشيعة بشكل عام يطبقون على الإمام الموازين والثوابت من البداية إلى النهاية.

مما يدل على أن أتباع أهل البيت (عليهم السلام) يثبتون معرفه إمامهم دوماً عن بصيرة وعلم وبرهان، ولا يكتفون بالإثبات الأولى دون الاستمراري، فلا يمكن إلغاء الموازين العقلية لا في أوّل الطريق ولا في وسطه ولا في آخره، فالإمام لا بدّ أن يكون طهراً طاهراً مطهراً ليس فقط في أوّل الطريق بل على طوله، وهذا من إعجاز الدين الإسلامي في تبيان مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

وإلّا فلو ادعى مدّع الإمامة مع دليل إثبات ابتدائي كالمعجزة ولكن لم يتم دليل استمراري، كأن خالف ضروريات العقل أو الدين أو سنة النبي، فإنّ ذلك يكشف عن توهم المعتقد بإمامة ذلك المدعى.

وباختصار إن تحكيم الدلائل والبراهين حول أي شخصية كمقام سماوي أو منصب من مناصب الدين يجب أن يظل تحت مجهر

الموازين، وإن القرآن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٠٠

والدين لا- يسد عقل الإنسان عن تحكيم ورصد المجهر العقلى من أول الطريق إلى آخره، فلا يمكن مصادرته العقل ولا الثوابت ولا الموازين، بل لا بد أن تظل محكمة فى كل صغيرة وكبيرة، من هنا نفهم لماذا نادى الرسول الأعظم (ص) عندما رآه البعض واقفاً مع امرأة فى أحد الشوارع فنادى الناظر هذه صفيّة زوج النبي (ص) («١») فإنه (ص) يعطى درساً للناس بأن المراقبة فى المعرفة لا بد أن تبقى مستمرة حتى على الأنبياء.

وكذلك من هذا البيان نفهم لم كان طغاة بنى أمية وبنى العباس يختبرون الأئمة (عليهم السلام) بالأسئلة العلمية والمناظرات، لأنهم كانوا يريدون التأكد من إمامتهم فضلاً عن أهدافهم الأخرى، فإنهم لما كانوا الأفضل والأعلم بمقتضى الإمامة، فلا بد أن تكون الأفضلية والأعلمية متحققه باستمرار وليس فى أول الطريق فقط.

ثم تاتى فى المرتبة الرابعة صلاحيات الفقهاء وهم الذين لهم نيابة عامة، أى ليس لهم ارتباط واتصال بأهل البيت إلا عبر الكتاب والسنة والمصادر الدينية فلم ينب أحد منهم بالخصوص وإنما صارت له النيابة وفق شرائط وموازين بينها الله والنبي والأئمة، وهكذا فى نفس المرتبة أى الرابعة حجية النواب بالنيابة الخاصة وهم السفراء، فإن الفقهاء والسفراء فى مرتبة واحدة إذ تقدم أنه لا منافاة بين حجية كل منهما ولا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٠١

تلغى حجية كل منهما حجية الآخر حيث بيّننا بحسب مفاد آية (النفر) («١») وآية (الحكم) («٢»)، أن الفقهاء لهم دور فى دولة الرسول وفى دولة أمير المؤمنين، وهكذا حتى فى دولة الرجعة ودولة الظهور للإمام الحجة (ع) لأن هذه الآيات فرائض من الله لرسم جهاز العمل للمعصومين.

وهذه المرتبة الرابعة للفقهاء عموماً أيضاً محدودة بضروريات دين الله وسنن النبي (ص) وسنن أحكام وتعاليم المعصومين (عليهم السلام) فضلاً عن ضروريات العقل، فهذه المراتب والتراتبية والقواعد الاستكشافية لا بد من معرفتها وإلا وقعنا فيما وقعت فيه الفرق الضالة فى الغيبة الصغرى أو الكبرى، حيث جوزوا أن يكون للإمام صلاحيات أن يشرع ويفعل ما يشاء فاتبعوا ادعاء الإمامة، كما أنا ذكرنا بأن الشبهة العقائدية لا يمكن أن تراح ويتخلص منها إلا بالمداقة فى المراتب للحجج، فلا يكفى معرفة أصل حجية الحجة، وإنما لا بد من معرفة حقيقة الحجة وذلك بمعرفة مرتبة حجية تلك الحجة وأنها حجة فى أى دائرة دون غيرها، ولا بد من معرفة منطقتيها الثبوتية والإثباتية.

### القواعد الرقابية وحفظ ثقافة أهل البيت (عليهم السلام...): ص: ٤٠١

يذكر الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبة والشيخ الصدوق فى كمال الدين والنعمانى وغيرهم أن فقهاء الشيعة وعلمائهم وعامة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٠٢

الشيعة لم يفتأوا دوماً من المراقبة، فعامة الناس من الشيعة يراقبون الفقهاء والنواب، ثم الفقهاء والنواب والعامة يراقبون الأئمة (عليهم السلام)، وهكذا («...»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٠٤

فالعامة يراقبون الفقهاء ويستمرون فى المراقبة هل أنهم لا زالوا على التقوى والثبات والسير على ضرورات دين الله وسنة نبيه (ص) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) وإلما اسقطت حجيتهم، لذلك نعم ما قيل: (إنا لا- نجد انتخاباً حراً نزيهاً سديداً لقيادات تقود المجتمعات كنظام الانتخاب فى طائفة أتباع أهل البيت (عليهم السلام)) وهو انتخابهم للفقهاء والمراجع، فحتى النظام الديمقراطى فى



الغرب وفى أمريكا تتدخل فيه الأموال والمافيات والدعايات والاعلان وتتدخل فيه وفيه ... إلى ما شاء الله.

فمثلاً رئيس الجمهورية فى أمريكا لا- يُنتخب مباشرة من الشعب أبداً، وإنما نواب المحافظات هم الذين ينتخبون الرئيس، ونواب المحافظات ورئيس المحافظة لكل ولاية هو الذى يكون له ثراء ومال معين، فلا بد أن يصعد رأس ماله إلى سقف معين كى يحق له أن يرشح ليكون رئيساً لمحافظة أو رئيساً

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٠٥

لولاية، فالمال أول شىء فى هذه المعادلة الانتخابية، وإذا انتخب هؤلاء رؤساء الولايات فمن بينهم ينتخب رئيس الجمهورية. فحواجز المال وحواجز القوة هى الحاكمة والمهيمنة فى الانتخابات، فأين الشفافية، وأين النزاهة، هذا فضلاً عن بقية الدول الغربية. فلا تجد نظاماً حرّاً نزيهاً تشترك فيه كل طبقات المجتمع على الرقابة والبصيرة لا العمائة كنظام المرجعية الذى أسسه أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، مرجعية الفقهاء كأعوان ونصراء وخدام لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) هذا النظام أقامه وأسسه أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وهو نظام إعجازى وليس هو من نظم وإنشاء الفقهاء والمراجع، بل بناه الباقر (ع)، ووضع له الصادق (ع) ضوابط وحواجز نظمية إدارية لا يمكن أن تخترق.

صدر كتاب ((ehT ygoloeh fo ethgionsed بعد سقوط الطاغية صدام عن دائرة الاستخبارات الأمريكية يقول بأن أتباع أهل البيت هم الجماعة الوحيدة فى المسلمين الذين لم يذوبوا فى الغرب إلى الآن!

يقول: استطعنا أن نذوب أغلب المسلمين فى الغرب والثقافة الغربية إلا أتباع أهل البيت، وإنما ذلك لسببين مهمين، الأول هو الحسين (ع)، فهو الذى يدقق فى أتباع أهل البيت العزة والإباء والصمود والاستقامة والبطولة والاعتزاز بالهوية، فكيف يمسح هكذا مجتمع أو تغير هويته وهو يتغذى وينهل الهوية والشخصية من الحسين (ع)، لذلك نلاحظ محاولات الطعن والتشكيك فى قضية الحسين (ع) والاستهانة والتحقير لخطباء مؤسسه الحسين (ع)، وهكذا الروايد (واللطامة) نجد التشكيك فيهم بأقلام مريبة من داخل أو ساط المذهب لتخريب مثل هذا الباب والصرح العظيم وهو مؤسسه سيد الشهداء (ع).

ويذكر هذا الكتاب وقد ترجم فصول منه، السبب الثانى وهو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٠٦

المراجع والفقهاء، ويذكر حوزة النجف بالاسم يقول أيضاً: كُنّا نزود النظام البعثى معدل كل سنتين أو ثلاث بأحدث النظم الأمنية لكى يفتك بالحوزة وبالشيعة إلا أنه فشل.

وربما يسائل كيف لم يستطع النظام البعثى أن يخترق الحوزة ولم يفتك بها؟ وكيف فشل النظام البعثى أن يخترق الفقهاء والمرجعية بأن يجعل مرجعاً مزيفاً للشيعة، وهذا هو الذى يريدون الوصول إليه؟

وما ذلك إلا لأن الأئمة وضعوا لها نظاماً ذا حواجز وأستار وستور مخبرية يفشل من تطمع نفسه أو تسول نفسه ولو كان من الدول والقوى العظمى أن تخترق هذا الستر، فإنّ الفقيه والمرجع يبقى تحت الرقابة الشعبية من أول عمره إلى آخر نفس فى حياته، فأى أمة من البشر وأى طائفة من البشر عندهم هكذا رقابة نزيهة وشفافة على القيادة، وفى انتخاب القيادة كهذا النظام الذى وضعه أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وهذا من إعجازهم (عليهم السلام)، وبالتالي فلا يمكن لشخص مزيّف أو لشخص كارتونى مهما أوتى من حيل وأساليب أن يخترق هذا المقام المرجعية والفقهاء لأنه نظام منيع، فلو كان فقيه من الفقهاء تقياً ورعاً طول حياته ولا سمح الله فى بعض حياته ابتعد عن التقوى أو العلم لأبعد عن هذا المنصب.

**القواعد الرقابية والشلمغانى والعبرتائى ...: ص: ٢٠٦**

التاريخ يحدثنا أن فقهاء صلحاء أجلاء فى بداية أمرهم كابن أبى العزاقر الشلمغانى وأحمد بن هلال العبرتائى كانا من الفقهاء الكبار،



والتأمل أن تلك الأحداث الغريبة إن كانت حسنة حاول إيجادها بإيجاد وتوفير أسبابها وبواعثها، وإلا تجنبها قبل وقوعها والتلبس بها، فإنه كما يقال (الوقاية خير من العلاج).

فمن تلك المواقف والأحداث المستحقة للوقوف عندها انحراف فقهاء كبار كالشلمغانى والعبرتائى، فما هى أسباب وبواعث هذا الانحراف؟

مما لا شك فيه إن أسباب ومناشئ ذلك كامنة فى نفس الإنسان وفى سلوكه عموماً ونوع وطبيعة علاقته مع الله تعالى خصوصاً!

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤١٠

فإن النفس إذا لم تخضع وتوقن بوجود طريق ومسلك واحد انحصارى لله تعالى وهو طريق المعصومين فإنها لا محالة عرضة بل آيلة للزيغ والانحراف، فإن المعصومين هم الذين صفاهم واصطفاهم الله تعالى ليكونوا قناة أمان للخلق، وإلا فما عدا هذه القناة يكون الشيطان هو المتبع!

ويمكن استفادة ذلك من قوله تعالى: **وَإِذْ عَلَّمْنَاهُمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ \* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١١)**.

فالاخلاد للأرض يعنى اتباع الشيطان، أى استحباب الهوى والغرائز والملاذ، فالله تعالى يبين لنا أنه تعالى رسم لنا طريقاً ومسلكاً منه يعبد ويطاع ويتقرب إليه، حيث يقول: **آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا، ولكن الإنسان إذا انسلخ عن ذلك الطريق وأخلد للهوى والغرائز فقد سمح للشيطان أن يتلاعب به.**

فالنفس إذا لم تُروض بالطاعة والمرارة وشيء من القسوة والقطيعة عن الشهوات والأهواء فإنها لا محالة تشط ويتلاعب بها الشيطان، إذ روى عن الرسول الأكرم (ص): **«أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك» (٢)** وما ذلك إلا لأن الشيطان عدو مبین للإنسان، فلا بد من سد كل الثغرات والمنافذ لئلا يوسوس للنفس، بل لو وسوس فلا بد أن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤١١

تكون النفس مطمئنة متيقنة مستقرة، يقول الله تعالى: **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١١)**. ولكن الأزمة والمشكلة فى الإنسان أنه لا ينظر للنفس كدابة يمتطيها فى مرحلة من مراحل وجوده بل يجعلها كجزء ثابت ويراها ذاته، وهذا خطأ معرفى سلوكى تعايشى يقع فيه الإنسان حيث يظن النفس جزء ذاته بينما هى دابة ووسيلة ومركوب تركبه روح الإنسان أى عقله.

فلما كانت النفس دابة يركبها عقل الإنسان فلا بد أن لا تعطى كل ما تريد وإنما تعطى مقدار الحاجة.

ولكن الإنسان لما جعل النفس جزء ذاته فحسب متطلبات النفس هى متطلبات الذات، فراح يطلق لها العنان فى مراداتها ومتطلباتها وهذا بالتالى يضر بذاته لأن النفس ستقوى وتنفر عليه ولا تودى وظيفتها بالشكل المطلوب والصحيح، بل إن متطلباتها وحوائجها لا تقف عند حد فيكون هو دابته! ففى رواية عن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: **«إياك والسفلة، إنما شيعته جعفر من عَفَّ بطنه وفرجه واشتد جهاده وعمل لخالقه ورجا ثوابه وخاف عقابه» (٢)**.

وبمثال حسى لو كانت لشخص فرس يحتاجها عند التنقل والترحال والحروب لصد الأعداء وكوسيلة تخدمه لتلبية أغراضه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤١٢

ومتطلبات حياته ولكنه يوفر لها المأكل لدرجة أنه صار خادماً لها فى تلبية جميع متطلباتها حتى الراحة والنوم فضلاً عن الطعام، فبالنتيجة صارت الفرس تقضى حوائجها بواسطة ذلك الشخص، فلو أرادها للحرب والتنقل طلبت الراحة والنوم، ولو أراد هو الراحة والنوم طلبت هى الطعام والشراب، فصار الأمر بعكس المطلوب!

أما لو كان يعطيها بقدر الحاجة ويجبرها على تأدية متطلباته هو حتى لو كان فى ذلك عناء ومشقة الدابة فإن ذلك هو السبيل الوحيد والترتيب المنطقى والعلاقة الطبيعية بين الشخص ودابته، وهكذا الإنسان ونفسه، فلو جعلها جزء ذاته وأعطاه كل ما تريد وتشتهى امتطته وقضت حوائجها وشهواتها به ومنه، وخسر هو ذاته وكانت وبالاً عليه بدلاً من أن تكون عوناً له.

وبالتالى تكون النفس أميرة عليه فيحسبها ويستغفل عقله.

وعلاج ذلك أن يجعلها دابة له ويتعامل معها على هذا الأساس تعاملًا عملياً تعاشياً وليس تعاملًا فكرياً تجردياً فحسب.

فلا بد للإنسان من ترويض نفسه لا أن يطيعها كما يقول أمير المؤمنين (ع): «هى نفسى أروضها» («... ١») أى أجعلها مأمورة خادمة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤١٣

كما يستفاد ذلك من الدرس العظيم الذى أوصلته لنا العقيلة (ع) من القرآن الكريم حينما ردت على يزيد لعنه الله، حيث قالت: قال الله تعالى: «تَمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاؤُا السُّوَاى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤْنَ» (١) والذى يعنى أن الإنسان إذا توخّل فى الرذائل فإنّ الله تعالى يُعمى بصيرته وعقله، فإنّ الإنسان مجموعة قوى تؤثر بعضها فى البعض الآخر، فإذا كان الإنسان يرتكب المحرمات سوف تنعدم وتضيع منه البصيرة وبالتالي يحكّم المتشابهات على المحكمات، والإنسان الطاهر العفيف والذى أدمن السلوك التبر وأدمن وربط على التقوى والعفاف والطهارة والصلاح فإنّ ذلك يوجب قوة العقل والبصيرة والتميز عنده.

لأنّ سبب انحراف بعض الذين ادعوا النيابة الخاصة والسفارة مع أنه كان فى البداية مؤمناً مستقيماً أنهم مع ما وصلوا إليه لم تكن نفوسهم راضخة ومتيقنة أن الطريق والمسلك إنما يُحدد من قبل الله تعالى والمعصومين، بل هم رضخوا لمطالب النفس فى طلب السيادة والرئاسة و...

واللطيف أن الإمام الثانى عشر (ع) لما أخرج اللعن بحق العبرثائى ذكر سبب انحرافه حيث قال: إنه لم يدع الله أن يجعل إيمانه مستقراً، فعن على بن محمّد بن قتيبة، قال: حدّثنى أبو حامد أحمد بن إبراهيم المراعى، قال: ورد على القاسم بن العلاء نسخة ما خرج من لعن ابن هلال وكان ابتداء ذلك أن كتب (ع) إلى قوّامه بالعراق: «احذروا الصوفى المتصنع»، قال: وكان من شأن أحمد بن هلال أنه قد كان حجج أربعاً وخمسين حجة، عشرون منها على قدميه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤١٤

قال: وكان رواة أصحابنا بالعراق لقوه وكتبوا منه، وأنكروا ما ورد فى مذمته، فحملوا القاسم بن العلاء على أن يراجع فى أمره.

فخرج إليه: «قد كان أمرنا نفضد إليك فى المتصنع ابن هلال لا رحمه الله، بما قد علمت لم يزل، لا غفر الله له ذنبه، ولا أقاله عثرته يداخل فى أمرنا بلا إذن منا ولا رضى يستبد برأيه، فيتحامى من ديوننا، لا يمضى من أمرنا إياه إلّا بما يهواه ويريد، أرداه الله بذلك فى نار جهنم، فصبرنا عليه حتى بتر الله بدعوتنا عمره.

وكنا قد عرفنا خبره قوماً من موالينا فى أيامه لا رحمه الله، وأمرناهم باللقاء ذلك إلى الخاص من موالينا، ونحن نبرأ إلى الله من ابن هلال لا رحمه الله، وممن لا يبرأ منه.

واعلم الإسحاقى سلمه الله وأهل بيته مما أعلمناك من حال هذا الفاجر، وجميع من كان سألَكَ ويسألَكَ عنه من أهل بلده والخارجين، ومن كان يستحق أن يطلع على ذلك، فإنه لا عذر لأحد من موالينا فى التشكيك فيما يؤديه عنّا ثقاتنا، قد عرفوا بأننا نفاوضهم سرنًا، ونحمله إياه إليهم وعرفنا ما يكون من ذلك إن شاء الله تعالى».

وقال أبو حامد: فثبت قوم على إنكار ما خرج فيه، فعادوه فيه، فخرج: «لا شكر الله قدره، لم يدع المرء ربه بأن لا يزيغ قلبه بعد أن هداه وأن يجعل ما منّ به عليه مستقراً ولا يجعله مستودعاً» (١) اللهم اجعل إيماننا مستقراً بحق محمّد وآله الأطهار.

ولا ينحصر هذا الكلام بمدعى السفارة، بل بكل الدعوات الباطلة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤١٥

من دعوى الألوهية والنبوة والإمامة والسفارة والفقاهة والسيادة و... وكل ما هو على وشريف، فإن النفس ببواعثها الشيطانية تطمح لها، ولكن العقل يحكم موازينه وضوابطه ويضع نفسه فى محله الصحيح، ولكن أين الذى يجعل النفس دابة العقل ليكون فى جادة الحق والصراط المستقيم؟!

فإن بعض أولئك الفقهاء مع ما وصلوا إليه من العلم والعبادة لم تكن نفوسهم طوع عقولهم، بل كانوا يأملون أكثر مما تستحق نفوسهم، ولم يكونوا يعتقدون بالأئمة تمام الاعتقاد، بل أحياناً يرون الرجحان فى أقوالهم أو أفعالهم كما روى عن المفضل، قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «اتق السفلة، واحذر السفلة، فإنى نهيت أبا الخطاب فلم يقبل منى» (١) وروى عيسى عن أبى عبد الله (ع): «إياك ومخالطة السفلة فإن السفلة لا تؤل إلى خير» (٢) فإن أبا الخطاب لم يمثل كلام الصادق (ع)، لأنه كان يرى فعله ورأيه أرجح، وما ذلك إلا لسوء سريرته الحاصل من عدم السيطرة على أهواء النفس، فإن الرواية تفيد أنه كان يرافق السفلة مع أن الإمام ينهاه، بمعنى أنك تتبع هواك فإياك من ذلك.

وقد روى عن الكاظم (ع) أنه قال عندما سُئل عن أبى الخطاب: «إن الله خلق الأنبياء على النبوة فلا يكونون إلا أنبياء، وخلق المؤمنين على الإيمان فلا يكونون إلا مؤمنين، واستودع قوماً إيماناً فإن شاء أتمه دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤١٦

لهم وإن شاء سلبهم إياه، وأن أبا الخطاب كان ممن أعاره الله الإيمان، فلما كذب على أبى سلبه الله الإيمان» (١) أى فىهم استعداد رسوخ الإيمان، فإن عصوا لم يرسخ، وهذا العصيان من النفوس إذا كانت لها السيادة على العقول.

\*\*\*

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤١٩

## الفصل السادس: النيابة الخاصة ... ص: ٤١٩

### أصحاب السر ... ص: ٤١٩

قد نجد فى بعض الروايات أوصافاً خاصة لبعض الأصحاب كوصف أصحاب السر (١) لميثم التمار ورشيد الهجرى وحبيب بن مظاهر الأسدى (رض) وجملته من أصحاب الإمام أمير المؤمنين (ع) حيث أتخفهم الإمام (ع) بعلوم وحباهم بها، وهكذا باقى الأئمة (عليهم السلام) مع بعض أصحابهم فإن لهم علم المنايا والبلايا وأسراراً وغوامض العلوم وغيرها.

ولكن ذلك لا يعنى أنهم يرفعون اليد عن بديهيات العقل أو ضروريات الدين أو سنن النبى (ص) والأئمة (عليهم السلام) ولا بد أن نلتفت لهذه النكتة المهمة وهى قاعدة رقابية عقائدية معرفية، إذ مهما كان عند أولئك من علوم وأسرار و... فإنها لا تناقض ولا تخالف ولا تصطدم ولا تصطك فى حال من الأحوال ولا فى زمان من الأزمان مع ضروريات وبديهيات العقل وفرائض الله وسنة النبى (ص) والأئمة (عليهم السلام) سواء أكانت تلك العلوم والأسرار عند الأصحاب أم عند الأئمة (عليهم السلام)، فتحى الأئمة

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٢٠

(عليهم السلام) عندما نقول عندهم علم الباطن ولديهم أسرار و... فلا يعنى ذلك أبداً التنازل عن أى ضرورة من ضروريات العقل ودين الله وسنة النبى والأئمة (عليهم السلام).

فلا- نستغفل ولا- نغرر ولا- نتوهم فى بريق هذه العناوين (علوم الباطن، أسرار، معارف، علم البلايا والمنايا) ... فحينئذ نتهاون عن التمسك بالضرورات والبديهيات، وإنما تبقى هذه الضروريات وتبقى تراتبية الحجج وتبقى القواعد الرقابية المعرفية فى كل الأحوال والأزمان.

ومما يشهد ويؤيد ذلك قصة موسى (ع) مع الخضر (ع)، قال الله تعالى: فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا\* قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا\* قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسِيَّطِعَ مَعِيَ صَبْرًا\* وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا\* قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا\* قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا\* فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا لَمَّا جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا\* قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَنْ تَسِيَّطِعَ مَعِيَ صَبْرًا\* قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسَيْتُ وَلَا تُزْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا\* فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا\* قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسِيَّطِعَ مَعِيَ صَبْرًا\* قَالَ إِنْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا\* فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَتَوْا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا\* قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسِيَّطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا\* أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا\* وَأَمَّا الْغُلَامُ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٢١

فَكَانَ أَبُوهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُزْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا\* فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا\* وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسِيَّطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (١)».

فإن الخضر (ع) بعظمته وما عنده من علوم وأسرار وتوثيق من الله سبحانه وتعالى وإنه من رجال الغيب ومن رجال السر وعنده علم لدنى وتركيبه من الله فهو بذلك فوق اليقين وليس رواية ظنية أو تحليلاً أو تأويلاً، حيث كانت مرافقة موسى (ع) له بإرشاد وتوجيه وتوثيق من الله سبحانه وتعالى، فمع كل ذلك عندما ارتكب ما يخالف ظاهر الشريعة وليس ضرورى الشريعة وإنما ظاهر الشريعة لم يكن موسى (ع) ليتجاوز من ذلك ويستمر فى صحبته معه على عماية وإنما اعترض عليه موسى (ع) ووقف أمامه لأن هناك حججاً فوق حجية الخضر وضوابط ونظماً إلهية لا يمكن للنبي موسى (ع) أن يتخلى عنها، ولقد بُعث بها جميع الأنبياء ولا يمكن لا لنبي ولا لوصى ولا لولى ولا لزكى ولا لملك مقرب أن يتخطاها فهى فرائض الله تعالى وأنها فوق الجميع، لذلك اعترض موسى على الخضر مع أن الخضر مُزكى من الله (عزوجل) وموسى (ع) لم يغرر بذلك من أنه توثيق وتركيب ووحى، بل عندما شاهد مخالفة للقواعد والضوابط اعترض وحكم القواعد الرقابية وموازين البصيرة فى تعامله، فحتى لو كان الخضر ذا علم لدنى وأن الله أمر موسى (ع) باتباعه فذلك لا يمنع من إعمال تراتبية الحجج وتحكيم القواعد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٢٢

العامه، فإنه بحسب الموازين العامة وظاهر الشريعة أن قتل النفس وخرق السفينة وبناء الجدار لقوم جفاه أمر فيه فساد فى الأرض حتى لو كان من ولى أو وصى أو نبي فكيف بمن دونهم، فإن الدماء والنفوس يراد لها محلل وولى من أولياء الله فحتى الأطفال من أبناء الكفار ليس لنا مسوغ لقتلهم فى الحالات العادية باجماع الديانات ومذاهب المسلمين إلا الخوارج الذين يمرقون من الدين ويستحلون دماء الأطفال ودماء الأبرياء ودماء الشيوخ والنساء، إذ من ثوابت كل الأديان حرمة الدماء ولم يجترئ على استحلاله أحد حتى لو كانت هناك حالات استثنائية كترس الكفار بالأطفال والتدريج بهم فإنها حالات استثنائية لا تعدو بحال لأن تكون دائمية استمرارية، فالاستثنائى لا ينقلب أولياً أبداً.

وكما يقول على بن أبى طالب (ع): «والله إنى لأهتدى للغدر، لكن كل غدره فجرة، وكل فجرة مآلها النار» (١)».

وكذلك نلاحظ مسلم بن عقيل (ع) سفير الحسين لم يفتك غيلةً وغدرًا لأنها ليست من أعراف الأديان السماوية أبداً.

يعنى أن هناك ثوابت لدين السماء لا يمكن لولى مهما كان أن يتجاوزها.

لذلك فإن الخضر مهما عُرّف وزكى بوحي من الله لموسى (ع) فإن عند موسى وحياً بحجج أعظم من تركية الخضر لا بد من



تحكيمها

،،،

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٢٣

على حجية الخضر، فإنه قال بعد الاعتراف: قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسِيَطِعَ مَعِيَ صَبْرًا\* قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُزْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَشْرًا (١) ورغم ذلك عاد واعترض ثانياً فقال: قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسِيَطِعَ مَعِيَ صَبْرًا\* قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٢) ولكنه مع ذلك يعترض مرة ثالثة، ولو لاحظنا الاعتراض الثالث لوجدناه ليس شيئاً واجباً ولا محرماً إذ قال له بعد إقامة الجدار: قَالَ لَوْ شِئْتَ لَأَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٣) فهو أمر ندبي أولى فيه رجحان عقلي وشرعي، إذ من الراجح أن يدبر الإنسان أموره وفي ذلك الحال، كان الخضر وموسى (ع) جائعين وقد استطعما أهل المدينة فأبوا أن يضيفوهما لذلك يقول موسى (ع) للخضر من باب تدبير الأمر بأن يأخذ أجراً على إقامة الجدار، فهو أمر تدبيري راجح وليس فيه إلزام اتخذه النبي موسى (ع) قاعدة رقابية على أفعال الخضر.

وهذه الاعتراضات من النبي موسى (ع) لم تكن هباءً أو خطأ في مرحلة التنظير وإنما كانت اعتراضات صحيحة يُسطر لنا القرآن من خلالها ملاحم معرفية وبصائر نورية تُنير لنا الدرب وتكون درساً في تحكيم القواعد الرقابية لعدم مخالفة ظواهر الشريعة فضلاً عن ضرورياتها، فإن موسى (ع) لم ينخدع ولم يتنازل عن الحجج العليا والضوابط والقواعد الرقابية لمجرد تزكية الله تعالى للخضر وإرشاده باتباعه، فلم يتأول مخالفة الضوابط والاستمرار في مصاحبته، لأن تلك

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٢٤

الضوابط والقواعد لا- يمكن رفع اليد عنها ولا- يمكن الاصطدام بها، لذا فإن الخضر عندما أراد أن يجيب النبي لم يُفند تلك الاعتراضات من حيث المبدأ، فلم يجوز سفك الدم البريء فإنه حرام بأي حال، وإنما أتى بوجوه علمية لدينه موحاة له من قبل الله تعالى، فالخضر أقر موسى على تلك المبادئ والقواعد، وأقره على عدم إمكان رفع اليد عنها، وإنما بين له أن هذه مصاديق لقواعد أخرى.

### التأويل مع الظاهر لا الضروري ...: ص: ٤٢٤

ولنتفت إلى أن ما فعله الخضر هو مخالف للظواهر وليس للضروري، وإلّا لو كان مخالفاً للضروري فلا- مجال للتأويل، كما أن الاحتياج للتأويل في تصحيحه إذا كان مخالفاً للظاهر وأن ذلك التأويل من الله تعالى وليس من أيّ كان، فالخضر على ما كان عليه لم يكن ليتأول من نفسه، وإنما اعتمد على ما عنده من علم لدني ليوصله إلى وجوه متينة. إذن هذه الضوابط وهذه القواعد مُحكّمة دائماً، فحينما نقول أسراراً وأسراراً فلا نتعقل أن هناك أسراراً تخالف الشريعة أي أن باطن الشريعة يناقض ظاهرها.

### تطابق الشريعة ظاهراً وباطناً ...: ص: ٤٢٤

لذلك تخطأ دعاوى الصوفية أو بعض العرفاء عندما يتمحلون لأنفسهم أن النبي (ص) أو الباري تعالى لديه دين باطن هذا الدين عميق ويناقض ظاهر الشريعة، فإن هذا باطل، لأنه لا يمكن أن تكون ضرورات الشريعة تُخالف ثوابت باطن الشريعة، بل لا بدّ من التلائم والانسجام

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٢٥

والتناسق والتناسب والامتداد بين ظاهر الشريعة وباطنها، وإلّا كان كله من الزيف الباطل والعياذ بالله وإن احتمال أن يتوهم متوهم أن

ظاهر الشريعة ليس إلّا سراباً أعوذ بالله فإنّ هذه سفسطه وليست حقيقة.

وهذه القاعدة المهمة دائماً ما تحاول الفرق الضالة الاحتيال عليها أو تزييفها لعقول المؤمنين باسم هذه العناوين والذرائع من أسرار وبواطن و... وأنها تناقض ضروريات الدين، فإنّ ضروريات العقل وبديهيات العقل وضروريات الدين وضروريات شئنة النبي (ص) وضروريات شئنة المعصومين (عليهم السلام) قواعد رقابية معرفية سواء على ما دونها من الحجج أم على الأسرار والأعماق والبواطن، لأن باطن المعارف يعنى الأمور النظرية والمتوغلة في النظرية، وأن إدراكها نظري وغامض، ومما لا خلاف فيه أن النظرى إنما يتسع وينبنى ويتوالد وينشعب ويأخذ سلسلة حلقات مترابطة مبتنى على البديهيات.

كما في علم الرياضيات وبقية العلوم فلا نتصور وجود أسرار تناقض قاعدة أن (٤: ٢+٢) ولا غير ذلك، فإنّ كل قواعد الرياضيات وعلومه المستجدة المتداولة المكتشفة جيلاً بعد جيل إنما تبتنى على بديهيات الرياضيات لا أنها تهدمها وتناقضها وإلّا لانهدم أساسها وجذرها وبنيتها، وهكذا أسرار الفيزياء وأسرار الكيمياء وأيّ علم كان فإنّ معنى أن له أسراراً أى متوغلاً في النظرية والابهام والغموض لكنه مبنى وفق حلقات ومعادلات تبتنى على بديهيات وضروريات ذلك العلم.

وهكذا الكلام في معارف الشريعة وضرورياتها، فإنّ باطن الشريعة وأسرارها يجب أن لا يناقض ضرورياتها، بل أن أسرار وغوامض

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٢٤

الشريعة والنظرى فيها لا بدّ أن يبتنى على الضرورى منها، فإنّ ضرورة التوحيد وبقية صفات الله وأن البارى تعالى هو الغنى المطلق وأن كل ما عدا البارى تعالى مخلوق مفتقر ومحتاج إليه تعالى ونبوة الأنبياء وولاية الأوصياء و («...»).

فهذه ضروريات الشريعة يجب المحافظة عليها وعدم مخالفتها، ولا بدّ أن يبتنى النظرى والسر والغامض عليها كما هو الحال في كل العلوم، وإلّا لو كان النظرى مخالفاً أو مناقضاً للضرورى والبديهي لأدى ذلك إلى نسف نفس النظرى فيكون النظرى مناقضاً لنفسه، لأن النظرى في كل علم يجب أن يكون مبنياً على بديهي وضرورى ذلك العلم.

فإنّ كل العلوم النظرية إنما تكون متحصلة من صغرى وكبرى أو استقراء أو... وهذه تنتهى للبديهيات، والإنسان إنما ينطلق لايجاد وتحصيل علوم وقواعد ودوائر معرفية جديدة من تلك الدوائر والمساحات البديهية، فإنّ دوائر الضروريات والبديهيات رأس مال ثمين وكنز لا يُقدّر، منحه الله تعالى للإنسان فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبدل ليخلق الله ذلك الدين القيم (٢)، إذن لا يمكن أن تكون هناك أشياء تناقض الفطرة، فهذه قوى قوامية وقيومية واستقامة وفطرة قيمة وهى قاعدة من القواعد المعرفية.

لذا فلو أردنا الوصول لباطن الشريعة فلا بدّ أن يكون من الظاهر فإنّ الظاهر هو جسر وطريق الباطن ولا نتصور التناقض بينهما.

“

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٢٧

وما يحصل من توهم واشتباه في هذا المجال إنما هو لأن الغوامض والأسرار والنظرية متشابهة قد يشتهب الأمر فيها لدى الإنسان فلا يعلمها فيجعلها غامضة لديه دوماً ولا يرجعها إلى محورية واسطوانية ومركزية المحكم وهو ضروريات الدين، والبعض نتيجة هذا التوهم يقع في مصيدة ومسرحية الدجل والتحايل ومصادرة العقول والألباب والبصائر بعناوين مختلفة كأسرار وبواطن وغوامض و... فيرفع اليد عن الضروريات فيستبيح ارتكاب الفواحش وترك الصلاة والصوم ونصب العداة للأئمة (عليهم السلام) ولشيعه أهل البيت وغير ذلك، وهو من العجيب، فإنّ من ضروريات الدين محبة محبى أهل البيت فكيف يكون من الدين بعنوان الأسرار ونحوه معاداتهم، وكيف أن معاداة فاطمة ومعاداة محبها يكون من الدين بعنوان الأسرار والبواطن مع أن محبة فاطمة من ضروريات الدين وأنها (ع) تنجى محبها يوم القيامة بل ومحبى محبها فضلاً عن من تولاها (ع)، وما ذلك إلّا تحايلات وتدليسات وهلوسات.

وبعبارة أخرى كيف تترك ضروريات الدين الواصلة إلينا بتمويهات من الغرب أو الشرق، بل لنلتزم ونلتفت لحقيقة الدين وحقيقة الحجج التي أسسها الله والرسول والأئمة من القواعد الرقابية المعرفية المهمة.

## سقوط الحجية ... ص: ٤٢٧

تقدم أن إعمال القواعد الرقابية وتطبيقها أمر مهم ولا بد منه فى بناء نظم الحجج وتراتبيتها، وذكرنا أن من نتائج تطبيق تلك القواعد الرقابية إسقاط حجية بعض الفقهاء الكبار كابن أبى العزاقر والعبرائى،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٢٨

وهذه ظاهرة عظيمة فى ترابيتية الحجج، فالكل تحت مجهر المراقبة ومختبر التجربة، وما أن يتجاوز دائرة حجيته حتى يكون نتيجة عملية تلقائية للقواعد الرقابية بأن تنكشف عدم الحجية لذلك المتجاوز.

وكما تبين أن هذا البحث ليس منحصراً على حجية الفقهاء بل لكل الحجج على اختلاف مراتبها والتي منها النيابة الخاصة والسفارة، فإن هناك من كان سفيراً أو نائباً خاصاً وقد تجاوز دائرة حجيته فاسقطت لإعمال تلك القواعد الرقابية.

فإن محمد بن أبى زينب المقلص أو أبا الخطاب له عدة ألقاب اشتهر بها كان من أصحاب السر للإمام الصادق (ع)، وكان من القدر والجلالة والاستقامة بمكان زرارة بن أعين الفقيه، بل لعله كان أكثر حظوة عند الإمام الصادق (ع) من زرارة أو محمّد بن مسلم أو أبى بصير أو بريد بن معاوية العجلي، مع أن هؤلاء هم الأوتاد الأربعة من الفقهاء والذين قال عنهم أئمة أهل البيت (عليهم السلام): «بهم انتشر حديث وعلوم أهل البيت (عليهم السلام)» (١) مع كل ذلك كان أبو الخطاب أكثر حظوة منهم عند الإمام (ع)، وكان حرمان بن أعين يروى عنه أى عن محمّد بن أبى زينب المقلص فى فترة استقامته مع أن حرمان أحد الرواة المهمين فى القراءات العشر، وكان من علماء علم التفسير، وشهد له الإمام الصادق (ع) بالجنة بعد وفاته، فهذا حرمان على عظمته كان كذلك يستفهم من محمّد بن أبى زينب المقلص.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٢٩

## إمكانية الانحراف والنائب الخاص ... ص: ٤٢٩

بل إن محمّد بن أبى زينب المقلص قد يستظهر من بعض الروايات أنه كان نائباً خاصاً وباباً وسفيراً للإمام الصادق (ع) وهناك شواهد على ذلك ويمكن مراجعته الكشفى فيه لكن قد نستغرب أن هناك نائباً خاصاً بهذا القدر ثم ينحرف! ولكن ذلك لعدم تسليط الضوء على ذلك الحدث من قبل علمائنا ولم يبلوروا البحث فيه بشكل دقيق.

ورد فى ترجمة المفضل بن عمر الجعفى أن الشيعة أتت الإمام الصادق (ع) وأرادت منه أن يقيم المفضل مقام ومكان ابن أبى زينب المقلص بعدما انحرف وتبرأت منه الشيعة وأن يقيمه باباً له، وهذا التعبير موجود فى غير واحد من الروايات من قبيل ما حكى نصر بن الصباح، عن ابن أبى عمير بإسناده أن الشيعة حين أحدث أبو الخطاب ما أحدث: خرجوا إلى أبى عبد الله (ع) فقالوا: أقم لنا رجلاً نرفع إليه فى أمر ديننا وما نحتاج إليه من الأحكام؟ فقال: «لا تحتاجون إلى ذلك متى ما أحتاج أحدكم عرج إلىّ وسمع منى وينصرف»، فقالوا: لا بدّ، فقال: «قد أقت عليكم المفضل اسمعوا فيه واقبلوا عنه، فإنه لا يقول على الله وعلى إله الحق»، فلم يأت عليه كثير شىء حتى شنعوا عليه وعلى أصحابه، وقالوا: أصحابه لا يصلون ويشربون النبيذ وهم أصحاب الحمام يقطعون الطريق، والمفضل يقربهم ويدنيههم (١)، مما يدل أن محمّد بن أبى زينب المقلص كانت له نوع من السفارة والنيابة الخاصة ولكنه لما انحرف وزلت به القدم لُعن وطُرد وتُبرئ منه، وهذا يعطينا نموذجاً أنه من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٣٠

الممكن أن تسقط حجية النائب الخاص أو السفير الخاص، فإن النيابة الخاصة وإن كانت مقاماً عظيماً جليلاً وموقعاً حساساً جدّاً وإن الشخص الذى يتولاها لا بدّ أن يكون من أهل التقوى واليقين وأن يكون صديقاً، فمع كل ذلك الشأن لمقام النيابة والنائب إلّا أن

ذلك لا يعنى العصمة للنائب الخاص، كما أنه لو بحثنا ولاحظنا فى كتب علماء الإمامية لا نجد منهم من يفسر النيابة الخاصة والسفارة بأنها عصمة أو كون النائب معصوماً لا نجد ذلك فى كلماتهم مطلقاً، بل إن السفارة مع جلالها وعلو مقامها ليست إلّا منصباً ومقاماً يشغله من يختاره الإمام ليوصل الأحكام للناس ما دام مستقيماً وما دام ضمن دائرة حجته ولا يتجاوز ولا يقفز على ضروريات الدين وسنة النبي والأئمة (عليهم السلام) كما تقدم ذلك فى عرض كتاب الحسين بن روح النوبختى على فقهاء قم.

وأمثال الحسين بن روح النوبختى جملة أخرى كانوا نواباً وأبواباً للأئمة (عليهم السلام) ولكن لم تعرف عنهم العصمة لا فى روايات أهل البيت (عليهم السلام) ولا فى كلام علماء الإمامية، مع أن أولئك السفراء والنواب عظماء أمثال سلمان المحمدي وحبيب بن مظاهر الأسدى وميثم التمار ورشيد الهجرى (رض)، فمع ما لهم من المكانة والقدرة الجليل والشأن العظيم وأنهم سفراء ونواب إلّا أنه لم تعرف عنهم العصمة أبداً، فإنّ العصمة لأهلها، فهذه العصمة لا يصلها الإنسان مهما بلغ من مقامات عظيمة إلّا أهلها.

فإنّ هؤلاء السفراء والنواب على عظمتهم وما عندهم من علم البلايا والمنايا وعلوم الباطن والأسرار ... كانوا مستضعفين فى معارفهم بالنسبة للإمام (ع) كما ورد ذلك فى شأن رشيد الهجرى من معرفته

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٣١

بعلم المنايا والبلايا، والمستضعف باصطلاح الآيات والروايات هو الذى لم يصل إلى كمال الإيمان ولم تبلغ معارفه الإيمانية ما بلغته معارف المعصوم، فهو من هذه الناحية والجهة مستضعف يعنى لا يدري أين طريقه لولا هداية ونور المعصوم وعنايته وإشرافه وإرشاده وإن كان بالنسبة لمن دونه من عامة الناس هو كامل الإيمان ومن الأفاضل، فإنّ مثل ميثم التمار (رض) بالنسبة لعامة الناس من الأفاضل والكامل وصاحب إيمان كامل إلّا أنه بالنسبة للإمام (ع) هو مستضعف أى يحتاج لهداية ونور وإرشاد المعصوم فى معرفته طريقه وسبيله لله تعالى.

### السفير والنائب قد يفقد حجته ... ص: ٤٣١

لذا فالسفير والنائب لا بدّ أن يبقى على هدى المعصوم وضمن دائرة حجته وإلّا بمجرد أن يتجاوزها تسقط تلك الحجية كما فى محمّد بن أبى زينب المقلّص.

وربما يطرأ فى المقام سؤال: إن الإمام (ع) لم جعل مثل هذا الشخص سفيراً ونائباً مع علمه بأنه سينحرف ويلعن ويطرده، أليس هذا خلافاً للحكمة؟

ولكن الحق أن هذا هو عين الحكمة، والقرآن يضرب لنا مثلاً فى ذلك، فإنّ بلعم بن باعورا آتاه الله تعالى بعض حروف الاسم الأعظم وليس كله وإنما هذب شعاعى منه أو خيط مما لا يحصى من خيوط النور قال تعالى: **وَإِثْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ** (١).

فكيف يعطى الله تعالى بعض الاسم الأعظم لمثل هذا الذى يعلم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٣٢

به أنه سينحرف، فإنّ ذلك لم يخرج عن موازين الحكمة فإنّ البارى تعالى عادل لا يجور وقد قال فى كتابه العزيز: **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ\* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** (١).

فإنّ الإنسان ما دام يجاهد نفسه ويتقى ويتورع ويزهد فى الدنيا ونحو ذلك، فإنّ الله تعالى يعطيه ويجازيه لقاء عمله هذا حيث روى عن أبى عبد الله (ع) أنه قال: «من زهد فى الدنيا أثبت الله الحكمة فى قلبه وأنطق بها لسانه وبصيره عيوب الدنيا دائها ودوائها وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام» (٢).

لكن الحكمة تكون على الكافر حجة وتكون للمؤمن حجة، أى الحكمة تكون بنفع المؤمن وبضرر الكافر، فإنّ الحكمة والمقام الذى

يعطيه الله تعالى للإنسان الزاهد العامل فى الدنيا جزء زهده وعمله تلك المقامات من السفارة أو بعض حروف الاسم الأعظم لا تعنى ضماناً ولا حسن عاقبة له ولا سداداً له وإنما حسن العاقبة والسداد والضمان يحصل عليها من استمرار العمل المستحق لذلك لا أنه يعمل ما يشاء وكيف يشاء لأنه ضمن السداد وحسن العاقبة بحصوله على النياية أو السفارة أو بعض حروف الاسم الأعظم، فإن السداد والصراط المستقيم أمر دقيق أحد من السيف وأرفع من الشعر وهو أمر صعب عسير، لأنه تحت الرقابة الشديدة والمتابعة المستمرة وبمجرد أن يتخلى عن الضروريات والحجج الأكبر والعليا واستمسك بالحجج الدون فإن منظومة الحجج لديه تنهدم وتنقسم وبالتالي يقع فى الفتن والزيف، وأما لو استقام

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٣٣

واستمسك بالعروة الوثقى وهى الحجج الأقوى فإنه ينجو ويهتدى لانتظام منظومة الحجج لديه قال تعالى: وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (١)، فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَأَنْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢).

فإن مثل بلعم بن باعورا ومحمّد بن أبى زينب المقلاص وإن كان لهم ما لهم من المنزل والحبوة والخطوة و... فإن ذلك لا يعد ضماناً ولا صيانة لمستقبلهم ما لم يكن العمل الصحيح والتمسك بالحجج الأعلى من قبلهم والحفاظ على دائرة الحجية لكل منهما، إذ ليس فى منهاج الدين والمعرفة الدينية اعتماداً على أن هذا كان مستقيم العمل أو أنه مستجاب الدعوة ونحو ذلك، وإنما منهاج الدين منضبط ومبنى وفق مراتب الحجج وقواعدها الرقابية.

وإن من أوتى علم المنايا والبلايا والأسرار والباطن ونحو ذلك لا يعنى أنه أوتى الحجية والعصمة سواءً بقى على الصلاح كسلمان المحمّدى وحبيب بن مظاهر وميثم التمار وغيرهم (رض) أم انحرف عن الحق كابن أبى المقلاص وغيره، وإنما يعنى أنا نتربى على أيديهم فى حدود النظريات لكن فى إطار ومسار وصراط وجادة ضروريات وثوابت الشارع المقدس، فلنا الشرف أن نتربى ونتلمذ على ميثم التمار ورشيد وغيرهم (رض)، شرف لنا ولآبائنا وأجدادنا أن نتلمذ على أيديهم ولا نصل إلى درجتهم، فإننا يوم القيامة مسؤولون إلى من أولينا زمام

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٣٤

أنفسنا ورقابنا فى ظل الضروريات فإن أمثال سلمان وحبيب وميثم ورشيد وغيرهم من الأكابر والأعظم عرّفوا لنا الأئمة والكتاب وسنة النبى، فتلك الحجج الأكبر وهى ضروريات الكتاب والسنة النبوية وثوابت منهاج الأئمة (عليهم السلام) لا يمكن تركها تحت ذريعة أتباع الصلحاء وأهل اليقين ورفع اليد عنها فهى الطريق اللائح والمنهاج الواضح.

فهذا نموذج جيد موجود فى النواب والسفراء الخاصين بقوا واستمروا وحافظوا على دائرة حجيتهم واستمسكوا بالحجج الأعلى وتركوا الحجج الأدون فثبتت حجيتهم، وهناك نماذج أخرى كمحمّد بن أبى زينب المقلاص والمغيرة بن سعيد العجلي تعدّوا دائرة حجيتهم وتركوا الحجج الأعلى واستمسكوا بالحجج الأدون فسقطت حجيتهم ببركة القواعد الرقابية. كما تقدم مثل ذلك فى الفقهاء كابن أبى العزاقر وأحمد بن هلال العبرثانى.

### دعوة للتوازن ... ص: ٤٣٤

من خلال ما تقدم تتضح الصعوبة فى فهم معارف الدين، وأن الابتلاء والامتحان فى المعرفة والبصيرة أعظم الامتحانات الإلهية، وأن امتحان الله تعالى لنا فى الغرائز والشهوة والغضب ونحوها هى امتحانات سهلة هينة يسيرة بالقياس إلى امتحانات البصائر والعقائد. فإن منعطفات تاريخ الأمم والبشر فى الاستقامة ونحوها إنما هى بسبب الامتحانات والاختبارات والفتن فى البصيرة والمعرفة، لأن مركز التحكم فى

الإنسان والمميز له عن بقیة المخلوقات وعن الملائكة أيضاً هو عقله ولُبه وذهنه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٣٥

ودركه، فقد قال أمير المؤمنين (ع): «إن الله (عزوجل) رَكَّبَ فى الملائكة عقلاً بلا شهوة، ورَكَّبَ فى البهائم شهوة بلا عقل، ورَكَّبَ فى بنى آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم» (١) «فإن النمط العام من الملائكة عنده قوة عقل فقط، أما الإنسان فإنَّ درجة القوة عنده بحيث تستطيع أن تتحكم وتجاهه الشهوة والغضب، وهذا غير موجود عند الملائكة هذا الكلام ليس مع الملائكة المقربين، بل المقصود عموم الملائكة من غير المقربين.

### ضرورة الدراسات العقائدية ...: ص: ٤٣٥

فإذن إذا كانت هذه القوة وهذه النعمة الوجودية التى هى رأس مال خطير أعطاها الله (عزوجل) للإنسان وهى قوة العقل التى بتوسطها يمتحن الله الإنسان أعظم الامتحانات وبها امتاز عن بقیة المخلوقات، فلا بدَّ للإنسان أن لا يقف عن تحريكها وتطويرها ولا يعطلها ولا يتوهم أنه اكتفى فى مرحلة ما فى دراسة المعارف وتعلمها، لأنَّ معارف الدين بحر واسع، وإن قلنا أن التمسك بالضروريات هو تمسك بالعموم الوثقى، ولكن لكى يكون الإنسان أكثر فطنةً وبصيرةً ونفاذاً فالحذر كل الحذر من تعطيل بحث المعارف والعقائد، إذ به نجاه الدين، فإنه مما رواه الفريقان وهو مدار ملاحم تفسيرية علمية بين العلماء أن النبى (ص) قال: «العلوم كلها فضلة إلا ثلاث: آية محكمة، وسنة قائمة، وفريضة عادلة» (٢)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٣٦

فآلية المحكمة يعنى العقائد، والسنة القائمة يعنى تهذيب الأخلاق أو العلوم التى تبحث عن النفس التى تؤدى لمعرفة النفس فإنه «من عرف نفسه عرف ربه» (١) و «من ملك نفسه هدى واستقام» (٢)، فهذه العلوم التى تبحث عن النفس وأخلاقها وبالتالي عن رياضات النفس هى سنة قائمة، والفريضة العادلة هى الفقه، أى فقه الفروع.

فإذن العلوم المهمة التى يجب على الإنسان أن يتعلمها هى ثلاثة محاور تكمل بعضها البعض ولا ينبغى التقصير والتماهل فى واحد منها، فإذا استطاع طالب العلم أن يشبع البحث والمعرفة ويدأب إلى آخر عمره فى السير فيها فإنه لن يُباغت ولن يُغدر به ولن تتكأده القيام بالمسؤولية لأنَّ وظيفة طلبة العلوم الدينية هى المرابطة فى الثغور الخطيرة الأساسية وحماية الدين فى تلك الثغور الثلاثة، فإذا أحكمنا المرابطة فيها لن نستطيع العدو أن يباغت حِمى الدين وذلك بأن تتكامل عندنا هذه المحاور الثلاثة من العلوم، إذ بها نحمل الدين فإنَّ هذه وصية إعجازية من النبى (ص) فى القدرة على حفظ الدين وعجز العدو طوال

تاريخ البشرية، إذن فمن الضرورى عدم حصر التكتيف فى فقه الفروع وعلم أصول الفقه على حساب المحورين الآخرين، وهذا لا يعنى عدم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٣٧

الاهتمام بعلم الفقه وأصوله ولكننا نقول لا- بدَّ من توازنه مع العقائد لأنهما كما يقول العلماء الأكابر المتقدمون جناحان يطير بهما العالم، فقه الفروع والفقه الأكبر وهو العقائد، بل وحتى الفقه الأوسط وهو تهذيب النفس.

فهذه مراتب ثلاث إذا أحكمها طالب العلم آية محكمة وسنة قائمة وفريضة عادلة فإنه سوف تكون له أجنحة يطير بها إلى ما شاء الله، وإلما فإنَّ تكتيف وإشباع أحدهما على حساب الآخر يكون المسير كمسير الأعرج برجل واحدة، فلا بدَّ من الموازنة فى الدراسة والموازنة على هذين الخطين المتوازيين.

### الدليل الإنباتى للنيابة الخاصة ...: ص: ٤٣٧



ثبت في محله أن الأدلة الإثباتية على أنواع ودرجات تختلف باختلاف الميثب والمدعى، فهناك الأدلة العقلية، والأدلة النقلية، والنقلية منها القطعي ومنها الظني، وكل منهما ربما يكون نصاً في المراد وربما يكون استظهاراً ظنياً وهكذا، فالنبوة مثلاً لما كانت مقاماً مهماً ومنصباً خطيراً لم يسلم الناس للنبي لمجرد الدعوى من دون دليل إثباتي يقيني، فمثلاً في قصة إمامه طالوت لم يكن ليسلموا له لمجرد دعواه بل لا بد من القطع، وقد بين ذلك القرآن الكريم حيث قال تعالى: وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ

هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ أي شاهد ملكوتي إعجازي فإن التابوت في بني إسرائيل كان مثل عصا موسى من

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٣٨

جهة أنه أمر إعجازي، فإنه لا يأتي متحركاً بنفسه إلا في سكينته، والسكينه لها شكل وصورة وريح من الجنة وله شكل جميل مثل وجه الإنسان، وهذه الصورة يشاهدها بنو إسرائيل فقط في تعيين كل نبي من أنبياء بني إسرائيل وقد رأوه عندما قال لهم نبيهم إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسِيطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ \* وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾، فكان مجيء التابوت هو الدليل القطعي عندهم على ذلك، وقد أتى ذلك التابوت فكان آية ملكه.

فقد ورد عن الرضا (ع) قال: «السكينه ريح من الجنة لها وجه كوجه الإنسان، وكان التابوت إذا وضع بين يدي المسلمين والكفار فإن تقدم التابوت رجل لا يرجع حتى يقتله أو يغلب، ومن رجع عن التابوت كفر وقتله الإمام» (١).

وعن أبي الحسن (ع) قال: «السكينه ريح تخرج من الجنة لها صورة كصورة الإنسان ورائحة طيبة، وهي التي أنزلت على إبراهيم صلوات الله عليه فأقبلت تدور حول أركان البيت وهو يضع الأساطين، وهذه السكينه، كانت في التابوت وكانت فيها طشت يغسل فيها قلوب الأنبياء، وكان التابوت يدور في بني إسرائيل مع الأنبياء (عليهم السلام)» (٣).

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٣٩

### خطورة السفارة ودليها ... ص: ٤٣٩

والسفارة والنيابة الخاصة لما كانت مقاماً إجرائياً خطيراً وحساساً ومهماً لأنه يرتبط بالإمام المعصوم ارتباطاً خفياً ويؤدي عنه، وإن كانت صلاحياته وحجته محدودة وليست مطلقة وأنه خاضع للمتابعة والمراقبة من الفقهاء والعوام من خلال أعمال القواعد الرقابية المعرفية وأنه خاضع لحجج أعلى وأقوى منه ومحكمة عليه، إلا أنه لخطورة وأهميته هذا الموقع لم يكن لأحد في زمن حضور الأئمة (عليهم السلام) أو في الغيبة الصغرى أن يقبل ويقر هذا المنصب لأحد إلا بدليل قطعي نصي، أي بالدليل اليقيني دون غيره من الأدلة الإثباتية فلا اعتداد بالاستظهارات الظنية حتى لو كانت ظنوناً معتبرة ولا بالحدس، فلم يقبل شيعة أهل البيت (عليهم السلام) ولم يسلموا على طول فترات الحضور والغيبة للأئمة (عليهم السلام) بنيابة أي نائب ولا سفارة أي سفير إلا بالدليل اليقيني دون غيره من الأدلة وإن كانت في نفسها معتبرة كالظنون المعتبرة من الاستظهارات ونحوها ولا بالبينه ولا بغيرها من هذا المستوى من الأدلة لأنها مراتب إثباتية دانية نازلة لا تناسب المقام الخطير للسفير والنائب لأنه يؤدي عن المعصوم فلا بد من إثباته بالقطع واليقين.

كما أن ديدن شيعة أهل البيت (عليهم السلام) في إثبات نيابة أو سفارة

النواب والسفراء سواء أكان فى عصر الأئمة (عليهم السلام) أم فى الغيبة الصغرى للإمام المهدي (ع)، إذ ليس بصحيح ما فى كثير من الأذهان من أن ظاهرة النيابة والسفارة فى فترة الغيبة الصغرى فقط، بل إن الصحيح حسب الروايات العديدة أن هناك نواباً وسفراءً خاصين للمعصومين قبل الإمام المهدي (ع)، بل إن ذلك أحد الطرق اليقينية فى إثبات سفارة دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٤٠

ونباية العمرين من خلال نص الإمام الظاهر وتصريحه بكونهما سفيرين فإن العمرين حسب مفاد الدليل كانا سفيرين ونائبين خاصين للإمام الهادي والإمام الحسن العسكري (ع) فعهدت الشيعة وفقهاء الإمامية هذا المنصب للعمرين فى زمن العسكريين وأن تنصيبهما كان بنص من الإمام الهادي (ع) ثم العسكري (ع)، فقد ورد: «اسمع لهما وأطع لهما فإنهما الثقتان المأمونان» («١») ثم فى تامة بعض النصوص الواردة فى شأنهما أنهما كذلك لابن الحسن (ع) يعنى الإمام المهدي (ع) والذى يعنى أن العمرين لهما نفس السمة التى شغلاها وكانت لهما فى عهد الإمام العسكري والهادي (ع)، فإن الشيعة والفقهاء فى تلك الفترة مع ما ورد من تنصيبه (ع) على توثيق العمرين لم يكتفوا بذلك فى ما بعد ما لم يصدر عن العسكري (ع) ما يثبت استمرار السفارة والنيابة لهما فى عهد المهدي (ع) وإن ذلك الصادر خبر قطعى فيكونون قد أثبتوا السفارة والنيابة لهما بالأدلة القطعية، وهكذا فى عصر الإمام الصادق (ع)، فهناك روايات ونصوص تشير إلى ثبوت مقام وسمه السفارة والنيابة الخاصة لمثل جابر بن يزيد الجعفى، وكما هو الحال عند أصحاب الإمام الصادق بعد ثبوت انحراف محمد بن أبى زينب المقلص، فإنهم جاؤوا وطلبوا من الإمام (ع) تنصيب المفضل بن عمر الجعفى مما يعنى أنهم لا يكتفون بالظنون فى منصب السفارة والنيابة، بل دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٤١

لا بد من الأدلة اليقينية القطعية التى هى التصريح المباشر من قبل الإمام (ع) فى مثل تنصيب المفضل بن عمر الجعفى، فإن تلك المراتب الأخرى من الأدلة كالظهورات والظنون المعبرة والشاهدين العدلين ونحوها إنما لها مجالها ومساحتها الإثباتية الخاصة، أما مثل إمامة أمير المؤمنين (ع) أو أى أصل من أصول الدين أو قواعد الفقه الأصولية و... ونباية النواب لا يمكن إثباتها بهذا النحو من الأدلة الظنية ونحوها بل لا بد من اليقين، نعم هذه تنفع فى إثبات أمور أخرى أهون من الإمام والنيابة كالقواعد الفقهية الفرعية وتفصيل أمور الفقه ونحوها وإلا لو عكسنا وأثبتنا الإمامة والنيابة بالأدلة الظنية أو أثبتنا الفروع الفقهية بالأدلة القطعية لكان ذلك من الخلط فى الحجج ومنظومة الحجج.

وهو نظير المستندات فى الدوائر الحكومية فإن كل وزارة لها مستندات معينة خاصة بها، فلوزارة الصحة مستندات معينة وللجامعة والتعليم مستندات معينة وللحوزة العلمية مستندات معينة، فالمستندات أنواع وأنماط وأصناف مختلفة ودرجات متفاوتة، فليس المستند مطلقاً فى كل مكان وفى كل حال يكون مؤدياً ومفيداً للغرض، فالرواية الظنية حتى لو كان الظن معتبراً لا يمكن إثبات نباية نائب خاص أو سفير لخطورة هذا المقام.

### انضباط قنوات الحجية للغيب ... ص: ٤٤١

وحفاظاً على تراتبية الحجج، فإن الحجج وتراتبيتها لها نظام خاص فأى مخالفة له ونقضه يوقع فى الزيغ، كما لو فرضنا أن شخصاً رأى ملكاً حتى لو كان من السماء الأولى ونقل له بعض الأوامر فهل ذلك يكون حجة على ذلك الشخص دون أن يكون عن طريق نبي أو رسول؟

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٤٢

بلا إشكال ليس حجة عليه ولا يجوز لذلك الشخص أن يعمل بتلك الأوامر بدعوى أنه سمعها من ذلك الملك لأن ذلك الملك ليس حجة علينا إلا بتوسط النبي أو الرسول أو وصى أو ... أما الملك فلم يكن منصوباً من الله تعالى ليكون حجة علينا بل إن الله

تعالى نصب علينا حججاً يجب علينا اتباعها كالرسول محمد (ص) وعلى بن أبى طالب (ع) لذا وكما بيّنا ذلك سابقاً لا يمكن لنا اتباع النبى موسى أو عيسى (ع) إلّا فيما أقره النبى محمد (ص) فى دائرة الحجية لا الشرائع («١»).

فإنّ الدين ومراتب الحجج ليس العوبة فى الأيدي، أى سواء أكان من البشر أم من الملائكة كمالك خازن النيران أو رضوان خازن الجنة وحتّى عزرائيل (ع) بل وحتّى جبرائيل (ع) فلو أدلوا لنا بشيء ليس لنا الأخذ منهم مطلقاً، لأن الله تعالى لم ينصبهم حججاً علينا وإنما جبرائيل (ع) نصبه الله لإنباء الأنبياء والرسول ونحن لسنا بأنبياء يقيناً

“

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٤٣

فليست الملائكة حججاً علينا وإنما نحن نتلقى من الرسول الأعظم إذ أمرنا باتباعه (ص) واتباع الأئمة (عليهم السلام) فهم جهاز الله لدخول الأبواب السماوية والرقى والتقرب لله تعالى أما من غيرهم فليس لنا الدخول بها على الساحة الإلهية ولا يصح التقرب، وهذا ضمن النظام الإلهي وتراتبية الحجج، نظير النظام الإداري الوضعي فليس للموظف أن يأخذ الأوامر والتوجيهات إلّا من خلال مسؤوله المباشر، وما ذلك إلّا لحفظ المقامات والسيطرة على الأجهزة العاملة بشكل مرتب ومنظم، لذلك نهى رسول الله بشدة كثيراً من الصحابة عندما أرادوا التمسك ببعض ما روى عن النبى عيسى أو موسى (ع) فإنّه ليس لهم إلّا اتباع سيد الرسل (ص) أو المقدار الذى أقره سيد الرسل من باقى الأنبياء والرسل (عليهم السلام) كما روى أبو عبيد فى (غريب الحديث) («١»): فى حديث النبى (ص) حين أتاه عمر فقال: إننا نسمع أحاديث اليهود تعجبنا فترى أن نكتب بعضها؟ فقال رسول الله (ص): «أمتهو كون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلّا أتباعى»، وروى

الطبرسى فى (الاحتجاج) («٢») عن الصادق (ع) أن رسول الله (ص) قال فى احتجاجه على يهودى: «يا يهودى إن موسى لو أدركنى ثم لم يؤمن بى وبنبوتى لم ينفعه إيمانه شيئاً ولا- نفعته النبوة، يا يهودى ومن ذريتى (المهدى) إذا خرج نزل عيسى بن مريم (ع) لنصرته فيقدمه ويصلى خلفه»، وإلّا فإنّ الأمر ليس فوضى وإنما فيه تنظيم لأنه جهاز

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٤٤

إلهي كامل، وهذا من أشرف ما أنعم الله به علينا وهو اتباع أفضل خلائق الله تعالى وسيد الرسل على الاطلاق وأهل بيته الطاهرين، فنحن أمرنا باتباع والافتداء والاهتداء بأفضل الخليفة وهو شرف لنا، فلا يتاه بنا ونضيع هذه النعمة العظيمة ونتخبط فى الحجج وتتبع عناوين أخرى ما أنزل الله بها من سلطان.

فشرف لنا أننا خلقنا فى مثل هذا الزمان وهو زمان سيد الرسل (ص) وأوصيائه النجباء ولم نخلق فى أزمنة أخرى لتتبع بقية الرسل فى شرائعهم فإننا أمرنا باتباع من أمر جبرائيل وعزرائيل وإسرافيل وميكائيل ومالك وكل الكون بل وحتّى باقى الأنبياء والرسل باتباعهم وطاعتهم وولايتهم ووصايتهم... فلا نقع فى الزيغ والتهيه ونرفع اليد عن تلك الحجج العظيمة ونتبع زعيق كل زاعق ونعيق كل ناعق ونظبل لكل راية ترفع.. فإننا عندنا ضروريات وبديهيات لا يشوبها شيء وعندنا منهج لائح وأعلام واضحة من مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فلا نستبدل ما هو خير بما هو دون وما هو عالى بما هو سفلى.

فلنكن على بصيرة وهداية ولا نتبع هلوسات وظنون وأدلة حدسية

لإثبات أدعاء النيابة الخاصة والسفارة، وبالتالي نتعامل معه على أنه مرتبط بالأئمة الصالحين (عليهم السلام).

فإنّ أهل البيت (عليهم السلام) نجوم وأسرار الخلق فلا يمكن أن نصدق من يدعى الالتصاق بهم إلّا بأدلة قطعية يقينية وبراهين بيّنة محكمة. بل إن الشيعة مع من ثبتت سفارتهم ونيابتهم بالأدلة القطعية اليقينية لم يكتفوا بذلك، بل راحوا يراقبونهم ويحكمون القواعد الرقابية عليهم حتّى مماتهم لأن ذلك المقام المعطى لهم ليس بالأمر السهل والهين بل أمر

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٤٥

خطير وهم ليسوا بمعصومين ولا- مسددين، فكم هو عظيم وعى الشيعة وأتباع أهل البيت (عليهم السلام) حيث أدركوا أن أولئك السفراء ليسوا بمعصومين فلا بد أن تثبت سفارتهم بالأدلة القطعية كما لا بد من استمرار المراقبة لهم فلا يكفي الدليل القطعي، بل لا بد من إخضاعهم للمراقبة والمتابعة ووضعهم تحت مجهر مراقبة الضروريات والحجج الأكبر، فكم الأمر عسير وخطير ودقيق فلا نتساهل نحن فيه ونخلط الأمور بعضها ببعض الآخر ولا نزيلها عن مواضعها ولنتذكر دائماً مثال الخضر (ع)، مع موسى (ع) فمع ما له من المكانة كان موسى (ع) يعمل القواعد الرقابية عليه.

إذاً أولاً: النيابة الخاصة لا تثبت إلّا بدليل قطعي، وثانياً: مع أن صلاحيات النائب محدودة وليست مطلقة، وثالثاً: أن القواعد الرقابية وهي ضروريات الدين جارية ومطبقة عليه على طول المسار.

فهذه ثلاث قواعد مهمة في دائرة النيابة الخاصة والسفارة لا بد من الالتفات إليها وتمييزها بشكل دقيق؛ لأن أهميتها مترشحة من أهمية منصب النائب والسفير الخاص.

### شبهات عنكبوتية واهية ... ص: ٤٤٥

من هنا يتضح بطلان ما يستدل به البعض على كونه ابناً للإمام (ع) وأن له حجية الوساطة بينه وبين الناس لأنه يعتمد في إثبات ذلك على رواية يفهم منها فهماً خلاف ظاهرها وهي رواية الاصبع بن نباته عن أمير المؤمنين (ع) حيث ورد عن الاصبع بن نباته، قال: أتيت أمير المؤمنين علياً (ع) ذات يوم فوجدته مفكراً ينكث في الأرض، فقلت:

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٤٦

يا أمير المؤمنين رأيتك تنكث في الأرض أرغبة منك فيها؟ فقال: «والله ما رغبت فيها ولكن فكرى في مولود يكون من ظهر الحادى عشر من ولدى» («١»).

فيستدل البعض على أنه ابن الإمام المهدي (ع) بناءً على أن المتكلم هو أمير المؤمنين (ع) والمولود الحادى عشر هو المهدي (ع) وقد قال: «يكون من ظهر الحادى عشر» أى أن ذلك المولود يولد من الإمام المهدي ويفكر فيه أمير المؤمنين (ع).

وبعبارة أخرى كأن أمير المؤمنين (ع) يقول أولادى أحد عشر ومن ظهر الحادى عشر يكون مولوداً أفكر فيه، وبالتالي يكون مجموع الأئمة (عليهم السلام) ثلاثة عشر، أمير المؤمنين وأولاده الأحد عشر والمولود من ظهر الحادى عشر.

وهذا التفسير مبنى على جعل لفظ (الحادى عشر) تمييزاً لقوله (ولدى) وهو خطأ لأن قوله: (من ولدى) صفة لقوله: (الحادى عشر).

فيكون المعنى أن أمير المؤمنين (ع) يقول: (الحادى عشر من الأئمة من ولدى يكون من ظهره مولود أفكر فيه) والحادى عشر منهم هو الحسن العسكرى (ع) ومن ظهره يكون المهدي (ع).

مثلاً لو نذكر نحن العبارة بشكل آخر للتوضيح: (فكرى في مولود يكون من ظهر الحادى عشر من أئمة أهل البيت شديد السمرة ويلقب بالعسكرى وهو من ولدى) فنذكر مجموع صفات، ولكن الأمير (ع) ذكر صفة واحدة للحادى عشر وهو كونه من ولده.

وبالتالى فالتمييز لقوله: (الحادى عشر) هو اللفظ المقدر المعهود

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٤٧

وهو (من الأئمة) وليس هو اللفظ المذكور (من ولدى) بل قوله: (من ولدى) صفة ل- (الحادى عشر)، أى الحادى عشر من الأئمة والذى هو الحسن العسكرى موصوف بأنه من ولدى، فمن ظهر الحسن العسكرى يكون المولود وهو المهدي (ع)، فالإمام على (ع) يفكر في المهدي نفسه وليس في ابن المهدي كما يدعى هذا البعض.

فإن لفظ الحادى عشر عندما يرد في الروايات كأنه اصطلاح خاص بالترتيب لخلفاء الرسول (ص) وهم الأئمة الاثنا عشر (عليهم السلام). فكيف يحتج بإيهام في الدلالة على أمر لا بد أن يكون يقينياً لا وهمياً، ثم كيف يعتمد على رواية آحاد واحدة في مسألة لا

بدَّ فيها من اليقين، وثالثاً من أين الدليل اليقيني على أصل الولادة فى الخارج المحسوس. فكل هذه الأمور وهن فى وهن واهى.

### فى عصر المهديين الاثنى عشر ... ص: ٤٤٧

وهناك مجموعة من الروايات بمفاد واحد تقريباً وهو «منا بعد القائم أحد عشر مهدياً» (١)». .

وفى رواية أبى حمزة أنه قال: «يا أبا حمزة، إن منا بعد القائم (ع) إحدى عشر مهدياً من ولد الحسين»، ورواية كمال الدين (ج ٢/ ص ٣٥٨)، وبعض الأدعية كذلك ... «اللهم صل على ولاة عهده والأئمة من بعده» («... ٢») وغيرها بنفس المضمون.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٤٨

ولكن هذه الروايات صاغ مفادها البعض، بل حبك الإيهام فى مفادها وأدعى أنه من أبناء المهدي (ع) وهو مهدي أيضاً. مع أن هذه الروايات لم تذكر نعت الإمام لما بعد الإمام الثانى عشر، وإنما النعت الذى ذكرته لهم أنهم مهديون وفى بعضها نفى أنهم أئمة، كما فى الرواية عن الصادق (ع) وهو يفسر كلام الباقر (ع) أنى سمعت من أبى الباقر (ع) قال: «يكون بعد القائم اثنا عشر مهدياً» وهذا كلام الباقر، فقال الصادق: «إنما قال أبى اثنا عشر مهدياً ولم يقل اثنا عشر إماماً، ولكنهم قوم من شيعتنا»، وفى رواية أبى بصير: «وإنما هم مهديون» (١) فلم تصفهم مجموع هذه الروايات أنهم رواد الأرض وقطب القيادة فيها وإنما غاية ما تدل عليه أنها تعزى وتسند إليهم جملة من المسؤوليات ما بعد وفاة الإمام المهدي (ع) أى فى عصر ومرحلة

الرجعة لا مرحلة الظهور فضلاً عن مرحلة ما قبل الظهور مع أن ما صرح فى رواية أبى بصير بأنهم يدعون الناس إلى موالاة ومعرفة حقنا. أى إن القيادة ليست بأيديهم ومركزية الإمامة هى للاثنى عشر فى عصر الرجعة بعد عصر دولة الإمام المهدي (ع).

ومن ثمّ لا- تعارض هذه الروايات ما ورد فى روايات الرجعة أن الإمام أمير المؤمنين (ع) والإمام الحسين (ع) يرجعان قبل استشهاد الإمام المهدي وأن الذى يجهز ويدفن الإمام المهدي هو جدّه الحسين (٢)»

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٤٩

(ع) ويدفنه فى موضع قبره فى كربلاء، أى إن ما بعد الإمام المهدي لا تخلو الأرض من الأئمة الاثنى عشر، بل يبدأون بالعودة والرجعة ودولة الرجعة غاية الأمر أن هؤلاء المهديين الاثنى عشر سواء أكانوا من ولد الإمام الثانى عشر أم من ولد الحسين تكون لهم أدوار ومهام تحت قيادة وإمامة وفى ظل قيادة الأئمة الاثنى عشر وليست لهم مناصب الإمامة والقيادة وما هو من هذا القبيل.

وأما ما فى رواية مختصر البصائر فلا تدل على خلو الأرض من الأئمة الاثنى عشر بعد الإمام الثانى عشر بسنة وقانون الرجعة، غاية الأمر أن المهديين الاثنى عشر من ولد الإمام الثانى عشر سيكون لهم دور الأعوان والأنصار فى دولة الأئمة فى الرجعة، لاسيّما بعد تواتر أن الأرض لا تخلو من الحجّة الإمام، وإلا لساخت الأرض (١)»، وهى نفس

عموم القاعدة المستفادة من قوله تعالى: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» (٢).

إذا هؤلاء ليسوا بأئمة، فالأرض لا تخلو من إمام أو خليفة لله فى الأرض، إذن هم فى دولة الرجعة.

وأما ما فى رواية غيبة الشيخ الطوسى عن النبى (ص) من قوله: «ثمّ يكون من بعده اثنا عشر مهدياً، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المقربين، له ثلاث أسامي» (٣)، فهى مضافاً إلى ضعف السند ورواية آحاد واحدة ظنية لا يصح الاعتماد عليها بمفردها فى

مسألة لا بدَّ فيها من رقى الدليل إلى درجة اليقين أنه ليس فيها تصريح بأنه يسلم الإمامة وقيادة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٥٠

الأرض إلى ابنه كيف وقد صرّح فى الروايات الأخرى بأنهم ليسوا بأئمة فكيف يسلم الإمامة إليهم، بل فى روايات الرجعة أن الذى يلى تجهيز الإمام الثانى عشر هو الحسين، فلا بدَّ أن يكون الضمير فى (ليسلمها) عائداً إلى بعض المسؤوليات وبعض الوظائف التى

يقوم بها أولاده في ظل إمامته أي عود الضمير إلى الصحيفة التي ذكرت في صدر الرواية.

فلا بد أن يكون الضمير عائداً إلى المهمة والمسؤولية المعينة لا إلى الإمامة، مضافاً إلى أن كلمة (بعده أو بعدهم) تدلُّ بصراحة على أنه لا دور لهؤلاء قبل ظهور الإمام الثاني عشر ولا في أثناء دولته وإنما دورهم سيكون في عصر الرجعة بعد دولة الظهور واستشهاد الإمام (ع).

فمفاد الروايات يقطع الطريق أمام ادعاء النيابة الخاصة قبل الظهور كما أن هذه الروايات لا تعطى لهؤلاء المهديين نعت الحجية ولا نعت

النيابة الخاصة ولا نعت السفارة ولا نعت الإمامة وإنما غاية ما تدل عليه هو أن لهم بعض المسؤوليات.

مع أن كلمة (من بعدهم) أيضاً بمعنى دون مقام الأئمة الاثني عشر أي لهم مسؤوليات في ظل إمامة الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام). وأما ما رواه السيد بن طاووس في المصباح عن الرضا في أعمال يوم الجمعة عن يونس بن عبد الرحمن عن الرضا (ع) دعاء وفي ذيله: «اللهم صل على ولاة عهده والأئمة من بعده» («١») فالتعبير بالأئمة من بعده لا تأبى الانطباق على رجوع الأئمة (عليهم السلام) لاسيما وأنه قد غاير (ع) بين عنوان الولاية من بعده والأئمة من بعده مما يدل على أن له ولاة عهد

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٥١

ليسوا بأئمة هو لا يأبى الانطباق على المهديين الاثني عشر وهم غيره مع تنصيب الرواية على وجود أئمة من بعده يغيرون ولاة عهده من بعده دلالة على تغير الأئمة بعد المهدي (ع) تغايرهم مع المهديين الاثني عشر، والحاصل فإنه لا دلالة في الدعاء على أن هناك أئمة من بعده يغيرون الأئمة الاثني عشر لاسيما وأن كون عدة الأئمة الاثني عشر من ضروريات المعتقد عند أهل البيت بل في روايات المسلمين أن خلفاء النبي اثنا عشر والمهم الالتفات إلى إمامة الاثني عشر ثبتت بنصوص الآيات القرآنية وتواتر الأحاديث فكيف يقف في مصافها ودرجتها روايات آحاد لم تصح سنداً فضلاً عن أن تبلغ اليقين مع أن دلالتها أجنبية عن مدعى ادعاء السفارة والنيابة قبل الظهور؟

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٥٥

## الفصل السابع: حقيقة النيابة الخاصة والسفارة ... ص: ٤٥٥

### أدلة انقطاع النيابة الخاصة والسفارة ... ص: ٤٥٥

الدليل الأول:

إن انقطاع النيابة بات من الأمور الواضحة عند علماء الإمامية وعامة شيعة وأتباع أهل البيت (عليهم السلام) بل أصبحت بديهية وضرورية عندهم بل حتى لدى أهل السنة، فإن فرق أهل السنة في نظرهم إلى أتباع مدرسة أهل البيت بات واضحاً لديهم علماء وعواماً أن من معتقدات وضروريات مذهب أهل البيت (عليهم السلام) هو انقطاع النيابة الخاصة والسفارة، بمعنى انقطاع الاتصال بالإمام، ومن ثم بناءً على ذلك بدءوا بسلسلة من الشبهات والاعتراضات والإشكالات على أصل عقيدة الإمامة وهذه الإشكالات والاعتراضات قد أُجيب عنها تفصيلاً في محلها وستعرض لاحقاً لجملة منها إن شاء الله.

فإن الأمر عندهم بلغ مرتبة من الوضوح والبدهاء والضرورة بحيث أن نفس العامة على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم نسبوا لأتباع أهل البيت (عليهم السلام) مسألة انقطاع النيابة وأنها لديهم كمسألة عقيدة الغيبة للإمام (ع) في الوضوح والبدهاء، فكما أن عقيدة غيبة الإمام ضرورية كذلك انقطاع النيابة الخاصة وبالتالي فإن تفسير عقيدة الغيبة الكبرى بانقطاع النيابة الخاصة والسفارة أمران مقرونان إلى بعضهما البعض، ومن ثم جعلوا هذا الاعتقاد عند الإمامية أمراً مفروغاً عنه بل بديهياً ضرورياً وراحوا يعترضون ويشكلون عليهم



على أساسه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٥٦

بل إن أبرز إشكالاتهم حول ذلك أن الإمام المهدي (ع) إذا كان غائباً وليس له نوابٌ خاصون ولا سفراء فهو بالتالى منقطع عن المسلمين أى لا اتصال بينه وبين أتباعه وشيعته ومن يأتى به؟ وهذا الإشكال مذكور فى أغلب كتب العامة الكلامية حيث يشكلون به على أصل الإمامة، فكيف يكون إماماً ولا اتصال له بقاعدته وكيف يدبر أمور الأمة؟ فأى كتاب كلامى من كتب العامة عندما يبحث عن الإمامة ويناقش فيها أتباع مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) وعقيدتهم فى الإمامة فإنَّ أول نقاش يطرحه هو هذا الإشكال المبتنى على انقطاع السفارة والنيابة عند الإمامية فيفهم من خلال ذلك أن انقطاع السفارة عند الإمامية عقيدة وضرورة كعقيدة أصل الإمامة وكعقيدة الرجعة و... وإلا لم يوردوا إشكالهم لو لم يكن انقطاع السفارة من أوليات وبديهيات وضروريات مذهب أتباع أهل البيت (عليهم السلام).

الدليل الثانى:

التوقيع المبارك المروى بتوسط النائب الرابع على بن محمد السمرى حيث ذكر الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبة فى (ص ٣٦٥) عند ذكره أبى الحسن على بن محمد السمرى فقال (تحت الرقم ٣٦٥) وأخبرنا جماعة عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه قال: حدثنى أبو محمد الحسن بن أحمد المكتب، قال: كنت بمدينة السلام فى السنة التى توفى فيها الشيخ أبو الحسن على بن محمد السمرى (رض) فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم يا على بن محمد السمرى أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٥٧

مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلأ الأرض جوراً وسيأتى شيعتى من يدعى المشاهدة ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفينانى والصيحة فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم». قال: فسخرنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو وجود بنفسه، فقيل له: من وصيك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه وقضى. فهذا آخر كلام سمع منه رضى الله عنه وأرضاه («١»).

حيث أنه خطاب للنائب الرابع أن يجمع أمره ويبلغ أتباع أهل البيت (عليهم السلام) أنه ميت بعد الستة أيام وهذا فى نفسه إعجاز بأن يحدد الإمام موت السمرى بالتاريخ الصحيح وأن لا يوصى إلى أحد من بعده وأن الغيبة الكبرى أو الغيبة التامة قد وقعت وأن مدعى المشاهدة فهو مفتر كذاب.

والمقصود بالمشاهدة بقرينه وقوعها فى سياق وفاة النائب الرابع والأمر له بعدم الوصية لأحد هو إبراز المشاهدة لافهام الناس بأنه على اتصال وارتباط بالإمام (ع) وأن له مقام الوساطة معه.

ولا- يشترط أن تكون المشاهدة المنهى عنها مزعومة ومعنونة بالسفارة أو النيابة كما سى- أتى بيانه تحت عنوان (عناوين دعوى السفارة)، وكذلك لا- مانع من أصل المشاهدة من دون إبراز دعوى الاتصال والارتباط أى دعوى منصب ومقام، كما سيأتى تحت عنوان (التشرف برؤية الإمام المهدي (ع) لا يعنى الحجية).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٥٨

فمضمون التوقيع أن الإمام (ع) ينفى دعوى السفارة والنيابة والارتباط والوساطة بعد السمرى (رض) فإنَّ هذا المنصب والمقام بابه مسدود حتى ظهور الإمام (ع) وإتمام البيعة له، وإن كان الإمام المهدي (ع) فى التوقيع الشريف قد ذكر حداً وغايةً لوقت الصيحة، ولكن بحسب الروايات المستفيضة والمتواترة التى تبين شؤون الظهور ذكرت بأن انقطاع النيابة الخاصة يمتد حتى بيعة الإمام (ع) بين الركن والمقام وأول من يبايع هو جبرائيل (ع)، فإنَّ هناك صيحة أخرى لجبرائيل بعد الظهور يوم البيعة، فعن أبى عبد الله (ع) أنه قال:

«ينادى باسم القائم (ع) فيؤتى وهو خلف المقام، فيقال له: قد نودى باسمك فما تنتظر؟ ثم يؤخذ بيده فيبيع». [قال] وقال لى زرارة: الحمد لله قد كنا نسمع أن القائم (ع) يبيع مستكرها فلم نكن نعلم وجه استكراهه، فعلمنا أنه استكراه لا إثم فيه («١»). ثم بعد جبرائيل يبيعه الثلاثمائة وثلاثة عشر من أنصاره.

فإنّ المستفاد من الروايات أن النيابة الخاصة والسفارة عن المهدي (ع) لا يشغلها أحد ولا تعطى لأحد حتى تنعقد البيعة للإمام (ع) عند الكعبة وليس أمد ومنتهى ذلك مجرد الصيحة، أو للصيحة، ولكن المراد بها حينئذ التي تقع بعد الظهور، وهذا لأجل التوفيق بين الروايات، وحتى الروايات الواردة فى الخراسانى أو الحسنى أو اليمانى أو شعيب بن صالح أو النفس الزكية أو ... فإنها لا تعطيهام أى تمثيل رسمى أو نيابة أو أى صفة أخرى بل تنفى ذلك عنهم بل تنفى أى صفة وتمثيل رسمى حتى عن الثلاثمائة والثلاثة عشر حتى تعقد وتم البيعة للإمام (ع)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٥٩

ويتشكل الجهاز الرسمى والحكومى للإمام (ع)، بشكل معلن فمن ثم تبدأ الأدوار أى بعد البيعة.

### ضابطة صارمة علامة لعصر الظهور ... ص: ٤٥٩

فإن الروايات الواردة جعلت الصيحة أكبر علامة حتمية لسنة الظهور ولنجوم أصحاب رايات سنة الظهور، فلا يمكن مجيء السفينانى بدون الصيحة لأنها من المحتوم وإن كان يمكن أن تقع الصيحة بدون السفينانى كما لا يمكن أن يجيء اليمانى بدون السفينانى وإن كان يمكن مجيء السفينانى بدون اليمانى والخراسانى، فأشدّ العلامات حتمية هي الصيحة، ثم السفينانى، وهذه العلامة كاشفة عن دجل أدعياء هذه الأسماء مع عدم وقوعها.

أما السند للتوقيع المبارك فإنه بات مسلماً لدى الإمامية، والراوى الأخير الحسن بن أحمد المكتب فهو قمى من مشايخ الصدوق، وقد ذكر فى ترجمته أنه من فقهاء قم الكبار بغض النظر عن ترحم الصدوق عليه («١») مع أن الصدوق الذى هو من أكابر زعماء الطائفة لا يتخطى ديدن علماء الإمامية من عدم الاعتماد على رواية التوقيع عن النواب الأربعة إلا بواسطة الوكلاء والأبواب الذين ذكرهم الشيخ الطوسى فى الغيبة أنهم أبواب ووكلاء للنواب الأربعة، وهذا التشدد من علماء الإمامية فى توقيعات الناحية نظراً لخطورتها وحساسيتها الوضعية الأمنية بخلاف الحال فى الأئمة (عليهم السلام) آباءه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٦٠

الدليل الثالث:

إن أصل معنى عدم الظهور، أى الغيبة الكبرى يتضمن عدم البروز وعدم التمثيل الرسمى عن الإمام (ع) حتى عقد البيعة، أما قبل البيعة فإن نفس عنوان الغيبة ينفى ذلك، ومعنى الظهور أن جهاز الإمام يظهر ويبرز بشكل رسمى بالنيابة أو الوكالة أو السفارة ونحو ذلك، فإذا دلّ الدليل الثالث هو أن مدعى النيابة الخاصة أو السفارة ينافى ضرورة عنوان الظهور فإنّ ظهور دولته وجهازها الرسمى ليس إلا بعد عقد البيعة.

الدليل الرابع:

إن أدلة الظهور والروايات التى ترسم لنا سنين الظهور وأيام الظهور كلها مفادها وبيانها أنه لا صفة رسمية ولا تمثيل رسمى ولا تنويب ولا توكيل من الإمام (ع) لأى من الأسماء اللامعة التى ستظهر وتقود التيارات فى الظهور فليس هناك أى تمثيل رسمى لشخصيات الظهور فضلاً عن غيرها حتى تعقد البيعة.

الدليل الخامس:

إن مقتضى وقوع غيبتين له (ع) أحدهما صغرى والأخرى كبرى أن بين الغيبتين فرق وأن الكبرى أشدّ فى الخفاء والانقطاع عنه ولا يتم

الفرق وأشدية الخفاء إلا بانقطاع النواب والسفراء.

ويشير لهذا الدليل النعمانى فى الغيبة والصدوق والطوسى والكلينى (رض) ويذكرها أيضاً جميع محدثى ورؤساء علماء الإمامية حيث يذكرون روايات متواترة مروية من زمن النبى (ص) وعن أمير المؤمنين (ع) وكلها بأسانيد متصلة إلى الرسول (ص) وإلى أمير المؤمنين (ع) وإلى الزهراء ثم الحسن ثم الحسين ثم زين العابدين ثم دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٦١

الباقر ثم الصادق ثم الكاظم... وهكذا بمعنى أن طرق الرواة إلى الصادق مثلاً دون أن يقع فيها موسى بن جعفر (ع) أو إلى السجاد دون أن يقع فيها الباقر والصادق (ع) وهكذا... وحتى عن نفس الإمام المهدي (ع) فى زمن الغيبة الصغرى يعنى مروية عن أربعة عشر معصوماً بطرق متعددة بل عشرات الطرق فهو تواتر بلا شك.

حاصل هذا التواتر أن للإمام المهدي (ع) غيبتين غيبة صغرى وغيبة كبرى، وأن التفريق أو الفارق بينهما أن الغيبة الصغرى يكون الخفاء فيها ليس تاماً لوجود تمثيل رسمى للإمام (ع) من خلال السفراء والنواب الخاصين وأن الغيبة الكبرى يكون الخفاء فيها تاماً، أى الانقطاع تاماً وقد أشير لذلك فى التوقيع الشريف حيث قال: «فقد وقعت الغيبة التامة» كما أن انتهاء الغيبة الصغرى يكون بانقطاع السفارة والنيابة الخاصة فى حين انتهاء الغيبة الكبرى يكون بالبيعة للإمام (ع) وظهوره وإقامته دولته وبروز جهاز إدارته. الدليل السادس:

إجماع الفقهاء على انقطاع النيابة حتى أنهم أجمعوا على كفر وضلال مدعى السفارة والنيابة كما تأتى الإشارة لذلك تحت عنوان كفر مدعى السفارة.

إذاً الأدلة متوافرة ومتكاثرة وقد أشرنا إلى العديد من ألوانها وأنواعها فى الجزء الأول من كتاب (دعوى السفارة) وكتاب (فقه علائم الظهور) وفى كتب أخرى، وهناك أدلة أخرى لا نريد أن نستوعبها كلها هنا لضيق المقام، فىمكن مراجعة الكثير من المصادر فى ذلك ككتب الحديث والروايات كالغيبة للطوسى أو النعمانى وكتاب الفرق للنوبختى دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٦٢

وكتب سعد بن عبد الله الأشعري وغيرها، فإن دلالات كثير من الروايات المتواترة على انقطاع النيابة الخاصة والسفارة فى الغيبة الكبرى بل كما ذكرنا بات انقطاع النيابة عند الإمامية ليس فقط ضرورة فقهية وإنما ضرورة عقائدية، وذلك لأهمية وخطورة مقام حجية النيابة الخاصة والسفارة حيث ينطوى على منبع ومصدر للتشريع وللولاية، فادعاء هكذا منصب مرتبط بأصل الاعتقاد بالإمام المعصوم.

### منابع الشريعة...: ص: ٤٦٢

بعد أن ثبت أن الله تعالى رسم وحدد للخلق طريق التكامل والتقرب إليه وهو العبادة، فإنه تعالى حدد مع ذلك مصدر تحديد تلك العبادة المطلوبة، فليس صحيحاً بل قد يعد من الكفر أن يحدد الشخص طرقاً للعبادة غير الطرق التى بينها الشارع، قال الصادق (ع): «من خالف كتاب الله وسنة محمد (ص) فقد كفر» (١) وعليه فلا بد لعباد الله أن يتبعوا بما يريد الله لا بما يريد العبد، وفى الحديث: «إنما أريد أن أعبد من حيث أريد لا من حيث تريد» (٢) ولذا نجد الشارع المقدس عين منابع خاصة منحصرة لأخذ التشريعات وما عدا ذلك باطل، وسميت بـمنابع الشريعة وهى:

١ القرآن الكريم.

٢ السنة المطهرة من أقوال وأفعال الرسول الأعظم (ص) وأقوال وأفعال وتقارير الأئمة المعصومين (عليهم السلام).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٦٣

وهذا ثابت بحديث الثقلين المروى عند العامة والخاصة بطرق مستفيضة ومتواترة، حيث ورد عن رسول الله (ص): «إننى تارك فىكم

الثقلين كتاب الله (عزوجل) وعترتي أهل بيتي ألا وهما الخليفتان من بعدى ولن يفترقا حتى يرادا على الحوض» (١).  
 وفي خطبة لأمير المؤمنين (ع) قال: «يا أيها الناس إنه بلغني ما بلغني وإنى أرأى قد اقترب أجلى وكأنى بكم وقد جهلتم أمرى وإنى تارك فيكم ما تركه رسول الله (ص) كتاب الله وعترتي وهى عتره الهادى» (٢... ٢) فإن القرآن الكريم والسنة المطهرة فيها كل ما أراد الله من عباده وفيه أحكام كل الحوادث التى يتلقاها الإنسان فى حياته الدنيا.  
 قال الصادق (ع): «الله تبارك وتعالى أنزل فى القرآن تبيان كل شىء حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا أنزل فى القرآن إلاً وقد أنزله الله فيه» (٣)، وقال (ع): «ما من شىء إلا وفيه كتاب أو سنة» (٤) وعليه فأى عمل لم يكن مستنداً لكتاب أو السنة فلا يقبل ويعد فاعله خارجاً عن جادة الصواب.  
 فعن رسول الله (ص): «لا قول إلا بعمل ولا قول ولا عمل إلا بنية ولا قول ولا عمل ولا نية إلا باصابة السنة» (٥) ومن هذه الروايات وغيرها

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٦٤

نستخلص أن أى طريق للعمل أو العبادة يؤخذ من غير المعصومين فهو باطل، بل صاحبه خارج ضال مضل كما فى الرواية عن أبى جعفر (ع) أنه قال: «من دان الله بغير سماع من صادق ألزمه الله التيه يوم القيامة» (١) أى من تدين وعمل بحكم بغير المأثور من المعصومين جعل الله حاله يوم القيامة وهو يوم الفرع الأكبر فى تيه مع كون ذلك اليوم فى أشد الحاجة إلى الأمان والقرار أو أن التيه كناية عن الضلال وعاقبة السوء.

وما ذلك إلا لأنّ منابع الشريعة فيها تبيان كل شىء وأن أخذ أى حكم من طريق آخر يلزمه ترك طريق شرعى، وترك حكم شرعى قال الصادق (ع): «قال على: ما أحد ابتدع بدعة إلا ترك بها سنة» (٢) والحاصل أن طريق معرفة أحكام وتكاليف الله تعالى منحصرة بالقرآن والسنة وكل منهما راجع للمعصومين (عليهم السلام) فهم الحجّة فقط فإن الله تعالى أمرنا بأخذ ما يأتينا به هؤلاء المطهرون دون غيره من الطرق والأساليب الأخرى، فإنّ الحجية لطريق المعصومين وما عداه من طرق حتى لو كانت تكشف الغيب وتصل لمعرفة الأحكام أو غيرها فلا حجية لها.

### عدم حجية تلقى غير المعصوم ... ص: ٤٦٤

بعد أن ثبت انقطاع النيابة الخاصة بالأدلة القطعية، بل إن انقطاع النيابة الخاصة والسفارة هو من ضروريات مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، يتضح بطلان ما قد يتوهمه جملة من دعوات الأعداء المتقمصين

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٦٥

المتوهمين وبعض الادعاءات والتخيلات من أنه نائب خاص للإمام أو سفير له أو يتوهم ويتخيل ذلك لغيره من المدعين ونحو ذلك من الرؤى فى المنام أو مشاهدة بعض الأفعال الخارقة بدعوى أنها معاجز أو أى دعوى للارتباط والاتصال بالغيب، اتضح بطلان كل ذلك لأنه بناء على ما تقدم من تراتبية الحجج وأن تحكيم الحجّة الأضعف فى مرتبة الأقوى هو ظنّ وزيف وتحكيم للمتشابه على المحكم واليقينى، فانقطاع السفارة ثبت بالأدلة القطعية بل صار من الضرورى، فلا يعارض ذلك توهمات المتوهمين بوجود بعض الأدلة على نيابة أو سفارة أى كان، فإنّ المشاهدات وبعض الأفعال الغريبة لا تدانى الأدلة القطعية وأنها أدلة دون بالنسبة لأدلة انقطاع السفارة الأعلى.

وهو نظير ما مرّ من تفنيد القرآن وذمه النصارى واليهود لاستنادهم إلى الحس لحكمهم بقتل وصلب النبى عيسى (ع)، إذ بينا أن وجه الحكم بالبطلان وذم القرآن لهم مع أن الحس دليل يقينى هو أن الحس دليل يقينى فى نفسه أو بالقياس لما دونه أما بالقياس لما هو أعلى منه كإخبارات النبى الاعجازية فيكون ظناً وتحكيمياً للمتشابه على المحكم فإنّ كشف الدليل الأقوى أثبت وأبين من الدليل

الأضعف، وبالتالي ما يترآى من الدليل الأضعف يكون وهماً وظناً وليس يقين بل تشابه وشبهه وهو اصطلاح قرآني خاص كما بينا. لذا فإن تلك الأدلة القطعية واليقينية لانقطاع السفارة لا تظاهيها ولا تناهضها أدلة المدعين، بل لا يوجد أي احتمال لصحة أدلة المدعين ولا يوجد أي ريب في دجلهم وزيفهم.

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٦٦

### افتراق الريب عن الفحص العلمي ... ص: ٤٦٦

فمن الغريب أن بعض الباحثين بدعوى البحث الموضوعي يقول لا بد من الفحص في أدلة المدعين للنيابة الخاصة أو السفارة والتثبت من صدقها أو كذبها، وهذا الكلام وإن كان منطقياً بشكل عام كميزان وضابطة في التثبت والبحث لكنه ليس بصحيح وليس بمنطقي إذ تلك الأدلة المدعاة في قبال أدلة يقينية عالية، فليس من الصحيح ولا من المنطقي أساساً توهم واحتمال الصحة في أدلة مدعى النيابة الخاصة بعدما ثبت انقطاعها بالأدلة يقينية العالية.

فمثلاً بعد أن ثبتت عقيدة التوحيد بالأدلة يقينية العالية فلو ادعى مدعى أن هناك إلهاً آخر وذكر بعض الأدلة فهل من المنطقي التردد والاسترابه في تلك الأدلة بدعوى احتمال تماميتها وصدقها؟!

بل إن من يتوهم ذلك هو مريض أو متمارض في الادراك فلا ريب ولا شك في عدم موضوعية هكذا بحث وأن من يحتمل صحة البحث فيه فليس بسليم العقل إذ أن التردد والريب في هكذا اعتقادات تثبت بالأدلة القطعية اليقينية كما قال تعالى: إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (١) فإن التردد في الريب والاسترابه حالة مرضية في الادراك والعقل فليس من المعقول الاعتداد بالسفاسف والتفاهات واعتبارها أدلة في مواجهة أدلة يقينية قوية شديدة، نعم الفحص فيها لكشف المغالطات والزيف فيها منهج علمي لمن لديه القدرة العلمية والفنية.

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٦٧

### رفع اليد عن أدلة اليقين مقابل توهمات ... ص: ٤٦٧

فمن التوصيات المنطقية ما جاء في وصية أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة: «إذا استيقنت فامض على يقينك» (١) ، وهكذا الكثير من الروايات التي دعت إلى الاعتماد والاعتداد باليقين والسير عليه حتى لو كان في قبالة شك أو ريب إذ ما دام الإنسان استثبت من اليقين ومن مناشئه فعلية السير دون الاعتداد بالتشكيك، فمن تلك الروايات «لا تنقض اليقين بالشك» (٢) نعم قبل الاستثبات من اليقين فإن البحث والفحص منطقي ومعقول جداً لئلا يبقى متردداً في البيان والبرهان فيكون كمن يعيش في سيره، لذا لا بد من الالتفات إلى جميع الاحتمالات لإثبات الصحيح والمنطقي فيها ليصل للبرهان اليقيني ويتثبت فيه ليسير عليه، أما إذا استيقن الإنسان فلا بد من المضي على ذلك اليقين وعدم نقضه بشك، فقله: «لا تنقض اليقين بالشك» (٣) يعني الشك الذي ليس له منشأ علمي يناهض ويقاوم اليقين ولا يساعد على رفع اليد عن الأدلة السابقة اليقينية، وإلا فإن رفع اليد عن اليقين بذريعة البحث في أدلة ضعيفة وهمية ليس حالة فحص علمي سليم سديد بل مرض في العقل والادراك فهو لا يبصر البراهين اليقينية بما أعطاه الله من

، دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٦٨

قدره الادراك وفطرة الركون لليقين، فهو كمن لا يستتير ولا يستصبح بالنور، بل دوماً يسير في جانب الظلمة تاركاً النور فهي حالة مرضية لعدم استثماره البصر وعدم استعانتة بالنور.

فمع وجود الأدلة اليقينية على انقطاع النيابة الخاصة والسفارة في عقيدة الغيبة لا معنى للريب والشك ولا معنى لاحتمال صحة التوهمات والهلوسات كأدلة للمدعين بها.

كما أننا لو تنزلنا ونظرنا في مناشيء تلك المدعيات كالرؤية أو الأفعال الغريبة و... نجد أنها في نفسها ليست بحجة فضلاً عن مناهضتها للأدلة اليقينية.

وبعبارة أخرى لنا معالجتان لهذه الدعاوى:

الأولى: أنها لو كانت حجة فهي أضعف من أن تناهض البراهين اليقينية المثبتة لانقطاع السفارة.

### عدم حجية إلهام أو رؤية غير المعصوم...: ص: ٤٦٨

والمعالجة الثانية: أن تلك الأدلة في نفسها ليست بحجة لأن مناشيء تلك المدعيات من قبيل الرؤية والإلهام اللدني والاطلاع على الغيب من قناة ما لا يكون ذلك صحيحاً وتاماً ومعتبراً إلاً للأنبياء والأوصياء، فإن الوحي عبارة عن قناة روحية تربط وتوصل وتفتح على الغيب وأما العلم اللدني فلا يكون إلاً عند الأنبياء والأوصياء أما بقية البشر من غير المعصومين فليس لهم طريق مضمون للغيب يرتبطون ويفتحوون ويتصلون به على الغيب، فقد ذكر القرآن أن سبب انكار الأمم هو أن كل رجل منهم يريد أن تنزل عليه صحف مُنشّرة وبالتالي

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٦٩

فكلّ منهم يريد أن يكون نبياً ليكون مفتاحاً على الغيب فيطمئن به، قال تعالى: بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَّرَةً (١)».

### الارتباط بالغيب نبوة أم إمامة أم للكل...: ص: ٤٦٩

ولكن واقع الحال عدم وجود القابلية لأي شخص أن يكون نبياً أو إماماً أو لديه ارتباط بالغيب، فإن ذلك تابع لمدى القوة الروحية والاستعداد الروحي للانكشاف على الغيب فإن أرواحنا لا شك ولا ريب متصلة بعوالم أخرى ولنا قنوات توصلنا إلى الغيب ولا شك في ذلك ولكن الكلام كل الكلام في عدم وجود قدرة ضامنة لصواب وواقعية هذا الاتصال والارتباط بتلك العوالم وما تصلنا من معلومات من ذلك الغيب كيف نظمنا على صحتها وأنها عن إرادة الله وقضائه وقدره ومشيتته؟

فإن كل ما نستلمه من خواطر وإلهامات وتخيلات وصور منامية أو صور في اليقظة ومكاشفات وسلوكيات وغيرها ليس لها أي ضمانته في الصواب والسداد، وليس لها أي مدار في الحجية بل لا-اطمئنان على صحتها، لأنها تلقى غير المعصوم، ولو فرض أنه من قبل المعصوم فإن التلقى والارتباط بالغيب ليس فيه زلل ولا خلل ولا خطأ ولا أي احتمال الانحراف إذا كان تلقى معصوم من معصوم فحينئذ يكون التلقى معصوماً، كما هو الحال في تلقى المعصومين (عليهم السلام) لذا كان تلقيهم حجة واعتبر هو منبع الشريعة الوحيد. أما تلقى غير المعصوم فهو وإن فرض كونه من المعصوم لكن ما الدليل على أن ذلك المتلقى يتناول غير المعصوم صحيحاً وليس من دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٧٠

أفاعيل الشياطين؟! ومثال ذلك ما يشاهد من الرواة الذي يروون الروايات عن المعصومين (عليهم السلام) السابقين فإنهم رغم تلقيهم ألفاظ الحديث سماعاً من فم ولسان المعصوم إلا أن تلقيهم مختلف وفهمهم مراد المعصوم مختلف كما ورد: «ربّ حامل علم ليس بفقير وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه» (١)» أي لا يفهم ولا يعي المراد مما سمعه من ألفاظ، بل إن ضبط ألفاظ الكلام الذي يسمعون من لسان المعصوم مختلف من راوي لآخر، ومن ثم كانت درجة حجّية الرواية التي يرويها الراوي درجة ظن وليس بيقين، فإذا كان هذا حال تلقى الراوي غير المعصوم عن المعصوم (ع) في حال اليقظة فكيف بحال النوم ورؤيا المنام مع الشك في أن تلقيه هل هو عن المعصوم أم عن الشياطين والجن أو أحاديث النفس؟

فإن الشياطين تنفث في النفوس ويتخيل أن ذلك من الله تعالى ولا قدرة لتمييز ذلك إلاً للأنفس الطاهرة المطهرة، فإن غير المعصوم من سائر الناس ليس له حظ من الرؤيا الإلهية ونحوها للأحكام الشرعية وإن توهم ذلك متوهم فليستيقن بأن ذلك من الشياطين، فقد



أشار القرآن الكريم إلى عدة من أفعال الشياطين التى تقع على العباد منها:

قال تعالى: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٢).

وقال تعالى: هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلُ الشَّيَاطِينُ \* نَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٣).

وقال تعالى: كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ (٤).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٧١

وقال تعالى: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١).

وقال تعالى: إِنَّ الدِّينَ اتَّقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢).

وقال تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَّضَعُوا لَنَا أَمَا لَمْ يُجْعَلْ مَا يُفْلَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٤).

وقال تعالى: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (٥).

وغيرها من الآيات التى تبين أن الشياطين يوحون وبطرق مختلفة كالخواطر والميول والرؤى و... للنفس المريضة والضعيفة والتى على طريق الزيف، وعن الباقر (ع) قال: «لما ترون من بعثه الله (عزوجل) للشقاء على أهل الضلالة من أجناد الشياطين وأرواحهم أكثر مما ترون مع خليفة الله الذى بعثه للعدل والصواب من الملائكة» قيل: يا أبا جعفر وكيف يكون شىء أكثر من الملائكة؟ قال: «كما يشاء الله (عزوجل)»، قال السائل: يا أبا جعفر، إنى لو حدثت بعض أصحابنا الشيعة بهذا الحديث لأنكروه، قال: «كيف ينكرونه؟»، قال: يقولون إن الملائكة أكثر من الشياطين، قال: «صدقت افهم عنى ما أقول لك، إنه ليس من يوم ولا ليلة إلا وجميع

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٧٢

الجن والشياطين تزور أئمة الضلالة، وتزور أئمة الهدى عددهم من الملائكة، حتى إذا أتت ليلة القدر فيهبط فيها من الملائكة إلى ولى الأمر قبض الله (عزوجل) من الشياطين بعددهم ثم زاروا ولى الضلالة فأتوه بالإفك والكذب حتى لعله يصبح فيقول: رأيت كذا وكذا، فلو سأل ولى الأمر عن ذلك لقال رأيت شيطاناً أخبرك بكذا وكذا حتى يفسر له تفسيراً ويعلمه الضلالة التى هو عليها» (١).

فبعد كل ذلك أى مجال يبقى للاطمئنان لرؤى ومكاشفات غير المعصوم الذى لا يميز نفث الشياطين من عالم الغيب الحق.

لذلك فإن مكاشفة المكاشفين والعرفاء والصوفية من إلهامات وخواطر ليست ذا مدار وضابطة فى الحجية فإن كثيراً من أصحاب السير والسلوك والتصوف والرياضات يقعون فى انحرافات وأخطاء نتيجة تعويلهم على ما يتلقونه من خواطر وإلهامات ومكاشفات، فإن نفس الصوفية والعرفاء ذكروا ذلك مثلاً القيصرى فى شرح كتاب ابن عربى وكذلك الغزالى وابن عربى نفسه وغيرهم ذكروا بأن مكاشفات غير المعصوم ليست بمعصومة فلا بد أن توزن وتعرض على محك كشف المعصوم وهو القرآن والسنة لأن القرآن والسنة هو تلقى المعصوم عن الله تعالى وعن الغيب، ولا ريب ولا شك فى عصمة هذا التلقى والتملقى، لأن قدرة المعصوم معصومة وغير محدودة فى تلقيها عن الغيب كما يصف القرآن الكريم ذلك، قال تعالى: وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ (٢) بيان لاحاطة المعصوم.

وبعبارة أخرى بمثال حسى: إن درجة استقبال وتلقى المعصوم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٧٣

كالرادار فى الكشف وغير المعصوم كالميكروفونات البسيطة التى تشوش بأدنى ضغط وتكدس من الأمواج، فللمعصوم روح واسعة محيطه فيها استعداد الكشف والابصار القلبي لكل زوايا العرش والكرسى والسموات وجهنم والصراط والميزان والبرزخ والموت وتطاير الكتب والحوار والملائكة، فإن أرواح المعصومين ليس كأرواحنا إذ لها قدرة الاطلاع على عوالم أخرى دون أن تضعف أو تتردد كما روى عن أمير المؤمنين (ع) حيث يقول: «لو كشف لى الغطاء ما ازددت يقيناً» (١) أى إنه مطلع على تلك العوالم غير

عالم الدنيا فلا يؤثر على اعتقاده وروحه إذا كشف له الغطاء وليس كبقية البشر الذين لم يطلعوا على شىء من تلك العوالم، وأن الله لم يطلعهم على شىء منها لضعف نفوسهم وأرواحهم.

وفى رواية أخرى أن شخصاً كان يسير مع الإمام الصادق (ع) فمروا بمقبرة بين مكّة والمدينة فسأل الشخص الإمام (ع) عن حالهم فقد روى عن عبد الله بن بكير الأرجاني، قال: صحبت أبا عبد الله (ع) فى طريق مكّة من المدينة، فترلنا منزلاً يقال له: عسفان، ثم مررنا بجبل أسود عن يسار الطريق موحش، فقلت له: يا بن رسول الله ما أوحش هذا الجبل ما رأيت فى الطريق مثل هذا، فقال لى: «يا بن بكير أتدرى أى جبل هذا»، قلت: لا، قال: «هذا جبل يقال له الكمد، وهو على واد من أودية جهنم، وفيه قتلة أبى الحسين (ع)، استودعهم فيه، تجرى من تحتهم مياه جهنم من الغسلين والصديد والحميم، وما يخرج من جب دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٧٤

الجوى، وما يخرج من الفلق، وما يخرج من آثام، وما يخرج من طينة الخبال، وما يخرج من جهنم، وما يخرج من لظى ومن الحطمة، وما يخرج من سقر، وما يخرج من الحميم، وما يخرج من الهاوية، وما يخرج من السعير، وما مررت بهذا الجبل فى سفرى فوقفت به إلّا رأيتهما يستغيثان إلّى، وإنى لأنظر إلى قتله أبى وأقول لهما: هؤلاء فعلوا ما أسستما، لم ترحمونا إذ وليتم، وقتلتمونا وحرمتونا، ووثبتم على حقنا، واستبددتم بالأمر دوننا، فلا رحم الله من يرحمكما، ذوقا وبال ما قدمتما، وما الله بظلام للعبيد، وأشدهما تضرعا واستكانة الثانى، فربما وقفت عليهما ليتسلى عنى بعض ما فى قلبى، وربما طويت الجبل الذى هما فيه، وهو جبل الكمد».

قال: قلت له: جعلت فداك فإذا طويت الجبل فما تسمع، قال: «أسمع أصواتهما يناديان: عرج علينا نكلمك فإنّا نتوب، واسمع من الجبل صارخاً يصرخ بى: أجهما، وقل لهما: احسبوا فيها ولا تكلمون» (١)».

قال: قلت له: جعلت فداك ومن معهم؟ قال: «كل فرعون عتى على الله وحكى الله عنه فعاله وكل من علم العباد الكفر».

فقلت: من هم، قال: «نحو بولس الذى علم اليهود إن يد الله مغلوله، ونحو نسطور الذى علم النصارى إن المسيح ابن الله، وقال لهم: هم ثلاثة، ونحو فرعون موسى الذى قال: أنا ربكم الأعلى، ونحو نمرود الذى قال: قهرت أهل الأرض وقتلت من فى السماء، وقاتل أمير المؤمنين (ع)، وقاتل فاطمة ومحسن، وقاتل الحسن والحسين (ع)،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٧٥

فأما معاوية وعمرو فما يطمعان فى الخلاص، ومعهم كل من نصب لنا العداوة، وأعان علينا بلسانه ويده وماله».

قلت له: جعلت فداك فأنت تسمع ذا كله ولا تفزع، قال: «يا بن بكير إن قلوبنا غير قلوب الناس، إنّا مطيعون مصفون مصطفون، نرى ما لا يرى الناس ونسمع ما لا يسمعون، وإن الملائكة تنزل علينا فى رحالنا وتتقلب فى فرشنا، وتشهد طعامنا، وتحضر موتانا، وتأتينا بأخبار ما يحدث قبل أن يكون، وتصلى معنا وتدعو لنا، وتلقى علينا أجنحتها، وتتقلب على أجنحتها صبياننا، وتمنع الدواب أن تصل إلينا، وتأتينا مما فى الأرضين من كل نبات فى زمانه، وتسقينا من ماء كل أرض نجد ذلك فى آيتنا.

وما من يوم ولا ساعة ولا وقت صلاة إلّا وهى تنبهنا لها، وما من ليلة تأتى علينا إلّا وأخبار كل أرض عندنا وما يحدث فيها، وأخبار الجن وأخبار أهل الهوى من الملائكة، وما من ملك يموت فى الأرض ويقوم غيره إلّا أانا خبره، وكيف سيرته فى الذين قبله، وما من أرض من ستة أرضين إلى السابعة إلّا ونحن نؤتى بخبرهم» (١)» (١)» يعنى نحن غير المعصومين لو سمعنا ذلك لصعقتنا ولما بقيت أرواحنا فى أجسامنا، أى لوقع الموت لنا لعدم إمكان تحمل ذلك، أما المعصومون (عليهم السلام) فلهم القدرة على أن يروا تلك العوالم.

وإنّ قابليات غير المعصومين الروحية أيضاً تختلف فى قوتها واستعدادها للاطلاع على العوالم الأخرى والأسرار كما فى الفرق بين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٧٦

سلمان وأبى ذر حيث ورد: «لو علم أبو ذر بما فى قلب سلمان لكفره أو لقتله» (١)» أى إن أبا ذر لا يتحمل ما يتحملة سلمان من علوم وأسرار، وهكذا فإنّ أعلى حالات النفوس القوية موجودة عند المعصومين (عليهم السلام) فلهم عدسة قوية دقيقة لا يخفى عليها شىء،

فى حين أن القرآن يصف الشياطين أو الجن بقوله تعالى: لا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ \* دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ \* إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (٢)﴾ فللشياطين والعفاريت قوة كشف أيضاً ولكنها لا تقاس بقوة كشف المعصوم إنما هى حاصلة من خطفة بسيطة أى قبسة فإن غير المعصوم حتى لو كانت عنده خواطر وتمثلات وانكشافات ويرى ما لا يراه الناس مع أنها كالقطرة فى المحيطات اللامتناهية، فما الكاشف له أن تلك الرؤى والخواطر والغيبيات التى هى كالقطرة أنها من الله تعالى أم من الشياطين والعفاريت؟، فإن بعض الرؤى والانكشافات قد تصدق لأنه هناك خطفة من الغيب ولكن الخطفة الشيطانية أو من الجن شىء والوحى النبوى شىء آخر فكثير من عموم الناس وآحادهم إما يعتر أو يُغرر به أنه انكشف له شىء وعلم أموراً غريبة فىرى أن تلك الانكشافات انكشافات بوحي أو علم لذننى أو ... الخ، لكنه لا يُمَيِّز أن الموصل إليه هل هو الشيطان أم من ؟ ... لأن روحه ليس فيها استعداد التلقى، فإن نفوس غير المعصوم لم تطلع على تلك العلوم والمباحث، فبمجرد اتصاله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٧٧

بقناة غيبية يرتبك وتضطرب عنده الموازين، فلعله نتيجة ذلك يتدع شريعته جديدة وعقيدته جديدة وبعثه جديدة.

فإن التعامل مع الانكشاف الغيبى مختلف حتى بالنسبة للمعصومين فكيف بغير المعصومين، فإن المعصومين يختلفون بحسب مراتبهم وقوة وشدة استعدادهم للتعامل مع تلك الغيبات ودقة موازينهم فى الثبوت والتعامل مع ما يلقى إليهم، قال تعالى: وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ \* فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا (١)﴾، فبين تعالى تفاوت علم داود عن علم سليمان مع أن كلهما منهما آتاه الله العلم والحكم إلا أن ما أوتى سليمان ناسخ لما أوتى داود وأرفع منه، وكذلك قال (ص): «ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي» (٢)﴾.

فإن نفوس المعصومين على عظمتها وقوتها لهم مواقف مختلفة فى التعامل مع الغيبات، فرغم علمهم بالغيب فإن تعاملهم معه يختلف بحسب اختلاف أرواحهم ونفوسهم فإن أرواحهم لما لها من الاستعداد فإنها ترقى وتخرج إلى عوالم أخرى غيبية مهولة دون أى ارتباك ولا أى اضطراب لأنها نفوس عظيمة معدة للوحى والنبوة والانكشاف على الغيب، أما غير المعصوم من نفوس البشر الأخرى فبمجرد اختلاف المشاهد تضطرب عنده الموازين فقد لا يحتاج غير المعصوم لانزلاقه وانخداعه إلى أكثر من إثارة بسيطة وجمال خداع ولو كان زائفاً، إذ لا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٧٨

يستطيع الثبوت أمام هذه الإثارات البسيطة، فما بالك لو تمثلت له بعض صفحات الدنيا بجمالها وقالت له: أنا الدنيا، فهل يبقى على تثبته وتمييزه ويقول إليها إليك عني أم ماذا!؟

فإن غير المعصوم لعدم استعداده وعدم قوة نفسه بل لضعف نفوس غير المعصومين فبمجرد اختلاف المشاهد يحصل الهلع والجزع والفرع والرعب والاضطراب، ففى تلك الحالة إذا ألقى له شىء من الغيب هل له أن يميزه أنه من الله أم من الشيطان؟، فإنه قد تظافت الروايات فى أن الرؤى سواء أكانت رؤى فى المنام أم فى اليقظة أم غيرها منها ما هو حديث الشيطان وإفكه وتنزيله، ومنها ما هو حديث النفس ومنها ما يكون رؤى صادقة سواء أكانت فى اليقظة أم فى المنام.

أما ما هو حديث الشيطان؟ فإن الشيطان يلقى لأوليائه الإفك والإثم قال تعالى: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ (١)﴾ وقال تعالى: هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ \* تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢)﴾ فإن الشياطين يلقون لأوليائهم الإفك والإثم.

وأما حديث النفس، فإن النفس بما أودعت من قوى وغرائز فهى كأنما ذوات متعددة وليست ذاتاً واحدة، فالنفس البشرية بسبب ما جهزت به من غرائز وقوى فكانما كل قوة هى ذات من الذوات وجوهر من الجواهر وهذه النفس إذا طاشت أو جمحت تسول للإنسان من تساويل ورؤى حتى فى اليقظة، والإنسان لخلوه من قدرة التمييز بحسب ذلك من الغيب وكشف الستور فى حين أنها من الأعيب النفس الإنسانية.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٧٩

### تفاوت درجات الصدق ...: ص: ٤٧٩

وأما الرؤى الصادقة فهى وإن كانت ممكنة وقد تحصل سواء فى المنام أم فى اليقظة لكنها إضاءة ضيقة جزئية محدودة من بحر فضاء لا متناهى لا يمكن التعويل عليها، لأن الصدق له مراتب، فصدق المعصوم كالمحيطات أما غير المعصوم فضعيف يتبدد بأدنى شىء، لذا ورد فى القرآن الكريم: وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (١) فأصدق الله تعالى لا تضاهيها أى مصداقية لأنه يحيط بكل الواقعات وكل المخلوقات، أما نحن فاحاطتنا صغيرة إذ نحن لا- نحيط حتى بكيفية ولادتنا ونشأتنا وإننا من أين جئنا وإلى أين نتجه حتى لو كنا صادقين وعدولاً، فاحاطتنا ضعيفة قليلة فكيف ندعى علمنا بالاطلاع على ذلك.

أما إحاطة المعصوم فواسعة فإنهم هم الصديقون بعد الله تعالى، بل إن الأئمة (عليهم السلام) هم كبراء الصديقين، كما فى بعض الزيارات (٢) يعنى يحيطون بالكتاب الميسر واللوح المحفوظ، والقرآن نفسه شهد لهم بالطهارة ثم شهد لهم بأنهم هم الذين يدركون ويفهمون القرآن قال تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ\* فِى كِتَابٍ مَّكْنُونٍ\* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٣) ثم قال تعالى: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٤).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٨٠

لذا فلا اعتداد ولا اعتبار بتلقى غير المعصوم وليس له أى مدار فى الحجية لعدم الاطمئنان بكونه تلقياً صادقاً إذ هم أنفسهم يخطئ بعضهم بعضاً، فكم من الصوفية والعرفاء وحتى أصحاب السير والسلوك وحتى أصحاب الرياضات نجد بينهم تضارباً لا ينتهى ولا يرتفع، فكل منهم يخطئ الآخر لأنهم غير معصومين.

### ضعف ومحدودية الإدراك القلبي لغير المعصوم ...: ص: ٤٨٠

وبمثال حسى لتضارب الأقوال عن الغيب كما يقال: إن أشخاصاً وجدوا فيلاً فى ظلام فاعتمدوا على اللمس فى تشخيصه، فلمس أحدهم ذنبه فقال: إنه مخلوق صغير، ولمس بعضهم خرطومه فقال: إنه متوسط، وآخر لمس رجله فقال: إنه مخلوق كبير، ولمس الآخر بطنه فقال: إنه عظيم بل إنه سينفجر...

وما ذلك إلا لعدم الاطلاع والكشف التام وإنما اعتمد كل منهم على ما انكشف له واطلع عليه من طريق ضيق وحكم بموجبه حكماً عاماً.

فهكذا غير المعصوم وأصحاب النفوس الضيقة و... فإنهم إن حصل لهم كشف للغيب فهو كشف ناقص لا- يصلح ليكون حكماً صادقاً حقاً يعتمد عليه ويطمئن له.

أما المعصوم فله الإحاطة التامة والانكشاف التام، فمثلاً كأنه يرى ذلك المخلوق بتمامه، يرى ذلك المخلوق فيحكم بأنه فيل على ما هو فى الحقيقة لأنه مطلع على تمام حجمه لأنه يراه ببصيرته بل يكون له نور يكشف له فيرى بصره، لأن كشف ورؤيته المعصوم فيها إحاطة قال

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٨١

تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ\* فِى كِتَابٍ مَّكْنُونٍ\* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (١)، وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ (٢)، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ (٣).

لا مثل غيره يعيش فى ظلمة وكدورات النفس ويريد الاطلاع وإيجاد قناة غيبية.

## كشف المعصوم القرآن والسنة ... ص: ٤٨١

ومن العجيب أن غير المعصوم يدعى التلقى والكشف ويحاول أتباع ما تلقاه مع علمه بضعف نفسه وعدم استعدادها ويترك تلقى المعصوم الذى هو الكتاب والسنة المطهرة من أحاديث النبى (ص) وأهل بيته (عليهم السلام) فأى قناعه له أو لمن يتبعه بترك تلقى المعصوم وأتباع ما عنده من هلوسات أو خواطر أو رؤى منامية لا اطمئنان بصحتها فعندنا القرآن والسنة التى هى كشف حقانى لأنها وصلت إلينا بتلقى المعصوم عن المعصوم فلا حاجة حينئذ للاعتماد على تلقى غير المعصوم وإن توهم وارتسم له أنه عن المعصوم، فإن المشكلة فى المتلقى (الرادار أو اللاقطه أو الساحب) فهل لديه نفس قوية ترى الملقى إليه على ما هو عليه أم نفسه ضعيفة لا استعداد لها فتقلبه وتزيفه، لذلك تكرر فى القرآن قوله تعالى: **وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** («٤») أى ما دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٨٢

أنزل من الغيب والكشف هو فى نفسه حق وجاء ونزل فى طريق حقانى غير مشوب بعبث الشياطين وكدورات النفوس الضعيفة وضيق وتلوث أوعيه الاستقبال، فهو نظير المرأة فهناك نوع منها سليمة صحيحة غير مشوبة تعكس الصور على ما هى عليها كنفوس المعصومين مثلاً، فى حين هناك نوع آخر من المرايا مشوب وليس منتظماً فتعكس الصور بشكل مقلوب أو تضخمها وتكبرها أو تضعفها وتصغرها أو تعطى ألواناً أخرى بل أحياناً بعض الصور تمسخ عن حقيقتها أصلاً فترى صورة الإنسان كأنه جنى وقد تظهر القبيح جميلاً، كما قد تظهر الجميل قبيحاً.

فهكذا نفوس البشر قد ترى الغيب كهذه المرأة، فإن الغيب واحدٌ بالنسبة للمعصوم ولغير المعصوم ولكن الكلام فى المستقبل إذ لا ضمان لأن تكون تلك النفوس ترى الغيب على ما هى عليه، هذا لو كان الملقى صادقاً فتكون المشكلة فى المتلقى الذى يتلقى، أما إذا كان التلقى من إيحاء الشياطين فكما أن أولياء الله تنتزل عليهم أنوار إلهية فإن أولياء الشياطين تنتزل عليهم الآثام والإفك، فإن الإثم فى نفسه كذب، فأولياء الشياطين يحسبون ما القى لهم ملائكة ورسول غيب من الله فى حين أنها شياطين إذ ليس له قدرة التمييز والتفريق بين إيحاءات الشياطين وبين الأنوار الإلهية.

## سبب اختلاف المعصوم فى التلقى مع غيره ... ص: ٤٨٢

لذلك فإن علماء الرؤية يقولون: كلما ازداد الإنسان صدقاً فى قوله وتعبيره وأمانته ووفائه وسلوكه وتعاملاته وتوجهاته لله وقربه للحق والحقيقة فإنه يرى الرؤى الصادقة، وكلما زل لسانه وارتكب المعاصى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٨٣

وابتعد من طريق الحق والحقيقة وابتعد عن الله رأى أموراً خاطئة وباطلة، أما المعصوم فحيث إنه لا يرتكب أى معصية وأى ذنب فإنه لا يرى إلا الحق والصدق والرؤى الصادقة، لذا تكون مرآته صافية جلية ويرى بإحاطة شمولية الأمور على ما هى عليه، من هنا كانت رؤى الأنبياء رؤى صادقة وحيانية كقوله تعالى: **وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ \* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** («١») بالنسبة لرؤية النبى إبراهيم (ع) وكقوله تعالى: **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ** («٢») بالنسبة للنبى محمد (ص).  
وعليه فإن رؤى الأنبياء والأوصياء حجة لأنهم بلغوا من الصدق مقاماً عالياً جداً ولما لم يكن عندهم أى إثم ولا إفك فلا تنتزل عليهم الشياطين ولا تكون قنوات كشفهم عن الغيب إلا قنوات سليمة صحيحة يرون من خلالها الحق فقط.

## العدالة تغاير العصمة ... ص: ٤٨٣

أما غير المعصوم فمهما يكن من الاستقامة لا يؤمن كشفه حتى العادل لا يمكن الاطمئنان لقناته الغيبية إذ العدالة غير العصمة فإن



العدالة وإن كانت هى الاستقامة على جادة الشريعة وعدم ارتكاب المعاصى إلا أن ذلك لا يعنى عدم ارتكاب المعاصى والأخطاء من دون شعور وبالتالي فإن ذلك يكدر نفسه وروحه من حيث لا يشعر حتى لو لم تسجل عليه عقوبه فإنه يعذر عن العقوبة لعدم علمه أى لجهله بذلك الفعل أنه يسبب غضب الله والكدورات النفسية ولكن ذلك لا يمنع من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٨٤

تكدر وتلوث النفس بتلك الأعمال وبالتالي لا تكون قناته للغيب سليمة صافية.

فلا بد للإنسان غير المعصوم أن لا يغتر ولا ينخدع ببعض الانكشافات والرؤى فيعتبرها غيباً ما بعده غيب، ووحياً ليس فوقه وحى وأنه صار نبياً أو نحو ذلك ويتأول الضروريات والحقائق الدينية بالباطل ويتمرد عليها.

فقد يكون للإنسان شىء من التقوى فيحسب أن تقواه وورعه سبب انكشاف الغيب له فيؤمن به ولكنه ليس صحيحاً فإن تلك لو كانت تقوى وورعاً لاتبع القرآن الكريم والسنة لأنها تلقى معصوم عن معصوم، فهى كشف صادق وحق لا ريب فيه فى حين أن ما تلقاه غير المعصوم هو تلقى لا يتحصن أن يكون من الشيطان أو الجن أو العفاريت ... فلا ضمانه فيه.

فليس من العقل ولا- من المنطق ترك ما هو برهاني و يقينى وهو كتاب الله الذى لا يغادر كبيرة ولا صغيرة واتباع خطفه مكاشفة أو رؤيا أو نحو ذلك ظانين أنها قطرة صادقة.

فلا- نمنى أنفسنا بمقامات المعصومين من الأنبياء والأوصياء فتسول لنا أنفسنا أن تنفتح لنا قنات الغيب ولا- نتوهم ذلك لغير المعصومين (عليهم السلام) فأين نحن من سيد الأنبياء وأين نحن من سيد الأوصياء وأين نحن من الأئمة المعصومين فإن الغيب شاسع مهول ودخوله والتوسط فيه ليس موفوراً ميسوراً، فلا- يمكن لغير المصطفين الأخيار الذين اصطفاهم الله تعالى بعلمه ليكونوا هم القنات السليمة والحقانية لارتباط جميع المخلوقات بالواحد الأحد الله سبحانه وتعالى وذلك لما لهم من قوة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٨٥

النفس والاستعداد الحاصل من طهارة النفس فهم (عليهم السلام) ليس كبقية البشر روحاً بل حتى جسداً فإن الرسول الأعظم (ص) عرج بجسده فضلاً عن روحه إلى سبع سماوات فهو ليس بالإنسان العادى حتى تسول نفوس البعض الانكشاف على الغيب لمجرد أنه اتقى أو عمل صالحاً أو قام بريضة عبادية أو روحية أخرى ... فإن لكل ذلك أجراً عند الله وآثاراً حسنة على الروح، لكن ليس للحد الذى نغتر به وندعى الاتصال بالغيب بمجرد أن تحصل لنا رؤيا أو موضة مكاشفة أو ... إيانا إيانا أن نقع فى حبال الشيطان، ونغوى أنفسنا ونغوى الآخرين ونترك الثواب والبراهين والضروريات مما حصل عن طريق معصوم وهو القرآن والسنة.

### العلوم الغريبة المكتسبة ووهم إعجازها ...: ص: ٤٨٥

فالقرآن هو البرهان الواضح والمحجة البيضاء وقد أعجز البشر أربعة عشر قرناً بما ضمن من علوم معجزة ودلائل إعجازية متنوعة ومتكثرة فلا- يعقل ولا- من المنطقى ترك هذا الوحي وسنة المعصومين من الأنبياء والأوصياء واتباع الهلوسة والمهلوسين والجن والمجننين والشيطان والمتشيطين سواء أكانت من رؤى أم مكاشفات، وتنويم مغناطيسى أو تحضير أرواح أو تحضير جن أو علوم غريبة كعلم الجفر أو علم الرمل أو علم التوسم أو علم الحروف أو علم الطلسمات أو علم العزائم أو علم البيوت أو علم التنجيم أو علم الكيمياء وغيرها من العلوم التى لا تكون كاملة وتامة إلا عند المعصومين أما عند غيرهم فهى ناقصة منقوصة، فنحن لا ننفى هذه العلوم وقدرتها الجزئية المحدودة وإمكانها المتواضع فى كشف بعض يسير من شؤون بعض الأشياء لكنها لا تعطى البرهان المحيط القاطع ولا تكشف كشفاً مفيداً للحججة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٨٦

نعم قد تكشف لصاحبها بعض الأشياء لكن يجب أن لا- يغتر بذلك فليس هو الغيب ولا- الواقع ولا هو كل العوالم فمثلاً فلان كتب



بعض القضايا في الجفر أو علم الحروف أو ... فعلم أن فلاناً سيموت أو سيولد له كذا أو غير ذلك، لكن ثم ماذا بعد ذلك؟ هل صار بذلك نبياً، هل به علم طريق الجنة وطريق النار، هل صار عنده علم الأولين والآخريين وهل؟ ...

### توصية روايات الظهور بظهوره الدجل ...: ص: ٤٨٦

قد أكدت الروايات الواردة في علامات الظهور على أنه يتميز زمان الظهور بأنه زمان يبلغ فيه التحايل والحيلة والدجل والمكر والخديعة والتزوير والشيطنة حدّاً لم تبلغه عصور البشرية كلها ومن ثمّ فإن ما يعرف بالدجال هو من سمات عصر الظهور، وكون رأس الشر في عصر الظهور موسوم بالدجل يبيّن أن السمة البارزة للناس في ذلك العصر هو الخداع والمكيدة، وقد بينت الروايات الواردة عند الفريقين أن الدجال عمدة أدواته السحر والشعبذة وهو مؤشر على كثرة تعاطى السحر في عصر الظهور لاسيّما من أدعياء المقامات الدينية نظير الدجال الذي يدعو إلى طاعته والولاء له بنحو مطلق ولا يخفى أن للسحر تأثيراً يشته به الكثير مع المعجزة والكرامة، فهذا هو القرآن يحدثنا عن النبي موسى (ع) وهو نبي من أولى العزم والذي لا يتسلط الشيطان على عقله ولا قلبه لعصمة الوحي ولكن رغم ذلك ورغم حصانة العصمة قال تعالى: **فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى \* فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى \* قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى \* وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ**

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٨٧

ما صَيَّنْعُوا إِنَّمَا صَيَّنْعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (١)، وقال تعالى في شأن النبي أيوب: **وَأَذْكُرْ عَدِيدًا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصِيبٍ وَعَذَابٍ (٢)**، فالنبي وإن لم يسيطر عليه الشيطان والسحر إلّا أن التخيل والإخافة ومسّ بدنه بالضرّ والمرض، وكيد السحر يكابده النبي ويصارع كما يكابد قتال الكفار في ميادين الحرب بالسيوف والرماح، فكيف الحال في غير الأنبياء وغير المعصومين، ولاسيّما مواجهة السحر واستخدام الشياطين كما قال تعالى: **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٣)**، أن هناك من الرجال والبشر يلوذون ويستعينون بالجن والشياطين لمآربهم وخداعهم ومكيدتهم.

ماذا يعني هذا في قبال علم المعصومين بكل ما كان وبكل ما يكون وما لهم من الاحاطة بكل العوالم الغيبية كما في قوله تعالى: **وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (٤)**، وقال: **وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥)**، وقال: **حَم \* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ \* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٦)**، وقال: **لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧)** وغيرها لكن للأسف بعض النفوس المريضة والضعيفة تنخدع وتغتر بذلك فيهتمون بمثل هذه

السفاسف ويتركون ما هو خير لهم من ذلك فإن القرآن الكريم

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٨٨

والروايات تؤكد أن الصلاة والصوم والحج وزيارة المعصومين (عليهم السلام) وغيرها من العبادات لها آثار أعظم مما يتخيل هذا البعض المنخدع بتلك التفاهات والسفاسف فضلاً عن نور معارف القرآن والروايات، فليس من العقل ترك تلك العبادات والمعارف التي فيها كشف كل العوالم بتوسط الوحي وعدم الاهتمام بها وإعطاء شيء من الاهتمام لمثل هذه العلوم الغريبة أو غيرهما بتوهم وظن أنها تكشف لنا الواقع أو تعطينا طريقاً للواقع.

### التشرف بروية الإمام المهدي (ع) لا يعني الحجية ...: ص: ٤٨٨

قلنا: إن مصادر التشريع منحصرة بتلقى المعصوم عن الحق تعالى، أما تلقى غير المعصوم فليس له حجية لأن الله تعالى أمرنا بالأخذ من ذلك الطريق وهو التلقى الحسى من المعصوم وكل ما عداه غير معتبر عنده تعالى.

ولكن هذا لا- يعني عدم إمكان الإطلاع مثل الجن والشياطين والكهنة على بعض قطرات من الغيب كما قال تعالى: **إِلَّا مَنْ خَطِفَ**

الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١١)» ولكن كل ذلك لا حجية له ولا يوجب علماً صحيحاً تاماً.

ونفس هذا الكلام نقوله فى انقطاع السفارة فإنه بعد أن ثبت بالدليل وصار من ضروريات مذهب أهل البيت (عليهم السلام) فإن ذلك لا يعنى عدم إمكان التشرف برؤية الإمام المهدي (ع)، بل هو ممكن ولكن ذلك لا يعنى أى منصب أو عنوان من عناوين الحجية بل غاية ما فيه أنه دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٨٩

يتشرف بالرؤية فحسب، وهذا التشرف من الأمور الواقعة لكثير من العلماء وغيرهم من المؤمنين وقد ذكرت المئات بل الآلاف من القصص والحكايات والمواقف والمشاهدات من هذا القبيل وما ذلك إلا لأن المناصب الدينية والحجية لها أنظمة خاصة ومراتب خاصة لا تحصل بمجرد الرؤيا.

### رياضات النفس وفعل الأعاجيب ... ص: ٤٨٩

يذكر أحد وكلاء المراجع والفقهاء وكان فى باكستان والهند يذكر ذكريات السنين التى كان يعيشها هناك فى الهند وباكستان عن جملة من المرتاضين غير المسلمين بل من الكفار والهندوس فإنهم كانوا يستطيعون ببعض الرياضات أن يوقفوا قطاراً ومنعه من السير وتعطيل طائرة عن الطيران، وقدرة على قراءة خاطر والضمير وقراءة أعمال الأشخاص الماضيه منذ طفولته أو قراءة بعض الحوادث المستقبلية وغير ذلك الكثير من الأعاجيب، أو يسخر جملة من الشياطين والجن كفعل الكهانة والكاهن، لكن هذا لا يعنى أن هذا الشخص المرتاض له وحى أو له ولاية تكوينية أو، ... بل هذه نتيجة رياضات النفس، فإن للنفس قدرات عجيبة إذا روضها الشخص برياضات خاصة يستطيع فعل الأعاجيب، فإن أحد المرتاضين مثلاً كما يذكر ذلك من ذهب للهند يستطيع أن يبقى فى القبر ستة أشهر من دون أى طعام ولا- شراب بل حتى من دون تنفس فإنه بالتنويم المغناطيسى استطاع ترويض نفسه على ذلك وغيرها من الأفعال التى يفعلها البعض كبلع المسامير وإدخال

السيف فى الجسد أو يخبر عن مواقف وأفعال الآخرين الماضيه من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٩٠

خلال الكلام مع الجن أو القرين ممن قد يخطف الخطفة كما ذكر ذلك القرآن الكريم، فإن مثل هذه الأفعال الخارقة والعجيبة ليست ببعيدة عن السحرة والجن والعفاريت كما يقول القرآن الكريم فى عرش بلقيس: **أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ (١١)** فهذا عفريت من الجن من الشياطين وليس من الملائكة وليس من المهتمدين وليس من الطائعين بل عفريت من الشياطين وعد بأن يأتى بعرش بلقيس من اليمن قبل قيام النبی سليمان (ع) من مجلسه أى فى ظرف ربع أو نصف ساعة، ولكن هذا هل يعنى أن ذلك العفريت صار جبرائيل أو صار وحياً أو نحو ذلك؟ كلا فإنه عفريت من الشياطين ليس إلا، فكل ذلك ليس وحياً ولا نوراً يكتشف به الواقع والغيب كما يتصور بعض السذج والمغرر بهم، بل هى من امتحانات الله التى يتلى بها الناس ليمتحن بصائرهم فإن مثل هذه الأعمال قد تكون للعفاريت والجن والكفار المرتاضين و ... ولا تكون لبعض المؤمنين وليس له القدرة على إنجاز شىء أبسط من ذلك، ولكن مع كل هذا فإن المؤمن الضعيف الذى ليس له أى قدرة يكون ناجياً فى الآخرة ومن أصحاب الجنة ورضوان الله تعالى فى حين يكون ذلك الفاعل للأعاجيب من أهل النار ومن غضب الله تعالى عليهم، وليس هذا بالغريب فإن إبليس زوده الله تعالى بقدرات عظيمة فإنه يستطيع أن يوسوس ويخترق كل النفوس البشرية وهذه قدرة جبارة ليست عند أعظم القوى البشرية كالدول الكبرى بما لها من علوم وطاقت وقدرات

و ... كما أن لإبليس قدرة التشكل بأشكال وألوان مختلفة وله قدرة تزيين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٩١

الأعمال ويحدث الخواطر فى النفس ويجذب الناس إلى حيث يشاء وربما له قدرة الذهاب إلى قرب السماء الأولى، فإن قدرات إبليس قدرات هائلة وليست بالسهلة ولكنها لا تدل على ألوهيته ولا مكانته عند الله تعالى، بل هو إبليس على ما هو عليه من اللعن والطرد.

والقرآن الكريم يسطر لنا هذه الأمثلة كى لا ننخدع بل لا بد من الرجوع للعقل وضروريات الدين والسنة، فالقرآن الكريم يعتبر المعارف والعقائد الحقّة أعظم من تلك الأعاجيب والمظاهر من طى الأرض والزمان والرؤى والمكاشفات و... فبحسب المفهوم القرآنى هذه ليست ميزان هداية بل حتى مثل الحصول على بعض الاسم الأعظم كلعن بن باعورا ليس لها قيمة فى الحجية، فقال تعالى: **وَآتُلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ** (١) وقد ورد أنه لو قرئ على ميت سبعين مرة سورة الفاتحة وردت له الحياة فليس ذلك بغريب (٢)، بل حتى من خلال العلوم الحديثة فإنهم توصلوا لنتائج عجيبة غريبة من خلال إعمال العلوم الأكاديمية من كيمياء وفيزياء ومراتب الطاقة وعلم النانو والكوانتم (٣) وغيرها بحيث أصبح لهم قدرة أن يكون الشخص موجوداً فى مكان ثم فجأة يختفى ولا يرى.

فإن بعض الكرامات التى يحصل عليها بعض الزهاد والأولياء والصالحين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٩٢

والمؤمنين أو نتائج العلوم الأكاديمية... ما هى إلهامات يعطياها الله تعالى لهم ولا تدل على العصمة ولا على السداد بقول مطلق، فعلى أن لا نفقد قدرة التمييز بين العصمة والسداد التى تفيد الحجية وبين هذه الكرامات من الله تعالى أو نتائج وأفعال النفس نتيجة الرياضات.

فإن بعض أولئك أصحاب الكرامات أو الرياضات على ما هم عليه من الزهد والتقوى أو الرياضات إذا نظروا فى مسألة فى العقائد أو الفقه تجدهم يخطأون ويتخطون بجهلهم، بل ربما بعضهم يعتقد بمسألة عقائدية أو فقهية بشكل معكوس فىرى الحلال حراماً أو الحرام حلالاً.

فالقرآن الكريم يريد أن يبين لنا أن التقوى والزهد والصلاح والعفاف والأخلاق الحسنة النبيلة فإن كل ذلك شىء والعصمة شىء آخر، فالعصمة فوق ذلك ولها ضوابطها الخاصة وموازنها وقنواتها.

فلا ننخدع بذلك إذا حصل لنا أو لغيرنا، فإنها امتحانات يمتحننا الله تعالى بها فى المعرفة والبصيرة، فسبحان الله كيف يمتحن الخلق بالحق وبالباطل، بل يمتحن حتى بالحبوة الإلهية، فبإذن الله تعالى على عبد بصلاح أو تقوى ونحوها ليرى هل ينغر أو ينخدع؟ فلا بد من التواضع والخضوع والتذلل لله تعالى وعدم الانحراف والانجراف وراء مكاشف أو رؤية أو علم غريب أو نحو ذلك.

فهذا بلع بن باعورا خصه وحباه الله تعالى بحرف من الاسم الأعظم وجعله بذلك تحت الامتحان والاختبار كما ورد ذلك فى الروايات ولكنه لم يكبح جماح نفسه، بل راح يطلب ما ليس له فوق فى الانحراف قال تعالى: **وَآتُلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ \* وَ لَوْ**

**شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ**

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٩٣

**يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** (١) وقد مر ذكره فى الجزء الأول.

### حدود النيابة الخاصة والسفارة... : ص: ٤٩٣

اتضح أن النيابة الخاصة والسفارة لا تعنى العصمة والسداد وإنما لها دائرة حجية من الحجج، كالفقيه فإن الفقيه مرجع ويصح وفق منهج ومدرسة أهل البيت (عليهم السلام) من دون أن يعطى درجة العصمة وعدم الخطأ، وإنما له حجية فى ضمن غير الضروريات ما دام

محافظاً على الضروريات وما دام واجداً للشرائط من العلمية والفقاهة وكون الاستنباط من مصادر أهل البيت (عليهم السلام) لا من القياس والاستحسان ونحوها وإلا لم يكن له ذلك المنصب ولا ذلك الدور ولا تلك الحجية، إذاً فحجية الفقيه متولدة من حجج أرفع منه وما دام محافظاً على الارتباط مع تلك الحجج الأرفع والأعلى تبقى له الحجية. كذلك الحال في النائب الخاص والسفير، فإتماً دوره في غير الضروريات وفي غير دائرة الفقهاء، فإن مجال ودائرة حجية الفقهاء والسفراء لا تتقاطع ولا تلغى أحدهما الأخرى كما تقدم بيان ذلك، فإن مساحة ودائرة كل منها غير مساحة ودائرة الأخرى.

### ثبات فقه مدرسة أهل البيت ومصادره...: ص: ٤٩٣

وفي هذا البحث نلفت النظر إلى نكتته وظاهرة مهمة جداً في الغيبة الصغرى ونيابة النواب الأربعة (رض) وهي أن فقه أهل البيت (عليهم السلام) في فترة دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٩٤

الغيبة الصغرى لم يتغير عما كان عليه من مسار الإمامية في حضور الأئمة (عليهم السلام) من العقائد والفقه والسنن والثوابت الأخرى، ومما لا إشكال فيه أن ذلك ببركة وجود الإمام المهدي (ع)، فإن ما نقله السفراء (رض) عنه (ع) من روايات وأحاديث يكشف عن تبعيته لمنهج آباءه وأجداده الأئمة (عليهم السلام) والضروريات وفرائض الله تعالى وسنة الرسول (ص) حيث تقدم وذكرنا بأن نسبة كبيرة مما كان يصدر من توقيعاته الشريفة كانت تتضمن إرجاعاً إلى تراث آباءه من الروايات والسنن، لأن ذلك التراث فيه ضروريات سنن النبي (ص) وضروريات سنن آباءه ولا يتوهم متوهم أن يصدر توقيعاتاً منه (ع) فيه مخالفة لتلك الضروريات.

وهذه ملامح مهمة ونكتة جوهرية في مسيرة عقائد الإمامية ومسيرة فقه أهل البيت (عليهم السلام) فإن تلك العقائد وذلك الفقه ظل بنفس الطابع واللون الذي كان عليه قبل الغيبة الصغرى، وهذا إنما يدل على أن دائرة النواب والسفراء الخاصة هي دائرة محدودة، فهم بمثابة مدير شعبة إدارية لتنفيذ جملة من البرامج والإداريات والسياسات التي يعهدا الإمام المعصوم إليهم لا أن دورهم يقصى الفقهاء ولا يتناول على التراث الضروري لأهل البيت (عليهم السلام)، ومن ذلك تتضح لنا دائرة نيابتهم وحجيتهم وأنه ليس فيها أي غموض فدورهم جمع الحقوق وتنفيذ بعض السياسات الإدارية في نظام الشيعة.

هذه ملامح الغيبة الصغرى نتيجة عدم تقاطع وعدم تناول دائرة حجية النواب مع دائرة الفقهاء ودائرة الأئمة (عليهم السلام) وهي نظير تعيين رسول الله (ص) أسامة بن زيد قائداً للجيش، فإن ذلك لا يتوهم منه أنه أصبحت لأسامة حجية مطلقاً أي له مطلق الصلاحيات، بل إن صلاحيات

أسامة فقط في حدود قيادة الجيش.

### دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٩٥

ونظير قول أمير المؤمنين (ع) في مالك الأشر (رض): «كان لي مالك كما كنت لرسول الله (ص)» («١») ولا يتوهم من ذلك أن مالكا صار وصياً بعد أمير المؤمنين بدلاً من الحسين فليس الأمر كذلك فإن أمير (ع) أراد بيان مدى خلوص ومحبة وتفاني مالك (رض) في نصرة أمير المؤمنين ولم يرد بذلك تسجيل العصمة والحجية لمالك فليس الأمر كذلك، فإن الاستدلال والاستنباط له موازين والاستظهار له موازين، فإن التشبيه باب في علم البلاغة من اللغة العربية، والتشبيه أيضاً له قواعد وموازين، فإن التشبيه دائماً يكون فيه جهة شبه وليس في كل وجوه الشبه فهذه قواعد في اللغة العربية، والقرآن الكريم والرسول (ص) وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) إنما يتكلمون بلغة العرب وليس بلغة أخرى جديدة أو جفر أو غيرها مما يكون فيها غموض على السامع، لذا فلا بد من إعمال موازين اللغة من الصرف والنحو والبلاغة و... لأجل منع المهلوسين والطامعين وأصحاب الرايات الضالة...

### ضرورة الموازين في قراءة الدين...: ص: ٤٩٥



يتبين ويتجلى التخريج الصناعى لحكم الفقهاء بالكفر بناءً على ما ذكرناه ووضحناه من منظومة الحجج، إذ أن أولئك الذين اعتقدوا بنياية هؤلاء النواب المدّعين زيفاً حكّموا حجية هؤلاء المدّعين على ضرورات الدين، وهذا بغض النظر عن زيف دعواهم لأنه قد يحكم عليهم بالضلال والافتراء والكذب كما ورد فى التوقيع المبارك، ولكن الأمر الذى دائماً ما يُبتلى به هؤلاء المدّعون زيفاً وحيلةً ودجلاً ونصباً للنياية الخاصة وأتباعهم كذلك، أنهم يتبنون تحكيم قولهم على ضرورات الدين لأنهم يأخذون قولهم بنحو محتم ويتأولون ويلتوون ويلتفون ويقفزون حتّى على ضرورات سنن أهل البيت فضلاً عن سنن النبي (ص) وضرورات فرائض الله، ومن الواضح أن الذى يلتف أو يعتقد فى شخص أن له حجية تهيمن على حجية أئمة أهل البيت وحجية النبي وحجية الله، فإن هذه هى التنبأ أو الألوهية فأولئك المدّعون إما أن يبتلوا

بالألوهية وإن لم يقولوا نحن آلهة وإما أن يدّعوا بأن لهم صلاحيات فى تغيير ضرورات دين الله وسُنّة نبيه وبالتالى فإن التمرد ولو بالتأويل على ضرورات دين الله فهو تأليه وكفر وخروج عن الإسلام، والتمرد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٤٩٩

على ضرورات سنن النبي (ص) أيضاً خروج عن الإسلام وأما التمرد على ضرورات سنن الأئمة (عليهم السلام) فهو ليس بمؤمن وبالتالى هو كافر بمعنى الكفر المقابل للإيمان وإن لم يكن كافراً بمعنى الكفر المقابل للإسلام.

وعليه فإن أولئك المدّعين للنياية أو السفارة أو أتباعهم يتبنون كون حجية المدّعين تعلق ضرورات الدين، فهو تأليه أو تنبأ وإن لم يُسموه إلهية ونبوة ولذلك كفرهم فقهاء الغيبة الصغرى، فإنه لا بدّ من التمسك والانقياد والتخضع لضرورات الدين من قبل الجميع حتّى الرسول ولا بدّ من التمسك والانقياد والتخضع لضرورات سنن النبي من قبل الجميع حتّى الأئمة.

ومن يحاول الالتفاف والقفز والتمرد إعتقاداً وتنظيراً وتشريعاً على صلاحيات الله الضرورية أو صلاحيات النبي الضرورية فهو خروج عن الإسلام.

وبالتالى فإن كل من يدعى النياية الخاصة والسفارة بعد السفراء الأربعة (رض) فهو كافر إما كفر فى قبال الإسلام فيما لو تصدى المدّعى والعياذ بالله من خلال نيايته للقفز أو التمرد على ضرورات الدين وفرائض الله وضرورات سنن النبي (ص) فيكون خارجاً من ربة الإسلام، لأن هؤلاء المدّعين للنياية عموماً يدّعون النياية زيفاً لعدم علمهم بمدى وحقيقتها وخطورة

• هذا المنصب فتكون دعواهم بالنتيجة مخالفة لضرورات فرائض الله وضرورات سنن النبي (ص).

وإما أن تكون دعواه للنياية تمرداً وقفزاً على ضرورات سنن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٠٠

الأئمة ومنهاجهم (عليهم السلام) فهم مارقون من الإيمان فهو كفر فى قبال الإيمان.

وكيف كان فإن مدّعى النياية زيفاً وبطلاناً محكوم عليه بالكفر لأنه خالف الضرورة والبديهة على أحد قسميها.

## عناوين دعوى السفارة ...: ص: ٥٠٠

لا يقتصر عنوان دعوى السفارة على خصوص السفير أو النائب الخاص بل هناك عدة أوجه وعناوين وأقنعة قد يتلبس بها المدّعى فمنذ أكثر من اثني عشر قرناً ظهرت عدة وجوه ومدّعات وهلوسات أخذت ألواناً ونماذج عديدة جداً كلها بالتالى تصب فى حقيقتها إلى ادعاء النياية أو السفارة ومن تلك العناوين على سبيل المثال:

١ سفير خاص أو نائب خاص.

٢ دعوى الاتصال أو القدرة على الاتصال بالإمام (ع) والقدرة على إيصال الأسئلة وإرجاع الأجوبة للناس من دون عنوان السفير أو النائب.



٣ دعوى القدرة والمكنة من التشرف برؤية الإمام فى أى وقت يشاء.

٤ دعوى تلقى الأوامر والنواهي من الإمام مباشرةً.

٥ دعوى أن الإمام (ع) له عناية خاصة به ويرعاه و...

٦ دعوى أن الإمام (ع) يأتيه فى المنام ويتحدث معه.

٧ دعوى أنه جسر من وإلى المعصوم للآتيان بتوصيات وتعاليم منه (ع).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٠١

وغيرها من العناوين («١») كلها تصب فى دعوى السفارة أو النيابة

الخاصة وإن لم يتسم بها، وهذه كلها سواء أكانت على نحو التصريح أم الكناية بالتعريض أم غيرها فإنَّ المهم أن المدعى لها يريد أن يفهم ويوصل معنى لعموم الناس أنى على ارتباط خاص بالإمام (ع) يريد بذلك إبراز الشأن لِنفسه وجمع ما أمكن من السذج والعمياويين حوله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٠٢

كاتباع ويكُونوا لأنفسهم الرئاسات الباطلة ليسود فى متاع هذه الدنيا الدنية.

وفقهاء الإمامية أتباع مذهب أهل البيت قد حكموا بالبراءة واللعن والطرْد لكل تلك العناوين وغيرها وبطلان وكفر مدعيها ومروقيهم من الدين على اختلاف الدرجات فى ذلك ضللاً إذا كانوا يريدون بها ذلك المعنى من الرئاسة والمنصب ونحوها، وليراجع فى ذلك كلام الشيخ الطوسى فى الغيبة والصدوق فى كمال الدين والنعمانى والنوبختى وسعد بن عبد الله وغيرهم من فقهاء ومراجع الشيعة ورؤساء الطائفة.

وهذا لا ينافى أصل التشرف بقاء ورؤية الإمام (ع) فَعَلَّ بعض العلماء الأتقياء الصلحاء يتشرف فى العمر مرة أو مرتين أو أكثر برؤية ولقاء الإمام (ع) ولكن من دون إبراز ذلك بصيغة المقام والمنصب والوساطة لأن منصب الوساطة والارتباط لا يعطى لأحد مهما كان فإنَّ الإمام (ع) نفاه ومنعه.

فإنَّ التشرف بالرؤية غير ممتنع وقد ذكرت حول ذلك مئات بل آلاف الموارد التى تشرف فيها أعلام متقون صلحاء، ولكن لو افترضنا أن أحد أولئك المتشرفين بالرؤيا أبرز تلك الرؤيا وأظهرها ليَدعى لنفسه تقلد منصب رسمى وتمثيل عن الإمام (ع) فإنَّ ذلك دجال وكذاب وإن كان حقيقة قد تشرف بالرؤيا فإنَّ التشرف بالرؤيا شىء وصلاحيات التمثيل شىء آخر.

وبمثال أكثر وضوحاً أنه لو فرضنا راوٍ من الرواة فى زمن أحد الأئمة (عليهم السلام) ويروى عنهم ثم يدعى أنه له الوكالة عنهم (عليهم السلام) فإنَّ ذلك ليس بحجة ولا كاشف عن صحة دعواه، فإنَّ الرواية شىء والوكالة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٠٣

شىء آخر، وهذا طبعاً من باب التنظير وإلّا فالفارق كبير بين دعوى الوكالة ودعوى السفارة والتمثيل الرسمى والنيابة، كما أن الأمر حتّى مع الرواية فى زمن الغيبة مختلف فإنَّ أصل الرواية عن الإمام المهدي فى زمن الغيبة لا حجية لها فضلاً عن ادعاء شىء آخر؟!

### حركات ونهضات آيات سنة الظهور ... ص: ٥٠٣

وهذا لا ينافى القيام بحركات تحريرية كما فى سنة الصيحة من السماء لو كانت بعنوان نصره المذهب أو نصره الإمام المهدي (ع) لكن بشرط عدم ادعاء أى نحو من الحجية فإنَّ مفاد الروايات نفى حجية الاتصال أو النيابة الخاصة عن الإمام بل حتّى مثل شخصيات الظهور كاليمانى والخراسانى وغيرهم فإنَّ مفاد الروايات ليس فيه إعطاءهم أى نحو من الحجية، نعم غاية ما تثبتت الروايات لمثل هذه

الشخصيات أنهم على الحق وأنهم يدعون لنصرة الإمام المهدي (ع) أو لرفع الظلم أو نحو ذلك من دون أي منصب ومقام خاص إلا أنهم على الحق.

نعم الدعوة لنصرتهم ومؤازرتهم باعتبار حقانية دعوتهم وحجية الثواب والموازن التي يرفعونها ويطالبون بها إذ الحق بما هو حق يجب أن يتبع بغض النظر عمّن طلبه وكيف طلب ممن هو غير معصوم ما دام متقيداً بالموازنين وملتماً بالأحكام الشرعية، وهذه الشخصيات هناك دعوى لنصرتهم بشرط سماع

الصيحة من السماء وظهور قيام دولة السفيناني لا لشخصهم بل لأنهم يدعون للرضا من آل محمد (ص)، وإلا فالموجود في الروايات من المدح والثناء وكيل الصفات على اليماني مثلاً لم يبلغ ما هو مذكور في حق زيد بن علي بن الحسين رضوان الله عليه، ومع كل ذلك لم تكن له أيّ نحو من الحجية وإنما ذلك المدح

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٠٤

له باعتبار أنه كان يدعو للرضا من آل محمد وهي دعوة حق، فالمدح والثناء كان باعتبار دعوته.

لذا فإن بعض الروايات تفيد أن الدعوة إن وافقت الموازين وكانت متقيده بأحكام الشرع المبين وكان المطلوب فيها هو الحق فلا بدّ من دعمها وتأييدها قدر الإمكان كما عن المجلسي حيث جزم أن دعوة الصفويين كانت دعوة تدعو إلى التمسك بأحكام ومنهاج أهل البيت (عليهم السلام) ليست لأنها سياسية أو عسكرية أو ... بل لأنهم طلبوا الحق وأرادوا رفع الظلم وإقامة الدين من دون أن يدعوا أيّ منصب ديني كالسفارة أو النيابة الخاصة أو العصمة أو غيرها وإنما قالوا: نحن عبيد الله ومطيعون للأئمة (عليهم السلام) وتابعون لفقهاء الإمامية، لذلك فإنّ مجموعة من أساطين وأعلام الفقه الشيعي وظفوا كل إمكاناتهم لنصرتهم كالشيخ جعفر كاشف الغطاء والشيخ الكركي وغيرهم.

وما ذلك إلا لأنها دعوة سعت إلى التقيّد بأحكام الشرع ووفق الموازين، فالنصرة كانت وتكون للدعوة لا للأشخاص سواء أكان الشخص اليماني أم الخراساني أم غيره، نعم لو كان الشخص هو الإمام المعصوم فالنصرة تكون له بما هو بعد أن ثبت أنه الإمام حقاً لأننا مأمورون باتباعه هو، وهكذا الحال في أيّ واحد من أنصار الإمام المهدي (ع) الـ (٣١٣) فإنه بحسب الروايات ليس لهم أيّ نحو من

النيابة ولا السفارة ولا أيّ حجية قبل ظهوره.

والحاصل أن أيّ عنوان من هذه العناوين ليس له أيّ حجية حتّى عنوان السفارة أو النيابة الخاصة أو غيره في فترة الغيبة، نعم بعد الظهور قد تكون لهذه العناوين الحجية التي تعطى حينئذٍ من قبل الإمام (ع).

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٠٥

### الخلط بين أحوال الرجعة وما قبل الظهور ...: ص: ٥٠٥

ثم لا بدّ من الالتفات إلى أن بعض الروايات وخصوصاً روايات الملاحم إنما تبين أحوال الرجعة وليس أحوال ما قبل الظهور فمثلاً المهديون الاثنا عشر فإنّ الروايات تعطيلهم بعض الأدوار ولكن ليس قبل الظهور بل ولا بعده وإنما في فترة الرجعة، فلا بدّ من التمييز بين هذه المراحل وإلا وقعنا في خلط بين بعض العناوين التي لا حجية لها وبين البعض الآخر الذي له نحو من الحجية وبعض الأدوار لكن في مراحل أخرى.

وبهذا الفهم والادراك والالتفات للمراحل نسد الباب أمام الدجالين والمضلين ولا ينخدع بالاعيين حينئذٍ إلا السذج وقليلوا الفهم والادراك وضعاف البصيرة.

### حقيقة السفارة والنيابة الخاصة ...: ص: ٥٠٥

قد يتوهم البعض أن السفارة والنيابة الخاصة هى مجرد تمثيل وتوبيخ عن الإمام (ع) فينقل السفير عنه ما يسمعه من حديث سماعاً حسياً وينقل الأسئلة والأجوبة الخطية من وإلى الإمام (ع) وهكذا المعنى والمتصور.

وليس كذلك فإن حقيقة السفارة ليس ارتباطاً حسياً وإنما السفارة فى الروايات ذكرت باصطلاح ومفهوم خاص وهى النقل بتوسط عالم

الملكوت فهى ارتباط ملكوتى روحى غيبى.

وقد ورد فى الروايات أن الرسول (ص) سفير الله تعالى، ونقرأ فى بعض الزيارات أن الإمام (ع) سفير الله تعالى مثلاً ما ورد فى زيارة ليلة ويوم المبعث لأمر المؤمنين (ع): «السلام عليك يا خاصة الله وخالصته و... وعيية علم الله دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٠٦»

وخازنه وسفير الله فى خلقه « (... ١) » فالرسول عندما ينقل عن الله تعالى لم يكن ينقل نقلاً حسياً عنه تعالى وإنما بتوسط الملكوت، فعندما يقول الرسول (ص): قال جبرائيل (ع) عن الله تعالى فليس هو عن سماع بدنى وإنما عن طريق الوحي بارتباط روحى ملكوتى غيبى، وهكذا نقل الأئمة (عليهم السلام) عندما يقال: إنهم (عليهم السلام) محدثون وتقول: قال الصادق (ع) عن أبيه الباقر عن السجاد عن سيد الشهداء عن أمير المؤمنين عن النبي عن جبرائيل عن الله، أو قال الرسول عن الله فى حديث قدسى، فليس المراد بهذه العنونة أن أحدهم ينقل عن الآخر حساً وإنما بالارتباط الملكوتى، فإن الأئمة (عليهم السلام) محدثون عن الرسول عن الله ولو بعد وفاة الرسول (ص) لأن ارتباطهم الملكوتى الروحى الغيبى برسول الله لم ينقطع بوفاة (ص)، فمثلاً سيد الشهداء الإمام الحسين (ع) عند اعتراض عبد الله بن عباس أو محمّد بن الحنفية أو عبد الله بن جعفر فى خروجه ومسيره للعراق فأجابهم (ع) بأن رسول الله (ص) قال لى: «أخرج يا حسين فإن الله شاء أن يراك قتيلاً» (٢) وهكذا عندما اعترض عليه فى اخراج النساء والعيال معه فى مسيره وخروجه فإنه (ع) قال: «إن رسول الله (ص) أخبرنى أن الله شاء أن يراهن سبايا» (٣) فإن ذلك

من سيد الشهداء ليس إلا لأن ارتباطه برسول الله غير منقطع بل مُفعل عن طريق الملكوت والارتباط الروحى الغيبى، كما أنه (ع) عندما أجاب بذلك لم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٠٧

يعترض عليه ابن عباس ولا ابن جعفر ولا محمّد بن الحنفية لأنهم يعلمون أن الحسين من أهل آية التطهير ومن أهل آية المباهلة إذ احتج به الله (عزوجل) وجعله مطهراً ويعلم الكتاب كله والقرآن شهد بأن المطهرين من هذه الأئمة يعلمون علم الكتاب الذى لا يمسه إلّا المطهرون والكتاب المبين كتاب مكنون فيه كل شىء من رطب ويابس، قال الله تعالى: وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (١١).

وهكذا الإمام الرضا (ع) عندما يذكر قصيدة الحميرى (٢) هذه

؛ دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٠٨

القصيدة العظيمة التى أمر رسول الله (ص) الرضا (ع) أن يأمر شيعته أهل البيت بحفظها وأن الرسول يضمن لمن حفظها وتداولها الجنة على الله فهذه الرواية نقلها الإمام الرضا (ع) عن الرسول (ص) مع أن الحميرى ألف هذه القصيدة فى زمن الإمام الكاظم أو الصادق (ع) ومن الواضح أن الأمر للإمام الرضا (ع) فى زمن الإمام الرضا (ع) فكيف حصل هذا الأمر، فليس ذلك إلا لأن الارتباط بين الأئمة (عليهم السلام) والرسول (ص) ارتباطاً مُفعل لم ينقطع بانتقال الرسول أو الأئمة السابقين إلى البرزخ أو إلى الآخرة، لذلك فهم سفراء الله لأن قناة علمهم وحديثهم هى بتوسط الملكوت.

وعندما يقال: نائب خاص أو سفير عن الإمام المهدي فإن ذلك يعنى أنه ينقل بتوسط قناة ملكوتية نازلة روحية غيبية لكن عن الإمام

المهدي (ع)، فهذا هو المراد بالسفارة والنيابة الخاصة وإن كان لا يمنع ذلك من الرؤية الشخصية كما جاء في زيارة النواب الأربعة هذه العبارة التي رواها الشيخ الطوسي في التهذيب: (أشهد أن الله اختصك بنوره حتى عاينت الشخص فأدبت عنه وأدبت إليه) («١») الذي يعني أنه بلطف

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٠٩

الله هناك ارتباط ملكوتي بينه وبين المعصوم وإن لم يكن السفير معصوماً ولم تكن حجته مطلقه كما مرّ بيان ذلك لكن السفارة مقام خطير لم يفهمها ولم يعها ولم يفقه حقيقتها أولئك الأعداء المِدَّعون لها زيفاً ودجلاً، فبيان حقيقتها في المقام أمر لا بد منه في المعرفة والبصيرة للتحصن ممن تستهويه نفسه للخوض في الباطل والأفاعيل بسوء الاستفادة منها وهذا البيان ينفع في تعرية الصوفية وبعض العرفاء الذي تمصوا مثل هذا المقام فإن جملة منهم ادَّعوا هذه المقامات لأن التصوف والصوفية اقتبسوا جملة معارفهم ونظامهم من الفرق الباطنية الشيعية، فالصوفية نشأة وتاريخاً وتولداً في كثير من مبانيهم ومسالكهم متخذة من الفرق الباطنية الشيعية التي انحلت أو انحرفت بعد اطلاعها على بعض الأسرار.

\*\*\*

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥١٣

## الفصل الثامن: مفهوم الغيبة بين الافراط والتفريط ... ص: ٥١٣

### الافراط والتفريط في الغيبة ... ص: ٥١٣

لدينا ثلاثة مذاهب في تفسير وفهم الغيبة الكبرى للإمام (ع) كما هو الحال في أغلب المسائل الاعتقادية فهناك الافراط وهناك التفريط وهناك الوسطية.

فالبعض أفرط في معنى الغيبة لحد الغلو فيها فصور الغيبة بمعنى مزايله الإمام عن موقع المسؤولية وابتعاده وإقصائه وعدم التصدي الفعلي ولو بسبب الظالمين، فتصور أنها غيبة حضور أي انقطاع الإمامة في فترة الغيبة الكبرى وبذلك يكون الإمام (ع) والعياذ بالله قد تخلى عن ساحة المسؤولية والتصدي للولاية الإلهية، فلما كان الإمام غائباً فهو منقطع ومبتعد وقاصى عن الناس والرعية ولما كانت النيابة الخاصة والسفارة منقطعة بالأدلة القطعية فلا تمثيل للإمام، فبالتالي ليس الإمام موجوداً ولا يوجد من يمثله وليس هناك أيّ طريق يدل عليه ولا- أيّ باب يُنفذ منه إليه من هنا سمي النائب باباً إذ منه يُنفذ للإمام (ع) فالغيبة تعني انعدام وجود الإمامة وابتعاد الإمام عن مسؤولياته وتصديه وبالتالي فإن مهام ووظائف وواجبات الإمام (ع) معطله لحين ظهوره وتصديه للقيام بها، ومن تبنى هذا التفسير صار في حيرة في توجيه نيابة الفقهاء في فترة الغيبة الكبرى وكيفية رسم صلاحياتهم بعد أن عطل بحسب مبناه دور الإمام تماماً، فذهب بعض منهم إلى الشورى وبعض إلى إجماع الأمة وبعض إلى الضرورة والمصلحة وغيرها.

ومن الواضح أن هذا التفسير خاطيء فإن الإمامة والإمام لا يمكن

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥١٤

انعدامها، وهو إفراط في تفسير معنى الغيبة، وهذا المعنى الافراطى يُناقض أصل معتقد الإمامية بالإمامة لأنه بالتالي يؤدي بنا هذا التفسير إلى وجود فترة زمنية ليس فيها إمام فإن آخر الأئمة هو الحسن العسكري (ع) وباستشهاده انعدمت الإمامة إلى ظهور المهدي (ع) وبالتالي ففي فترة الغيبة الكبرى ليس هناك إمام يقوم بأعباء الإمامة ومسؤولياتها، فتساوى حينئذ في تلك الفترة مع المدارس الإسلامية الأخرى في القول بعدم وجود الإمامة وكأنما أصبحنا كالواقفية يعني من وقف على إمامة أحد الأئمة (عليهم السلام)، وبحسب هذا القول والتفسير نكون قد وقفنا على إمامة الحسن العسكري (ع) ولم نقل بإمامة المهدي (ع)، إذ لا تكون إمامة المهدي

إلّا فى الظهور، وهذه الفترة وهى الغيبة الكبرى خلت من أى حجة فلا رسل فيها ولا أنبياء ولا أئمة.

وهذا المعنى الخاطى صورته بعض المذاهب الإسلامية الأخرى بل بعض الكتابات فى وسطنا أيضاً حيث رسمت معنى الغيبة بما يؤدى إلى وجود هذه الفترة الخالية من الإمام (ع)، نعم لا مانع من وجود فترة ليس فيها ظهور للإمام كما هو الصحيح فى الغيبة لكن من غير الصحيح القول بفترة لا يوجد فيها إمام.

وبالتالى أشكل عليهم بأن هذا المعنى يلزمه عدم التوافق مع الحديث المروى عند الفريقين «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» (١) بل فى روايات الفريقين ما هو أعظم من ذلك وهى رواية «من

“

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥١٥

مات وليس فى عنقه بيعه لإمام مات ميتة جاهلية» (١) فليس عدم معرفة الإمام بل عدم بيعته إذ قد يعرفه لكن لا يتضامن مع مساره أى لا يتضامن مع أتباع أهل البيت الذين هم على منهاج أهل البيت بل يتبع منهاج غيرهم وهو فى الواقع فسخ البيعة مع الإمام المعصوم، فعلى أى تقدير فقد ورد أن من مات وليس فى عنقه بيعه للإمام فإنه مات ميتة جاهلية، وبالتالى على هذا القول والتفسير للغيبة كل من مات فى الغيبة الكبرى حيث ليس فى عنقه بيعه للإمام مات ميتة جاهلية، هذا هو لازم قولهم وهل يمكن الالتزام بذلك؟ وقد حاول البعض الآخر التخلص من هذا الإشكال فصور الغيبة بمعنى آخر حيث اعتقد بأنه من غير الصحيح تصوير انقطاع الإمامة بهذا المعنى وهو تفسير باطل وفيه زيغ فى الاعتقاد بالإمام فلا بد أن يكون الإمام ناشطاً قائماً بالأمر وبأعباء المسؤولية وذلك من خلال التمثيل الرسمى له، فصور هذا القائل أن للإمام عناصر تمثله فى العلن، وبالتالى فهو معنى تفریطى حيث إن هذا التفسير يُنافى حقيقة الغيبة كما سيأتى، فهذا القائل بالمعنى الثانى اعتقد أنه إذا لم نقل بالتمثيل الرسمى للإمام فإن ذلك يعنى عدم النشاط للإمام وعدم تصديه للإمامة والمسؤولية والاصلاح.

فلكى يحافظ هذا القائل على الدور الفعلى للإمام لا بدّ من تصدى الإمام مباشرة أو من يمثله، ولما كانت فترة غيبة فليس المتصدى هو الإمام بل من يمثله سواء أكان سفيراً أم نائباً خاصاً ونحوه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥١٦

وهذا المعنى التفریطى أيضاً باطل ومنحرف لأن النشاط والدور الفاعل والتصدى للإمام لا يستلزم أى بروز وإعلان فلو عدنا لقصة موسى والخضر (ع) وما يقوم به من مسؤوليات، فعندما تفارقا ولم يكن فعل الخضر ظاهراً لأحد فهل هذا يعنى أن ليس له أدوار بعد ذلك وأن دوره فقط الذى كشف عنه القرآن وإلّا فقبل التقائه بموسى وبعد فراقهما ليس له أى دور وهذا واضح البطلان فإنّ له ولغيره من رجال الغيب أدواراً ومسؤوليات لا يعلم بها إلّا الله والأئمة.

ففى رواية عن النبى (ص): «لو صبر النبى موسى مع الخضر أكثر لرأى عجائب عظيمة من الخضر» (١) فعدم ظهور وبروز نشاط الإمام (ع) وعدم وجود نائب خاص أو سفير لا يعنى الجمود وعدم النشاط، وهذا المعنى للأسف ارتكز خطأ عند كثير من الكتابات الإسلامية سواء من المذاهب الأخرى أم فى وسطنا إذ ارتكز أن النشاط والحيوية والفاعلية والقيام بالمسؤولية تلازم الاعلان والبروز والظهور، وليس كذلك فإنه كما سيأتى من أن أجندة التنظير فى العلوم الاستراتيجية والسياسية والاجتماعية تؤكد على أنه كلما كانت السرية والخفاء أكثر كان النشاط والعمل والدور أكثر حيوية وقوة ونفوذاً واختراقاً وتأثيراً وانسيابية واندفاعاً وسيولةً وبلا أى معوق وممانع والعكس بالعكس، فالنشاط يرتبط بالانجاز فى الميدان الخارجى ولا ربط له بالظهور والاعلان، فليس لازم النشاط الكشف والاعلان والاعلام والهرج والمرج والصخب، فالبعض وللأسف عندما يقرأ تاريخ بعض المصلحين من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥١٧

أولاد الأئمة (عليهم السلام) كزيد الشهيد أو يحيى بن زيد (رض) وغيرهم من الثوار يحسبون أن معنى النشاط والعمل والتغيير لا بدّ

أن يكون معلناً ومكشوفاً وإلا كان جموداً، وهذا من أخطاء الزيدية حيث اعتبروا الإمام هو من يقوم بنهضة إصلاحية معلنة ساخنة في حين أن سيرة أهل البيت (عليهم السلام) على عدم ضرورة الكشف والاعلان للنهضة والتغيير والقيام بأعباء المسؤولية والإصلاح وهداية المجتمع لنا يمنعهم ويعرق لهم العدو عن ذلك.

وأنة بات واضحاً إذا أراد الرواد المصلحون الإصلاح والعمل الإصلاحي فكثيراً ما يكون في الظل والستار والخفاء ليكونوا أكثر نشاطاً وتأثيراً فإن الغيبة والتستر من مصاديق التقيّة ومع ذلك لم تفسر التقيّة بالجمود والابتعاد وعدم ممارسة المسؤولية.

إذن الغيبة لا تعنى عدم الإمامة بمعنى ترك ساحة المسؤولية والأحداث وعدم وجود الإمام، فإن الإمامة في الواقع ولاية فعلية وتصدى فعلي لهذه الراية الكبرى من نور الله تعالى ومسؤوليات الإمامة وإلا صار المعتقد بذلك واقعياً أو مذهباً مناقضاً لأصل الإمامة.

كما أن الغيبة لا تقتضى لابدئية التمثيل والتصدى العلني والبروز لأجل قيام الإمام بمسؤولياته ومهامه وإلا صار المعتقد بذلك زدياً أو بائياً أو مدعيّاً للسفارة والنيابة الخاصة كذباً وزوراً وإنما الغيبة أمرٌ وسطي بين المعنيين فهي معنى بين عدم ظهور الإمام مع حضوره فهو موجود بين الناس لكنه غير معروف عندهم فإنه الإمام فيعبر عنه بأنه غائب، فالغيبة إذن غيبة ظهور الإمام وليست بمعنى عدم حضوره وهي انقطاع ظهور وتمثيل لا انقطاع إمامة أى عدم ظهور الإمام (ع) علناً وعدم

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥١٨

ظهور أى نشاط له في العلن وعدم بروز أى تمثيل رسمي له، فالانقطاع للسفارة وليس انقطاع الإمامة، فإن انقطاع النيابة لا يعنى انقطاع الإمامة، وعدم انقطاع الإمامة وفعاليتها واستمرارها لا يقتضى ولا يوجب ولا يحتم استمرار النيابة والتصدى المعلن وإلا فمن الخطأ ما فعله البعض من الربط بين انقطاع النيابة وانقطاع الإمامة والبعض من أن فهم بالعكس استمرار الإمامة بمعنى استمرار النيابة، إذ هناك عدة أنواع للتصدى لا تنحصر بالسفارة، كما أن عدم أحد أنواع التصدى لا يعنى انقطاع جميع أنواع التصدى.

وإلّا فإن الإمام (ع) موجود حاضر متصدي وقائم بمسؤوليات وأعباء خلافته تماماً إذ له (ع) تمام الفاعلية وتمام النشاط وتمام القيام بأعباء المسؤولية والولاية والإمامة من دون أن يكون له ظهور أو تمثيل أو نيابة.

ففي كثير من روايات أهل البيت (عليهم السلام) أن الإمام المهدي (ع) فيه سِنَّةٌ من النبي يوسف (ع) حيث كان يتكلم مع الناس ويباشرهم ويديرهم ويدبرهم وهم لا يعلمون أنه النبي يوسف (ع) بل وفي كثير من الروايات أن المهدي (ع) عند ظهوره يقول الكثير من الناس: هذا الذي كُنّا نعهده، فعن سدير قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «إن في القائم شبهة من يوسف (ع)»، قلت: كأنك تذكر خبره أو غيبته؟ فقال لي: «ما تنكر من ذلك هذه الأُمّة أشباه الخنازير، إن إخوة يوسف كانوا أسباطاً أولاد أنبياء، تاجروا يوسف وبايعوه وهم إخوته وهو أخوهم فلم يعرفوه حتى قال لهم: أَنَا يُوسُفُ فما تنكر هذه الأُمّة أنه يكون الله (عزوجل) في وقت من الأوقات يريد أن يستر حجته، لقد كان يوسف (ع) إليه ملك مصر، وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً، فلو أراد الله (عزوجل) أن يعرفه

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥١٩

مكانه لقدّر على ذلك، والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة مسيرة تسعة أيام من بدوهم إلى مصر، فما تنكر هذه الأُمّة أن يكون الله (عزوجل) يفعل بحجته ما فعل بيوسف أن يكون يسير في أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه، حتى يأذن الله (عزوجل) أن يعرفهم بنفسه كما أذن ليوسف حتى قال لهم: هَيْلَ عِلْمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ\* قَالُوا أ إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي ((١)) ((٢)).

وهذا يعنى أن له حضوراً تاماً في ساحة الحدث والمسؤولية غاية الأمر أنه (ع) غير معروف، فالغيبة تعنى عدم علمنا ومعرفتنا به (ع) وانعدام النيابة والتمثيل لا انعدام وجوده.

وهذه مسألة عقديّة مهمّة في أحوال وشؤون الإمامة لا بدّ من الالتفات إليها وفهمها بشكل صحيح ودقيق، فإن الجادة الوسطى هي



جادة النجاة فلا إفراط ولا تفريط، وإلّا وقعنا في الزيغ والانحراف وتركنا المذهب الحق مذهب أهل البيت (عليهم السلام) والعياذ بالله.

### حقيقة الغيبة والظهور ...: ص: ٥١٩

قد مرّ أن من ميزات الغيبة الكبرى للإمام (ع) هو انقطاع النيابة الخاصة والسفارة وإن للغيبة معنى وسطياً بين الحضور وبين عدم الظهور ولكن عدم ظهور الإمام هل هذا يعني أن الإمام (ع) بعيد وغائب عن البشرية، أى هل أن معنى الغيبة يقابل الحضور أم لا، إنما الإمام حاضر دائماً فيكون معنى الغيبة مقابلاً للظهور؟

لولا حظنا الروايات المروية في هذا المجال من الفريقين الخاصة

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٢٠

والعامّة نجد أن انتهاء أمد الغيبة الكبرى يكون بالظهور وليس بالحضور فيكون معنى الغيبة في مقابل الظهور فالغيبة تعني الخفاء والسرية وعدم الاعلان وعدم البروز وأما الظهور فهو عدم الخفاء أى البروز والاعلان، وتقدم أن من أدلّة انقطاع النيابة الخاصة والسفارة أن نفس لفظ الغيبة يتضمن عدم التمثيل وعدم التوكيل وعدم التنويب وهذا يعني أنه (ع) حاضر وموجود لكن ليس على نحو العلن والبروز.

ونجد هذا المعنى أيضاً في كثير من الأدعية كدعاء الندبة «بنفسى أنت من مغيب لم يخلُ منّا» (١) وعدة فقرات في هذا الدعاء يتضح منها أنه (ع) حاضر وإنما التأسف في البحث عنه باعتبار غيبته، أى خفاؤه وسريته!

ومن الغريب أن هذا المعنى فهمه وحققه واكتشفه ووصل إليه بعض الباحثين الاستراتيجيين الغربيين في حين غاب بل استهزء به وسخر منه بعض الكتاب الإسلاميين، وما ذلك منهم إلا لأنهم لم يفهموا معنى الغيبة وفسروها بتفسير خاطئ.

فهذا المعنى الخفى الدقيق الخطير للغيبة فهمه أمثال الباحث الاستراتيجى الخطير والمُنظّر الدولى فرانسوا توال الفرنسى (٢) في كتاب ، دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٢١

كتبه حول الجغرافيا السياسية للشيعة، وهذا الكتاب خطير جداً وقد نسخ وترجم للوقوف بدقه على أبحاثه لأن البحوث الاستراتيجية أشبه بالسرية، وقد ذكر هذا الباحث في كتابه أن معنى غيبة الإمام المهدي (ع) عند الشيعة بمعنى الخفاء والسرية ليكون الإمام المهدي (ع) أنشط في حركته وحيويته في تدبير الأمور في العلوم الاستراتيجية والأمنية، فإنّ السرية رمز القدرة، والدول ترى في السرية قدرة وقوة.

فهؤلاء الكتاب وصلوا لهذه المعانى الدقيقة وراء غيبة الإمام عليه (ع) في حين كتابات من المذاهب الإسلاميه الأخرى تستخف بعقيدة الغيبة عند الإماميه، بل إن الكثير من الروايات والجماعات الضالة تستخف بالغيبة الكبرى بمعنى السرية الكاملة حيث لا سفارة ولا نيابة خاصة، حيث ظنوا أن معنى هذه العقيدة الضرورية عند الطائفة الإماميه من انقطاع الاتصال الرسمى المعتبر بالحجة (ع) يعنى جمود الحجة بن الحسن (ع) عن مهامه ودوره في قيادة البشرية ومواصلة مهامها الرسالية، وأنه (ع) نائى فى أقاصى البلاد لا يتصدى للأمور وتاركاً الحبل على الغارب، بينما يعبث بالأمر قوى الطغيان البشرى، بل الحق أنه لو ترك التصدى للأمور يوماً واحداً لساخت الأرض فساداً بأهلها، ولوقعت الحروب والبلايا فى الأصعدة المختلفه على البشرية، كما قال (ع) فى التوقيع الشريف: «نحن وإن كنا ناوين بمكاننا النائى عن مساكن الظالمين، حسب الذى أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين فى ذلك ما دامت دوله الدنيا للفاستقين، فإننا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شىء من أخباركم، ومعرفتنا بالذلل الذى

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٢٢

أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.

إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء أو اصطلمكم الأعداء فاتقوا الله (جل جلاله) وظاهرونا

على انتياشكم من فتنه قد أنافت عليكم يهلك فيها من حم أجله ويحمى عنها من أدرك أمله، وهي أمانة لأزوف حركتنا ومباثتكم بأمرنا ونهينا، والله متم نوره ولو كره المشركون.

اعتصموا بالتقية! من شب نار الجاهلية، يحششها عصب أموية، يهول بها فرقة مهديه، أنا زعيم بنجاه من لم يرم فيها المواطن، وسلوك في الطعن منها السبل المرضية، إذا حل جمادى الأولى من سنتكم هذه فاعتبروا بما يحدث فيه، واستيقظوا من رقدتكم لما يكون في الذي يليه» (١) بل هو (ع) يدبّر ويدبر الأمور البشرية جميعاً عبر أساليب خفية وأدوات غيبية منتظمة تحت الستار، لكن المقرر لتلك الإدارة أن لا تظهر إلى السطح والعلن في عصر الغيبة قبل الظهور، فالغيبة والانقطاع لا تعني انعدام حضوره (ع)، في الساحة الاجتماعية والسياسية البشرية بل تعني انقطاع الاتصال من طرفنا ومن قبلنا باتجاهه (ع) لا انقطاعه هو (ع) عن التصرف في أمورنا وأمور البشرية وفي المجتمعات المختلفة، كما قال تعالى: **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** (٢) أي يحول أمام الفساد في الأرض وسفك الدماء. ففي الوقت الذي يستخف بعض المسلمين بالغيبة والسرية، فإن أولئك الباحثين يفهمونها ويعتبرونها مصدراً للقوة والقدرة والتدبير.

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٢٣

وما بيناه من التفسير الصحيح للغيبة لا- يمنع أن له أعواناً خاصين ونشطاء بل وجهاز عمل كامل إلا أن المهم أنه ليس له أي بروز وإعلان وتمثيل رسمي في الظاهر وإنما تمام العمل والنشاط والتدبير في السر والخفاء وليس لجهازه وأعوانه صلاحيات الاعلان والبروز والظهور، لذا فمن يدعى ذلك في العلن فهو كذاب ودجال.

يقول أولئك الباحثون الاستراتيجيون: إن السرية في العلوم الاستراتيجية والعلوم السياسية والعلوم العسكرية والعلوم الأمنية هي تمام القدرة، فكلما قلت السرية والخفاء كلما قلت القدرة والمقدرة والقوة، لأن الذي هو في السر والخفاء يتواجد ويعيش في سياج وحماية أمنية فلا يمكن لأي أحد أن يصل إليه فليست القضية حينئذٍ فيزيائية لوجستية حسية بدنية وإنما هي خفاء وسرية بمعنى عدم إمكان معرفة وكشف المختفي فلا يمكن عرقلته أو قطع الطريق عليه أو مواجهته أو مصادمته أو الحول بينه وبين تدبيراته.

### شواهد التصدي للإمامة الفعلية ...: ص: ٥٢٣

وعليه فمن الخطأ أن تفسر الغيبة في مقابل الحضور لأن معناها حينئذٍ أن الإمام (ع) في فترة الغيبة الكبرى غير حاضر فما يذكر من تعابير نحو عصر الحضور أو زمن الحضور وغيرها تعابير خاطئة، فإن الإمام (ع) حاضر بيننا ولم تخل منه الديار وإن كان غائباً إذ كونه غائباً يعني مستتراً ومختفياً وإلاً فالكثير من روايات أهل البيت (عليهم السلام) تذكر هذا الأمر على أنه واضح وضروري وأنه (ع) يعيش في وسط وكبد الحدث، ففي روايات الفريقين في بيان وتفسير ليلة القدر أن هناك برامج وملفات لإدارة الأرض من صغير الأمور وكبيرها تنزل عليه من إحصائيات الأرزاق والآجال وإحصائيات البركات التي تزدهر بها الأرض والآفات.

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٢٤

وهذه الاحصائيات لا- تدرى حتى الدول العظمى أي تأثير وأثر لمحاسبات مثل هذه الاحصائيات، فإن علم الاحصائيات بات من الواضح أنه هو الذي يرسم استراتيجية المستقبل، فكلما كانت الدول أكبر وأعظم كانت أقدر وأكثر استطاعة لأن ترسم لنفسها تدابير أكثر.

وهذه الملفات والبرامج التي تنزل على ولي الأمر الإمام المهدي (ع) كل عام في ليلة القدر هي ملفات ومعلومات مذهلة هائلة مهولة إلى الآن ليست هي في الوعي العلمي للبشر والتي يعبر عنها في العلوم الاستراتيجية أو علم القيادة والإدارة بالتدبير وإمساك الأرض باليد واختراق الأنظمة، وهذا المعنى رواه الفريقان من الشيعة والسنة في بيان ليلة القدر (١) وفي ذيل سورة الدخان وسورة النحل وقد ذكرنا بيان ذلك في كتاب الإمامة الإلهية (٢) كما ذكرنا فيه مقتطفات من أقوال الفريقين.

وهناك آيات أخرى دالة على ذلك كقوله تعالى: **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي**

“

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٢٥

جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً (١) فلم يعبر بالرسول أو النبي بل قال: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً فهى معادله كليه دائمية دائبة إلى نهاية حياة البشرية فى الأرض، فخلافة الله على الارض ابتدأت من أول الحياء للبشرية إلى انتهائها فحجته الله على الأرض كما ورد فى الروايات قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق (٢)، وأول مهمته بينها الله للخليفة والحجة على الأرض هى دفع الإفساد والقيام بالاصلاح فأحد تسميات الإمامة فى القرآن هو الخليفة لأنه يستخلف فى التدبير والتصرف فى الأمور فهو عنده قدرة التدبير، ومن ثمَّ أورد تعالى أول تفسير لمعنى الخليفة قول الملائكة بعد ذلك: قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ (٣) ذكر اعتراض الملائكة لأنه يريد أن يتحدث عن إحدى وظائف الخليفة المهمة فيبين شأن ومقام وصلاحيات الخليفة من خلال الجواب على اعتراض الملائكة بالافساد فى الأرض وسفك الدماء إذ قال تعالى: قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ يعنى هذان المحذوران اللذان يخشى الملائكة منهما يتم تفاديهما ودرؤهما وعلاجهما بتوسط الخليفة فى الأرض كأبرز مهمته له فيها وهى دفع الافساد والحيلولة دون سفك الدماء والقيام بالاصلاح.

والمقصود من الافساد أى الفساد الأكثر بأن تكون نسبة الفساد إلى الخير والاصلاح أكثر من (٥٠٪) وإلّا لو كانت (٥٠٪) أو أقل لم تصلح كمادة نقض للملائكة إذ سيكون الخير والاصلاح هو الأكثر.

فالقرآن الكريم يذكر لنا أن الخليفة هو الذى يحول دون الفساد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٢٦

الأكثر فى الأرض سواء أكان ذلك الفساد أخلاقياً أم صحياً أم سياسياً أم إدارياً أم زراعياً ... بل إنه سيعمل على عمارة الأرض وإصلاحها فى جوانب شتى فيحول بين الأنظمة المتحكمه المتغلبه على البشر وبين وقوع الفساد فإن له قدرة إدارة الأرض لأن الله استخلفه فيها وعلمه الأسماء وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١) فهذا العلم الذى يعطيه الله (عزوجل) للخليفة يمكنه من إدارة وتدبير الأرض، وإن هذه الإدارة والتدبير خفية سرية وهى مصدر القوة والقدرة لأجل الاصلاح النسبى وإلّا فإن الاصلاح التام الكامل سيكون فى الظهور ودوله المهدى (ع) أما الاصلاح النسبى فهو الواقع والممارس منذ آدم (ع) إلى نبينا الخاتم (ص) وإلى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فإن هذه النسبة من الاصلاح والتدبير كانت لدى كل الأئمة (عليهم السلام) وإن لم تكن معلنة.

فالبارى تعالى يقول للنبي إبراهيم (ع): قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا (٢) مع أن التاريخ لم يحدثنا أن النبي إبراهيم (ع) قد ملك العراق أو الشام أو فلسطين أو مصر أو الجزيرة العربية، وهكذا أخبرنا البارى تعالى فى القرآن أن يعقوب وإسحاق جعلهما الله أئمة يهدون بأمره وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ \* وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يُهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٣) وأيضاً لم يحدثنا التاريخ أبداً عن أنهما تصديا إلى ملك فى العلقن.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٢٧

فإن إبراهيم ويعقوب وإسحاق (عليهم السلام) نُسبت لهم الإمامة والقيادة والتدبير والاصلاح مع أنهم كانوا يعيشون كالرعية لأنظمة أخرى حسب صورة ظاهر السطح، ولكن التاريخ سجل لنا أن النبي إبراهيم (ع) استطاع أن يُبدل عقائد وعبادة شعوب وأقوام الشرق الأوسط من عباد وثنية إلى مله توحيدية حنيفية.

ومعلوم ومذكور فى العلوم الاجتماعية والعلوم السياسية والعلوم الحضارية والعلوم الاستراتيجية أن تبديل العقيدة والدين ليس من قدرة الحكومات أبداً لأن العقيدة حكومه فوق الحكومات، فكيف استطاع إبراهيم (ع) كفرد تبديل عقائد تلك الأمم ولم تكن وسائل إعلام كما للغربيين الآن ولا غير ذلك، وقد نجد فى التاريخ الحديث دولاً عظمى كالاتحاد السوفيتى لم يستطع تغيير دين وعقائد

بعض الدول الإسلامية مثل أوزبكستان وتركمانستان وأذربيجان فبكل ما أوتى من جيروت وغطرسه وسفك دماء وإرهاب وإعلام... خلال مائة سنة حكم الروس هذه الدول بالتعسف والدم والإرهاب لم يتمكنوا من تغيير الدين والاعتقاد. وما قام به إبراهيم (ع) ليس صدفة أو اتفاقاً أو فجأة أو طفرة وإنما هناك شبكة وإدارة خطيرة كان يتحكم فيها النبي إبراهيم فى تلك الشعوب من خلال ذلك استطاع أن يقيم وينجز التغيير العظيم، وهكذا النبي يعقوب أو النبي إسحاق (ع). فالقرآن الكريم يطلعنا على أن الإمامة لها جهاز خفى نعرفه لو تأملنا سورة الكهف وقصة الخضر وموسى (ع) فالقرآن يريد أن يبين لنا أن الخضر كان فى ضمن مجموعة خفية لديها مأموريات ومهمات

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٢٨

وأدوار لا تنافى ضروريات عقائد وأحكام الشريعة، قال تعالى: فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿١﴾ فإن تلك الأدوار والمأموريات كما حدث الخضر النبي موسى أنها على قسطاس وصراط الشريعة وذلك عندما اعترض عليه النبي موسى (ع) وحاججه بظواهر الشريعة كما مر ذلك.

### الغيبة والتقية وقمة النشاط ... ص: ٥٢٨

فإن الخضر كان يقوم بتلك الأدوار وفق الموازين الشرعية ولكن فى السر والخفاء من دون أن يعوقه الظالمون أو المفسدون أو أهل البغى والفجور، فالخفاء والسرية عامل أمنى مصيرى مهم خطير وهو أحد المعانى الصحيحة للتقية فالغيبة من مصاديق التقية، وهو من معانى التقية المغفول عنه للأسف، فإن الإنسان لما يتقى يعنى عنده برنامج أمنى وبرنامج ستارى خفى، وليس معنى التقية أنه يترك المسؤولية ويلتزم الجمود وعدم النشاط والانكفاء والتفوق، فهذا معنى خاطئ للتقية، بل التقية تعنى مفهوماً أميناً وإخفاء المسيرة والمسار والقدرة والنشاط والحركة التى يقوم بها ليكون بفضل ذلك الخفاء والسرية فى قمة النشاط والحركة والحيوية، إذ الخفاء والسرية نوع من التقية تكون كدرع حصين لحيوية النشاط والحركة والقيام بالمهام والمسؤوليات والواجبات على أتم وجه فى مأمن ومنأى عن العدو.

وإلا لو كانت البرامج مكشوفة علنية فمن السهل للعدو عرقلة تلك البرامج.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٢٩

فهذه مقولات متشابهة مختلطة فى معانى التقية والغيبة قد تعمى الحقيقة إن لم نعمل الدقة فيها، فقد تفهم التقية بعدم العمل وقد تفهم الغيبة بعدم الحضور والوجود أصلاً، وإلا فلا بد من العن، أى قد يخفى كيف يمكن تصوير تقية وغيبة مع عمل ونشاط وقيام بتمام المهام والمسؤوليات.

وهذا البيان من الله فى سورة الكهف عن الخضر وأن هناك مجموعة إلهية عاملة لكى يبين البارى تعالى أن للإمام فى الأرض مثل هذه الأعوان والأنصار، فليس معنى سرية وخفاء وغيبة الإمام عدم الحضور وأنه نائى بعيد قاصى وليس موجوداً فى الساحة وفى الحدث، بل بمعنى عدم الظهور، فالغيبة لا بد من فهمها فى مقابل الظهور لا فى مقابل الحضور وأن تعبير زمن الحضور تعبير خاطئ، فإنه لا يوجد زمن حضور وزمن غير حضور، بل حضور الإمام دائم، فالصحيح عقائدياً أن نطلق عليه زمن الظهور فى قبال زمن الغيبة، بمعنى أنه (ع) موجود بين أظهرنا وفى كبد وساحة الحدث إلا أنه ليس بظاهر بل مستتر مخفف غائب.

ومن خلال ذلك تبطل الكثير من الإشكالات المثارة من المدارس والمذاهب الإسلامية الأخرى ضد مدرسة أهل البيت حيث فسروا وفهموا الغيبة فى مقابل الحضور فقالوا بما أنه غائب أى ليس بحاضر فكيف يكون إماماً ويتحمل مسؤولياته ويدبر أمور الأمة؟

اتضح أن الإشكال مبتنى على تصوير خاطئ لمعنى الغيبة، فليس الإمام غير حاضر بل هو حاضر وموجود وإلا لساخت الأرض بأهلها.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٣٠

### لولا إدارة الإمام لشؤون الحياة على الأرض لساخت ...: ص: ٥٣٠

ومعنى لولا الحجة لساخت الأرض ليس إعجازاً محضاً وجبراً تكوينياً إذ أبى الله إلا أن يجرى الأمور بأسبابها، بل المعنى الصحيح أنه لولا تدبير الحجة من خلال المعلومات التى تنزل عليه من الله (عز وجل) لكانت الأرض تنزلق فى الفساد فى مختلف المجالات الصحية والبيئية وغيرها كانتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة التى تفتك بالبشرية، فكثير من الأنظمة والقوى العظمى لا تستطيع أن تحول دون انتشار وباء يعصف بكل البشرية بل هم غارقون فى غفلتهم مهما تطورت علومهم وآلياتهم الصحية والمختبرية وغيرها فتلك الأنواع من الفساد كأنما جيوش لا يستطيعون التصدى لها، وإنما المتصدى والمانع دون وقوع ذلك الفساد الكبير فى مختلف المجالات البيئية والصحية والزراعية والحيوانية والأخلاقية والحقوقية والسياسية والأمنية و... إنما هو الإمام، فهو الحائل دون قطع النسل البشرى ووقوع الكوارث الزراعية والحيوانية بل وحتى تحول دون انقطاع النسل الهوائى أى فى مقابل التلوث الهوائى، فهناك مخاطر عجيبة تحدى بالبشرية وأولئك مهما أوتوا من علوم فهم يجربونها دون العلم بعواقبها ولا يلتفتون للوالمها كالطفل الذى يفجر شيئاً لا يعلم تداعياته ونتائجه، فنلاحظهم رغم كل ذلك يعانون ويهولون لأنفسهم أعمالهم وما يقومون به من معالجات غير مجدية لبعض المشاكل من ثقب الأوزون والتلوث البيئى والانقراض وغيرها من التداعيات الخطيرة ولا يعلمون كيف علاجها الواقعى.

إذن لا بد لله تعالى من حاكم يحفظ أمن البشر الصحى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٣١

والاقتصادى والأخلاقى والخلقى، ضد الأعمال والأساليب الشيطانية من خلال التدبير والإدارة، بحيث لا يمكن للعدو إعاقة إدارته وتديره، لذا لا بد أن تكون تلك التدابير ونحوها خفية سرية فى الأرض، فيكون ذلك الحاكم المدبر خفياً مستتراً. فهناك آثار وظواهر عجيبة فى الغرب يشاهدونها ولا يعلمون أسبابها ولا كيفية علاجها مثلاً انتشار الإسلام فى الغرب وأميركا وأماكن كثيرة وذلك من خلال إحصائيات سجلت فى العام الماضى والذى قبله، فإنها إحصائيات مذهلة، ظنوا أن السبب بعض الفضائيات الإسلامية فأغلقوها ولم يكن ذلك منطقياً فإن بعض الفضائيات على قلتها ما هو تأثيرها فى قبال سيل هائل جارف وأسطول عظيم مهول من الاعلام من فضائيات وغيرها الموظفة للتأثير على الشعب الغربى، ثم ظنوا أن السبب هو الجاليات الإسلامية القليلة المغلوب على أمرها فضايقوها وقللوا قدر ما استطاعوا ولم تحل معضلتهم وهى انتشار الإسلام، فمهما سعوا وعملوا لن يكتشفوا سبب ذلك لأنه ليس بالأمر المكشوف كما يتصورون وإنما هو من تدبير الإمام وجهازه وأعوانه فى السر والخفاء لاصلاح الأرض ودفع فسادها.

### جهاز تدبير الإمام ...: ص: ٥٣١

كما تقدم فإن جهاز تدبير الإمام لا ينحصر بالنواب والسفراء كى يتوهم متوهم أنه بانقطاع السفارة والنيابة الخاصة يتعطل تدبير الإمام ونشاطه وإنما الأمر أوسع من ذلك.

فإن من الأمر الظاهر الذى لا يتوقف على ظهور الإمام هناك جهاز

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٣٢

عام وهم النواب بالنيابة العامة والفقهاء والإمام يرعاهم ويتابعهم ويشرف على عملهم وإن لم يكن الفقهاء يرون الإمام كما أن هناك جهازاً خفياً من الملائكة وغيرها قال تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ (١)» فإن ذلك أمر منه تعالى للجميع دون استثناء، فالمطلوب من كل الخلق السجود والخضوع والإطاعة والتبعية لخليفة الله فى الأرض، والقرآن الكريم تعرض فى سبع سور (٢) إلى



أن الملائكة خاضعون متبعون للخليفة ولم يُستثن أحد من الملائكة، والذي يعنى شمول الجميع بأمر الطاعة والخضوع فتحى جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل ودردائيل ومالك خازن النار ورضوان خازن الجنة وجميع الملائكة المقربين أو غير المقربين.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٣٣

قال تعالى: وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (١)، فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٢) فالقرآن الكريم يستعرض الكثير من القدرات التكوينية فى عدة آيات ثم يعزوها ويسندها إلى الملائكة على اختلافهم وتنوعهم ثم أمرهم جميعاً بالسجود لآدم (ع) أى لخليفة الله فى الأرض، فالمراد من المأمور بالسجود كل جموع وقبائل الملائكة عظيمهم وبسيطهم مقربهم وغيره، والمراد بالخليفة ليس فقط آدم، بل جميع الأنبياء والأوصياء، أى كل من تؤول إليه الولاية فيكون السجود والخضوع والانقياد بأمر الله للملائكة جميعاً لآدم ونوح وإبراهيم ومحمد (ص) وعلى بن أبى طالب (ع) والحسن والحسين (ع) وللخلف الإمام المهدي (ع)، فالمراد من الخليفة الذى يستخلفه الله وهو الوالى الذى قلنا أن الله بين أبرز مهامه فى الأرض وهى دفع الفساد وإقامة الصلاح وأن الله قد رسم وعين لوليه جهاز عمله العظيم بهندسة متقنة فكما بينا هندسة اختيار الفقهاء لارتباط الإمام بالناس كذلك له تعالى هندسة عظيمة فى ترتيب وتنظيم جهاز الإمام الخفى فإنه تعالى أتبع الملائكة لخليفته فى الأرض وجعله والياً عليهم لأن علمه يفوق علمهم إذ قال تعالى: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ \* قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣) فمნიكون ذا علم أكثر يكون صاحب قدره أكبر، فتدبير خليفة الله فى الأرض بالعلم الذى يصله ويستلمه من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٣٤

الله تعالى وأن ذلك التدبير من الإمام ينفذه ويمرّه عبر جهاز خاص ليس من البشر فقط، كما يستعرض ذلك لنا القرآن الكريم فى سورة الكهف، إذ هو مطاع من كل مخلوق قال تعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ \* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (١) فلم يقل: فاسجدوا بل قال: فَفَعُّوا فهو أمر انضباطى معجل سريع، أما فاسجدوا فيه شىء من التراخي.

فهذه القدرة لخليفة الله فى الأرض وآدم (ع) أول نموذج فى سلسلة أولياء وخلفاء الله الذين يعملون لاصلاح الأرض على رأس جهاز خاص من جميع الخلق.

وبهذا تندفع الكثير من الإشكالات والاعتراضات على جملة من عقائد الإمامية من الغيبة وغيرها والتي منها أن على بن أبى طالب (ع) كيف يكون خليفة الله فى الأرض وهو جالس فى بيته خمسا وعشرين سنة، فقد اتضح أن عمل خليفة الله فى إصلاح الأرض ليس موقوفاً على توليه السلطة والحكم فى الظاهر والسطح المعلن وإنما للإمام أنماط وأشكال من الحكومات يديرها لاصلاح الأرض ودفع الفساد، ومن أعظم أساليب النفوذ والحكومات التى يديرها هى الحكومات الخفية، فللإمام تدبيرات سرية خفية لم يطلع عليها ولم يفهمها أصحاب العقول الصغيرة والنظرة الضيقة فرأوا أنه (ع) جليس البيت خمسا وعشرين سنة.

ونفس الإشكال أوردوه على الإمام موسى بن جعفر (ع) وهو فى السجن والجواب بات واضحاً فللإمام تدبيرات وفق ما بيناه وهكذا فى الرسول (ص) إذ نقرأ فى دعاء الندبة: «أوطأته مشارق الأرض

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٣٥

ومغاربها» (١) فمع أن الرسول (ص) والأئمة (عليهم السلام) لم تتجاوز أسفارهم الشام والعراق والجزيرة بشكل عام فكيف وطأوا مشارق الأرض ومغاربها؟



وما ذلك إلا بتدبيرات خفية لهم (عليهم السلام)، فالرسول حتى قبل بعثته كان نبياً وإماماً فإن نبوة وإمامة الرسول لم تتأخر إلى سن الأربعين، نعم بعثته الرسمية كرسول تأخرت إلى الأربعين، فلا تخلو الأرض من الإمامة فإن النبي والإمام وطأ مشارق ومغارب الأرض ليس في أسفاره وتنقلاته المتعارفة عندنا، وإنما ذلك بتدبيراتهم ونحوها في موارد طي الأرض ونحو ذلك.

### معنى أعمق للغيبة ...: ص: ٥٣٥

فعندما نقول الغيبة مقابل الظهور يعني أن في فترة الغيبة لا بد أن تكون جميع عناصر جهاز الإمام غير ظاهرة أي سريته مخفية فلا نغلو في معنى الغيبة وانقطاع النيابة الخاصة، فلا يأتي متمصص مُنتحل كذاب دجال مزور ذو الأعيب يدعى التمثيل الرسمي للإمام وأنه من شبكته

الأمنية أو جهازه التدبيري أو غير ذلك، فإن ذلك ينافي الغيبة ويخالف السرية والخفاء، إذ لا نتصور أنه عنصر أمني إلهي وليس أمناً بشرياً ويكشف السر الإلهي إذ كونه من جهاز الإمام السري سرّاً إلهياً وأن كشفه أول الدجل والكذب، فإن هؤلاء الأوتاد أو الأبدال ونحوهم لو

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٣٦

شم منهم رائحة النشاط الإلهي العلني أتاها عزرائيل وأطلق عليهم رصاصه الموت، أي نزع أرواحهم، فالتاريخ يحدثنا عن كثير من الأوتاد والأبدال فما أن حصلت نوع من الريبة حوله يأتيه الأجل بسرعة، لم ذلك؟ لأن ذلك تصفيه وهي مطلوبة وحالة طبيعية في طبيعة النظام الأمني، فأى عنصر يبرز ويظهر لا بد من تصفيته، لذا فالذي يدعى أنه من جهاز الإمام أو له تمثيل رسمي من الإمام ونحو ذلك فهو أول الدجل لمخالفته السرية إذ لا يتصور الخفاء مع العلن.

فمع أن للإمام دوائر وشعباً إدارية مختلفة وجهاز عمل وتدبير كامل عجزت الدول العظمى كالعباسية والأموية عن اكتشاف فرد أو عنصر منه لأن مقتضى عمله السرية.

وهكذا النبي موسى (ع) عندما أراد أن يلتقى مع الخضر فلما كان الخضر من عناصر هذه الشبكة السرية لم يلتق به في البيت الفلاني أو المكان الفلاني أي لم يكن مواعده معه موعداً وفق الموازين المتعارفة وإنما أعطاه الله شفرتين لمعرفة شفرة في القرآن وذكرت الأخرى في الروايات، فالأولى: فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا \* قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْغُوتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا \* قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿١١﴾ فالعلامة أن يضيع منه السمك فإله تعالى قال لموسى (ع) إذا ضاع منك السمك ستلقى العنصر الإلهي في الشبكة الخفية.

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٣٧

والعلامة الثانية أن ذلك العنصر يكون مستلقياً ومغطى بلحاف والنبي (ع) لما وجد هاتين العلامتين المنحصرتين رأى الخضر فقال: هَلْ أَتَّبَعُكَ وَبَدَأَتِ الْقِصَّةَ.

فموسى (ع) نبي من أولى العزم لم يستأمنه الله إلا مع إعمال تلك الدقة الأمنية الاستتارية لأن الخضر كان في ضمن شبكة أمنية خطيرة مخفية وهذه القضايا الأمنية الخطيرة هي سر الله التي عجزت عنه الدول العظمى فلم يتمكنوا من اختراقها لشدة نظمها وخفائها وصعوبة تدبيرها.

وقد تقدم وبيننا أن كل ذلك من الخضر لم يكن ليتجاوز الضوابط والضروريات واعتراض النبي موسى (ع) إنما هو لإعمال القواعد الرقابية.

فإذا كان الله لا يكشف أحد أفراد تلك الشبكة السرية لنبي من أولى العزم، بل وبعد ما عرفه ورافقه لم يستطع الاستمرار قال هذا فراق

بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأْتُبُّكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَشِ تَطْعَ عَلَيْهِ صَبْرًا (١)» أى انقطع الاتصال بين النبى وبين الخضر وعادت السرية التامة، فإذا كان ذلك مع موسى (ع) فكيف بأحد الناس والعادين منهم، فالقرآن الكريم يقول نبى من أولى عزم لم يعرف فرداً من الشبكة السرية إلا بشفرتين ولم تدم مرافقتهما

وانقطع الاتصال وعادت السرية، فكيف نقبل ونتصور أن يأتى إنسان عادى وفرد بشرى يدعى أنه من الشبكة السرية، فلنتعظ ولنأخذ العبر والدروس من القرآن بأنه لا- كشف للشبكة السرية فهى سر الله الأعظم ولا ننخدع بالأعيب وتفاهات المغرضين فإن أولئك دجالون مزورون

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٣٨

مسيئون قال تعالى: ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُا السُّوَاىَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤْنَ (١)» فمن يحاول الدخول من الدجالين على خط خطير وشبكة أمنية سرية أخفاها الله ويكون دخولكم بدعاوى باطلة مغرضة أولئك مصيرهم الهاوية ومنزقات خطيرة عجيبة.

\*\*\*

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٤١

## الفصل التاسع: التوقيت والظهور ... ص: ٥٤١

### كيف نصر الإمام المهدي (ع...): ص: ٥٤١

المؤمنون بمقتضى إيمانهم واتباعهم لأهل البيت (عليهم السلام) ينجذبون ويساهمون فى نصره الإمام المهدي (ع) وينبغى أن يعلم أن الطريق الوحيد لنصرة الإمام (ع) هو نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، لأن الظهور هو إعلان مشروع الإمام المهدي (ع) من قبله (ع) بشكل علنى أمام البشرية، فإذا كانت البشرية كلها عاصية وتمرده على مشروع الإمام (ع)، فهل يمكن للإمام (ع) أن ينتصر؟ مما لا شك فيه أن البشرية إذا كانت متمردة على مشروع الإمام لا يمكن للإمام (ع) حينئذ أن ينتصر، لأن الظهور من سنن الله تعالى وأنه تعالى أبى إلا أن يجرى الأمور بأسبابها وليس بالإعجاز فقط ومحض الغيب، كما بين ذلك فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ (١)».

فإن الله تعالى كتب لدولة العدل أن تقام على الأرض لكن متى توفرت الشرائط والمعدات لذلك، وهذه توفرها البشرية بأن تستعد وتتقبل ذلك وتقوم به ومن أهم ذلك نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) والقيام به بشكله الصحيح وإلا استمر تأخير إقامة تلك الدولة.

وهناك عدّة روايات يظهر منها أن ظهور وإقامة دولة العدل ودولة أئمة أهل البيت (عليهم السلام) كان مقدراً فى زمن الإمام الحسين (ع) وكذا فى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٤٢

زمن الصادق (ع) أو الكاظم (ع) (١)»، ولكن بدا لله تعالى تأخير ذلك، لأن أتباع أهل البيت (عليهم السلام) توانوا فى القيام بالدور المناسب، وما ذلك إلا لأن الظهور ليس أمراً جبرياً ولا تفويضياً بل هو أمر بين أمرين، فإن قاعدة الأمر بين أمرين جارية حتى فى الفعل الاجتماعى والحضارى والسياسى.

وعليه فلما كان الأمر كذلك فلا تتوقع الظهور وقيام دولة الحق مع عدم النصرة وأن النصرة له (ع) لا بد أن تكون من الأفراد ومن المجتمعات والدول ولا نتصور حصول النصرة له من الأفراد والمجتمعات والدول إلا إذا انتشر الاعتقاد بمشروع ومنهاج أهل البيت (عليهم السلام) وهو مشروع الظهور ومشروع الإمام المهدي (ع).

وقد ورد فى الدعاء: «مؤمن بإيابكم، مصدق برجعتكم، منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم» (٢)، فإن هذا ترتب تصاعدي، مؤمن، ثم مصدق، ثم منتظر، ثم مترقب، ولكل درجة ومرتبة من هذه العناوين شرائط ووظائف خاصة كما له مفهومه الخاص، فالمنتظر هو الذى يباشر العمل أى من يقوم بإيجاد مقدمات تتوقف عليها تحقيق نتيجة معينة، والمترقب هو من أنجز العمل ووفر وحقق ما مطلوب منه كمقدمات لذلك العمل ولم يبق له إلا الحصول على هدفه وأخذ النتيجة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٤٣

فإذا كنا منتظرين لظهور الأمر وتحققه لا بد من تحمل المسؤولية والعمل على تحقق مقدمات الظهور وهى نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) لتكون بعد ذلك مترقبين للظهور وإقامة دولة العدل والحق، فالانتظار نوع من التفاعل مع عقيدة الظهور وعقيدة إمامة الإمام المهدي وليس إبقاؤها عقيدة تجريدية بل لا بد من تفعيل تلك العقيدة من خلال تفاعل الإنسان بأن عنده مشروع مهدوي. فإن عقائد أهل البيت (عليهم السلام) دوماً واستمراراً تترجم بمشاريع عملية ميدانية اجتماعية سياسية وليست عقائد أهل البيت عقائد تجريدية تظل فى السطور والكتب وتحمل فى القلوب دون تفعيلها وليست هى عقيدة فردية يعيشها الفرد فى نفسه أو فى ظرفه وميدانه الخاص وإنما هى عقائد تقتضى الارتباط بالمجتمع وتحمل المسؤولية بالموقف السياسى والاجتماعى فهى عقائد لها تداعيات وتوجهات وتأثيرات خارجية فعلية، فمثلاً العقيدة بالإمام الحسين (ع) تعنى تحمل مسؤولية النهى عن المنكر الاجتماعى والنهى عن المنكر السياسى والنهى عن المنكر المالى وهكذا...

وكذا تحمل مسؤولية الأمر بالمعروف الاجتماعى والسياسى والمالى و...

لذلك تقول بعض الدراسات الغربية: إن عقيدة الإمام الحسين عقيدة خطيرة لأنها تمنع وتمنع وتقاوم الذوبان فى الثقافات الأخرى فإن هذه العقيدة فيها خصائص وصفات تمنع التأثير بالغير حيث إن كل المسلمين ذابوا فى الغرب إلا أتباع أهل البيت (عليهم السلام) وقد تقدم بيان هذا المطلب والسبب الرئيسى هو الاعتقاد بالإمام الحسين (ع)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٤٤

ووجود المرجعيات الدينية المتعاقبة الحاملة لهذا الفكر والناشرة والعامله به، فهو منهج مفعول وعقائد وثقافة تطبيقية لا يمكن القفز عليها، لذا فهى مبادئ غير قابلة للتأثر بالغير لأنها مبادئ عملية تطبيقية. إذاً مشروع الإمام الحسين (ع) خطر عليهم ويقلقهم لأنه مشروع حيوى ميدانى.

وهكذا الكلام فى العقيدة بالإمام المهدي (ع) فهى إحدى عقائد مدرسة أهل البيت المهمة وعموم المسلمين، فليست هى عقيدة قلبية بين الفرد ونفسه أو تبقى حبيسة السطور وإنما هى عقيدة فعلية عملية اجتماعية لها تداعياتها وتموجاتها التى تبنى صرح الدولة الإسلامية الصحيحة المستقيمة وفى نفس الوقت تهدم كل مخططات الكفر والكافرين.

وقد ذكرنا سابقاً أن هناك كتاباً خطيراً للخير والباحث الاستراتيجى فرانسوا توال باسم الجغرافية السياسية للشيعه إذ يتعرض فيه لعقيدة الإمام المهدي (ع) ويقول فيه: (إن عقيدة الإمام المهدي عند الشيعة ليست عقيدة تجريدية جمودية بل هى عقيدة مشروع دولى عولمى اممى) ويضيف هذا الكاتب القول: (والمشكلة أن هذا الطموح الخطير لا نجده فى أى ملة ولا نحله ولا جماعة أخرى) ثم يحذّر بالقول: (فلذلك يجب على المراقبين الدوليين أن يلتفتوا إلى خطورة هذه العقيدة فإنها ليست عقيدة وحسب، بل هى مشروع عالمى متكامل. لاسيما أن هذا المشروع أكبر شعار لكل مؤمن بالعدالة وهو العدالة المطلقة، ومعلوم أن العدالة هى أنشودة كل البشرية على طول التاريخ، إذ مذهب أهل البيت يحمل شعار العدالة المطلقة وينفى العرقية والعشائرية والتمييز الطبقي

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٤٥

والاجتماعى ... والمقياس هو: «كلكم لآدم وآدم من تراب» (١)، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم (٢) وهذه ليست موجودة فى المدارس الإسلامية، الأخرى بل ولا الملل والنحل الأخرى.

إذا نحن لا بد أن نتحمل المسؤولية إذا كنا ننتظر الظهور، وذلك بأن نسعى للإعداد للظهور وهذا الإعداد لا يكون إلا بوسيلة وحيدة وهى الأولى والأخيرة فى تحقيق الظهور وهى نشر مذهب وعقائد أهل البيت، لأن نشر مذهب أهل البيت يعنى نشر شروط وقواعد العدل ونظم العدل الحقيقى وكيفية برمجة العدل والعدالة والحرية والقسط والقسطاس فإن أبرز مهام الإمام (ع) عند ظهوره ونهضته وإقامته دولته هى أن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

فإن هذه الميزات هى من خصائص ومنهاج آبائه وأجداده الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) وهنا أكبر برهان قانونى واجتماعى على كون نشر مذهب أهل البيت هو طريق الإعداد للظهور حيث يقول علماء القانون وعلماء الاجتماع وعلماء العلوم السياسية الأكاديمية أنه إذا اريد تطبيق نظام معين وإقامته على الواقع الخارجى فلا بد أولاً وفى الدرجة الأساس من تثقيف المجتمع على تعاليم ذلك النظام، بل لا بد من التشدد فى تعليمهم ذلك النظام نظرياً أى لا بد من التهيئة النظرية التى هى عبارة عن الاعتراف والاعتقاد بذلك النظام أولاً ومعرفة بنوده وإرشاداته...

وهكذا فى دولة الإمام (ع) فإن المنشود منها هو إقامة دولة الحق والتى هى على طبق منهج أهل البيت فلا بد أولاً من التهيئة والإعداد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٤٦

لذلك بأن يعتنق الناس مذهب الحق ومعرفة عقائده وإرشاداته وبنوده وأمثليته وأمثولته الموجودة فى الكمال كى تأتى المرحلة الثانية وهى التطبيق العملى وإنجاز العمل وهو الظهور.

إذا مرتبة الإعداد والتهيئة وطلب وانتظار الظهور هى المعرفة النظرية لكافة البشر بأن مشروع الإمام المهدي ودولة الظهور هو الأحق والأكفأ والأجدر والأتمثل فى معالجة مشاكل البشر من الظلم والفساد، فحينئذ بهذه الطريقة نمهد لظهور الإمام (ع) وإقامة الدولة المباركة وبسطها على العالم ولا نتصور من دون ذلك تحقق انتصار الإمام وإقامة الدولة إلا بالمعجزة أو الطفرة، ولكن الله تعالى أبى إلا أن تكون الأمور بأسبابها ومسبباتها وليس بالمعجزة، كما أن الطفرة باطله ومخالفة للقوانين والقواعد العقلية، وقد تقدم أن أولى القواعد الرقابية على الحجج هى بديهيات العقل وبديهية العقل تقضى أن لكل مسبب سبباً فلا بد أن تكون دولة الإمام (ع) وفق أسبابها ومقدماتها لا بالطفرة.

وعليه فمسؤولية الانتظار هى الإسهام والعمل والنصرة المؤكدة للإمام (ع) من خلال نشر مذهب ومنهج أجداده المعصومين لأنه (ع) سيكون مقيماً لكتاب الله ومحياً لشيئة رسوله (ص) ومطبقاً لمنهاج وسنن الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، وهذه المهمة لا تكون إلا بتقديم المعرفة النظرية لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) وهذه الخطوة من التثقيف والإعداد بنشر عقائد أهل البيت هى التى يحذر منها فرانسوا توال فى كتابه (الجغرافية السياسية للشيعة) الذى كتبه قبل ست سنوات حيث يقول: (إن أخطر ما فى هذه العقيدة أنها بالإمكان أن تنتشر بين الشعوب والدول بين ليلة وضحاها وأخوف ما أنه عليه المسؤولين الدوليين أن هذه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٤٧

العقيدة لا تحتاج فى انتشارها إلى مؤونة لأنها تحمل شعاراً تنشده كل الأمم والشعوب وهو الحرية والعدالة المطلقة).

ويضيف هذا الكاتب: (إنى اقدر سرعة انتشار هذه الدعوة بأن تكون أسرع من انتشار الشيوعية والاشتراكية) فهو يخاف من سرعة انتشارها لأنها دعوة حق وعدل، والناس متعطشه لذلك فما أسرع اعتناق الشعوب لهذه المبادئ السامية والنبيلة فى مذهب أهل البيت، وهذا يحتاج للعمل وتحمل المسؤولية فى النشر والتثقيف وإيصال العقائد للشعوب كى ينخرطوا فى اعتناق مذهب الحق.

ولذلك فإن الغربيين والملحدين وأصحاب الفكر المنحرف من بعض الديانات لما اكتشفوا مكانم الخطر المحدق بهم وبرئاساتهم وعروشهم بدأوا الحرب ضد دولة الإمام (ع) قبل قيامها وذلك من خلال عرقلة مقدمات إقامتها فحاولوا ويحاولون تبديد طاقات المؤمنين فى دعاوى ضالة تحيد بهم عن الطريق ونشر الخزعبلات والأساطير والخرافات والهوسات التى لا تمت بأى صلة لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) فيروجون كل تلك المعرقلات للحد من انتشار مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بل ويدخل عملهم أحياناً

فى مسار التثقيف السلبى لفكر أهل البيت (عليهم السلام) وهذا أخطر عدو.

فإذا الأمر مهم جداً وحساس وخطير، وهناك الأعيب وتدابير خلف الكواليس تحاك، وهناك نشر لتعاليم زائفة باطله عن الإمام ودولته وثقافته وحكمه. ولكن لا بد لنور الله أن يشع ويملا الأرض، قال تعالى: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١١).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٤٨

وهذه الآية تعتبر دليلاً آخر على أن طريق تمهيد الظهور هو نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) فإن معنى انتشار نور الله هو انتشار لمعتقدات أهل البيت، وهكذا فى قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (١١) فإن الاظهار يحصل باعتناق الناس للإسلام بحقيقته وهى الإيمان وهو مذهب أهل البيت وليس الإسلام بظاهره القشرى، وهذا لا يكون إلا بانتشار تعاليم مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

فإن قمية إنجازات دولة الإمام (ع) هو نشر الهداية فى كافة أرجاء الأرض، فالنتيجة تعتمد على استراتيجية دولة الإمام المهدي (ع) ونحن إذا أنجزنا هذه الخطوة وهى نشر التعاليم النظرية فى العالم، فكأنما نحن أنجزنا غاية الإنجازات للدولة بعد الظهور فكيف لا يسهم نشر مذهب أهل البيت فى الظهور وهو يعتمد على نفس استراتيجية دولة ما بعد الظهور بل نشر تعاليمهم ومناهجهم هو عمدة العماد للظهور.

وقد يتوهم البعض استناداً إلى فهم خاطئ من بعض الروايات التى تقول كما يشيع ويساعد على ذلك أعداء أهل البيت تقول: إن الإمام يظهر ليملا الأرض عدلاً وقسطاً كما ملأت ظلماً وجوراً (٢).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٤٩

فإنهم يتوهمون أن الإمام (ع) يظهر إذا امتلأت الأرض بالفساد والجور والظلم و... فلا بد من انتشار الفساد لا الصلاح والهداية وهذه من المغالطات التى يروج لها الأعداء.

وإنما المراد بذلك أمر بين أمرين فمعنى امتلاء الأرض بالفساد والجور يعنى مجتمع معسكر الفساد فى قطب مقابل تجمع معسكر الإعداد للظهور فى قطب آخر، أى فإن الأرض كما ملئت ظلماً وجوراً فهى مستعدة بعد نشر العقائد الحقّة لكى تكون أرضاً خصبة للظهور وامتلائها عدلاً وقسطاً وإلا فلو امتلأت الأرض كلها بالفساد فكيف ينتصر الإمام وكيف تكون له القيادة والريادة، فهو نظير إرادة انتخاب شخص للرئاسة ونحن نقول لجميع الناخبين لا تنتخبوه!؟

ومما يؤيد ويساعد على أن الإعداد إنما يكون بنشر المذهب الحق ما ورد من روايات تبين أماكن ظهور أنصار الإمام (ع) ال- (٣١٣) فإنها تبين أماكن مختلفة من الهند والصين وأوروبا واليابان فهم من كل نقاط العالم وليس من الشرق الأوسط فقط، فكيف يخرج أولئك ما لم ينتشر عندهم مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

كما يؤيد ذلك روايات الملاحم حيث تذكر أن هناك راية فساد معادية واحدة وهى راية السفينانى فى قبال عدّة رايات إصلاح وتمهيد ونصرة كاليمانى والخراسانى وراية من المغرب وأن هناك رايات متعدّدة موالية لأهل البيت (عليهم السلام) فإن درجات الموالاة تختلف، وهذا يدل على أن أكثر العالم يكونون على وعى وإدراك واقتناع بتعاليم دولة الظهور، نعم هناك قلبه تبقى على الضلال وتدخل فى راية السفينانى وتكون معادية لمذهب أهل البيت.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٥٠

فمقتضى الضروريات ومقتضى الإصلاح والمنطق السليم هو أن الإعداد للظهور هو نشر العقائد الحقّة وليس الفساد، فإن ما ينشده العالم اليوم من الحداثة والعولمة وحقوق الإنسان والإصلاح والسلم والمساواة و... كل ذلك تحت عنوان مشروع إصلاحى عالمى منقذ هذا لا ينسجم ولا يتوافق إلا مع مذهب أهل البيت دون غيره من الأديان والمذاهب الأخرى قاطبة، فهذه المضامين فى العناوين

المطروحة على الساحة العالمية عبارة عن دروس ومضامين لا تتفق مع المسيحية ولا اليهودية ولا المذاهب الإسلامية الأخرى فضلاً عن البوذية والهندوسية وكل الأديان المنحرفة الأخرى، وهذا من الملاحم الأديانية الإعجازية أن تنتشر هذه الثقافات والعناوين التى تحتوى بنود منهاج الإسلام عند أهل البيت (عليهم السلام)، لكن لا بدّ من الإعانة والإسهام فى انتشارها الصحيح وليس الانتشار السلبي والتوظيف المصلحي الهدّام، كما تفعل الدول العظمى حيث تستغل هذه العناوين فى تحقيق أهدافها وأغراضها التى هى فى حقيقتها مخالفة لواقع هذه العناوين.

فالأظمة الدكتاتورية والمنحرفة والمادية و... فى نفس الوقت الذى تنشر الفساد هم مضطرون للترويج لهذه الثقافات على نحو المطالب المستقبلية والتأمل فى المستقبل المنشود و... وهذا ما يساعد على استغلال ذلك لنشر الثقافة الصحيحة وبيان أن المشروع الإصلاحى والمنقذ الوحيد المحقق لتلك العناوين المنشودة، والمطبق لها على الواقع هو منهاج أهل البيت (عليهم السلام).

والحاصل أنه لا بدّ لنصرة الإمام من إعداد القاعدة الجماهيرية وليس الكلام عن وزرائه الثلاثمائة وثلاثة عشر وإنما الكلام عن القاعدة دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٥١

الواسعة على الأرض وهى الجماهير فلا بدّ أن يكونوا على مستوى من الوعى والثقافة المهدوية والعلم بنود وأهداف دولة الإمام ليكونوا عمود قيام تلك الدولة ضد الظلم والظالمين.

لذا فإنّ الانتظار الحقيقى والانتصار والعون الأكبر فى نصرة الإمام المهدي (ع) وطريق الإعداد الوحيد لمشروع الظهور هو نشر منهاج وطريقة وعقيدة أهل البيت (عليهم السلام).

ومن يحاول التحايل على ذلك فليعلم أنه إما يدجل أو دجل به وإما يكذب أو كُذّب عليه وإما ضل أو ضلل به، لأنّ إعاقة نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) هى إعاقة لمشروع الظهور لا- محالة فى حين أن أكبر وأقوى سلاح لعون ونصرة الإمام (ع) ولمشروع الظهور هو نشر معارف وعقائد وتعاليم مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بسداد وصواب وشفافية وبلا أى تحريف وتلوّث، لأنّ مشاريع وعقائد أهل البيت (عليهم السلام) هى مشاريع مناهضة للظلم، وهكذا هو مشروع دولة الإمام (ع).

إذاً عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) هى عقيدة مشاريع وهى فى المآل ومنتهى المطاف هى مشروع الإصلاح وإقامة العدل والحرية أما إذا لم نستطع أن ننشر تعاليم أهل البيت (عليهم السلام) فى أرجاء الأرض فلا نتوقع الظهور ولا يمكن أن نوقّت له فإنّه كلما تكلّم انتشار مذهب أهل البيت (عليهم السلام) كلما تكلّم وتأخّر الظهور ولا ريب ولا شكّ بذلك حسب الروايات، فإنّ أصل معنى راية اليماني وراية الخراساني وغيرها رايات مناصرة لأهل البيت (عليهم السلام) فى قبال راية واحدة معادية وهذا يعنى أن القاعدة الجماهيرية تهتف بأهل البيت (عليهم السلام) والعالم بأكمله قد استجاب لنداء أهل البيت (عليهم السلام) وصاروا محبّين لهم ومتبعين لتعاليمهم وأنّ هناك قلّة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٥٢

قليلة ترفع راية ضد مشروع الظهور والذى يعنى أن عقيدة ومنهج أهل البيت (عليهم السلام) انتشر فى جميع العالم. وعليه فهذه علامة واضحة وتوقيت لا- لبس فيه، بل وعلامة حتمية من الأثمية (عليهم السلام) وهى أنه إذا انتشر منهاج أهل البيت وعقائدهم وتعاليمهم فقد حان وأزف الظهور فإذا والى المسلمون أهل البيت (عليهم السلام) لاسيّما فى بقاع المسلمين لأنها هى منطلق الظهور فقد حان الظهور.

وأما إذا لم ينتشر مذهب أهل البيت بل كان الناس على عداة لهم والعياذ بالله، أو كانوا على قطيعة وبعد من أهل البيت (عليهم السلام) وكانوا يبغضونهم وينفرون من مذهبهم (عليهم السلام) فهذا يعنى تأخّر الظهور قطعاً.

وعليه فهذه علامة حتمية بأيدي الناس يستطيعون تحقيقها وإنجازها ومن خلالها العلم واستعلام الظهور.

فعندما تذكر الروايات أن من أفضل العبادات انتظار الفرج كما عن أمير المؤمنين (ع) قال: قال رسول الله (ص): «أفضل العبادة انتظار



الفرج» (١)، وعن علي بن الحسين (ع) قال: «تمت الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله (ص) والأئمة بعده، يا أبا خالد إن أهل زمان غيبته، القائلون بإمامته المنتظرون لظهوره أفضل أهل كل زمان لأن الله تعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله (ص) بالسيف أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً» (٢).

وإن الانتظار صفة المؤمنين الموالين فإنّ للانتظار أدبيات

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٥٣

وواجبات فقد اتضح أنه من واجبات الانتظار والمنتظر هو السعي لنشر منهاج أهل البيت (عليهم السلام) وأن يكون مترقياً من خلال نصره الإمام والنصرة لا تكون إلّا بنشر عقائد وتعاليم سبيل الحق من مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

لذا فالذي يكون ناصراً ومنتظراً ومترقياً لأهل البيت ولدولتهم وللمهدي (ع) هو من ينشر مذهب الحق وليس من يحرف ويعرقل مذهب أهل البيت ويدخل الأساطير والخزعبلات والخرافات و... فإنّ ذلك لا تستجيب له الفطرة البشرية وعليه فأعداء أهل البيت من الظلمة والطواغيت و... تجدهم يمنعون نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وذلك من خلال خلق التيارات المنحرفة ونشر الأساطير الباطلة ونحوها.

وهذا لا ينطلي إلّا على السذج والبسطاء وإلّا فإنّ منهاج أهل البيت (عليهم السلام) هو مذهب المنطق والبرهان والدليل والبيان والعقل والعقلانية الذي تهتف به كل فطرة البشر وهو الذي يخافه أعداء أهل البيت (عليهم السلام).

إذاً طريق الظهور والتوقيت له بعلاماته الحتمية، ومسؤولياته هي الانتظار والوظيفة العملية للمؤمنين في زمن الغيبة هو السعي لتثقيف البشرية بثقافة السداد والصواب والحق والهداية والنور وذلك بنشر عقائد مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

فهذا هو السبيل الوحيد لتقريب الظهور وتوقيته وهو العلامة الحتمية على ذلك، فإنّ الروايات بينت أن ضابط الظهور هو مناصرة غالب المسلمين وموالاتهم لأهل البيت (عليهم السلام)، فإنّ ذلك هو أرضية الظهور وهي مسؤولية الانتظار.

وليس كما يبيّن بعض الدجالين والمضللين بأن يعيشوا في الأرض

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٥٤

فساداً في مقابل السداد والتقوى في منهاج أهل البيت (عليهم السلام) فيذكر بعض المزيّفين والدجالين أساليب والأعياب في الدين ويترك كل تعاليم الدين والعبث بالضروريات والسنن بدعوى أنه إذا انتشر الفساد في الأرض فإنّ الإمام يظهر لدفع ذلك.

ولكن من الواضح والجلي جداً أن هذا من الدّ أعداء أهل البيت وأشدّ المعوقين والمانعين للظهور وإقامة دولة الحق وإلّا فقد بينا أن تأويل مغزى الروايات هو أن أغلب الرايات التي تظهر هي مناصرة للإمام (ع) وما ذلك إلّا بمعنى انتشار عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) وكون أغلب البشرية من الموالين والمحبين لهم (عليهم السلام).

فلا بدّ أن تكون الأرضية مؤاتية للظهور ولا تكون كذلك إلّا بنشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) لا بنشر الفساد والضلال ومعاذة أهل البيت (عليهم السلام).

### التوقيت والتأويل ... ص: ٥٥٤

الإنسان تارة يعتقد بشيء فيه الخير له ولعموم الناس فلا بأس أن يتفائل به، بمعنى أن يرجوه ويطلبه من الله تعالى ويتوقع وينتظر قرب تحققه، ولا- ريب أننا نعتقد الخير بل كل الخير في ظهور الإمام صاحب العصر والزمان لينشر الحق والعدل وإقامة دولته الكريمة المباركة، فلا بأس أن نتفائل بذلك ونرجوه من الله تعالى.

ولكن إيانا أن يكون ذلك الطلب منّا بالتوقيت بمعنى أن نحتم ادعاء شيء على الله تعالى، فإنّ ذلك ممنوع بنص كثير من الروايات

منها:

عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمّد بن عثمان العمري (رض) أن يوصل لى كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت علىّ فوردت

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٥٥

فى التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان (ع): «أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك»، ... إلى أن يقول: «وأما ظهور الفرج فإنه إلى الله تعالى ذكره، وكذب الوقاتون» (١)، وعن أبى بصير عن أبى عبد الله (ع) قال: قلت له: جعلت فداك متى خروج القائم (ع)؟ فقال: «يا أبا محمّد إنّ أهل بيت لا نوّقت وقد قال محمّد (ص): كذب الوقاتون، يا أبا محمّد إنّ قدام هذا الأمر خمس علامات أولاهن النداء فى شهر رمضان، وخروج السفينانى، وخروج الخراسانى، وقتل النفس الزكية وخسف بالبيداء» (٢)، لأن الظهور أمر استأثر به الله تعالى وادّعاء العلم به كذب وافتراء وتعدي لحدود الله.

وبيان آخر: أنه عندنا قيامه صغرى وهى ظهور الإمام وقيامه وسطى وهى دولة الرجعة وقيامه كبرى وهى المعهودة للأذهان، لذلك فإنّ ظهور الإمام (ع) نوع من الغيب قال تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣)، وقال تعالى: يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَبَانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّئُهَا لَوْحَتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسِرَّةً يُؤْتِيكُمُ كَأَنَّكَ كَانَكُ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤)، وهذه الساعة لها ثلاث مراحل: صغرى ووسطى وكبرى.

وهذا لا يمنع التوقيت من المعصومين (عليهم السلام) سواء أكان التوقيت بمعنى الحالة أم بمعنى التوقيت الزمانى المشروط أو المعلق لأنهم (عليهم السلام)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٥٦

خارجون تخصصاً عن هذا المنع إذ هذا المنع من التوقيت هو منع شرعى وعقلى، أما الشرعى فبمقتضى الروايات، وأما العقلى فلأن الظهور أمر غيبى استأثره الله لنفسه، نعم ذكر لذلك علامات حتمية وغير حتمية لكن البداء يمنع ذكر زمان معين محدّد له، فالظهور أمر تابع ومرتب باللوح والقضاء والقدر وما ينزل من بداء ... لذا لم نجد فى الروايات المؤقتة أى تحديد زمانى تقويمى ولا يمكن لأحد ادّعاءه والأتمية (عليهم السلام) لم يوقّتوا بالتوقيت الزمانى المطلق بل بالتوقيت العلامى أى هناك علامات إذا تحققت بقيت إرادة الله فقط.

أما التوقيت من غير المعصوم فممنوع وغير مقبول بجميع أنواعه وأشكاله لأن الظهور المبارك يبقى فى علمه تعالى ومن أطلعه عليه وهم فقط الأتمية المعصومون، وهذا نظير الكثير من الأسباب والمسببات التى بينها فى منظومة دينه ولكنه تعالى احتفظ بتقسيم ذلك كالأعمار والأرزاق و... فإنها تتأثر وتتغير وفق معادلات دقيقة من الصدقة وصلّة الرحم و... و... فإنه تعالى يقول: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (١) إذ لم يبعث الله نبياً من الأنبياء إلّا وأخذ عليه الإيمان بالبداء لكن لا بمعنى الجهل فى الساحة الربوبية وإنما بمعنى أنه الله أن يفعل ما يشاء قضاءً مبرماً وينسخ الله ما يشاء ضمن حكمته تعالى وعلمه الغالب فلا يمكن أن تحتم شيئاً على الله تعالى ما دام البداء موجوداً.

وهذا لا يمنع من تحقيق مقتضيات الانتظار والترقب كما تقدّم بل لا مانع من متابعة العلامات المبيّنة فى الروايات فإن تحققت فتوقّع

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٥٧

ونتأمل الظهور بإرادته تعالى لا بالتوقيت إذ لا بأس بأن نتفائل بشيء بعد تحقيق أسبابه ومقدماته وأن لا نحتم شيئاً على الله تعالى أو ادّعاء العلم به، أما من يدعى العلم به فما أن يدعى أنه عنده علم الله وإما أن يدعى الألوهية من حيث يشعر أو لا يشعر والعياذ بالله من الضلال والمضلين وقد تقدّم أن أكبر أسباب الظهور هو انتشار منهاج أهل البيت (عليهم السلام) بين الأمم.

وفقنا الله وإياكم لأن نكون من أنصاره ومنتظريه والمترقبين لدولته (ع) وممن يقوم بالواجب والمسؤولية تجاهه ويحمل على عاتقه مثل هذه العقيدة ببصيرة نافذة وصلى الله على محمد وآله الطاهرين («١»).

\*\*\*

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٥٩

### مصادر التحقيق ... ص: ٥٥٩

القرآن الكريم.

الاختصاص: الشيخ المفيد/ ت على أكبر غفارى/ جماعة المدرسين/ قم.

الأمالى: الشيخ المفيد/ ت أستاذ ولى/ على أكبر غفارى/ جماعة المدرسين/ قم.

الأمالى: الشيخ الصدوق/ ت قسم الدراسات/ قم/ ط ١/ ١٤١٧ هـ- / مؤسسة البعثة.

الأمالى: السيد المرتضى/ نشر مكتبة المرعشى النجفى/ قم/ ١٤٠٣ هـ.

أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين/ دار التعارف للمطبوعات/ بيروت.

الاعتقادات فى دين الإمامية: الشيخ الصدوق/ ط ٢/ نشر دار المفيد/ ١٤١٤ هـ.

أجوبة المسائل المهنية: العلامة الحللى.

الإختصاص: الشيخ المفيد/ جماعة المدرسين/ قم.

إختيار معرفة الرجال: الشيخ الطوسى/ مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)/ قم/ ١٤٠٤ هـ.

الإحتجاج: الطبرسى/ مطبعة النعمان/ النجف الأشرف/ ١٣٦٨ هـ.

إعلام الورى: الطبرسى/ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث/ قم/ ط ١/ ١٤١٧ هـ.

الإرشاد: الشيخ المفيد/ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث/ قم.

الأسرار الفاطمية: المسعودى/ رابطة الثقافة الإسلامية/ لندن/ ١٤٢٠ هـ.

أنوار الملكوت فى شرح الياقوت: العلامة الحللى.

أنيس الموحدين: الملام مهدى التراقى.

أوائل المقالات: الشيخ المفيد: دار المفيد/ الطبعة الثانية/ بيروت ١٤١٤ هـ.

البايون والبهائيون: د. همتى.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٦٠

بحار الأنوار: المجلسى/ مؤسسة الوفاء/ بيروت/ ١٤٠٣ هـ..

البرهان فى علامات مهدى آخر الزمان: المتقى الهندى/ مطبعة الخيام/ قم.

البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقى/ ط ١/ ١٤٠٨ هـ- / مط دار إحياء التراث العربى.

البيان فى تفسير القرآن: السيد الخوئى/ دار الزهراء/ بيروت/ ط ٤/ ١٩٧٥ م.

تاج العروس: محمد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى.

تاريخ أصفهان: الحافظ الأصفهانى.

تجريد الإعتقاد: نصير الدين الطوسى/ ط: مؤسسة النشر الإسلامى/ قم/ ١٤٠٧ هـ.

تحف العقول عن آل الرسول (ص): ابن شعبة الحرانى/ ت على أكبر غفارى/ ط ٢/ ١٤٠٤ هـ- / جماعة المدرسين/ قم.

التفسير الكبير: الفخر الرازى.

تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الأندلسى الجيانى.

تفسير العياشى: العياشى / المكتبة العلمية الإسلامية / طهران / ١٣٨٠ هـ.

تفسير القمى: على بن إبراهيم / مؤسسة دار الكتاب / قم / الطبعة الثالثة / ١٤٠٤ هـ.

تفسير البرهان: البحرانى.

تفسير ابن كثير: ابن كثير الدمشقى / دار المعرفة / بيروت / ١٤١٢ هـ.

تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسى / دار الكتب الإسلامية / طهران.

جامع أحاديث الشيعة: السيد البروجردى / المطبعة العلمية / قم / ١٣٩٩ هـ.

الجغرافية السياسية للشيعة: فرانسو توال.

خاتمة المستدرک: النورى الطبرسى / ت مؤسسة آل البيت / قم / ط ١ / ١٤١٥ هـ..

الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندى / مؤسسة الإمام المهدي / قم.

الدر المنثور: جلال الدين السيوطى / ط ١ / ١٣٦٥ هـ / مط الفتح جدة / دار المعرفة.

دلائل الإمامة: الطبرى (الشيعة) / مؤسسة البعثة / قم / ١٤١٣ هـ.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٦١

رجال النجاشى: النجاشى / ت الزنجانى / ط ٥ / ١٤١٦ هـ / جماعة المدرسين / قم.

رجال الكشى: الكشى / طبع مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام).

رسائل فى الغيبة: الشيخ المفيد / تحقيق: علاء آل جعفر.

رسائل المرتضى: الشريف المرتضى / نشر دار القرآن الكريم / قم / ١٤٠٥ هـ..

رسالة فى أصول الدين: المحقق القمى.

روضه الكافى: الكلينى / دار الكتب الإسلامية / طهران (الطبعة الثالثة) / ١٣٨٨ هـ.

روضه الواعظين: محمد بن الفتال النيسابورى / منشورات الرضى / قم.

رجال أبى داود: الحسن بن على بن داود الحلى / المطبعة الحيدرية / النجف / ١٣٩٢ هـ.

رجال النجاشى: النجاشى / جماعة المدرسين / قم / ١٤٠٧ هـ.

سر السلسلة العلوية: أبو نصر البخارى / المطبعة الحيدرية / النجف / ١٣٨١ هـ.

شرح إحقاق الحق: السيد المرعشى النجفى / مكتبة آية الله المرعشى / قم.

شرح الأخبار: القاضى النعمانى المغربى / مؤسسة النشر الإسلامى / قم.

شرح الفصوص: القيصرى.

شرح أصول الكافى: المازندرانى / دار إحياء التراث العربى / بيروت / ١٤٢١ هـ.

صحيح البخارى: محمد بن إسماعيل البخارى / مط دار الفكر بيروت.

صحيح مسلم: مسلم ابن الحجاج النيسابورى / دار الفكر بيروت.

صحيفة المهدي: جواد القيومى الأصفهانى / مؤسسة النشر الإسلامى / ط ٢ / قم.

الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقه: ابن حجر العسقلانى.

عيون أخبار الرضا (ع): الصدوق / مؤسسة الأعلمى / بيروت / ١٤٠٤ هـ.

العرائس: الثعلبي.

عوالى اللثالى: ابن أبى جمهور الاحسائى / الطبعة الأولى / ١٤٠٣ هـ / قم.

عمدة القارئ: العيني.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٦٢

عيون أخبار الرضا (ع): الصدوق / الأعلمى / بيروت ١٤٠٤ / ت حسين الأعلمى.

الغيبة: الطوسى / مؤسسة المعارف الإسلامية / الطبعة المحققة الأولى / ١٤١١ هـ ..

الغيبة: النعمانى / مكتبة الصدوق / طهران.

غريب الحديث: الهروى / دائرة المعارف العثمانية / ط ١ / ١٣٨٤ هـ ..

الغرر والدرر: السيد المرتضى.

فرق الشيعة: النوبختى.

فقه الرضا: المنسوب للإمام الرضا / مؤسسة آل البيت / قم / ط الأولى ١٤٠٦ هـ ..

القصص: الميرزا التنكابنى.

كامل الزيارات: ابن قولويه القمى / ت القيومى / ط ١ / ١٤١٧ / مؤسسة النشر الإسلامى.

كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق / مؤسسة النشر الإسلامى / قم / ١٤٠٥ هـ.

كشف الغمة فى معرفة الأئمة: الأربلى / ط ٢ / ١٤٠٥ هـ / دار الأضواء / بيروت.

كشف المراد فى شرح تجريد الاعتقاد: العلامة الحلى / مؤسسة النشر الإسلامى / قم / ١٤١٧ هـ.

كشف الغطاء: الشيخ جعفر كاشف الغطاء / منشورات مهدوى / إصفهان.

كنز الدقائق: الميرزا محمد المشهدى / مؤسسة النشر الإسلامى / قم / ١٤٠٧ هـ.

كنز الفوائد: أبو الفتح الكراچكى.

لؤلؤة البحرين: الشيخ يوسف البحرانى.

اللهور فى قتلى الطفوف: السيد على بن طاووس / ط ١ / ١٤١٧ هـ / مط مهر.

المحاسن: أحمد بن محمد البرقى / ت جلال الدين الحسينى / دار الكتب الإسلامية.

المزار: الشهيد الأول / تحقيق ونشر مدرسة المهدي (ع) / قم / ط: الأولى ١٤١٠ هـ.

المزار: الشيخ المفيد / ط ١ / مط مهر / قم / تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي (ع).

المزار: محمد بن المشهدى / مؤسسة النشر الإسلامى / قم / الطبعة الأولى / ١٤١٩ هـ.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٦٣

مشارك أنوار اليقين: رجب البرسى / مؤسسة الأعلمى / بيروت / ١٤١٩ هـ.

معجم رجال الحديث: السيد الخوئى / الطبعة الخامسة / ١٤١٣ هـ.

معجم أحاديث الإمام المهدي: مؤسسة المعارف الإسلامية / قم / ط ١ / ١٤١١ هـ.

مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمى / الطبعة الأولى / قم / ١٤٢١ هـ.

مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي.

مجمع البيان: الطبرسى / مؤسسة الأعلمى / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤١٥ هـ.

معانى الأخبار: الشيخ الصدوق / ت على أكبر غفارى / ط ١٣٦١ هـ / انتشارات إسلامى.

- معجم رجال الحديث: السيد الخوئي / ط ٥ / ١٤١٣ هـ - / ت لجنة.  
معالم العلماء: ابن شهر آشوب.  
مجمع الزوائد: الهيثمي / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٠٨ هـ -.  
مصباح الشريعة: الإمام جعفر الصادق (ع) / مؤسسة الأعلمي / بيروت / ١٤٠٠ هـ -.  
مصباح المتهدج: الشيخ الطوسي / مؤسسة فقه الشيعة / بيروت / ١٤١١ هـ -.  
مصباح البلاغة: حسن المير جهاني الأصفهاني / ١٣٨٨ هـ -.  
مستدرک الوسائل ومستنبط الوسائل: النوري / مؤسسة آل البيت / ط ١ / ١٤٠٨ هـ -.  
مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل / طبع ونشر دار صادر / بيروت.  
مشكاة الأنوار: أبو الفضل علي الطبرسي / دار الحديث / قم / الأولى.  
من لا يحضره الفقيه: الصدوق / جماعة المدرسين / قم / ط ٢ / ١٣٩٢ هـ -.  
المقالات والفرق: سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي.  
الملل والنحل: الشهرستاني / دار المعرفة / بيروت.  
مكارم الأخلاق: الشيخ الحسن بن الفضل الطبرسي / الطبعة السادسة / ١٣٩٢ هـ -.  
الملاحم والفتن: ابن طاووس / مؤسسة صاحب الأمر / قم / ط: الأولى / ١٤١٦ هـ -.  
مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب / ت مجموعة ط ١٣٧٦ / مط الحيدرية / النجف.  
دعوى السفارة في الغيبة الكبرى (٢)، ج ٢، ص: ٥٦٤  
منتخب الأثر: لطف الله الصافي الكلبايكاني / مكتب المؤلف / ط ١ / ١٤٢٢ هـ -.  
الميزان في تفسير القرآن: السيد الطباطبائي / مؤسسة النشر الإسلامي / جماعة المدرسين / قم.  
ميزان الحكمة: محمد الري شهري / دار الحديث / قم / الطبعة الأولى.  
نهج البلاغة: خطب الإمام علي (ع) / ت محمد عبده / الناشر دار المعرفة / بيروت.  
النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين: نعمة الله الجزائري.  
وسائل الشيعة: الحر العاملي / ط ٢ / ١٤١٤ / مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) / مط مهر / قم.  
ينابيع المودة: سليمان القندوزي الحنفي / ت علي الحسيني / ط ١ / ١٤١٦ هـ - / دار الأسوة.

\*\*\*

### تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكمم وأنفسكمم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).  
قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ  
كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَسَادِرُ الْبِحَارِ - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرِّضَا(ع)، الشَّيْخُ  
الصَّدُوقُ، الباب ٢٨، ج ١ / ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثَّقَافِي بأصْبَهَانَ - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - "رَحِمَهُ اللهُ" - كان أحدًا من جَهَابِذَةِ هذه  
المدينة، الذي قد اشْتَهَرَ بِشَعْفِهِ بِأَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ (صلواتُ الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و  
بساحه صاحب الزمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره ودرايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠



الهجريّة القمرية)، مؤسّسةً وطريقةً لم ينطَفئ مصباحها، بل تُتَبَّع بأقوى وأحسن موقِفٍ كلِّ يوم.

مركز "القائمة" للتحرّي الحاسوبي - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - ومع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميّة وطلاب الجوامع، بالليل والنهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية وعلمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة وتبسيط ثقافة الثقلين (كتاب الله واهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرّي الأدقّ للمسائل الدينيّة، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المبتدله أو الرديئه - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامع ثقافية على أساس معارف القرآن و اهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إنالة منابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعه، و...

- منها العدالة الاجتماعيّة: التي يُمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعده، على أنه يُمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.  
- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبة، نشره شهريّة، مع إقامة مسابقات القراءة

ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل في الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مواقع أخرى

ه) إنتاج المنتجات العرضيّة، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

و) الإطلاع و الدّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

ز) ترسيم النظام التلقائيّ و اليدويّ للبلوتوث، ويب كاشك، و الرسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخريّ مع عشرات مراكز طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكران و...

ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشاركين في الجلسة

ي) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المرَبّي (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنّة

المكتب الرئيسيّ: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيّد" / "ما بين شارع "بنج رمضان" و"مفتّرق" و"فائي" / "بنايه" القائمة"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنيّة: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكوميته، و غير ربحيته، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحالية و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الاعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ان يوفق الكل توفيقاً متزائداً ليعانتهم - في حد التمكّن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

